تفسير

المحيط الأعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

لمؤلفه العارف الكامل والولي الواصل مولانا

السيد حيدر الآملي

المتوفى أواخر القرن الثامن

المجلد الثالث

حققه وقدم له وعلق عليه

السيد محسن الموسوي التبريزي

المقدّمة السّادسة

في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان أنّها أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة

إعلم، أنّ هذه المقدّمة مشتملة على بيان الشّريعة والطّريقة والحقيقة، وبيان مراتبها ومدارجها عقلاً ونقلاً وكشفاً، والغرض منه أنّه لمّا كان أكثر أهل الزّمان من خواصّهم وعوامهم يظنّون:

أن الشّريعة خلاف الطّريقة، والطّريقة خلاف الحقيقة، ويتصوّرون أنّ بين هذه المراتب مغايرة حقيقيةً، وينسبون إلى كلّ طايفة منهم مالا يليق بهم خصوصاً إلى طايفة الموحّدين من أهل الله المسمّاة بالصوفيّة، ولم يكن سبب ذلك إلاّ عدم علمهم بحالهم وقلّة وقوفهم على أصولهم وقواعدهم.

أردت أن أبيّن لهم الحال على ماهو عليه وأكشف لهم الأحوال على ماينبغي ليحصل لهم العلم بحقيقة كلّ طايفة منهم، سيّما بالطايفة المخصوصة المذكورة من أهل الله وينكشف لهم أحوالهم في طبقاتهم ومراتبهم وأصولهم وقواعدهم ويتحقّقوا أنّ الشّريعة والطّريقة والحقيقة أسماء مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، وليس فيها خلاف في نفس الأمر(١)، ويتركوا بذلك المجادلة والمعارضة مع أهل الله

---

(١) قوله: ليس فيها خلاف في نفس الأمر.

لأن الحقّ واحد يستحيل أن يكون كثيراً إلاّ في مقام الظهور، والكثرة الّتي توجد في مقام الظهور أيضاً تحكي عن الحقّ الواحد، وللظهور مراتب، والكثرة في مقام الظهور هي نفس تلك المراتب.

ومعلوم أنّ مرجع الظهورات أيضاً أمر واحد، أي المراتب في الظهور أيضاً ترجع إلىٰ أمر واحد الذي هو المظهر حقيقة، فهو الاوّل والآخر ومع كلّ شيء وداخل في الأشياء وخارج عنها فهو الظاهر والباطن. قال تعالىٰ:

﴿وماأمرنا إلاّ واحدة﴾ [القمر: ٥٠].

﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد: ٣].

﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

«داخلٌ في الأشياء لاكشيء في شيء داخلٍ، وخارجٌ منها لاكشيء من شيء خارجٍ» (كتاب التوحيد للصدوق باب ٤٢، ص ٣٠٦، الحديث ١).

وقال أيضاً:

«فارَق الأشياء لا علىٰ أختلاف الأماكن، وتمكّن منها لا علىٰ الممازجة» (نفس المصدر باب ٢ ص ٧٣، الحديث ٢٧)

تبصرة:

⬅ ان للعالَم والإنسان، وللشريعة والقرآن، وللعمل والإيمان، وللعبادة والطهارة والولاية والإيقان مراتب.

قال سبحانه تعالىٰ:

﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه ومانتّزله إلاّ بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١].

ويعبّر عن تلك المراتب (على سبيل الكلّي) بالملك والملكوت، وبالغيب والشهادة، وبالظاهر والباطن، وبالتنزيل والتأويل.

قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون﴾ [يس: ٨٣].

وقال تعالىٰ:

﴿والكتاب المبين* إنّا جعلناه قراءناً عربياً لعلكم تعقلون* وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم﴾ [الزخرف: ٢ - ٤].

فللقرآن مرتبة وهي الّتي بأيدينا وتدرك بالتّعقل فيها وله مرتبة أخرىٰ وهي الّتي لا مجال فيها للألفاظ واللّغة، ولا سبيل فيها للمفاهيم، ولا ينال إليها العقل، بل الطريق الوحيد للوصول إليها الطهارة.

قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿إنه لقرآن كريم* في كتاب مكنون* لا يمسّه إلاّ المطهّرون* تنزيل من ربّ العالمين﴾ [الواقعة: ٨٠إلى ٧٧].

أي أنّ لهذا القرآن أصل وحقيقة عند رب العالمين، والّذي بين أيديكم ظهور وتجلّ منه.

قال الصّادق عليه أفضل الصّلاة والسّلام:

«كتاب الله علىٰ أربعة أشياء: العبادة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبادة للعوام، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء» (تفسير الصافي ج ١ المقدمة الرابعة ص ٣١)

ومن هنا يعلم معنىٰ: قوس النزول، وقوس الصعود، للعالم والإنسان، وأنّ مبدأ النزول ⬅

وأرباب التوحيد وخلاصته، ويتنزّهوا قلوبهم ونفوسهم عن ظلمة الغيّ والضّلال، ويخرجوها عن دائرة الشُبه والإشكال، ويكون هذا بالنّسبة إلى أذهانهم الجامدة وطباعهم الخشنة كالنقوع المنضج[٢] للطبيعة الغير

ونهاية الصعود واحد، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿يدبّر الأمر من السّماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥].

وقال:

﴿إنّا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة: ١٥٦].

كما أنّ أوّل ماصدر منه تبارك وتعالىٰ في قوس النزول هوحقيقة محمّد الخاتمﷺ كذلك النهاية في قوس الصعود مقامهﷺ، قال تعالىٰ:

﴿وأنّ إلىٰ ربّك المنتهىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

وقال:

﴿وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلّىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [النجم:٧-٩].

ومن ماذكرنا يظهر معنى تجسّم الأعمال والملكات في عالم الآخرة، ومعنى التفسير والتأويل وغير ذلك من الأمور والمعارف الواردة في الآيات والأحاديث والموجودة في كلمات العلماء والمحققين.

إن شئت الاطّلاع أكثر فراجع: بحر المعارف للهمداني الفصل ٥٠ و٤٩، وتفسير الصافي المقدمة الرابعة، ورسالة الولاية للعلامة الطباطبائي.

(٢) قوله: كالنقوع المنضج.

نَقَعَ يَنْقَعُ نَقْعاً، الدواء أو غيره في الماء: اقرّه فيه ونقع بالشراب: اشتفىٰ منه ونقع الماء العطش نقعاً ونقوعاً ومنقعاً: أذهبه وسكّنه.

في المصباح المنير:

أنْقَعْتُ الدَّواء وغيره إنقاعاً: تركتُه في الماء حتّى انْتَقَع وهو نقيع، والنُّقوع بالفتح مايُنقع مثل السَّحُور والطَّهُور لِما يُتسحّرُ به ويُتطهّرُ به، فقبل أن ينقع هو نَقوع وبعده هو نَقوع ونَقيع.

المستعدّة للمشروب الّذي يدفع الفضلات الرديّة والأخلاط الفاسدة، ويحصل لهم بذلك الإستعداد والقابليّة لإستماع الكلمات الآتية وقبولها من قائلها؛ لأنّ عبارة هؤلاء القوم مغلقة وإشاراتهم صعبة، شديدة المأخذ عظيمة المشرب ليس لكلّ أحد أن يفهمها، ولا لكلّ شخص أن يدركها، ولذلك كانوا دائماً متبادرين إلى النصيحة لمريدهم، متسارعين إلى الوصيّة لملازميهم، كقول بعضهم لبعض مريديهم مثلاً:

«ألا لا تلعبنّ بك أختلاف العبارات، فإنّه إذا «**بعثر مافي القبور وحُصّل مافي الصدور**»، وحضر البشر في عرصة الله تعالى يوم القيامة، لعلّ من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ينبعثون من أجداثهم وهم قتلى من العبارات، ذبايح بسيوف الإشارات، عليهم دماؤها وجراحها، غفلوا عن المعاني، فضيّعوا المباني».

ويطلق النقيع على الشراب المتّخذ من ذلك فيقال: نقيع التّمر والزّبيب وغيره إذا تُرك في الماء حتّى ينتقع من غير طبخ.

في لسان العرب:

النَقوع بالفتح: مايُنقع في الماء من الليل لدواءٍ أو نبيذٍ ويُشرب نهاراً وبالعكس، وفي حديث الكَرْم: تتخذونه زبيباً تُنْقِعُونه أي تَخلِطونه بالماء ليصر شراباً، ويقال: شَرِبَ حتّى نَقَعَ أي شفىٰ غليلَه ورَوِيَ.

نَضِجَ ينضَجُ، نَضْجاً ونَضَجاً، ونُضجاً ونضاجاً، الثّمر واللحم والفاكهة: أدرك وطاب أكلُهُ فهو ناضِجٌ ونضيجٌ، أي وصل إلي مرحلة كماله وفعليّته. وفي مجمع البحرين: قوله تعالىٰ:

﴿**كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها**﴾ [النساء: ٥٦].

يقال: نضج اللحم والفاكهة نضجاً من باب تعب: استوىٰ وطاب أكله.

وفي النهاية: النضيج: المبطوخ. فعيل بمعنىٰ المفعول.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ هذا البحث بعينه ذكرناه في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار[٣]، ثمّ في رسالة الوجود، ثمّ في أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة، وهذا رابعها، والغرض شيء واحد وهو أن يتحقّق عندك وعند غيرك أنّ هذه أسماء صادقة على حقيقة واحدة بإعتبارات مختلفة، وليس بينها تغاير في الحقيقة[٤]، وإثبات هذا على سبيل التّفصيل والبرهان

---

(٣) قوله في كتابنا الموسوم بجامع الأسرار.

ذلك الكتاب أي «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» مطبوع، صحّحه الأستاذ هنري كربين رحمة الله عليه، والأستاذ عثمان إسماعيل يحيى.

وهو كتاب قيّم جداً وفريد في موضوعه، وطبعت بانضمامه رسالة: «نقد النقود في معرفة الوجود» للسيّد المؤلّف.

راجع في هذا البحث كتاب «جامع الأسرار» القاعدة الأولى من الأصل الثالث ص ٣٤٣.

(٤) قوله: وليس بينها تغاير في الحقيقة.

قال ابن أبي جمهور الأحسائي في كتابه «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٢٥:

«إعلم أنّ الشريعة والحقيقة والطّريقة أسماء صادقة علىٰ حقيقة واحدة وهي حقيقة الشرع المحمّدي ﷺ باعتبارات مختلفة، ولا فرق بينها إلاّ باعتبار المقامات؛ لأنّه عند التحقيق الشرع كاللوزة المشتملة علىٰ القشر، واللب، ولب اللب، فإنّ القشر كالشريعة واللب كالطّريقة، ولب اللب كالحقيقة، فهي باطن الباطن، واللوزة جامعة للكلّ، ويظهر ذلك في مثل الصلاة، فإنّها خدمة وقربة ووصلة، فالخدمة مرتبة الشريعة، والقربة مرتبة الطّريقة، والوصلة مرتبة الحقيقة، وإسم الصلاة جامع للكلّ، ومن هذا قيل: الشريعة ان تعبده، والطّريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده، وقيل: الشريعة أن تقيم أمره، والطّريقة أن تقوم بأمره، والحقيقة أن تقوم به.

فالمرتبة الأولىٰ علم اليقين، والثانية عين اليقين، والثالثة حقّ اليقين، وكذلك

يحتاج الى وجوه ثلاثة:

الأولى: أنّ تعريف الشّريعة والطّريقة والحقيقة وتحقيق هذه الأسماء وتخصيصاتها وبيان أنّها أسماء صادقة على حقيقة واحدة من غير إختلاف بينها.

الثّانية: إلى بيان أنّ أهل الحقيقة أعظم من أهل الطريقة وأهل الطّريقة من أهل الشّريعة وإن لم يكن بين هذه المراتب مغايرة.

الثّالثة: إلى بيان أنّ الشّرع ليس بمستغني عن العقل ولا العقل عن الشرع وغير ذلك من الأبحاث المتعلّقة به.



الإسلام و الايمان و الايقان، وكذلك الظاهر والباطن وباطن الباطن، والعام والخاصّ وخاصّ الخاصّ. والمبتدي والمتوسط والمنتهي.

فالشّريعة عند التحقيق تصديق الأنبياء والرسل والعمل بموجبه طاعةً وانقياداً. والطّريقة التخلّق بأفعالهم أيقاناً واتّصافاً والقيام بها علما وعملاً. والحقيقة مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفاً وذوقاً والقيام بها حالاً ووجداناً.»

أمّا الوجه الاوّل

الّذي في تعريفها وتحقيقها وبيان اتّحادها ووحدتها

(تعريف الشريعة والطّريقة والحقيقة)

فاعلم، أنّ الشريعة على ماقيل، إسم موضوع للسبل الإلٰهيّة مشتملة على أصولها وفروعها ورخصها وعزائمها، حَسَنها وأحسنها.

والطّريقة هي الأخذ بأحوطها وأحسنها وأقومها، وكلّ مسلك يسلك الإنسان أحسنه وأقومه يسمّى طريقة، قولاً كان أو فعلاً، صفة كان أو حالاً.

وأمّا الحقيقة فإثبات وجود الشيء كشفاً وعياناً، أو حالة ووجداناً.

وقيل أيضاً: «الشّريعة أن تعبده، والطّريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده»[5].

---

(٥) قوله: الشريعة أن تعبده.

قال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري النيسابوري المتوفىٰ ٤٦٥ هـق في «الرسالة القشيريّة» ص ١٥٩:

«الشريعة: أمر بالتزام العبوديّة.

والحقيقة: مشاهدة الربوبيّة.

فكل شريعة غير مؤيّدة بالحقيقة فغير مقبول.

وكلّ حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول.

فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحقّ.

فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده.

والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضىٰ وقدر، وأخفىٰ وأظهر».

وراجع في هذا أيضاً تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل ص كح وص ٧٩.

وروى السّيد المؤلف قدس الله نفسه في كتابه «جامع الاسرار» ص ٣٥٨ عن أمير المؤمنين علي عليه آلاف التحيّة والسّلام، قال:

«الشريعة نهر، والحقية بحر، فالفقهاء حول النهر يطوفون، والحكماء في البحر علىٰ الدّر يغوصون، والعارفون علىٰ سفن النجاة يسيرون».

قال نظام الدين ترِيني في قواعد العرفاء ص ١٢٦:

«إعلم الشريعة هي الطريقة في الدين المشروع ماأظهره الشارع، والطريقة هو الأخذ بالتقوىٰ ومايقرِّبُك إلىٰ المولىٰ.

الشريعة كالسفينة، والطريقة كالبحر، والحقيقة كالدُّر، فمن أراد الدّر رَكب في السفينة، ثمّ شرع في البحر، ثمّ وصل إلىٰ الدّر.»

قال الشيخ ابو سعيد:

«الشريعة أفعال في أفعال، والطريقة أخلاق في أخلاق، والحقيقة أحوال في أحوالٍ.

فمَن لا أفعال له بالمجاهدة ومتابعة السنّة فلا أخلاق له بالهداية والطريقة، ومَن لا أخلاق له بالهداية والطريقة فلا أحوال له بالحقيقة والإستقامة والسياسة».

قال الشيخ الرئيس في نمط التاسع في «الإشارات» ج ٣ ص ٣٧٠:

«الزهدُ عند غير العارف معاملةٌ مّا، كأنّه يَشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة، وعند العارف تنزّهٌ مّا عمّا يَشغَلُ سرَّه عن الحقّ، وتكبّرٌ على كلّ شيء غير الحقّ.

والعبادةُ عند غير العارف معاملة مّا كأنّه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذُها في الآخرة هي الأجرُ والثواب، وعند العارف رياضةٌ مّالِهِمَمِه وقوىٰ نفسه المتوهِّمه والمتخيِّلةِ ليُجرَّها بالتعويد عن جناب (جانب) الغرور إلىٰ جناب الحقّ فتصير مسالمةً للسرّ الباطن حينما يستجلي الحقّ لا تنازعه فيخلص السرّ إلىٰ الشروق الساطع ويصير ذلك ملكةً مستقرّةً كلّما شاء السرّ إطّلَعَ إلىٰ نور الحقّ غير مزاحمٍ من الهمم بل مع تشبيع منها له فيكون بكليّته منخرطاً في تلك القدس».

في «مصباح الشريعة» المنسوب إلىٰ الامام الصادق عليه، الباب الأوّل، قال الصادق عليه السلام:

«نجوىٰ العارفين تدور على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحبّ. فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحبّ فرع المعرفة، فدليل الخوف الهَرَب، ودليل الرجا الطَلَب، ودليل الحبّ إيثار المحبوب علىٰ ماسواه.

فإذا تحقّق العلم في الصدر خاف، وإذا صحّ الخوف هَرَبَ، وإذا هرب نجا، وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل.

وإذا تمكّن منه رجا، وإذا وُفّق للطلب وَجَدَ، وإذا تجلّىٰ ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة، وإذا هاج ريح المحبّة استأنس في ظلال المحبوب، وآثر المحبوب علىٰ ماسواه، وباشر أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استقام علىٰ بساطِ الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه وصل إلىٰ روح المناجاة.

ومثال هذه الأصول الثلاثة كالحرم والمسجد والكعبة، فمن دخل الحرم أمن من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية ومَن دخل الكعبة أمِن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله».

قال العلاّمة الطباطبائي في «رسالة الولاية» ص ١٧:

إنّ الناس من حيث درجات الإنقطاع إلىٰ الله سبحانه، والإعراض عن هذه النشأة المادّيّة، علىٰ ثلاث طبقات:

الطبقة الأولىٰ: إنسان تامّ الإستعداد، يمكنه الإنقطاع قلباً عن هذه النشأة مع تمام الإتقان باللازم من المعارف الإلهيّة، والتخلّص إلىٰ الحقّ سبحانه، وهذا هو الّذي يمكنه شهود ماوراء هذه النشأة المادّيّة، والإشراف علىٰ الأنوار الإلهية، كالأنبياء عليهم السلام، وهذه طبقة المقرّبين.

الطبقة الثانية: إنسان تامّ الإيقان، غير تامّ الإنقطاع من جهة ورود هيآت نفسانيّة، وإذعانات قاصرة تؤيسه أن يذعن بإمكان التخلّص إلىٰ ماوراء هذه النشأة المادّيّة، وهو فيها، فهذه طبقة تعبد الله كأنّها تراه، فهي تعبد عن صدق من غير لعب لكن من وراء حجابٍ إيماناً بالغيب، وهم المحسنون في عملهم.

وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإحسان، فقال: **«أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»**، (سيأتي ذكر مصادره في التعليق ٢٢٢ فراجع).

والفرق بين هذه الطبقة وسابقتها، فرقُ مابين إنّ وكأنّ.

الطبقة الثالثة: غير أهل الطبقتين الأوّليين من سائر الناس وعامتهم.

وهذه الطائفة، باستثناء المعاند والمكابر الجاحد، طائفة تُمكنها الإعتقاد بالعقائد الحقّة الراجعة إلىٰ المبدء والمعاد، والجريانُ عملاً علىٰ طبقها في الجملة لا بالجملة» انتهىٰ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار». نهج البلاغة الحكمة ٢٣٧.

قال الصادق عليه السلام:

«العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد. وقوم عبدوا الله

وقيل: «الشريعة أن تقيم أمره، والطريقة أن تقوم بأمره، والحقيقة أن تقوم به».

ويعضد ذلك كلّه قول النّبيّ ﷺ:(٦)

«الشّريعة أقوالي، والطّريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والشّوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم

➲ تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء. وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة» أصول الكافي ج ٢ باب العبادة الحديث ٥

قال الصادق عليه السلام:

«أن الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه:

فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع.

وآخرون يعبدونه فَرَقا من النار فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة.

ولكنّي أعبده حّباً له عزّ وجلّ فتلك عبادة الكرام وهو الأمن، لقوله عزّ وجلّ: ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ [النمل: ٨٩]، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن أحبّ الله أحبّه عزّ وجلّ، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين» «خصال» ج ١ ص ١٨٨ الحديث ٢٥٩. و«أمالي» للصدوق المجلس العاشر الحديث ٤، ص ٤١. و«علل الشرايع» باب ٨ الحديث ٨ ص ١٢.

(٦) قوله: ويعضد ذلك كلّه قول النبيّ ﷺ.

رواه أيضاً ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٢٤، الحديث ٢١٢، والمحدّث النوري في «مستدرك الوسائل» كتاب الجهاد، باب ٤، من أبواب جهاد النفس، الحديث ٨.

الظاهر أن ابن أبي جمهور أيضاً أخذه من كتب السيّد المؤلّف، كما صرّح صاحب المستدرك نقله عنه.

سلاحي، والحلم صاحبي والتّوكّل ردائي، والقناعة كنزي، والصّدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين».

وكذلك خطابه لحارثة في قوله:(٧)

---

(٧) قوله: وكذا خطابه لحارثه.

رواه ثقة الإسلام الكليني قدس الله نفسه في الأصول من الكافي ج ٢ كتاب الإيمان والكفر باب حقيقة الإيمان واليقين ح ٢ بإسناده عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله الصادقعليه السلام يقول:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّىٰ بالنّاس الصبح، فنظر إلىٰ شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفّراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحتَ يافلان؟ قال: أصبحتُ يارسول الله موقنا، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقةً فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يارسول الله صلى الله عليه وآله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي، وأظمأ هَواجِري فعزفتْ نفسي عن الدنيا ومافيها حتّى كأنّي أنظر إلىٰ عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنّة يتنّعمون في الجنّة ويتعارفون وعلىٰ الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلىٰ أهل النّار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مَسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: ألزم ماأنت عليه، فقال الشابّ: أدعُ الله لي يارسول الله أن أُرزَق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».

وأيضاً رواه الكليني في حديث آخر، ح ٣ من الباب بإسناده عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاريّ فقال له: كيف

«ياحارثة، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقّاً. فقالﷺ: لكلّ حقّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: رأيت أهل الجنّة يتزاورون، وأهل النّار يتعاوون، ورأيت عرش ربّي بارزاً، قال: أصبت، فالزم».

فإيمانه بالغيب حقّ وشريعة، وكشفه ووجدانه الجنّة والنّار والعرش حقيقة، وزهده في الدنيا والعمل الّذي كان هو فيه حتّى استحق هذه الدّرجة طريقة، والكلّ داخل في الشّرع غير خارج عنه، لأنّ الشرع إسم شامل لكلّ ذلك كما سبق.

وقيل: «إنّ الشرع كاللوزة الكاملة مثلاً مشتملة على الدّهن واللّب والقشر، فاللّوزة بأسرها كالشريعة، واللّب كالطّريقة، والدّهن كالحقيقة».

أنت ياحارثة بن مالك؟ فقال: يارسول الله مؤمن حقّاً، فقال له رسول اللهﷺ: لكلّ شئ حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يارسول الله عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا فأسهرتْ ليلي وأظمأتْ هواجري وكأني أنظر إلىٰ عرش ربّي (و) قد وضع للحساب وكأنّي أنظر إلىٰ أهل الجنّة يتزاورون في الجنّة وكأنّي أسمع عُواء أهل النار في ا لنار، فقال له رسول اللهﷺ: عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فاثبُت، فقال: يارسول الله ادع لي ان يرزقني الشهادة معك، فقال: اللهمّ ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبَث إلاّ أيّاماً حتّىٰ بعث رسول اللهﷺ سرّية فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة - أو ثمانية - ثم قتل».

وروىٰ مثله الصدوق قدس الله نفسه في كتابه «معاني الأخبار» باب معنىٰ الإسلام والإيمان ح ٥ ص ١٨٧.

وأخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٦٩ في تفسير سورة الأنفال الآية ٤،

وأيضاً أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢٠ ح ١٩٠ و١٨٩ في كتاب الإيمان في باب حقيقة الإيمان وكماله، وأخرجه أيضاً الهندي في كنز العمال ج ١٣ ص ٣٥١ ح ٣٦٩٨٨ وص ٣٥٣ ح ٣٦٩٩٠.

وورد في الصلاٰة هذا المعنى أيضاً وهو ماقيل:

«إنّ الصّلاٰة خدمة وقربة ووصلة»[٨].

فالخدمة هي الشريعة، والقربة هي الطريقة والوصلة هي الحقيقة، وإسم الصّلاة جامع للكلّ.

وإلى هذه المراتب أشار الحقّ تعالىٰ في قوله بـ: «**علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين**» الآتي بيانها في موضعها.

---

(٨) قوله: إنّ الصلاة خدمة وقربة ووصلة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**الصلاة أفضل القربتين**».

وقال:

«**لو يعلم المصلّي مايغشاه من الرحمة لما رفع رأسه من السُّجود**».

(تصنيف غرر الحِكم ص ١٧٥)

وقال:

«**الصّلاة قربان كلّ تقيّ**» (كتاب الخصال، حديث أربعمائة ص ٦٢٠)

قال سبحانه وتعالىٰ في حديث ياأحمد صلى الله عليه وآله:

«**ياأحمد! عبجت من ثلاثة عبيد:**

عبد دخل في الصّلاة وهو يعلم إلىٰ مَن يرفع يديه وقدّام مَن هو، وهو ينعس».

الحديث. «إرشاد القلوب» الباب الرابع والخمسون، ص ١٩٩.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**المصلّي يناجي ربّه**»، وفي حديث: «**إنّ المصلّي يُناجي ربّه عزّ وجلّ**»، مصباح الشريعة الباب ٢٥، ومسند ابن حنبل ج ٢ ص ٦٧، الطبع الجديد ج ٩ الحديث ٥٣٤٩ ص ٢٥١ وج ٣١ الحديث ١٩٠٢٢ ص ٢٥١.

(في بيان حقيقة الشريعة و الطريقة و الحقيقة)

وعند التحقيق، الشّريعة عبارة عن تصديق أقوال الأنبياء قلباً والعمل بموجبها.

والطّريقة عن تحقيق أفعالهم وأخلاقهم والقيام بها وصفاً.

والحقيقة عن مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفاً. لأنّ الأسوة الحسنة في قوله:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١].

لا تتحقق إلاّ بهذا أي بالاتّصاف بهذه الأوصاف فعلاً وصفة وكشفا، لأنّ الأسوة الحسنه في الحقيقة عبارة عن قيام الشخص بأداء حقوق مراتب شرعه على ماينبغي وقد شهد بصدقه قوله السّابق قبل هذا القول، وإليه أشار أيضاً سلطان الأوليا والوصيّين أمير المؤمنين عليه السلام في قوله:(٩)

«إنّي لأنسُبَنّ الإسلام نسبةً لن ينسُبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التّصديق، والتّصديق هو اليقين، واليقين هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح».

---

(٩) قوله: وإليه أشار... في قوله.

نهج البلاغة (فيض) الحكمة ١٢٠ و(صبحى) ١٢٥، مع تفاوت، وهو هكذا قال عليه السلام:
«لأنْسُبنّ الإسلام نسبة لم ينسُبْها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل».

ورواه أيضاً الكليني في الأصول من الكافي ج ١ باب نسبة الإسلام ص ٤٥ الحديث ١.

فكلّ من أراد التأسّي بنبيّه ﷺ على ماينبغي، فينبغي أن يتّصف بمجموع هذه الأوصاف أو ببعضها إن لم يتمكّن من الكلّ، ولا ينكر على أحد من المتّصفين بها أصلاً: لأنّ مرجع الكلّ وإن اختلف أوضاعها إلى حقيقة واحدة الّتي هي الشرع النبويّ والوضع الإلهي كما سبق تحقيقه وتقدّم تقريره.

(في معنى النّبوّة والرسالة والولاية)

وفي الحقيقة هذه المراتب الثلاث(١٠) مقتضيات مراتب أخر الّتي هي

---

(١٠) قوله: هذه المراتب الثلاث.

هذه بتعبير آخر هي: مراتب التوحيد، أي التوحيد الأفعالي، والتوحيد الصفاتي، والتوحيد الذاتي.

ولكل مرتبة، مراتب ودرجات، أكملها الإمامة فهي أيضاً ذات درجات، فدرجة لإبراهيم مثلاً ودرجة للخاتم ﷺ ولعترته المعصومين عليهم السلام وبينهما تفاوت شاسع.

راجع التعليق ٣٠٢ و ٣٠١ و ٢٨٩.

قال الله تعالىٰ:

﴿ولقد فضّلنا بعض النبيّين علىٰ بعض﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات»﴾ [البقرة:٢٥٣].

وقال في إمامة بعضهم وفي الإشارة إلىٰ الدليل، أو الطريق الّذي وصلوا به إلىٰ هذا المقام:

﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

←

وقال:

﴿وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلوٰة وإيتاء الزّكوٰة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء: ٧٣].

هؤلاء الأئمّة كانوا متّصفون بالصبر والعبوديّة واليقين من جانب، وكانوا منزّهون عن الظلم من جانب آخر.

أمّا الصبر والعبوّدية واليقين، من جهة العمل والعلم والتخلية وعلىٰ مستوى الشرط، وأمّا التنزّه عن الظلم، من جهة التخلية وعلى مستوىٰ عدم المانع.

قال تعالىٰ:

﴿وإذ ابتلىٰ ابراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة: ١٢٤].

اليقين مقام به يرى صاحبه الملكوت، كما قال الله سبحانه في ابراهيم:

﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام:٧٥].

وقال:

﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين* لتروّن الجحيم* ثمّ لترونّها عين اليقين﴾ [التكاثر:٥ - ٧].

وقال في النبيّ الخاتمﷺ:

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١].

فاليقين هذا غير اليقين في الحكمة، اليقين في القرآن منشأ لمشاهدة باطن العالم والأعمال، ورؤية الملكوت، بعين البصيرة.

ولليقين هذا أيضاً مراتب بمراتب الولاية والقرب، فانظر الأحاديث التالية ودقّق فيها:

سُئِلَ الصادقعليه السلام عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرخىً عليه سِتره، فقالعليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالىٰ جعل في النبيّ ﷺ خمسة أرواح...
وروح القدس، فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ أنتقل روح القدس فصار إلىٰ الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يَزْهو، وروح القدس كان يُرىٰ به». (نقلناه تلخيصاً) أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٢ ح ٣
وسئل أيضاً عن قول الله عزّ وجلّ:
﴿يسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي﴾ [الإسراء: ٨٥].
قال: «خلقٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت». أصول الكافي ج ١ ص ٢٧٣ ح ٣.
قال علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام:
«إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.
إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخـلّة مـرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إني جاعلك للناس اماماً﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها:
﴿ومن ذرّيّتي﴾ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾
فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلىٰ يوم القيامة وصارت في الصفوة.
فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتّى ورّثها الله تـعالىٰ النبيّ ﷺ فقال جلّ وتعالىٰ:
﴿إنّ أولىٰ الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النـبيّ والذيـن آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾ [آل عمران: ٦٨].
فكانت له خاصّة فقلّدها ﷺ عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالىٰ علىٰ رسـم مـافرض الله، فصارت في ذرّيته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان.
بقوله تعالىٰ:

الأصل في نفس الأمر وهي النبوّة والرّسالة والولاية، لأنّ الشّريعة من إقتضاء الرّسالة، والطّريقة من إقتضاء النّبوة، والحقيقة من إقتضاء الولاية، لأنّ الرّسالة عبارة عن تبليغ ماحصل للنبيّ من طرف النبوّة من الأحكام والسّياسة والتأديب بالأخلاق والتعليم بالحكمة، وهذا عين الشريعة.

والنبوّة عبارة عن إظهار ماحصل له من طرف الولاية من الإطلاع على معرفة ذات الحقّ تعالىٰ وأسمائه ووصفاته وأفعاله وأحكامه بحسب المظاهر لعباده ليتّصفوا بصفاته ويتخلّقوا بأخلاقه وهذا عين الطريقة.

والولاية عبارة عن مشاهدة ذاته وصفاته وأفعاله في مظاهر كمالاته

﴿وقال الذّين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلىٰ يوم البعث﴾[الرّوم:٥٦].

فهي في ولد عليّ ﷺ خاصّة إلىٰ يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد ﷺ.

والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهّرة البتول.

إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان.

وإنّ العبد اذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته علىٰ عباده، وشاهده علىٰ خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم». (اصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ (تلخيصاً) وعيون أخبار الرضا ﷺ ص ٢١٦ باب ٢٠ الحديث ١).

راجع أيضاً التعليق ١٣٢ و ١٣١.

ومجالي تعيّناته بعين بصيرته بعد فنائه فيه وبقائه به وهذا عين الحقيقة.

والكلّ راجع إلى شخص واحد الّذي هو الرّسول أو إلى حقيقة واحدة الّتي هي الشّريعة فيطابق هذا قولنا الّذي قلنا: إنّ الشّرع النّبويّ والوضع الإلهي حقيقة واحدة مشتملة على هذه المراتب، وأنّ هذه المراتب أسماء صادقة عليها على سبيل التّرادف.

وأمثال ذلك في غير هذه الصّورة كثيرة كاسم العقل والقلم والنور على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الكبير مثلاً، بما ورد في الخبر الصحيح:

«أوّل ماخلق الله تعالىٰ العقل».

و: «أوّل ماخلق الله العلم».

و: «أوّل ماخلق الله نوري»(١١).

(١١) قوله: أوّل ماخلق الله.

راجع في مصادر الأحاديث المذكورة في المتن، وبعض المطالب حولها، الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم: التعليق ٧٣ و٧٥ و١٥٩ و١٦٧ و٨٧ والجزء الثاني التعليق: ١٧٧ و١٨١ و١٨٢ و١٨٩ و٩٧، وهذا الجزء الثالث التعليق ٥٢.

وأمّا الإنسان الكبير الّذي هو الإنسان الكامل، مقامه فوق تلك المقامات المذكورة من العقل والعلم وغيرهما، كل واحد من هذه الحقايق مرتبة من مراتبه، ومظهر من مظاهره. الإنسان الكبير هو الصادر الأوّل والوجود المنبسط والرّق المنشور والنَّفَس الرّحماني والوجود السّاري، وهذه أسماء تطلق عليه بحسب مقاماته وشئوناته.

وليس الانسان الكبير والصّادر الأوّل إلّا حقيقة المحمّديّة الّتي متّحدة مع حقيقة العلويّة ومن هنا قال ابن العربي: ماوصل مرتبة العماء إلّا الرّسول الخاتمﷺ وسرّ الأنبياء علي بن أبي طالبعليه‌السلام.

وكأسم الفؤاد والقلب والصدر على حقيقة واحدة الّتي هي حقيقة الإنسان الصغير لقوله تعالىٰ في الفؤاد:

﴿ماكذب الفؤاد مارأىٰ﴾ [النجم: ١١].

و لقوله في القلب:

﴿نزل به الرّوح الأمين * على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٤و ١٩٣].

ولقوله في الصدر:

﴿ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك﴾ [الشرح: ٢ و ١].

(في عدم الخلاف بين الأنبياء)

ولذلك ماوقع الخلاف بين الأنبياء والرّسل في الأصل الحقيقي والأساس الكلّي الّذي هو الدّين وأركانه، والإسلام وأصوله، لقوله تعالىٰ فيهم:

﴿شرع لكم من الدّين ماوصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وماوصّينا به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ أن أقيموا الدّين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى:١٣].

راجع التعليق ٢٣٠، والجزء الثاني ص ٣٨ وص ٤١، التعليق ١٦.

أنظر أيضاً في المباحث المرتبطة للمقام: شرح أصول الكافي لصدر المتألهين ج ١ ص ٢١٦، و «الوافي» للفيض الكاشاني ج ١ ص ٥٢، وتفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص٤١٥ والتعليق ٢١٤ ص ٤١٦، وص ٤٥٠، ومن هذا الجزء الثالث التعليق ٥٢ و ٩١ و٩٥ و ١٣١. «وسرّ الأسرار» للشيخ عبد القادر الجرجاني ص ٤٤، وفيه روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«أنا من الله والمؤمنون منّي». وراجع أيضاً (الخصال) للصدوق باب العشرة الحديث ٤.

ولقوله:

﴿ووصّىٰ بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنيّ إنّ الله اصطفىٰ لكم الدّين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢].

ولقوله من لسان نبيّه ﷺ:

﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّيكم به لعلّكم تتّقون﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولقوله بعد ذلك كلّه:

﴿ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾ [الرّوم: ٣٠].

ومعناه أنّ القيام بالأركان الثلاثة من الشريعة والطريقة والحقيقة ورعاية حقوقها في مراتبها ومدارجها هو الدّين القيّم الإلهي، والطريق المستقيم النبويّ، ولكن أكثر النّاس لا يعلمون ذلك من جهلهم وعمائهم.

وإذا عرفت هذا وعرفت أنّه قطّ ماوقع الخلاف بين الأنبياء والرّسل عليهم السلام في أصول الدّين وأركان الإسلام وإن وقع الخلاف في الفروع والأحكام الجزئيّة.

فاعلم، أنّ الأختلاف في كيفيّة الشيّ وكميّته لا يدلّ على الإختلاف في ماهيّته وحقيقته، وأنّ حقيقة الشّرع في جميع الأزمنة والأمكنة كانت واحدة وكانت منزّهة عن التّخالف والتّغاير، وإن كانت مختلفة الأوضاع والأحكام بحسب المراتب والمدارج والأشخاص والأزمان، ومن هذا قال جلّ ذكره:

﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وإن تحقّقت عرفت أيضاً أنّ الترتيب المذكور لا ينبغي إلاّ كذلك ولا

يمكن خلاف الّذي هو عليه من النظام والإتقان والإحكام كما قيل:

«**ليس في الإمكان ابدع من هذا العالم**»(١٢).

اذ لو كان وادَّخَرَه(١٣) لكان بُخلاً يناقض الجود، وعجزاً ينافي القدرة لأنّه لو لم يكن كذلك أي لو لم يكن الوجود على هذا النظام والإنتظام لم يمكن إيصال كلّ واحد واحد من عباده إلى حقّه المعيّن له بحسب الإستعداد والقابليّة لأن الإستعدادات مختلفة، والقابليّات متفاوتة، لا يمكن إرشاد الكلّ في مرتبة واحدة وطريقة واحدة، لقوله تعالىٰ:

---

(١٢) قوله: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم.

قاله أبو حامد الغزالي، نقله عنه ابن العربي في الفتوحات، في الجزء الموفى خمسين، الباب السبعون، طبع عثمان يحيىٰ ج ٨ ص ٢٢١. وراجع (شرح كلمات الصوفيّة) ص ٢٦٥.

(١٣) قوله: وأدّخره.

أقول: ذَخَرَ، إذَّخَرَ، إدّخر، إدّخاراً: يعني خزَنَ وخَبّأَ لوقت الحاجة، إدَّخَرَ واذَّخَرَ أيضاً بمعنىٰ ذَخَرَ.

الذُّخْر جمعه أذخار كما أنّ: الذّخيرة جمعه: ذخائر.

قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿**وأنبّئُكم بما تأكلون وماتَدَّخروُن في بيوتكم**﴾ [آل عمران: ٤٩]

«أصل الإدِّخار: إذتخار، وهو افتعال من الذُّخر، يقال ذَخَره يَذْخَرُ ذُخْراً، فهو ذاخِرٌ، واذْتَخَرَ يَذْتَخِرُ فهو مُذتخِر. فلمّا أرادوا أن يُدْغِموا ليخفّ النُّطقُ قلبوا التاء إلىٰ مايقاربُها من الحروف وهو الدّال المهملة، لأنّهما من مخرج واحد، فصارت اللفظة: مُذْدَخِرٌ بذالٍ ودال، ولهم حينئذ فيه مَذْهَبان: أحدهما - وهو الأكثر: أن تُقلب الذال المعجمة دالاً وتُدْغم فيها فتصير دالاً مشدّدة، والثاني - وهو الأقلّ -: أن تُقْلَبَ الدّال المهملة ذالاً وتُدْغَم فتصير ذالاً مشدّدة معجمة، وهذا العمل مطّرِدٌ في أمثاله نحو ادّكَرَ واذَّكَرَ، واتَّغرَ واثَّغرَ». (النهاية)

﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [هود: ١١٨].

ولقوله:

﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨].

فالاختلاف مقتضى الوجود، ولا يمكن خلافه، لأنّ الإقتضاء الذّاتي لا ينفكّ عن الذات، وقوله:

﴿ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٩].

(حقائق الأشياء وماهيّاتها ليست مجعولة)

إشارة إلى هذا، ومعناه أي ولذلك الإختلاف خلقهم، والإختلاف في الصّوَر من الإختلاف في المعنى، والإختلاف في المعنى من الإختلاف في الحقايق والأعيان، والحقايق والأعيان ليست بجعل الجاعل، فلا يكون المراد حينئذ بـ«خلقهم» جعلهم كذلك، أعني لا يكون مراده بـ «خلقهم» جعلهم على ماهم عليه من الإختلاف جبراً وقهراً، بل «خلقهم» يكون عبارة عن إعطاء وجودهم على حسب إقتضاء أعيانهم وحقايقهم الّتي ليست بجعل الجاعل(١٤)، لأنّها معدومات في الحقيقة، والمعدومات لا

(١٤) قوله: وحقايقهم الّتي ليست بجعل الجاعل.

أقول: عبّر السيّد المؤلّف في كتابه «جامع الأسرار» بـ«الماهيّات» وهو أولىٰ وأحسن كما لا يخفىٰ. قال فيه ص ٣٤٩:

«وليس المراد بـ«خلقهم» أنّه جعلهم كذلك علىٰ سبيل الجبر والقهر، بل «خلقهم» عبارة

يكون مجعولات لأحد أصلاً، بل من معلوماته الأزليّة، فافهم جدّاً.

وههنا أبحاث كثيرة وأسرار شريفة قد ذكرناها في جامع الأسرار(١٥) وسنذكرها في موضعها إن شاء الله.

ويدل علىٰ ذلك قوله في جواب داوُد ﷺ حين سأله:

«يارب لماذا خلقت الخلق».

قال: «لِما هم عليه».

ومعناه، أي لما هم عليه من الإستعدادات والقابليّات والحقايق والذّوات، وقوله أيضاً:

﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤].

شاهد عليه، لأنّه يقول: كل منكم مٰا يصدر منه إلاّ وذلك الفعل يكون من اقتضاء ذاته، ولوازم استعداده وقابليّته، وقوله في موضع آخر:

﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾ [ابراهيم: ٣٤].

(لكلّ يُعطىٰ مايستعدّ له)

هذا معناه، لأنّه يقول: وآتاكم من الأزل من كلّ ماسألتموه بلسان استعدادكم وقابليّتكم، وكلّ مايصدر منكم من الأفعال يكون من إقتضاء ذواتكم وأعيانكم، لأنّي فاعل، وأنتم قوابل، والفاعل لا يعطي للقابل إلاّ

⊃ عن إعطاء وجودهم من حيث اقتضاء أعيانهم وماهيّاتهم لأنّ الأعيان والماهيّات عند أهل التحقيق ليست بجعل الجاعل».

(١٥) قوله: قد ذكرناها في جامع الأسرار.

راجع جامع الأسرار ٣٤١ إلىٰ ص ٣٥٠ وبعدها.

الّذي يكون هو عليه من القابليّة، و:

«كلّ ميسر لما خلق له»(١٦).

---

(١٦) قوله: كلّ ميّسر لما خلق له.

ذكرنا مصادره والأخبار الّتي وردت فيه في الجزء الأوّل ص ٣٠٤ التعليق ٦٤، فراجع.

رواه الصدوق في «التوحيد» باب السعادة والشقاوة الحديث ٣، ص ٣٥٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده. ج ١ ص ١٩٥، ومسلم ج ٤ ص ٢٠٤ الحديث ٩، والبخاري ج ٩، ص ١٩٥.

لا بأس بذكر بعض الأحاديث الّتي يمكن أن تعتبر كالتفسير لقوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له»، وهي هذه:

عن الصادق صلوات الله عليه قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ وضع الايمان على سبعة أسهم: على البرّ، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم، ثمّ قُسِّم ذلك بين الناس، فمن جُعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل، محتمل، وقُسِّمَ لبعض الناس السَهم، ولبعض سهمين، ولبعض الثلاثة حتّى انتهوا إلىٰ (الا) سبعة، ثمّ قال: لا تَحمِلوا علىٰ صاحب السهم سهمين، ولا علىٰ صاحب السهمين ثلاثة فتَبْهضُوهم ثمّ قال: كذلك حتّى ينتهي إلىٰ السبعة».

وقال ﷺ أيضاً:

«إنّ من المسلمين مَن له سهمٌ، ومنهم مَن له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم مَن له ستّة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يُحمل صاحب السهم علىٰ ما على صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة». الحديث.

أصول الكافي ج ١ باب درجات الإيمان الحديث ١ و ٢، ص ٤٢.

وروى أيضاً عن الصادق ﷺ قال:

«لو علم الناس أنّ الله عزّ وجلّ خلق هذا الخلق علىٰ هذا لم يلم أحدٌ

إشارة إليه، ومعنىٰ «خلق»: جعل موجوداً في الخارج، فيكون تقديره: خلق له في الخارج ماكان مكنوناً في ذاته وحقيقته، فلا يتيّسر له حينئذ فعل إلاّ ويكون ذلك الفعل من اقتضاء أعيانه وماهيّاته.

هذا موضع تحقيق، وفيه أسرار شريفة لا يطّلع عليها إلاّ الخواصّ من أهل الله، لأنّها رشحة من أسرار القدر المنهيّ إفشاءها عند غير أهلها لقوله:

﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨].

وكأنّه تعالىٰ جلّ ذكره إشارةً إلى هذا قال:

«أعددت لعباي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر»(١٧).

لأنّ هذا سرّ مخصوص بخواصّ الأولياء، وكبار الأنبياء الّذين قال فيهم:

أحداً». الحديث.

وقال ﷺ أيضاً:

«إن الايمان عشر درجات بمنزلة السُلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد: لَستَ على شيء حتى ينتهي إلىٰ العاشر، فلا تسقِط مَن هو دونك فيسقطُكَ من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفْعه إليك برفق ولا تُحَمِّلَنَّ عليه مالا يَطيق فتكسُرَه، فإنّ مَن كَسَر مؤمناً فعليه جَبره».

أصول الكافي ج ١ ص ٤٤ (باب آخر منه) الحديث ٢ و ١.

(١٧) قوله: أعددت لعبادي.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة (٥١) الحديث ٥ - ٢.

ورواه الحلّي في عدّة الداعي ص ١٠٩.

وراجع الجزء الأوّل ص ٣٠٧ التعليق ٦٥.

﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدّار * وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص:٤٧ و ٤٦].

فلا يطلع عليه غيرهم لا يحمل عطاياهم إلاّ مطاياهم(١٨).

(في أنّ مراتب الناس منحصرة في ثلاثة)

وإذا تحقق هذا، فاعلم أنّ جميع مراتب النّاس عوامهم وخواصّهم منحصرة في مراتب ثلاثة، أعني البداية والوسط والنهاية، لأنّ المراتب وإن لم تنحصر بحسب الأشخاص والجزئيّات، فإنّها منحصرة بحسب الأنواع والكلّيات.

فالشريعة إسم للوضع الالهي والشّرع النّبوي من حيث البداية.

والطريقة أسم له من حيث الوسط.

والحقيقة أسم له من حيث النّهاية.

ولا تخرج المراتب وإن كثرت عن هذه الثلاث، فيكون هو إسماً جامعاً للمراتب المذكورة كلّها، لأنّ الأولىٰ مرتبة العوام، والثّانية مرتبة الخواصّ، والثالثة مرتبة خاصّ الخاصّ، والمكلّفون وذوي العقول بأجمعهم ليسوا بخارجين عنها، فيكون هذه المراتب شاملة للكل، ومعطية حق الكلّ، ويكون كلّ واحدة منها حقاً في نفسها، ولذٰلك لا يجوز إنكار مرتبة منها، ولا مذّمة أحد من أهلها، فإنّ الأسوة الحسنة مايتمّ إلاّ برعاية

(١٨) قوله: لا يحمل عطاياهم.

الظاهر أنّه مثل، مع أنّه منسوب إلىٰ أبي يزيد، ذكره ابو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١٠ ص ٣٨.

هذه المراتب كلّها، وإلىٰ تغايرهم ومخالفتهم بحسب الإستعداد والقابليّة في هذه المراتب قال:

﴿ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئّكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة: ٤٨].

ووالله ثمّ والله، لو لم يكن في القرآن إلاّ هذه الآية، لكفت برهاناً على صدق ماقلناه، فضلاً من أنّ ثلث القرآن مشحون بأمثال ذلك، دون الأخبار والآثار المرويّة الصحيحة، وإن تحققت عرفت، أنّ الإسلام والإيمان والإيقان من إقتضاء هذه المراتب، وواقع على ترتيبها، وكذلك النبوّة والرسالة والولاية، وكذلك علم اليقن، وعين اليقين، وحقّ اليقين، وكذلك الأقوال والأفعال والأحوال المترتّبة على الشريعة والطريقة والحقيقة، وغير ذلك من المراتب التثليثيّة، وبل الوجود كلّه واقع على هذه المراتب كالتثليث الفرديّة الموجبة للكثرة الأعتباريّة مثلاً، أو التّثليث الإعتباريّة الذهنيّة كاعتبار العلم والعالم والمعلوم، أو التثليث الفرديّة الخارجيّة، كاعتبار الحضرة الأحديّة والواحديّة والربوبيّة بالنسبة إلىٰ العوالم العينيّة، وكاعتبار العلم والأمر والإرادة بالنّسبة إلى العوالم الكونيّة، والّتي بإزائها من القابليّة من العلوم والمأمور والمراد، أو كاعتبار الملك والملكوت والجبروت، أو عالم العقول والنفوس والمحسوس، أو التّثليث المخصوصة بالتّثليث المحمدّية المقتضية لمقامه، لقوله:

«حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنّساء، وقرّة عيني في

الصّلاة»[(١٩)].

وماشاكل ذلك بالغاً مابلغ.

فحينئذ كما لا يجوز الإنكار على أقوال الأنبياءﷺ، وعلى القائلين والقائمين بآدابها المخصوصة بأهل الشريعة وأهل البدايات، فكذلك لا يجوز الإنكار على أفعال الأنبياءﷺ وعلى الموصوفين بها والقائمين بآدابها، المخصوصة بأرباب الطّريقة وأهل الوسط.

وكما لا يجوز الإنكار على أقوالهم وأفعالهم، فكذلك لا يجوز الإنكار على أحوالهم المعبّرة عنها بالحقيقة، وعلى المتّصفين بها والمخصوص

---

(١٩) قوله: حُبّب إليّ من دنياكم.

حديث روى عن النبيّ ﷺ، رواه الشيعة والسنّة:

حدّثه الصدوق قدّس الله نفسه في كتابه «الخصال» باب الثلاثة ص ١٦٥ الحديث ٢١٨ و٢١٧ باسناده عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ.

ونقل عنه المجلسي رحمة الله عليه في البحار ج ٨٢ص ٢١١ ح ٢٢، كتاب الصلاة باب ١ فضل الصلاة وعقاب تاركها، وأيضاً ج ١٠٣ كتاب العقود والايقاعات باب كراهة العزوبة ص ٢١٨ ح ٧.

ورواه أيضاً ابن أبي جمهور الأحسائي في «عوالي اللئالي» ص ٢٩٦ ح ٧٤.

وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٣ص ١٢٨ باسناده عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ وأيضاً ص ٢٨٥، وأيضاً أخرجه البيهقي في سننه ج ٧ باب الرغبة في النكاح ص ٧٨، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١٦٠، وابن الأثير الجزري في جامع الأصول ج ٤ ص ٧٦٦ح ٢٩١٣، وج ٩ص ٣٩٦ الحديث ٧٠٥١، وابن كثير القرشي في تفسيره ج ١ ص ٥٥١ سورة آل عمران الآية ١٤ وأيضاً ج ٣ص ٣٩٥ سورة المؤمنون الآية ٢، والغزالي في إحياء العلوم ج ٢ ص ٤٨ باب الترغيب في النكاح، والهندي في كنز العمال ج ٧ص ٢٨٨، الحديث ١٨٩١٣.

بمراتبها من أهل الحقيقة وأرباب النّهاية[٢٠].

وبالجملة لا يجوز الإنكار على أحد من أرباب الشّريعة والطّريقة والحقيقة، و:

«أوتيت جوامع الكلم»[٢١].

---

(٢٠) قوله: وأرباب النهاية.

راجع في بيان تلك الاصطلاحات، الكتب العرفانيّة العمليّة، خاصّة منازل السائرين لخواجة عبد الله الأنصاري وشرحه لكمال الدين عبد الرزاق القاساني.

(٢١) قوله: أوتيت جوامع الكلم

ورد هذا الحديث الشريف عن النبيّ الخاتم ﷺ بتعابير مختلفة في كتب الشيعة والسنة الروائيّة، راجع في هذا الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ١٩٦ تعليقنا فيه الرقم ٢ وأيضاً الجزء الثاني منه ص ٥٩ التعليق الرقم ٢٢ وص ٤٥٤، ذكرنا فيهما قسماً من المصادر والعبارات، وإضافة إلى ذلك نذكر في المقام أيضاً بعضاً آخر منها وهو هكذا:

روى الصدوق قدّس الله نفسه في «الخصال» ص ٢٩٢ الحديث ٥٦ باب الخمسة، باسناده عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال:

«أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرتُ بالرُّعب، وأُحلّ لي المغنم، وأُعطيت جوامع الكلم، وأُعطيت الشفاعة». ورواه أيضاً في أماليه المجلس الثامن والثلاثون ح ٦ ص ١٧٩ باسناده عن اسماعيل الجعفي عن الباقر عليه الصلاة والسلام عن النبيّ الخاتم ﷺ.

وروى أيضاً في «الخصال» باب الخمسة ص ٢٩٣ الحديث ٥٧ باسناده عن ابن عبّاس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أعطاني الله تبارك وتعالىٰ خمساً وأعطىٰ عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطىٰ عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسري بي إليه وفتح له أبواب

←

السّماوات والحجب حتّىٰ نظر إلىٰ مانظرت إليه.

وأخرج العسقلاني في «المطالب العالية» ج ٤ ص ٤ الحديث ٣٨٢٤:

أبو موسىٰ رفعه قال: قال رسول الله ﷺ:

أعطيت فواتح الكلام، وجوامعه، وخواتمه»، وأيضاً أخرج قريبا منه في ص ٢٨ الحديث ٤ و٣٨٧٣، وأخرجه أيضاً «كنز العمال» ج ١١ ص ٤١٢ الحديث ٣١٩٢٩ وأخرج في نفس الجزء والصفحة، الحديث ٣١٩٣٢ عن النبي ﷺ قال:

«فُضّلتُ علىٰ الأنبياء بستّة: أعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرّعب، وأحلّت لي الغنائم، وجُعلتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلتُ إلىٰ الخلق كـافّة، وخُتِمَ بي النبيّون».

أيضاً فيه ص ٤٢٥ الحديث ٣١٩٩٤ عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّما بُعثت فاتحاً وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه».

وأيضاً فيه ص ٤٢٦ الحديث ٣١٩٩٩ عن النبيّ الأكرم ﷺ قال:

«أوتيت مفاتيح كلّ شيء إلاّ الخمس «إنّ الله عنده علم الساعة»

وأخرج ابن حنبل في مسنده ص ١٣١ ج ٤ باسناده عن رسول الله ﷺ قال:

«ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه»، الحديث.

أقول: المراد من الخاتم: النهاية ولا ينتهي الشخص إلىٰ النهاية إلاّ بالوصول إلىٰ الكمال والتمام، إذن الخاتم يعني الكامل الّذي لا كامل بعده ولا أكمل منه، وهذا بما عنده ﷺ، مفاتيح كل شيء فهو يكون فاتحاً لكل شيء، كما عنده القرآن، وهو أي القرآن أيضاً بما أنّه:

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ١].

وأنّه: **﴿لا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾** [الانعام: ٥٩].

وأنّه: **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** [فصلت: ٤٢].

وانّه: ﴿ونزّلنا عليك تبياناً لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩].

وانّه: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ [الزّمر: ٢٣].

خاتم وكامل، ولا يوجد كلام أكمل منه.

وكيف لا؛ انّه كلام الله وهو الحقّ المطلق كما ان النبيّ الخاتم ﷺ عبد مطلق له تعالىٰ اي للذات المطلقة سبحانه وتعالىٰ ولهذا يعبّر القرآن بانّه ﷺ «عبده» بدون أيّ قيّد من الأسماء الحسنىٰ لله سبحانه وتعالىٰ، وبدون أيّ قيد في النبيّ بأسمه الخاصّ مثلاً بل هو عبده أي عبد مطلق للواجب المطلق:

﴿تبارك الذّي نزّل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١].

﴿هو الّذي ينزّل علىٰ عبده آيات بيّنات﴾ [الحديد: ٩].

﴿فاوحىٰ إلىٰ عبده ماأوحىٰ﴾ [النجم: ١٠].

وهذا كمال يختصّ له ﷺ فقط دون سائر الأنبياء والرسل وهذا هو نفس مقام ﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾

إذن كما أنه سبحانه وتعالىٰ «صمد» لا جوف له، انّه ﷺ أيضاً صمد في العبوديّة والمظهريّة والخلافة، كما أن القرآن أيضاً صمد لا جوف له في النورانيّة والهداية. والحق سبحانه وتعالىٰ صمد بالذات وهما صمدان بالتّبع وهذا معنىٰ جامعته ﷺ.

وفي المقام كلام قيّم للسيّد المؤلّف قدس الله نفسه في كتابه «جامع الأسرار» ص ٢٩٤ وهو هذا:

«وصل إلىٰ مقام «أو ادنىٰ» الّذي هو مقام الذاتيّة ومشاهدة الحضرة الأحديّة، وارتفعت الحجب بالكليّة، وصار مستحقاً أن يأخذ الوحي من الحقّ بلا واسطة جبرئيل، لقول جبرئيل: «لو دنوت انملة لاحترقتُ» «فأوحىٰ إلىٰ عبده ماأوحىٰ»، «فأوحىٰ» الله تعالىٰ «إلىٰ عبده» بنفسه «ماأوحىٰ» من الأسرار والحقائق والرموز والدقائق المسمّاة بـ«أسرار المعراج» المشار إليها بقوله «علّمتُ علم الأوّلين والآخرين، وأوتيتُ جوامع الكلم»... وهذا كلّه إخبار عن عروجه وصعوده إلىٰ حضرة الذات وحضرت الوجود

و:

«بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[٢٢].

المسمّاة بحضرة الجمع الصرف والأحديّة المحضة والإجمال وغير ذلك، الّتي لا يشاهد ولا يرى فيها إلاّ الذات والوجود المحض، (وهذا العروج) المسمّى بالسفر الثابت الّذي يقتضي فناء الكلّ مطلقا.

(٢٢) قوله ﷺ: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

راجع في بيان مصادر هذا الحديث الشريف الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ١٩٦ تعليقنا الرقم ٣، أيضاً الجزء الثاني ص ٤٥٤ تعليقنا الرقم ٢٣٥.

إضافة الىٰ تلك المصادر والتعابير المنقولة، روى ثقة الاسلام الكليني قدّس الله نفسه في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٦ باب المكارم الحديث ٢ باسناده عن عبد الله بن مسكان عن الصادق عليه الصلاة والسلام قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وأعلموا أنّ ذلك من خير، وإن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها، قال: فذكر(ها) عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروّة».

أيضاً روى في الحديث الثاني من الباب باسناده عن عبد الله بن بكير عن أبي عبد الله الصادق عليه الصلاة والسلام قال:

«إنّا لنحبّ من كان عاقلاً، فهماً، فقيهاً، حليماً، مداريا، صبوراً، صدوقاً، وفياً، إنّ الله عزّ وجلّ خصّ الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمَن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرّع إلىٰ الله عزّ وجلّ وليسأله إيّاها، قال: قلت: جعلت فداك وماهنّ؟ قال: هنّ الورع، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، والحياء، والسخاء، والشجاعة، والغيرة، والبرّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة».

وأخرج الهيثمي في «بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد» ج ٨ ص ١٥١ الحديث ١٢٦٨٢ عن معاذ بن جبل قال: جاء رجل إلىٰ النبيّ ﷺ فقال: يارسول الله إنّي أحبّ

(لكل انسان استعداد ولكل استعداد لسان)

إشارة إلى هذا، كما أشرنا إليه، لأنّ الخَلق ليسوا متساوين حتّى يكملهم في مرتبه واحدة ومقام واحد، بل الخلق متفاوتون في الإستعداد والقابليّة، ويجب إتّصال كلّ واحد منهم إلى حقّه المعيّن له بحسب الإستعداد والقابليّة، ومن هذا صاروا مأمورين بـ:

«كلّم النّاس على قدر عقولهم»(٢٣).

الجمال، وأنّي أحبّ أن أحمد، كأنه يخاف علىٰ نفسه، فقال له رسول الله ﷺ:

«ومايمنعك أن تُحبّ أن تعيش حميداً وتموت سعيداً، وإنّما بُعثتُ علىٰ إتمام مَحاسن الأخلاق»

وفي حديث آخر أخرجه عن الطبراني والبزار انه ﷺ قال:

«إنّما بعثتُ بمحاسن الأخلاق»

هذان في كتاب الأدب باب ماجاء في حُسن الخلق.

وأخرج أيضاً في كتاب البرّ والصلة باب مكارم الأخلاق الحديث ١٣٦٨٤ ج ٨ ص ٣٤٣ باسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله بَعَثَني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال»

وأيضاً في الحديث ١٣٦٨٣ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّما بعثتُ لأُتَمّمَ صالح الأخلاق»

أخرجه أيضاً السيوطي في جامع الصغير ج ١ الحديث ٢٥٨٤ ص ٣٩٥ وكنز العمال ج ١١ ص ٤٢٥ الحديث ٣١٩٩٦.

وأخرجه أيضاً الهيثمي ثانياً في كتاب علامات النّبوّة باب في حُسن خلقه، الحديث ١٤١٨٨ وفي حديث آخر فيه عن البزار قال رسول الله ﷺ:

«إنّما بُعثتُ لأُتَمّمَ مكارم الأخلاق»

(٢٣) قوله: مأمورين بكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم.

➲ روى الكليني قدّس الله نفسه في الاصول عن الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل الحديث ١٥ ص ٢٣ وفي الروضة ص ٢٦٨ الحديث ٣٩٤ باسناده مرسلاً عن الصادق عليه الصلاة والسلام، قال: قال

«ما كلّم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قطّ، وقال: قال رسول الله ﷺ: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلّم الناس علىٰ قدر عقوله».

ورواه أيضاً الحرّاني في «تحف العقول» ص ٣٧، ورواه أيضاً الشيخ الطوسي في أماليه المجلد ٢، الجزء ١٧ ص ٩٥ باسناده عن عبد العظيم الحسني عن الإمام الجواد عليه الصّلاة والسّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم الصلاة والسلام عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس بقدر عقولهم».

عنه بحار الانوار ج ٢ ص ٦٩ باب النهي عن كتمان العلم الحديث ٢٣ وأخرج الغزالي في «إحياء العلوم» ج ١ الباب الخامس في بيان وظائف المرشد المعلم، الوظيفة السادسة ص ٨٥ عن رسول الله ﷺ قال:

«نحن معاشر الأنبياء أُمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلّمهم علىٰ قدر عقولهم».

وأيضاً في نفس المجلد الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد ص ١٤٧ عن رسول الله ﷺ قال:

«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم».

وروى الشيخ الجليل الأقدم البرقي قدس الله نسه في «المحاسن» في باب العقل الحديث ١٧ ص ١٩٥ باسناده مرفوعاً عن النبيّ الأكرم ﷺ قال:

«أنّا معاشر الأنبياء نكلّم الناس علىٰ قدر عقولهم»

وفي حديث رواه العيّاشي في تفسيره، ج ١ ص ٣٤١ الحديث ١٨٨ باسناده عن الصادق عيه الصلاة والسلام مرفوعاً قال:

«ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعقلون».

(في ان كلّ من الشريعة والطريقة والحقيقة على صراط مستقيم)

وإن قلت: يلزم من هذا حقّيّة كلّ طايفة من طوايف النّاس بما عليهم من الأديان والملل والآراء والإعتقاد، وليس الكلّ حقّاً عند الكلّ.

قلنا: كلّ من يكون على الشريعة والطريقة والحقيقة على ماقرّرناه، ويقوم بأداء هذهالمراتب علىماهي عليها، أوبواحدة منها فهو حقّ وطريقة حقّ ودينه صحيح، وهو على صراط مستقيم ودين قويم، وقوله تعالى:

﴿ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

إشارة إلى هذا، وكلّ مَن لم يكن كذلك وهو ليس بحقّ، وليس على طريق مستقيم، ودينه ليس بصحيح، بل هو ضالّ مضلّ، باطل مبطل، والبعد عنه واجب.

وهذه قاعدة مطّردة بين أرباب التحقيق، وعليها بناء كلّ أصول وأساس كلّ فروع، وإليه أشار الحقّ تعالى مخاطباً لنبيّهﷺ:

﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف:١٠٨].

(في تعريف الشيخ والمرشد)

ويشهد بذلك أيضاً إصطلاحهم في تعريف الشيخ والمرشد[٢٤] وهو

---

(٢٤) قوله: في تعريف الشيخ والمرشد.

قولهم:

«الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النّفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بدائها وقدرته على شفائها والقيام بها، ان استعدت ووفقت لاهتدائها».

(في مراتب العلم وتعريفه)

وكذلك ماورد في تعريف العلم والعالم(٢٥) المتّصف به، لأنّهم قسّموا

⬅ التعريف المذكور من كمال الدين عبد الرزاق القاساني ذكره في كتابه «اصطلاحات الصوفية» ص ١٥٤.

(٢٥) قوله: ماورد في تعريف العلم والعالم.. وهو قولهم.

التعريف المذكور أيضاً ذكره عبد الرزاق القاساني في اصطلاحات الصوفيّة ص ١٤٤ ذيل كلمة «القشر» فراجع

أيضاً ذكره شاه نعمت الله ولي في رسالته «بيان اصطلاحات» باللغة الفارسية:

علم باطن همچو مغز وعلم ظاهر همچو پوست

مغز را در پوست مي پرور كه تعليمي نكوست

يعني به شريعت، طريقت نگاه دار، به طريقت حقيقت را محافظت كن، زيرا كه هر كه حال او وطريقتش به شريعت مصون نبود حال ومآل او به هوا و وسوسه خواهد بود، أعوذ بالله من الحور بعد الكور، وهر كه محافظت ننمايد حقيقت را به طريقت، حقيقت او فاسد بود ومآلش به الحاد وزندقه.

بى علم شريعت نرسد كس بطريقت — بى علم طريقت نتوان يافت حقيقت

راجع ج ٤ رسائل شاه نعمت الله ص ١٤٣.

⬅

العلم بالقشر واللبّ، ولبّ اللبّ، وأرادوا به المراتب المذكورة ورعاية حقوقها، وهو قولهم:

«القشر كلّ علم ظاهر يصون به العلم الباطن الّذي هو لبّه عن الفساد، كالشريعة للطريقة، والطريقة للحقيقة، فإنّ مَن لم يصن حاله وطريقته بالشريعة فسد حاله وآلت طريقته هوىً وهوساً ووسوسةً، ومن يتوصّل بالطريقة إلى الحقيقة ولم يحفظها بها، فسدت حقيقته وآلت إلى الزندقة والإلحاد».

(تعريف اللبّ)

«واللب هو العقل المنّور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتّخيلات».

«ولبّ اللبّ هو مادّة النور إلٰهي القدسيّ الّذي يتأيّد به العقل».

فيصفوا عن القشور المذكورة، ويدرك العلوم المتعالية عن إدراك القلب المتعلّق بالكون المصون عن الفهم المحجوب بالعلم الرسمّي، وذلك من حسن السابقه المقتضي لخير الخاتمة، لقوله تعالىٰ:

﴿ان الذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء:١٠١].

وإذا عرفت هذه القواعد والضوابط وتحققت المقصود من وضع هذه المراتب.

➲ وراجع أيضاً في بيان العلم وتعريفه وأقسامه «شرح منازل السائرين» للتلمسانى ص ٣٣١ و«شرح منازل السائرين» للقاساني ص ٣٢٧ وكتاب «اللمع» ص ٢٣.

(في أنّ الواجب على الأنبياء مراعاة المراتب كلها)

فاعلم، انّ الشّرع وضع إلهي وترتيب ربّانّي، واجب على الأنبياء والأولياءﷺ القيام به وبأركانه. والأمر باقامة أمّتهم عليها، أعني يجب عليهم تكميل الخلق في المراتب الثلاثة الجامعة لجميع المراتب، ولا يجوز الإخلال بواحدة منها وإلاّ يلزم الإخلال بالواجب منهم، وهذا مستحيل بالنّسبة إليهم لأنّهم معصومون عن الخطأ وأفعال القبائح، ولا يصدر منهم أمثال ذلك أصلاً، ولهذا كانوا دائماً يراعون المراتب المذكورة كما هو معلوم من شرايعهم وأديانهم من آدم إلى محمّدﷺ، وسيّما ماسبق من قول نبيّناﷺ الّذي هو أعلمهم وأكملهم وأعظمهم، وهو قوله:

«الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي»، الحديث بتمامه[٢٦].

(في بيان مراتب النور الحسّي والعقلي والقدسي)
(في ارشاد ابراهيمﷺ)

ويعضد هذا أيضاً إرشاد إبراهيمﷺ لأمّته[٢٧] وقومه في صورة

---

(٢٦) قوله: الشريعة أقوالي.

قد مرّت الإشارة سابقاً في التعليق الرقم ٦.

(٢٧) قوله: إرشاد إبراهيم ﷺ لأمّته.

يريد به الآيات: ٧٩ إلى ٧٥ من سورة الانعام:

الكواكب والقمر والشمس، لأنّ الأوّل إرشاد للعوام، والثّاني للخواصّ، والثالث لخاصّ الخاصّ على حسب الترتيب المعلوم من الشريعة والطريقة والحقيقة.

وبيان ذلك، وهو أنّ الاوّل إشارة إلى نور الحسّي والّذي في مقامه في طلب الحقّ والعبور عنه، كأهل الشريعة وأهل الظاهر والعوام، لأنّ الكواكب في العوام بمثابة نور الحسّ في الإنسان.

والثّاني، إشارة إلىٰ نور العقل والّذي في مقامه في طلب الحقّ والعبور عنه كأهل الطريقة وأهل الباطن والخواص، لأن القمر في العالم بمثابة نور العقل في الإنسان.

والثالث، إشارة الى نورالقدس المسمّى بنور الحقّ والّذي في طلب الحقّ والعبور عنه كأهل الحقيقة وأهل باطن الباطن وخاص الخاصّ، لأنّ نور الشّمس في العالم بمثابة نور القدس في الإنسان، لقوله تعالىٰ:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه﴾ [الزمر: ٢٢].

وإنّما يلزم العبور عنه أعني عن نور الحقّ، لأن الرّائي والمرآت والنّور

﴿وكذلك نُرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾.
﴿فلّما جنّ عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربّي فلّما أفل قال لا أحبُّ الأفلين﴾.
﴿فلّما رأىٰ بازغاً قال هذا ربّي فلّما أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين﴾.
﴿فلّما رأىٰ الشمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر فلمّا أفلت قال ياقوم إنّي بريءٌ ممّا تشركون﴾.
﴿إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات والأرض حنيفاً ومــاأنا من المشركين﴾.

الّذي هو الواسطة بينهما ثلاثة أشياء وهو عين الكثرة، ومشاهدة في عالم التوحيد لا يقتضي هذا فيجب العبور عنه حتّى ثبت التوحيد، وذلك يكون بفناء العارف في المعروف، والشاهد في المشهود كما سبق ذكره مراراً وسيجيء مراراً إن شاء الله.

(في ان احتجاج ابراهيمعليه السلام كان في زمان نبوّته)

وأمّا الّذي قال بعض المفسّرين في هذا المقام: بأنّ: «ابراهيمعليه السلام كان طفلاً صغيراً ولم يكن له أهلية بين الكواكب والقمر والشمس وربّه»، فذلك خطأ محض، وبل كفر صرف، جلّ مقام الأنبياء والأولياءعليهم السلام عن أمثال ذلك، لأنّهم معصومون.

(في بيان العصمة والمعصوم)

والمعصوم يجب أن يكون معصوماً من الصغير إلى الكبير، في أقواله وأفعاله وأحواله، ودينه وأعتقاده وسرّه وعلانيته، ولا يصدر منه الفعل القبيح اصلاً لا سهواً ولا نسياناً، ولا عمداً ولا خطأ.

والّذي قال أيضاً البعض الآخر منهم:(٢٨)

«إنّه كان في ابتداء سلوكه ومبدأ معرفته بنظره العقلي وإدراكه الفكري»، كما هو عادة علماء المعقول ليس بصحيح اصلاً، لأنّ هذا في

---

(٢٨) قوله: بعض المفسّرين، قوله: البعض الآخر.

راجع «تفسير الكبير» للرازي ج ١٣ ص ٥١ إلىٰ ٤٧، وتفسير «جامع البيان» للطبري ج ٧ص ٤ و١٦٣.

زمان نبّوته وحال دعوته لأمّته وهو زمان كماله وكمال عقله ومعرفته وفطنته وذكائه، وأيضاً نبّوة الأنبياء والرّسل ومعارفهم وحقايقهم ليست كسبّية نظريّة، حتّى يقال فيهم هذا، لأنّ نبّوتهم وولايتهم عطاء إلهي محض، وإنعام ربانيّ صرف من غير علّة ولا سبب صادر عنهم لقوله تعالى بالنسبة إلى نبيّنا ﷺ:

﴿وعلّمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء:١١٣].

ولقوله بالنّسبة إلىٰ سليمان ﷺ:

﴿هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب﴾ [ص: ٣٩].

ولقوله بالنّسبة إلى عيسى ﷺ:

﴿إنّي عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيّاً* وجعلني مباركاً أين ماكنت وأوصاني بالصّلوة والزّكوة مادمت حيّاً﴾ [مريم: ٣١].

ولقوله بالنسبة إلىٰ يحىٰ ﷺ:

﴿يايحيىٰ خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ [مريم: ١٢].

وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، يكفي للتنبيه هذا المقدار، ومع ذلك، الّذي يشهد بأنّ قضيّة ابراهيم ﷺ، كان في زمان نبوّته ودعوته لأمّته قوله تعالى في مواضع، منها:

﴿وحاجّه قومه قال أتحاجّونّي في الله وقد هداني ولا أخاف ماتشركون به إلاّ ان يشاء ربّي شيئاً وسع ربّي كلّ شئ علماً أفلا تتذكّرون* إلىٰ قوله: وتلك حجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنّ ربّك حكيم عليم﴾ [الانعام: ٨٠ - ٨٣].

وكفىٰ بالله حاكماً وشهيداً، لأنّه لو لم يكن هذا في زمان نبّوته

ودعوته، ماقال تعالى: «وحاجّه قومه»، وسبب ذلك وهو أنّ بعض قومه كانوا يعبدون الكواكب ويسجدون لها، وبعض قومه يعبدون القمر ويسجدونه، وبعض قومه يعبدون الشمس ويسجدونها وغير ذلك من الأصنام والأوثان، وكان يهديهم بحسب الظاهر والتوحيد الألوهي إلىٰ وجود إله واحد خالق كل موجود و منشئه، وبحسب الباطن والتّوحيد الوجودي إلىٰ مشاهدة وجود واحد موجد كلّ شيء ومظهره الّذي ليس في الوجود غيره، لقوله تعالىٰ:

﴿انّي وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين﴾ [الأنعام: ٧٩].

وقوله:

«هذا ربي» في المواضع الثلاث ليس عند التّحقيق إلاّ استفهام إنكار، وتقديره: أهذا الشيء المخلوق والمحدث المصنوع في معرض الأفول والزّوال من الكواكب والقمر والشّمس، يجوز أن يكون ربّي وربّ كلّ شيء؟ لا والله لا يجوز وليس هو ربّي ولاٰ ربّ كلّ شيء بل هو مخلوق من مخلوقاته ومصنوع من مصنوعاته.

أو يقول: أبنور هذا الشيء المخلوق المحدث الّذي هو نور الحسّ أو نور العقل، أو النور القدس أو المجموع أعرف ربّي؟.

(مقام الفناء في المحبوب ومحوالإثنيّنية وتوحيد الصديقين)

وهل يمكن معرفته بقوّة هذه الأنوار الثلاث؟ لاٰ والله لا يمكن، بل لا

يمكن إلاّ بالعبور عنها والعروج عن مراتبها، لأنّ الوصول إلىٰ معرفته الحقيقيّة ومشاهدة ذاته المطلقة لا يمكن إلاّ به وبنوره الحقيقي كما قال النبيّ ﷺ:

«عرفت ربّي بربّي(٢٩) ورأيت ربّي بربّي»(٣٠).

---

(٢٩) قوله: عرفت ربّي بربّي.

نقله أيضاً الشيخ عبد العزيز نسفي في «كشف الحقائق» بهذه الألفاظ:

﴿عرفت ربّي بربّي ولولا فضل ربي لما عرفت ربّي﴾

وأيضاً نقله شاه نعمت الله ولي في ج ١ ص ٣٢٢ وج ٣ ص ٣٣٤ وص ٢١٧ وج ٤ ص ٨٨ وقال: قال سيد العرفاء:

«عرفت الأشياء بربّي، ماعرفت ربّي بالأشياء».

وأيضاً نقله الشيخ عبد القادر الجيلاني م ٥٦١ في «سرّ الأسرار» ص ٨٨ عن رسول الله ﷺ وقال: «أي بنور ربّي».

وهناك أحاديث كثيرة وردت عن الأئمّة أهل البيت المعصومين ﷺ تدلّ على هذه المرتبة من التوحيد والمعرفة وهي مرتبة معرفة الصدّيقين.

روى الكليني في الكافي ج ١ ص ٨٥ «باب أنه لا يعرف إلاّ به» الحديث ١ باسناده عن الإمام الصادق عليه آلاف التحية والسلام قال: قال أمير المؤمنين ﷺ:

«إعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالمعروف والعدل والأحسان».

وروى الصدوق في التوحيد: باب ١١ صفات الذات وصفات الأفعال ص ١٤٣ الحديث ٧، باسناده عن الصادق ﷺ قال:

«من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأنّ الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنّما هو واحد موحّد، فكيف يوحّد مَن زعم أنّه عرفه بغيره، إنّما عرف الله من عرف بالله فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرفه غيره.. لا يدرك مخلوق شيئاً إلاّ بالله ولا تدرَك معرفة الله إلاّ بالله». الحديث

⬅ فراجع.
وروى علي بن شعبه الحرّاني في تحف العقول عن الصادق عليه السلام في باب (كلامه عليه السلام في وصف المحبّة) ص ٣٢٦ في حديث:
«من زعم انّه يعرف الله بتوهّم القلوب فهو مشرك».. إلىٰ أن قال:
قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال عليه السلام:
«باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود، إنّ معرفة عين الشاهد قبل صفته ومعرفة صفة الغائب قبل عينه، قيل: وكيف نعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال عليه السلام: تعرفُه وتعلمْ عِلمَه وتعرف نفسك به ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أنّ مافيه له وبه كما قالوا ليوسف: ﴿إنّك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهّم القلوب». الحديث فراجع الحديث، فيه معارف ومعالم جمّة قيّمة وللعلامة الطباطبائي تعليق عليه في هامش الكتاب.
وورد من دعاء الصباح عن أمير المؤمنين عليه السلام:
«يامَن دلّ علىٰ ذاته بذاته» الدعاء.
وأيضاً في دعاء العرفة عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام:
«كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتّى يكون هو المظهِر لك، متىٰ غبت حتّىٰ تحتاج إلىٰ دليل يدلّ عليك ومتىٰ بَعُدتَ حتّىٰ تكون الآثار هي الّتي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً». الدعاء
أيضاً فيه:
«أنت الّذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتّىٰ عرفوك ووحّدوك».
أيضاً فيه:
«أنت الّذي لا إله غيرك تعرّفت لكل شيء فما جهلك شيء وأنت الّذي تعرّفت ⬅

إليّ في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء وأنت الظاهر لكل شيء.. كيف تخفىٰ وأنت الظاهر أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر» .الدعاء.

وورد في دعاء أبو حمزة الثمالي عن الامام السجاد علي بن الحسينعليه‌السلام:

«بك عـــرفتك وأنت دللـــتني عـــليك ودعـــوتني إليك ولولا أنت لم أدر ماأنت» .الدعاء.

راجع أيضاً الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٥٣٧ تعليقنا عليه الرقم ٣٤٥.

(٣٠) قوله: رأيت ربّي بربّي.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨٥ باسناده عن ابن عباس، عن رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله قال: **«رأيت ربّي تبارك وتعالىٰ»**.

وأخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الايمان باب ٧٨، ص ١٦١، الحديث ٢ و ٢٩١ بإسناده عن أبي ذر قال: سألت رسولاللهصلى‌الله‌عليه‌وآله هل رأيت ربّك؟ قال: نور إنّي أراه.

وفي حديث آخر قالصلى‌الله‌عليه‌وآله: رأيت نوراً.

أقول: الظاهر بقرينة الحديث الثاني أنّ الحديث الأوّل لابّد ان يُقرأ بالياء المتكلّم، «نورٌ أنّي أراه» خلافاً لما كتب وطبع في الكتاب: «أنّىٰ» فيكون معناه: أي كيف أراه، يعني أنّ النور منعني من الرؤية، فمعلوم أنّ هذا خلاف الظاهر، ويحتمل أن يكون: «نورٌ أنَا أراه» كما في حاشية جامع الأصول ج ١٠ ص ٥٦٠.

وأخرج ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٤٠٨ في سورة النجم، باسناده عن ابن عباس قال: قال النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله:

«رأيت ربّي في أحسن صورة، فقال لي: يامحمّد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ فقلت لا يارب، فوضع يده بين كتفي فوجدتُ بَردها بين ثدي، فعلِمتُ مافي السماوات ومافي الأرض». أخرجه أيضاً «مجمع الزوائد» عن عبد الرحمن بن عائش عنهصلى‌الله‌عليه‌وآله ج ٧، كتاب التعبير باب ٥ ص ٣٦٧ الحديث ١١٧٣٩.

➲ وروي المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٣٧٢ الحديث ٧٩ عن تفسير القمي وهو باسناده إسماعيل الجعفي قال: كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر الباقر، صلوات الله وسلامه عليه في ناحية فرفع رأسه فنظر إلىٰ السماء مرّة وإلىٰ الكعبة مرّة، ثمّ قال:
﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ»﴾ [الإسراء:١].
وكرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ التفت إليّ فقال: «**أيّ شيء يقول أهل العراق في هذه الآية ياعراقي**»؟ قلت: يقولون: أسرىٰ به من المسجد الحرام الىٰ البيت المقدّس، فقال: «**ليس هو كما يقولون، ولكنه أسرىٰ به من هذه إلىٰ هذه**»، وأشار بيده إلىٰ السماء، وقال: «**ومابينهما حرم**»، قال: «**فلمّا انتهى به إلىٰ سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل، فقال رسول الله ﷺ: ياجبرئيل أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغا لم يبلغه خلق من خلق الله قبلك، فرأيت ربّي (فرأيت من نور ربّي) (فرأيت نور ربّي) وحال بيني وبينه السبحة**».
قال: قلت: وماالسجة جعلت فداك؟ فأومأ بوجهه إلىٰ الأرض وأومأ بيده إلىٰ السماء وهو يقول: جلال ربّي، «**جلال ربّي ثلاث مرّات، (قال) قال: يامحمّد، قلت: لبيّك ياربِّ، قال: فيم اختصم الملأ الأعلىٰ؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلاّ ماعلّمتني، قال: فوضع يده بين ثديَيّ فوجدت بردها بين كتفيّ، قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقي إلاّ علمته**». الحديث
قال العلاّمة الطباطبائي في تفسيره القيم بعد نقل هذا الحديث عن تفسير القمي:
«**أقول: قوله ﷺ: ولكنّه أُسري به من هذه إلىٰ هذه**» أي من الكعبة الى البيت المعمور، وليس المراد به نفي الإسراء الى بيت المقدس ولا تفسير المسجد الأقصى في الآية بالبيت المعمور، بل المراد نفي أن ينتهي الإسراء إلىٰ بيت المقدّس ولا يتجاوزه، فقد استفاضت الروايات بتفسير المسجد الاقصى ببيت المقدس.
وقوله: «**فرايت ربّي**» أي شاهدته بعين قلبي.
➲

وقوله: «وحالت بيني وبينه السجة» أي بلغتُ من القرب والزلفى مبلغاً لم يبق بيني وبينه إلاّ جلاله» إنتهى.

أقول: إنّه بما أنّ مقام الانسان الكامل وقلبه فوق مقام العرش وهو باطن العرش فلابد من تفسير قوله: «إلىٰ هذه» بمقام فوق العرش وهو مقام «أو أدنى» الذي كما قال قدس الله سرّه: لم يبق بينه وبين ربّه عزّ إسمه إلاّ جلاله سبحانه وتعالىٰ.

وسوف نذكر في مقامه انشاء الله بأنّ الكعبة مطاف للمؤمنين وللإنسان في عالم الطبيعة وهو بيت الله في الأرض، وباطنه بيت المعمور وهو مطاف للملائكة الأرض، وباطن بيت المعمور العرش وهو مطاف للملائكة العالين، وباطن العرش الإنسان الكامل وقلبه وهو قطب عالم الإمكان يعني ماسوى الله سبحانه وتعالى.

وهناك أحاديث أخرى أيضاً نشير إليها لمزيد الفائدة والبصيرة:

١ - روى الصدوق قدّس الله نفسه في «علل الشرايع» الباب ٧ الحديث ١ ص ٥، وفي عيون «أخبار الرضا» عليه السلام الباب ٢٦ الحديث ٢٢ ص ٢٦٢، وفي «كمال الدين» الباب ٢٣ الحديث ٤، باسناده عن الهروي، عن الرضا عليه الصلاة والسلام عن آبائه، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

«ماخلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم منّي».. إلىٰ أن قال:

«وإنّه لماّ عرج بي إلىٰ السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يامحمّد، فقلت له: ياجبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال نعم، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه علىٰ ملائكته أجمعين وفضّلك خاصّة، فتقدّمت فصلّيتُ بهم ولا فخر..

فلّما انتهيت إلىٰ حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد وتخلّف عنّي فقلت: ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يامحمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلىٰ هذا المكان فإن تجاوزته أحترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي في النور زخّة (فزجّ بي ربي في النور) (فزجّ بي

⮌ في النور زجة) حتّى انتهت إلي حيث ماشاء الله من علوّ ملكه (ملكوته) فنوديت يامحمّد! فقلت: لبيك وسعديك تباركت وتعاليت». الحديث: روى عنه المجلسي في البحار ج ١٨ ص ٣٤٥ الحديث ٥٦ وأيضاً ج ٢٦ ص ٣٣٥ الحديث ١.

وفي كنز العمال ج ١٤ ص ٤٤٨، الحديث ٣٩٢١٠، عن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبرئيل هل ترىٰ ربك؟ قال: إنّ بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو رأيت أدناها لاحترقت».

٢ - المجلسي في البحار ج ٢٤ ص ٣٢٣ عن كنز جامع الفوائد باسناده عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليلة أُسري بي إلى السماء صرت إلىٰ سدرة المنتهى فقال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد فدنوت دنوّة، (والدنوة: مدّ البصر)، فرأيت نوراً ساطعاً فخررت لله ساجداً». الحديث.

٣ - المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٩٠ الحديث ٣ عن الاحتجاج عن ابن عباس قال: قال النبيّ ﷺ:

«حملت علىٰ جناح جبرئيل حتّى انتهيت إلىٰ السماء السابعة فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي ومارأيته بعيني». الحديث طويل فراجع.

٤ - روى الصدوق في أماليه المجلس ٤٧ الحديث ٤ ص ٢٢٩ باسناده عن سنان قال: «حضرتُ أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج فقال: ياأبا جعفر أيّ شيء تعبد؟ قال: الله، قال: رايته؟ قال: «لم تره العيون بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الإيمان». الحديث.

عنه البحار ج ٤ ص ٢٦ الحديث ١. وفي «التوحيد» للصدوق ص ١٠٨ الحديث ٥ باب ٨ «ماجاء في الرؤية» ورواه أيضاً الكليني في الكافي ج ١ ص ٩٧ الحديث ٥.

⮍

٥ - روى الصدوق في «التوحيد» باب ٨ ص ١١٦ الحديث ١٧ باسناده عن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه عزّ وجلّ؟ فقال: **نعم بقلبه رآه أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: «ماكذب الفؤاد مارآى» لم يره بالبصر ولكن «رآه بالفؤاد»**. راجع البحار ج ٤ ص ٤٣ الحديث ١٩.

٦ - الصدوق في «التوحيد» في باب ٨ ص ١٠٩ الحديث ٦ باسناده عن أبي الحسن الموصلي عن الامام الصادق عليه السلام قال: **«جاء حبر (عالم من علماء اليهود) إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدتّه؟ فقال: ويلك ماكنتُ أعبد ربّاً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»**. ورواه الكليني أيضاً في «الكافي» ج ١ ص ٩٧ الحديث ٦.

وقريب منه في نهج البلاغة الخطبة ١٧٦.

٧ - وروى الكليني في الكافي ج ١ باب ابطال الرؤية ص ٩٨ الحديث ٨، باسناده عن ابن ابي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لمّا أُسري بي إلي السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قطّ جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظمته ماأحبّ».

٨ - وروى في نفس الباب الحديث ١ ص ٩٥ باسناده عن يعقوب بن اسحاق، عن أبي محمّد العسكري عليه السلام قال:

«انّ الله تبارك وتعالىٰ أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ماأحبّ».

٩ - وروى محمد بن قولويه القمي في «كامل الزيارات» باب ٢٢ الحديث ٦ باسناده عن ابن ابي يعفور عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«بينما رسول الله في منزل فاطمة، والحسين في حجره، إذ بكى وخرّ ساجداً، ثمّ قال: يافاطمة يابنت محمد! إنّ العليّ الأعلىٰ تراءى لي ساجداً، ثمّ قال: يافاطمة يابنت محمد! إنّ العليّ الأعلىٰ تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه

➲ في أحسن صورة وأهيأ هيئة». الحديث.
تبصرة، لنا قاعدة في عدم الجمود في ظواهر الألفاظ في الكتاب والحديث:
نذكر أوّلاً كلاماً قيماً لأستاذنا العلاّمة الحجّة السيد مرتضى المستنبط، وهو قال في المقدّمة الخامسة من مقدّمات تفسيره «مواهب الرحمن» ص ٢:
«أنّ المعاني الموضوعة لها الألفاظ والكلمات لاسيّما الألفاظ الواردة في الأخبار والآيات أنّما هي الحقائق المطلقة، ولم يلاحظ في مقام الوضع إلاّ نفس الحقيقة والذات بدون أن يعتبر فيها حالة من الحالات ولا خصوصيّة من الخصوصيّات، كما في لفظ الكتاب مثلاً حيث إنّه موضوع لما كان جامعاً للنقوش المرسومة فيه، ولم يعتبر كونه قرطاساً أو جلداً أو حديداً أو نحاساً أو خشبة أو غيرها، ولا كونه جسمانيّاً أو نفسانيّاً أو عقلانيّاً.. إلى أن قال: ولمّا كان حقائق المعاني دائرة مدار فلك الوجود في قوسي النزول والصعود بتمام مراحلها وسائرة بجميع مراتبها من الهاهوت إلىٰ الناسوت بدون أن يتغيّر أصل الحقيقة وينثلم وحدتها فكانت الألفاظ الواردة في الآيات والأخبار دالّة على حقائق معانيها في كلّ مرتبة على حسب شؤونها وفي كلّ مرحلة علىٰ وفق بروزها وظهورها من دون أن يخالف مرتبة أخرى، وبهذا ينصرح ماورد في الأخبار من أنّ القرآن له ظهر وبطن ولبطنه بطن إلىٰ سبعة أبطن، ولكلّ آية ظهر وبطن ولكلّ حدّ ومطّلع كما عرفت». إنتهى
أقول: مراده من الهاهوت مقام الهوهويّة والذات المطلقة كما كان يقول ﷺ في محاضرات درسه.
وأمّا القاعدة فهي هذه: لابّد أن نعرف بأنّ الألفاظ والمفاهيم لا تحمل على المصاديق المادّية فقط، لأنها ماوضعت للمصاديق بل وضعت للغايات، والغاية توجد في مختلف المصاديق من الماديّة أو غيرها، ولهذا عندما نرى ألفاظاً في القرآن مثل الكرسي، العرش، اليد، الرؤية، العمى، وغيرها إلىٰ ماشاء الله يجب أن ندقّق في حملها علىٰ مصاديق معانيها وليس صحيحاً مطلقاً، ولا ضرورة لحمل هذه الألفاظ والمفاهيم علىٰ ➲

مصاديقها الماديّة فحسب، وعندما يوجد هناك دليل قطعي يدلّ علىٰ استحالة معنى المادّي من تلك الألفاظ في موردها القرآنيّة، مثلاً بالنسبة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ نرفع اليد منه ونحمل علىٰ المصاديق الأخرى، هذا لأنّ لكل مفهوم ومعنى، ولكل مصداق وحقيقة، مراتب.

قال الفيض الكاشاني في تفسير الصافي ج ١ في المقدمة الرابعة:

«انّ لكل معنىً من المعاني حقيقةً وروحاً وله صورة وقالب وقد يتعدّد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنما وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح ولوجودهما في القوالب، تسعمل الألفاظ فيهما علىٰ الحقيقة لاتحاد مابينهما، مثلاً لفظ القلم إنّما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يُعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك بل ولا أن يكون جسماً ولا كونُ النقش محسوساً أو معقولاً ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرّد كونه منقوشاً فيه وهذا حقيقة اللوح وحدّه وروحه، فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطة نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم فإنّ الله تعالي قال: ﴿علّم بالقلم علّم الإنسان مالم يعلم﴾ بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحدّه، من دون أن يكون معه ماهو خارج عنه، وكذلك الميزان مثلاً فإنه موضوع لمعيار يُعرف به المقادير، وهذا معني واحد هو حقيقته وروحه وله قوالب مختلفة وصور شتّى بعضها جسماني وبعضها روحاني... وبالجملة: ميزان كل شيء يكون من جنسه، ولفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حدّه وحقيقته الموجودة فيه، وعلى هذا القياس كل لفظ ومعنى،... وممّا ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات والأخبار الواردة في أصول الدين وذلك لأنّها ممّا خوطب به طوائف شتّى وعقول مختلفة فيجب أن يكلّم كلّ على قدر فهمه ومقامه ومع هذا فالكلّ صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة ولا مجاز فيه أصلاً».

وهناك كلام قيّم للعلامة الطباطبائي في مقدمة تفسيره «الميزان» قال:

«وليس بين آيات القرآن (وهي بضع آلاف آية) آية واحدة ذات أغلاق وتعقيد في

مفهومها بحيث يتحيّر الذهن في فهم معناها... وإنّما الإختلاف كلّ الإختلاف في المصداق الّذي ينطبق عليه المفاهيم اللفظيّة من مفردها ومركّبها، وفي المدلول التصوّري والتصديقي.

توضيحه: أن الأُنس والعادة (كما قيل) يوجبان لنا أن يسبق إلىٰ أذهاننا عند استماع الألفاظ معانيها المادّية أو مايتعلّق بالمادّة، فإنّ المادّة هي الّتي يتقلّب فيها أبداننا وقوانا المتعلقة بها مادُمنا في الحياة الدنيويّة، فإذا سمعنا ألفاظ الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والرضا والغضب والخلق والأمر، كان السابق إلى أذهاننا منها الوجودات المادّية لمفاهيمها... وهذا شأننا في جميع الألفاظ المستعملة، ومن حقّنا ذلك، فإنّ الّذي أوجب علينا وضع ألفاظ إنّما هي الحاجة الإجتماعية إلى التفهيم المتعلقة بالمادة ولواحقها، فوضعنا الألفاظ علائم لمسمّياتها الّتي نريد منها غايات وأغراضا عائدة إلينا.

وكان ينبغي لنا أن نتنبّه: بأنّ المسمّيات المادّيّة محكومة بالتغيّر والتبدّل بحسب تبدّل الحوائج في طريق التحوّل والتكامل كما أنّ السراج أوّل ماعمله الإنسان كان إناء فيه فتيلة وشيء من الدُّهن تشتعل به الفتيلة للإضاءة به في الظلمة، ثمّ لم يزل يتكامل حتّى بلغ اليوم إلى السراج الكهربائي ولم يبق من أجزاء السراج المعمول أوّلاً الموضوع بازائه لفظ السراج شيءٌ ولا واحد.

فكان ينبغي لنا أن نتنبّه بأنّ المدار في صدق الإسم اشتمال المصداق على الغاية والغرض، لا جمود اللفظ على صورة واحدة، فذلك ممّا لا مطمع فيه البتة، ولكن العادة والأنس مَنَعنا ذلك، وهذا هو الّذي دَعَى المقلّدة من أصحاب الحديث من الحشويّة والمجسّمة أن يجمدوا على ظواهر الآيات في التفسير وليس في الحقيقة جموداً على الظواهر بل هو جمود على العادة والأُنس في تشخيص المصاديق».

وقال العلاّمة الطباطبائي أيضاً في تعليقه على البحار ج ١ ص ١٠٠:

«الكتاب والسنّة مشحونان بأنّ معارف الدين ذوات مراتب مختلفة، وأنّ لكل مرتبة

وقال بعض العارفين من أمّته:

«سبحان من لا يصل إليه إلاّ به»[٣١].

➲ أهلاً، وأنّ في إلغاء المراتب هلاك المعارف الحقيقيّة». انتهىٰ

وممّا ذكرنا ظهر صحّة الروايات الواردة في رؤية رسول الله ﷺ ربّه سبحانه وتعالىٰ ومعنى الرؤية، وأنّ للرؤية مراتب منها مرتبة رؤية القلب ولرؤية القلب أيضاً مراتب منها الشهود والفناء واللقاء، وللكلام تفصيل له مقام آخر وكان المقصود هنا الإشارة إلىٰ بعض الأحاديث الواردة في رؤية الرسول الأعظم ﷺ ربّه عزّ اسمه، وهكذا معنى الرؤية في الاحاديث إجمالاً، ولا بأس بالإشارة إلى روايتين في بيان بعض مصاديق العين العين والرؤية وهما:

١ - روى الصدوق عليه الرحمة في «التوحيد» باب ٦٠ ص ٣٦٦ الحديث ٤، باسناده عن السجاد علي بن الحسين عليهما السلام قال:

«ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمرَ آخرته، وعينان يُبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب (الغيب)، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه». الحديث.

٢ - روى الكليني في «روضة الكافي» ص ٢١٤ الحديث ٢٦٠ بأسناده، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«انّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب، ألا والخلائق كلّهم كذلك، ألا إنّ الله عزّ وجلّ فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم».

راجع أيضاً تعليقنا الرقم ٣٤٨ على الجزء الثاني ص ٥٤٩، والجزء الأوّل ص ٢٤٦ التعليق ٣٢، وص ٢٥٨ التعليق ٣٩.

(٣١) قوله: سبحان من لا يصل.

نسبه السيّد المؤلف في «المقدّمات من كتاب نصّ النصوص» ص ٤١٤ الى أمير المؤمنين ونقل عنه عليه السلام قال:

«سبحان من لا يصل إليه إلاّ به وبنوره»

وعن أهل الله قالوا: «سبحان من لا يعرفه أحد إلاّ به»

وكلّ عاقل يعرف أنّ مشاهدة جرم الشمس وشعاعها المشرقة لا يمكن إلاّ بنور الشمس.

ومَثَلُ أهل الشريعة في معرفة الحقّ بقوة نور الحسّ كمَثَل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوّة نور الكواكب، ومعلوم أنّه لا يجدها أبداً.

ومَثَلُ أهل الطريقة في معرفة الحقّ بقوّة نور العقل كمثل شخص يطلب مشاهدة جرم الشمس في ظلمة الليل بقوة نورالقمر، ومعلوم أنّه لا يجدها أبداً.

ومَثَلُ أهل الحقيقة في معرفة الحقّ بقوّة نور القدس كمَثَل شخص يشاهد الشّمس بالشّمس، ومعلوم أنّه يشاهدها لكن مع أعتبار الشاهد والمشهود، وليس هذا بتوحيد صرف، فالدّقيقة في (من) هذا، وهي أنّ كلّ من شاهد الشّمس بنور الشّمس كما أنّه لا يقدر أن يصل إلىٰ الشّمس حقيقية إلاّ بعد حصول المناسبة بينه وبينها من الصّفا والنّوريّة والكمال والشّرف وغير ذلك، فكذلك كلّ من شاهد الحقّ بنور الحقّ فإنّه لا يقدر أن يصل إليه إلاّ بعد حصول المناسبة بينه وبينه من التجرّد والاستغناء والتّقديس والتّنزيه وأمثال ذلك المعبّر عنه بالتخلّق بأخلاقه لقول النبيّ ﷺ:

«تخلّقوا بأخلاق الله»(٣٢).

---

(٣٢) قوله: تخلّقوا بأخلاق الله.

راجع «أرشاد القلوب» للديلمي الباب ٣٨ (في الصبر) ص ١٢٧ وبحار الأنوار ج ٦١ ←

وقوله تعالىٰ في الحديث القدسي:

«كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله»(٣٣).

إشارة إلى هذا، ولهذا قال العارف:

«ليس كلّ من سلك وصل، ولا كلّ من وصل حصل، ولا كلّ من حصل حصّل، ولا كلّ من حصّل فصّل، ولا كلّ من فصّل وصل، ولا كلّ من وصل أوصل»

ولبيان المناسبة قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أنّ لله تعالىٰ شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، واذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، واذا وجدوا وصّلوا، وإذا وصّلوا اتّصلوا، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم»(٣٤).

ص ١٢٩، وإحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦١.

ذكرناه أيضاً في الجزء الأوّل ص ٢٥٥ التعليق ٣٧ والجزء الثاني ص ٤٦٩ التعليق ٢٥٦.

(٣٣) قوله: كنت سمعه

سيأتي الكلام فيه في التعليق ٦٦ فراجع.

(٣٤) قوله: أنّ لله تعالى شراباً لاوليائه.

ذكر الخوانساري في «روضات الجنات» ج ٣ ص ١٣٠، هذا الحديث نقلاً عن «صحيفة الرضا» عليه السلام وقال أيضاً بعد نقله: «وفي بعض المواضع عن الصادق عليه السلام بزيادة: «وإذا طربوا، طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا تابوا، وإذا تابوا آبوا، وإذا آبوا ذابوا، واذا ذابوا خلصوا «إلى آخره».

قال الآلوسي في تفسير الآية:

➲ ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [الإنسان: ٢١].

ويحكى أنّه سئل أبو يزيد عن هذه الآية فقال: سقاهم شراباً طهّرهم به عن محبّة غيره ثمّ قال: ان لله تعالى شراباً ادّخره لأفاضل عباده يتولّى سقيهم اياه، فإذا شربوا طاشوا، وإذا طاشوا طاروا، وإذا طاروا وصلوا، وإذا وصلوا فهم ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ [القمر: ٥٥]. إنتهى

لا بأس بالإشارة إلى بعض الروايات والكلمات الّتي يعلم المقصود من الشراب والسقي والسكر والطّهارة منها مزيداً للفائدة:

قال عبد الله الأنصاري في تفسيره «كشف الأسرار» في تفسير الآية المذكورة:

«قال جعفر (يعني جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام): يطهرهم به عن كلّ شيء سواه إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان».

لا يخفى ان مانقله ناقص وامّا تمامه هو مانقله أمين الإسلام الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في تفسير الآية المذكورة قال:

«وقيل: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الأكوان إلاّ الله» رووه عن جعفر بن محمّدعليه السلام».

قال العلاّمة الطباطبائي في «الميزان» في تفسير الآية المذكورة ج ٢٠ ص ١٣٠: «قوله: ﴿**وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً**﴾ أي بالغاً في التطهير لا تدع قذارةً إلاّ أزالها، ومن القذارة قذارةُ الغفلة عن الله سبحانه والاحتجاب عن التوجّه إليه فهم غير محجوبين عن ربهم ولذا كان لهم أن يحمدوا ربهم كما قال: ﴿**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**﴾ [يونس: ١٠]، وقد تقدّم في تفسير الحمد: أنّ الحمد وصف لا يصلح له إلاّ المخلَصون من عبادالله تعالى لقوله: ﴿**سبحان الله عمّا يصفون إلاّ عباد الله المخلصين**﴾ [الصافات: ١٦٠].

وقد أسقط تعالى في قوله: «وسقاهم ربهم» الوسائط كلّها ونسب سقيهم إلى نفسه، وهذا أفضل ماذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم في الجنّة».

➲

روى المجلسي في «البحار» ج ٢٤ ص ٢٦٦ الحديث ٢٩ عن الحسن بن سليمان في كتاب «المختصر» باسناده عن أبي الورد عن الإمام الصادق قال:

«تسنيم أشرف شراب أهل الجنّة يشربه محمّد وآل محمّد صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين ولسائر أهل الجنّة».

المراد من التسنيم الذي جاء في سورة المطفّفين والذي هو شراب للمقربين، والآيات هذه:

﴿إن الأبرار لفي نعيم* علىٰ الأرائك ينظرون* تعرف في وجوههم نضرة النعيم* يسقون من رحيق مختوم*ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون* ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقربّون﴾ [المطففين: ٢٣ - ٢٨].

وروي الكليني في «روضة الكافي» ص ٩٥ الحديث ٦٩ باسناده عن محمّد بن اسحاق المدني عن الإمام الباقر قال:

إن رسول الله سئل عن قول الله وجلّ:﴿يوم نحشر المتقين إلىٰ الرحمن وفداً﴾ [مريم: ٨٥].

فقال: ياعلي إنّ الوفد لا يكونون إلاّ ركباناً أولئك رجال اتّقوا الله فاحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم فسمّاهم المتقين»...

إلىٰ ان قال:

«وعلى باب الجنّة شجرة إنّ الورقة منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكّية، قال: **فيسقون منها شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط من أبشارهم الشعر، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً﴾. من تلك العين المطهّرة».** الحديث.

وروى الشيخ الطوسي في «التهذيب» ج ١ ص ٢٥١ الحديث ٩ في فضل المساجد باسناده عن عبد الله بن يحيى الكاهلي عن الصادق عن أمير المؤمنين قال (في

وقد سبق هذا في المقدمات مراراً.

ولعدم المناسبة بينه وبين نبيّهﷺ قال تعالى:

﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

وقال النّبيّﷺ بنفسه:

«من رآني فقد رأى الحقّ»(٣٥).

مسجد الكوفة):

«في وسطه عين من دهن وعين من لبن وعين من ماء شراب للمؤمنين وعين من ماء طهر للمؤمنين».الحديث.

ذكر فخر الدين العراقي في «لمعات» ص ١٠١: كتب يحيى معاذ رازي إلىٰ بايزيد:

مست از مـى عشق آنـچنانم كـه اگـر يك جرعه از اين بيش خورم نيست شوم

وكتب بايزيد في جوابه:

شربت الحبّ كأساً بـعد كأس فما نـفد الشـراب ومـارويت

قال الواسطي م ٣٢٠: «مقامات الواجدين أربعة: الذهول ثمّ الحيرة، ثمّ السكـر، ثـمّ الصحو، كمن سمع بالبحر ثمّ دنا منه، ثم دخل فيه، ثمّ أخذته الأمواج». مصباح الهداية ص ١٣٧.

قال ابن العربي في «الفتوحات» ج ١٢ ص ٥٦٥ ط.ج وص ١١١ ح ٢ ط ق:

«ماشراب الحبّ؟ الجواب: تجلٍّ متوسط بين تجلّيين، وهو التجلّي الدائم الّذي لا ينقطع وهو أعلى مقام يتجلّى الحقّ فيه لعباده العارفين، وقال: ماالكأس؟ الجواب: القلب من المحبّ... فانّ القلب يتقلّب من حال الى حال، كما أنّ الله الّذي هو المحبوب «كل يوم هو في شأن» فينّوع المحبّ في تعلّق حبّه بتنّوع المحبوب في أفعاله...

وشرابه (أي الحبّ) عين الحاصل في الكأس، وقد بيّنا أنّ الكأس هـو عـين المـظهر، فالشراب عين الظاهر فيه، والشراب مايحصل من المتجلّى للمتجلّىٰ له».

(٣٥) قوله: من رآني فقد رأىٰ الحق.

أخرجه البخاري الجزء التاسع، كتاب التعبير الباب ١٠٢٩ الحديث ١٨٣٠ باسناده عن أبو قتادة عن رسول الله ﷺ، وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه ج ٤ ص ١٧٧٦ كتاب الرؤيا الباب ١ الحديث ٢٢٦٨.

أقول: هذا هو رؤية جمال الحق سبحانه وجلاله تعالىٰ في مظهره التّام ومجلاه الإتمّ ومرآته الأصفىٰ، لأن النبيّ الخاتم هو الإنسان الكامل الّذي يعبّر عنه بـ«عبده» أي العبد المطلق للغيب المطلق، وهو مجمع الأسماء الحسنى كلها ومظهر الإسم الأعظم بل هو هو، وهو الآية الكبرى لله سبحانه وتعالىٰ، وخليفُته.

ولعلّ هذا أحد معاني أو أدقّ معاني قوله ﷺ:

«المؤمن مرآة المؤمن».

المراد من «المؤمن» الأوّل، الإنسان الكامل وقلبه، ومن الثاني هو الله سبحانه وتعالىٰ، لأن «المؤمن» من الأسماء الحسنى.

روى الطبرسي في مشكاة الأنوار الفصل السابع ص ٣٣ عن «المحاسن» عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ جلّ ثناؤه يقول: وعزّتي وجلالي ماخلقت من خلقي خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، ولذلك سمّيته بإسمي مؤمناً». الحديث، وعنه البحار ج ٧١ ص ١٥٨.

وروى المجلسي في «البحار» ج ٧٥ ص ٣٦٤ وج ٧٧ ص ١٩٣ وج ٧٨ ص ٢٧٦ عن الشهيد الثاني في كتاب الغيبة باسناده عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن الصادق عليه السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام عن النبيّ ﷺ قال:

«نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمّد إنّ الله يقرء عليك السلام ويقول: اشتققت للمؤمن إسماً من أسمائي سمّيته مؤمناً فالمؤمن منّي وأنا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة».

وهناك آيات وروايات تؤيّد ماذكرنا أو تفسّر ما قلنا وهي:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠].
﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ [البقرة:٣١].
﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩].
﴿قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ [البقرة: ٣٤].
﴿كل شيء أحصيناه في امام مبين﴾ [يس: ١٢].
﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذّاريات: ٢١].
ولهذا يكون اطاعة الرسول اطاعة الله واتّباعه اتباع الله وحبّه حبّ الله سبحانه وتعالىٰ وفعله فعل الله:
﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠].
﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١].
﴿ومارميت اذ رميت ولكنّ الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧].
قال رسول الله ﷺ:
«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله». صحيح البخاري كتاب الأحكام الحديث ١.
وامّا الأحاديث فهي:
«إنّ الله خلق آدم علىٰ صورته»
«قلب المؤمن بيت الربّ»
«انّ لله تعالىٰ في الأرض أواني ألا وهي القلوب» كنز العمال ج ١ ص ٢٤٣.
«لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن».
«إنّ لله آنية من أهل الأرض وآنية ربّكم قلوب عباده الصالحين». كنز العمال ج ١ ص ٢٤١.
«ان الله خلق الإنسان فتجلّى فيه».
«الانسان سرّي وأنا سرّه»

وقال غيره: «سبحاني ماأعظم شأني، وأنا الحقّ» وأمثال ذلك[٣٦].

(في بيان مقام الفناء في التوحيد، وفناء العارف في المعروف)

وهذا المقام يسمّى مقام الفناء في التوحيد أعني مقام فناء العارف في المعروف، والمحبّ في المحبوب، والشاهد في المشهود، بمحو الإثنينيّة الإعتباريّة، ورفع الإنانيّة المانعة عن الوصول إليه، كقول بعضهم فيه:

بيني وبينك إنّيّ ينازعني   فأرفع بلطفك إنّيّ من البين[٣٧]

وليس المراد بهذا الفناء فناء الأعيان، حتّى يتوهّم المحجوب منه ذلك، بل المراد بعد الفناء في العرفان على الوجه الّذي قرّرناه مراراً، لأنّ الأنبياء والرّسل والأولياء والعارفين منهم كانوا فانين فيه، باقين به،

➲ «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

«أوّل ماخلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته».

«خُلقت من نور الله عزّ وجلّ وخُلق أهل بيتي من نوري»

«خَلقتُ محمّداً أوّلاً من نور وجهي»

وراجع في ماذكرناه تتميماً للبحث ومزيداً للفائدة تعليقنا الرقم ٣٠ الجزء الأوّل ص ٢٤٣ وأيضاً تعليقنا ٢١ الجزء الثاني ص ٥٣، وص ٥٥٣ التعليق ٦ - ٣٥٤.

(٣٦) قوله: سبحاني ماأعظم شأني

هذا من كلمات أبي يزيد البسطامي «نصّ النصوص» ص ٢٠٣ (وراجع أيضاً شطحات الصوفيّة تأليف عبد الرحمن بدوي ص ٣٠)

وأمّا قوله: «أنا الحق» قاله الحلاّج، راجع أيضاً نفس المصدر.

(٣٧) قوله: بيني وبينك الشعر.

قاله الحلاّج، ديوان الحلاّج ص ٩٠، ومرّ ذكره أيضاً في الجزء الثاني ص ٤٢٧.

وأعيانهم كانت موجودة، مع أنّهم فانين، فافهم جدّا، فانّ فناء نبيّناﷺ لا يمنع عن المآكل والمشارب والمناكح أيضاً، وقوله:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبّي مرسل»[٣٨].

إشارة إلىٰ مقام الفناء، وقوله:

﴿أنا بشر مثلكم﴾ [الكهف: ١١٠].

إشارة إلىٰ مقام البقاء،

﴿وتلك الأمثال نضربها للنّاس ومايعقلها إلاّ العالمون﴾ [العنكبوت:٤٣].

﴿وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص:٨٨].

﴿كلّ من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربك ذوالجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٧و ٢٦].

كما سبق تأويلهما إشارة إليه.

---

(٣٨) قوله: لي مع الله وقت.

رواه المجلسي في بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٢٤٣ وج ١٨ ص ٣٦٠ مع زيادة:

«ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»

الظاهر أنّه إشارة أو فيه إشارة إلى المقام الّذي نعبّر عنه بمقام «أو أدنىٰ» ومقام العنديّة في قوله تعالىٰ:

﴿قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [النجم: ٩].

وقوله تعالىٰ:

﴿عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥].

والذي هو مقام فوق مقام التجرّد للإنسان، وفوق مرتبة «الخلق والأمر» أي تجرّد الانسان عن الكونين واستغراقه باللقاء والنجوىٰ، فلا يكون بينه و بين الله سبحانه وتعالىٰ أحد حتّى نفسه الّذي عبّر به بالمرسل.

ومثال فناء العبد في الرّبّ ـ إن لم تفهم هـذه العـبارة ـ كـفناء نـور الكواكب في نور الشّمس عند استوائها في قطب الفلك، أو فناء الأمواج في البحر على التّواتر والتّوالي، كما قيل:

البحر بحر علىٰ ماكان من قدم ... انّ الحوادث أمواج وأنهار(٣٩).

ولهذا قيل: الباقي باق في الأزل، والفاني فان لم يزل.

وعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين إشارة إلىٰ المعارف الثـلاث، ولهذا حق اليقين خصّ بمقام الفناء واضمحلال رسم العبد في الرّبّ، كما أشاروا إليه: «انّما ثبت الحق عند اضمحلال الرّسم».

وبالجملة فإذا حصل للشخص هذا الفناء، وفنىٰ وجوده فـي وجـود الحق، وذاته في ذاته، وصفاته في صفاته، وانمحىٰ رسمه وزال عنه إسمه، كفناء نور الكواكب في نور الشمس، وشاهد الحق بالحق علىٰ ماهو عليه في مظاهر كمالاته و صفاته، وعرف معنى:

﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨].

وشاهد سرّ قوله:

﴿فأينما تولّوا فثّم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥].

عرف أنّ العارف لِم قال: «إذا تمّ الفقر فهو الله».

ولِم قال: «سبحاني ماأعظم شأني».

ولِم قال: «مَن مثلي وهل في الدارين غيري».

---

(٣٩) قوله: البحر بحر، الشعر

منسوب إلى ابن العربي وتمامه:

لا يحجبّنك أشكال يشاكلها ... عمّن تشكّل فيها فهي أستار

وقوله تعالى:

﴿ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنّك على كلّ شيء قدير﴾[التحريم:٨].

هداية إلىٰ طلب هذا النور الّذي يفني ظلمة وجوده، ويوصله إلىٰ ربّه بقوة المناسبة والنورّية والصفاء والتجرّد، وعدم التقيّد والتعلّق بالغير، ولهذا قال في جوابهم:

﴿قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً﴾ [الحديد:١٣].

ومعناه: اي إرجعوا إلىٰ ورائكم الّذي هو العدم الأصلي، والفناء الجبلّي اللازم لذوات الإمكان ووجود الحدثان، وقوموا عن عين بصيرتكم، وأخرجوا أنفسكم من ظلمات الأنانيّة والغيّرية، ثم بعد ذلك فالتمسوا النور الحقيقي الموجب لبقائكم أبد الآباد بدخولكم في جنة الذات وعرصة الصفات وعوالم التجلّيات الغير المتناهية.

وعند التحقيق قوله جلّ ذكره:

﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة﴾ [النور: ٣٥].

إشارة إلىٰ مشاهدة هذا النور في المراتب الثلاث، لأنّ «المشكاة»، كما سبق تقريره، إشارة إلىٰ عالم الملك، وهو بمثابة الشريعة، والزجاجة إلىٰ عالم الملكوت، وهو بمثابة الطريقة، والمصباح إلىٰ عالم الجبروت، وهو بمثابة الحقيقة، والشجرة إلىٰ حضرت العزّة، وهو بمثابة الوجود المطلق الصادر منها جميع المقيّدات المعبّرة عنها بالممكنات، لأنّ النور بالإتّفاق وجود، والظلمة عدم، وقوله:

﴿نور علىٰ نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾، إشارة إلىٰ النور الأخير الّذي هو السبب في الشهود والوصول، والعلة في المناسبة بينه وبين

عبيده، ولهذا قال عقيبه:

﴿ويضرب الله الأمثال للنّاس والله بكلّ شيء عليم﴾ [النور: ٣٥].

تنبيه (تنبيهاً) لعبيده لكي يتحقّقوا أنّ حصول نور المشاهدة موقوف علىٰ رفع ظلمة وجودهم الإضافي المجازي.

وفي هذا المثال والآيات الّتي قبله أسرار لا يحمّلها أطباق السموات والأرض، كما قال:

﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مداداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

والغرض من إيراد هذا المثال وتكرار هذه الآيات والأقوال، أنّها شواهد عدل على صدق ماقلناه، وصحة مابيّناه من حصول النور والمشاهدة، ورفع الإثنينيّة الإعتباريّة وغير ذلك، ونبيّنا ﷺ نظراً إلىٰ طلب هذا النور أو إرشاداً لأمّته إلىٰ طلبه، قال في دعائه:(٤٠).

---

(٤٠) قوله: قال في دعائه: اللّهم اجعل نوراً.

أخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب صلاة المسافرين الباب ٢٦ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه الحديث ١٨٩ و١٨٧ و١٨٨ و١٨١ باسانيده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في صلاته او سجوده قال:

«اللهم! أجعل في قلبي نوراً (وفي لساني نوراً)، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً، وعن يساري (شمالي) نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، (واجعل في نفسي نوراً)، وعظّم لي نورا، (اللهم أعطني نوراً)، و(أعظم لي نوراً)، و(أجعل لي نوراً، وأجعلني نوراً).

وأخرجه أيضاً ابن الأثير الجزري في جامع الأصول ج ٦ ص ٨٦ الى ٨٣ ⟵

«اللّهم أجعل نوراً في قلبي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً من تحتي، ونوراً من فوقي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً في قبري، زدني نوراً، وأعطني نوراً، وأجعل لي نوراً بحق حقّك ياأرحم الراحمين».

وإذا تحقّق هذا فنرجع إلىٰ الغرض ونقول:

إعلم، أن المراد من مجموع هذا البحث أنّ الأنبياء والرسلﷺ دائماً كانوا مراعين لهذه المراتب الثلاث، وآمرين لأمّتهم بمراعاتها، والقيام باداء حقوقها من الشريعة والطريقة والحقيقة، فيجب علىٰ كلّ عاقل القيام بها بقدر القوّة والطاقة، والإجتهاد في مراعاتها نظراً إلىٰ تحصيل كماله

⬅ فراجع،، وأخرجه أيضاً أيضاً البخاري في ج ٨، كتاب الدعوات، باب ٧١٢، ص ٤٢٢، الحديث ١١٨٦.

وروى أبو حنيفة النعمان محمّد المغربي المتوفي ٣٦٣هـ في «دعائم الاسلام» ج١ ص ١٦٦ عن الصادقﷺ كان يقول في صلاة الفجر:

«أستمسكت بعروة الله الوثقىٰ الّتي لا انفصام لها... اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في لساني، ونوراً في بشري إلىٰ آخر الدعا. فراجع، وذكر في آخره: اللهم عظّم لي نوراً ونعمة وسروراً، عنه البحار ج ٨٧ ص ٣٥٥ الحديث ٢٢.

وروي أيضاً الشيخ الطوسي في «مصابح المتهجّد» ص ٣٣٥ باسناده عن الصادق ﷺ من صلاة الحاجة نفس الدعا والفقرات أكثر، وعنه في البحار ج ٩٠ ص ٤١.

وروى أيضاً السيد ابن طاووس في الإقبال ص ٤٣١ (ج ٢ ص ٢٠٧) في ماورد قراءته بعد صلاة الأضحى، وعنه البحار ج ٩١ ص ٦٥.

وسعادته، بعد نظره علىٰ الإنقياد الصرف والمطاوعة المحضة، وعلىٰ هذا ذهب مذهب أهل الله وخاصّته، وأرباب التوحيد وخلاصته، فطوبى لعبد يقف أثرهم، ويضع قدمه قدمهم.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وحيث تقرّر هذا وتحققّ أنّ الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء صادقة علىٰ حقيقة واحدة، الّتي هي الشرع، وليس بين هـذه المـراتب مـغايرة، فلنشرع في الوجه الثاني، الّذي هو في بيان ترجيح كلّ واحدة من أهـل هذه المراتب علىٰ الأخرىٰ، وهو هذا:

الوجه الثاني:

في بيان أنّ أهل الحقيقة هم أعلىٰ مرتبة من أهل الطريقة، وأهل الطريقة من أهل الشريعة

(الطريقة كمال للشريعة، و الحقيقة كمال للطريقة)

إعلم، أنّ الشريعة والطريقة وإن كانت بحسب الحقيقة واحدة، لكن الحقيقة أعلىٰ من الطريقة، والطريقة من الشريعة، وكذلك أهلها، لأنّ الشريعة مرتبة أوليّة، والطريقة مرتبة وسطيّة، والحقيقة مرتبة منتهائيّة، فكما أنّ البداية يكون كمالها بالوسط، فكذلك الوسط يكون كمالها بالنهاية، وكما أنّ الوسط لا يحصل بدون البداية، فكذلك النهاية لا تحصل بدون الوسط، أعني كما لا يصح وجود مافوقها بدون ماتحتها ويصح بالعكس، فكذلك لا يصح وجود الوسط بدون البداية، ووجود النهاية بدون الوسط، ويجوز بعكس ذلك، أعني تصحّ الشريعة من غير الطريقة، ولا تصح الطريقة من غير الشريعة، وتصح الطريقة من غير الحقيقة، ولا تصح الحقيقة من غير الطريقة كما سبق ذكره، وذلك لأنّ كلّ واحدة

منها كمال للآخر، كالوسط للبداية، والنهاية للوسط. فحينئذٍ الشريعة والطريقة والحقيقة وإن لم تكن بينها مغايرة في الحقيقة، لكن كمال الشريعة لا يكون إلاّ بالطّريقة، كما أنّ كمال الطّريقة لا يكون إلاّ بالحقيقة.

(في أنّ الخاتمﷺ أعظم الانبياء وجامع للكل)

وعلىٰ هذا التقدير فالكامل المكمّل يكون هو الجامع لهذه المراتب كلّها، لأنّ الجامع بين الشيئين أو بين المقامين لابدّ وأن يكون أفضل منهما وأكمل، كأهل الحقيقة بالنسبة إلىٰ أهل الشريعة والطريقة، ولهذا صار نبيّناﷺ أعظم الأنبياء وأشرفهم، فإنّه كان جامعاً للكلّ لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم»[٤١]

وقد عرفت سرّ هذا الخبر بوجوه كثيرة، وهذا غير تلك الوجوه، والمراد أنّ المرتبة الجامعيّة الّتي هي مخصوصة به وبأمّته من أرباب الحقيقة وهي أعظم المراتب وأعلاها وأشرفها وأسناها.

(في بيان المراد من المشرق والمغرب في حديث النبويّﷺ)

وقوله ﷺ:

«قبلتي مابين المشرق والمغرب»[٤٢]

---

(٤١) قوله: «أوتيت جوامع الكلم» ذكرناه في التعليق الرقم ٢١.

(٤٢) قوله: «قبلتي مابين المشرق والمغرب».

إشارة إلىٰ هذا، لأنّه أراد به بيان مقام الجمعيّة، لأنّ المشرق قبلة عيسىٰ، والمغرب قبلة موسىٰ، ومابينهما قبلته ﷺ، فيكون هو ﷺ جامعاً لهما أي جامعاً لمقاميهما اللّذين هما عبارة عن قبلتيهما، وهذا بحسب الظاهر.

فأمّا بحسب الباطن فالمشرق عالم الأرواح والروحانيّات مطلقا، والمغرب عالم الأجسام والجسمانيّات كذلك، أو عالم الظاهر وعالم الباطن وغير ذلك من العوالم، ومابينهما البرزخ الجامع الّذي هو مقامه صورةً ومعنىً، معنىً كالحضرة الواحديّة المخصوصة بالحقيقة الإنسانية الّتي هي حقيقته، وصورةً كصورة الإنسان الجامع بين العالمين الّتي هي مظاهره، أو معنىً كجامعيّته لمعاني الأنبياء والرسل كلّها، أو صورة كجامعيّته لصورة شرايعهم وأديانهم بأسرها كما ستعرفه مفصّلاً وعرفته مجملاً.

فكمال موسىٰ ﷺ وأمّته كان في الإطلاع علىٰ حقايق عالم الأجسام

➲ أخرجه ابن ماجة في (سننه ج ١ كتاب إقامة الصلاة باب القبلة الحديث ١٠١١ ص ٣٢٣) باسناده عن رسول الله ﷺ قال:

«مابين المشرق والمغرب قبلة».

وأخرجه أيضاً ابن الأثير الجزري في (جامع الأصول ج ٥ في الفصل الرابع في إستقبال القبلة ص ٢٩٧ الحديث ٣٣٧٨)، والحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٢٠٥)، بنفس العبارة يعني بدل «قبلتي» «قبلة»، وهكذا روى الكليني في (الكافي ج ٣ ص ٢١٥ الحديث ٢ بإسناده عن الإمام الرضا ﷺ)وكذا الصدوق في (عيون أخبار الرضا ص ٢٥٩ الحديث ٨)، وأيضاً الشيخ الطوسي في (الفقيه ج ١ ص ١٨٠ الحديث ٨٥٥) عن الإمام الباقر ﷺ.

وراجع في بيان الحديث تفسير صدر المتألّهين ج ٧ ص ٢٣٦.

والجسمانيّات ومدارجها ومراتبها، وكمال عيسىٰ﷣ وأمّته كان في الإطلاع علىٰ حقايق عالم الأرواح والروحانّيات ومدارجها ومراتبها، وكمال محمّدﷺ وأمّته كان في الإطلاع علىٰ كليهما أي عالمي الأرواح والأجسام، ولهذا قال تعالىٰ في حقّه ونوره الّذي هو عبارة عن حقيقته:

﴿لا شرقيّة ولا غربيّة﴾ [النور:٣٥].

وقال تعالىٰ في حقّ أمّته:

﴿جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس﴾[البقرة: ١٤٣].

(في بيان المراد من المشرق والمغرب الصّوري والمعنوي)

وأمّا وجه المشابهة بين العالمين والمغرب والمشرق الصّوري والمعنوي، وهو أنّ المشرق الصّوري عبارة عن موضع طلوع الشمس وانتشار أنوارها وإشراقها علىٰ عالم المحسوس ليصير بها مشرقة نيّرة، والمشرق المعنوي عبارة عن موضع طلوع شمس الحقيقة، وانتشار أنوارها وأشراقها الّتي هي الأرواح والنفوس علىٰ أراضي الأجسام والأجساد الكدرة لتصير بها مشرقة نيّرة حيّة باقيّة ببقائها كما أشار إليه بقوله:

﴿وأشرقت الأرض بنور ربّها﴾[الزمر:٦٩].

وقال الإمام ﷣:

«نور يشرق من صبح الأزل فيلوح علىٰ هياكل التوحيد آثاره»[٤٣]

---

(٤٣) قوله: «نور يشرق من صبح الأزل».

فيكون بينهما مناسبة مّا.

وكذلك المغرب لأنّ المغرب الصوري عبارة عن موضع أفول نور الشمس وجرمها واختفائها فيه، والمغرب المعنوي عبارة عن موضع أفول نور شمس الحقيقة واختفاء شعائها الّتي هي الأرواح والنفوس، لأنّ أنوارها تغرب فيه وتختفي اختفاء الشمس الصوريّة في مغربها، ولهذا قال:

﴿**تغرب في عين حمئة**﴾ [الكهف: ٨٦].

وقال:

حديث مشهور كما قال السّيد المؤلف في (جامع الأسرار ص ١٧٠) وذكر تمام الحديث فيه ص ١٧٠ وص ٢٨ مع شرحه، فراجع، وأمّا تمام الحديث على ماذكره هكذا:

قال أمير المؤمنين مخاطباً لكميل بن زياد حين سأله عن الحقيقة بقوله: ما الحقيقة، فقال عليه السلام له:

«**مالك والحقيقة**»؟ قال: أولستُ صاحب سرّك؟ قال: «**بلىٰ ولكن يرشح عليك مايطفح منّي**»، قال: أو مثلك يخيّب سائلاً؟ قال: «**الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة**»، قال: زدني فيه بياناً، قال: «**محو الموهوم مع صحو المعلوم**»، قال: زدني فيه بياناً، قال: «**هتك الستر لغلبة السرّ**»، قال: زدني فيه بياناً، قال: «**جذب الأحديّة بصفة التوحيد**»، قال: زدني فيه بياناً، قال: «**نور يشرق من صبح الأزل فتلوح علىٰ هياكل التوحيد آثاره**»، قال: زدني فيه بياناً، قال: «**اطفِ السراج فقد طلع الصبح**».

أقول: هناك توجد روايات عديدة مرويّة عن طرق الفريقين تؤيّد وتوضّح هذا الحديث المبارك وهي شاملة علىٰ بعض مافيه من المعارف النورانية. راجع في هذا (البحار ج ٥٨ كتاب السماء والعالم باب الحجب والأستار ص ٣٩)، (وإحياء علوم الدين للغزالي ج ١ كتاب قواعد العقائد، الفصل الثاني ص ١٠١)، و (صحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان باب ٧٩ الحديث ١، ص ١٦١)، و(سنن ابن ماجة ج ١، المقدمة، الحديث ١٩٦ ص ٧١.

﴿إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران: ١٩٠].

فيكون بينهما مناسبة مّا أيضاً.

ونور نبيّناﷺ حيث لم يكن من عالم الأرواح الصرف، ولا من عالم الأجسام المحض قال:

﴿لا شرقيّة ولا غربيّة﴾[النور: ٣٥].

ومعناه أنّه ليس من أرباب عالم الظاهر والمحسوسات، ولا من أهل عالم الباطن والمعقولات بل غيرهما وفوقهما بمراتب غير متناهية، اذ ليس هو في مقام الأنبياء الّذي هو الحكم بحسب الظواهر مطلقاً، ولا من مقام الأولياء الّذي هو الحكم بحسب الباطن مطلقا، بل غيرهما بحسب المقامات والمعلومات، وفوقهما بحسب الجامعيّة والمجموعيّة، ويعرف هذا من شرايعهم وأديانهم كما سبق ذكره.

ولهذا جاء موسىٰ ﷷ بتكميل الظواهر مضافاً إليه تكميل بعض البواطن، وقد حقّق هذا في التوراة ومافيها من الأحكام، وجاء عيسىٰ ﷷ بتكميل البواطن مضافاً إليه تكميل بعض الظواهر، وقد حقّق هذا في الإنجيل ومافيه من الأسرار، وجاء نبيّنا ﷺ بتكميل الطرفين والجمع بين المرتبتين لقوله:

«أوتيت جوامع الكلم»(٤٤)

ولقوله:

(٤٤) قوله: «أوتيت جوامع الكلم» راجع التعليق الرقم ٤١ و٢١.

«قبلتي مابين المشرق والمغرب»(٤٥)

وقد حقّق هذا أيضاً في القرآن ومافيه من الأحكام والأسرار الجامعة لهذه المعاني، وبالحقيقة تسميته بالقرآن لم يكن إلاّ لجمعيّته لأنّ القرء في اللغة هو الجمع كما مرّ ذكره قبل هذا، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أنا القرآن الناطق، وأنا كتاب الله الجامع»(٤٦)

لأنّه جامع للمرتبتين، حاو للمقامين، أي الظاهر والباطن، وقال غيره من العارفين:

---

(٤٥) قوله: «قبلتي» راجع التعليق الرقم ٤٢.

(٤٦) قوله: «أنا القرآن الناطق».

روى المجلسي في (البحار، ج ٨٢ ص ١٩٩) عنه عليه السلام قال:

«أنا كلام الله الناطق». أيضاً روى في (البحار، ج ٣٩ ص ٧٦) عن (المناقب) لابن شهر آشوب عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ انّه قال:

«أعطاني الله جوامع الكلم وأعطىٰ عليّاً جوامع الكلام»

روى المفيد رحمه الله في أماليه المجلس الأوّل الحديث ٢ باسناده عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه آلاف التحيّة والسلام قال:

«فنحن الأوّلون ونحن الآخرون،... أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب إلى أن قال: وأمددت بليلة القدر نفلاً، وإنّ ذلك يجري لي ولمن استُحفظ من ذرّيتي ماجرىٰ الليل والنهار حتّىٰ يرث الله الأرض ومن عليها». الحديث.

وروى الطوسي رحمه الله في كتابه (الأمالي، الجزء الرابع ص ١٠٢) في حديث طويل بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال:

«أعطاني الله جوامع الكلم وأعطىٰ علياً جوامع العلم» الحديث، فراجع.

عنه (البحار، ج ٨ ص ٢٧ الحديث ٣١).

وراجع أيضاً (الجزء الأوّل ص ٢١٤، التعليق ١٩ و ٢٠).

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني[٤٧]

وذلك أيضاً لجامعيّته المرتبة الجمعيّة المحمّديّة، وقد أورد بعض الفضلاء هذا المعنىٰ بعينه في بعض تصانيفه وهو قوله: لمّا كان التكميل الموسوي في طريق الكمال المطلق النوعي، كان ميله إلىٰ تكميل الجزء الأخس للإنسان وهو البدن، ولذلك شحنت التوراة ببيان مصالح المعاش، ولمّا كان عيسىٰ عليه السلام أكمل منه كان تكميله للجزء الأشرف منه وهو النفس، ولذلك شحن الإنجيل ببيان مصالح المعاد، ولمّا كان محمّد صلى الله عليه وآله قد جاز الكمال المطلق النوعي، كان تكميله لجزئي الإنسان معاً، فإن كمال المركب هو إكمال جميع أجزائه المادّيّة والصوريّة، وهو سلوك الفضيلة، وهذا هو سرّ رفع الرهبانيّة في دينه، ففقهاء أمّته عليه السلام وعلماءها مشبهون بموسىٰ عليه السلام في تكميل الظواهر، والحكماء الإسلامية وأمثالهم من أرباب المعقول مشبهون بعيسىٰ عليه السلام في تكميل البواطن، والعارفون المحققون مشبهون بمحمّد صلى الله عليه وآله في تكميل البواطن والظواهر، لقيامهم بالمراتب الثلاثة المذكورة من الشريعة والطريقة والحقيقة، ويعضد ذلك قول سلطان العارفين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الّذي قال:

«الشريعة والحقيقة بحر، فالفقهاء حول النهر يطوفون والحكماء في البحر على الدر يغوصون والعارفون علىٰ سُفن النجاة يسيرون»[٤٨]

---

(٤٧) أنشده محيي الدين ابن عربي كما ذكره في (الفتوحات ج ١ ص ٧٠) وفي كتابه (الإسراء ص ٤)

(٤٨) قوله: «الشريعة والحقيقة بحر».

قد مرّت الإشارة إليه في تعليقنا الرقم ٥.

(في أنّ أهل الشريعة بازاء الفقهاء و...)

وإذا عرفت هذا فقس عليه أهل الشريعة وأهل الطريقة وأهل الحقيقة، فإنّ كلّ واحدة منها بازاء تلك المراتب، فإنّ أهل الشريعة بإزاء الفقهاء ومن في مرتبتهم، وأهل الطريقة بازاء العلماء والحكماء ومن في مقامهم، وأهل الحقيقة بازاء العارفين ومن في منازلهم، وكذلك موسىٰ وأمته، وعيسىٰ وأمته، ومحمّد ﷺ وأمّته، فإنّ كلّ واحد منهم بإزاء كلّ واحدة منهم، فالمرتبة الجامعيّة حينئذ يكون مخصوصة بالعارفين المحققين من أمّة محمّد ﷺ المعبّرة عنهم بأهل الحقيقة، ويكونون هم أعلىٰ وأعظم وأشرف وأفضل من أهل المرتبتين الباقيتين، وهذا هو المقصود من هذا البحث في هذا الوجه، ولعظمة قدرهم وجلالة شأنهم انتظموا تارة في سلك الله وملائكته، لقوله تعالى:

﴿شهد الله أنّه لا إله هو والملائكة وأولوا العلم قائماًبالقسط﴾ [آل‌عمران: ١٨].

وتارة في سلك الله وحده لقوله:

﴿ومايعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران:٧].

ولهذا خصّوا أيضاً في التقسيم بخاصّ الخاصّ والمقرّبين والسابقين، لأنّ التقسيم وقع علىٰ العوام والخواص وخاص الخاص، وعلىٰ أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمقربين، وعلىٰ الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، وفي الكلّ، ألأخير مخصوص بهم كما بيّناه غير مرّة عقلاً ونقلاً، ودليل آخر علىٰ ذلك، أي علىٰ خصوصيّتهم بهذا المقام قوله

تعالىٰ:

﴿يقولون آمنّا بـه كـلّ مـن عـند ربّـنا ومـايذكّر إلاّ أولوا البـاب﴾

[آل عمران: ٧].

لأنّ القائل بأنّ الكلّ من عند ربّنا علىٰ التحقيق ليسوا إلاّ هم، بخلاف الأشاعرة والمجبرة المحجوبين بأنفسهم عن هذا المـقام، لأنّ المشـاهدة الكلّ عن الربّ الحقيقي بحيث لا يلزم نقص في تقديسه وتنزيهه، موقوفة علىٰ التوحيد الصرف برفع الإثنينيّة الإعتباريّة مطلقاً المعبّر عنها بالتوحيد الفعلي والوصفي والذاتي أيضاً، وليس لغيرهم هذه المرتبة، ولا يعتقدون فيها، فضلاً عن حصولها، وقوله عقيبه:

﴿ومايذكر إلاّ أولوا الألباب﴾ [آل عمران: ٧].

تأكيد لهذا المعنى، ومعناه أنّ هذا السرّ الشريف العظيم، لا يعرفه علىٰ ماينبغي إلاّ أولوا الألباب من عـباده المـوصوفين بـالرسوخ فـي العـلم الحقيقي والتوحيد الفعلي والوصفي والذاتي، وقـد عـرفت تـحقيق أولىٰ الألباب والراسخين في العلم عند بحث التقوىٰ والتعليم الإلهي للعبد، وعند تقسيم العلوم وتعريف الشيخ والمرشد وغير ذلك.

(في حاجة الشرع إلى العقل، وحاجة العقل إلى الشرع)

وإذا ثبت هذا وتقرّر أنّ مرتبة أهل الحقيقة من جميع الوجوه أعـلىٰ من مرتبة أهل الطريقة والشريعة،، وإن كانوا هـم فـي الحـقيقة واحـدة، فلنشرع في الوجه الثالث، وبيان احتياج الشرع إلىٰ العقل، واحتياج العقل إلىٰ الشرع، وإعتضاد كلّ واحد منهما بـالآخر، لئـلاّ يـتّوهم الجـاهل أنّ

الشرعيّات خلاف العقل، ولا (وأنّ) العقليّات خلاف الشرع، فإنّ كثير من النّاس وقعوا في هذا وضلّوا وأضلّوا كثيراً من عباد الله بغير علم، لقوله تعالىٰ فيهم وفي مخاصميهم حين المنازعة في الآخرة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ربنّا أرنا الّذين أضلاّنا مِن الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ [فصّلت: ٢٩].

وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، والله أعلم وأحكم، وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



الوجه الثالث

في بيان إحتياج العقل إلى الشرع، وأفتقار الشرع إليه، وأعتضاد كلّ واحد منهما بالآخر

إعلم، أنّ هذا البحث يحتاج إلى مقدّمة، وهي أن تعرف أنّ الأنبياء والأولياء عليهم السلام كلّهم أطبّاءالنفوس ومعالجي القلوب،كما أنّ الحكماء والأطباء كلّهم أطباء الأبدان ومعالجي الجسد، أعني كما أنّ أطباء الأبدان يعرفون إزالة الأمراض البدنيّة عن أبدان المرضىٰ الصوريّة بحسن معالجتهم ولطف طبابتهم بواسطة الأشربة والمعاجين، فكذلك أطباء النفوس، فانهم يعرفون إزالة الأمراض النفسانيّة عن نفوس المرضىٰ المعنويّة بحسن معالجتهم ولطف إرشادهم وهدايتهم بواسطة العلوم والمعارف الحقيقيّة، ولهذا ورد في اصطلاحهم في تعريف الطب الروحاني، والطبيب الروحاني، والشيخ والمرشد مايوافق ذلك، كقولهم في الطبّ الروحاني[٤٩]:

---

(٤٩) قوله: الطب الروحاني والطبيب الروحاني.

«الطب الروحاني هو العلم بكمالات القلوب وآفاتها وأمراضها وأدوائها، وبكيفيّة حفظ صحّتها وأعتدالها وردّ أمراضها عنها».

وكقولهم في الطبيب:

«الطبيب الروحاني هو الشيخ، العارف بذلك، القادر على الإرشاد والتكميل».

وكقولهم في الشيخ السابق ذكره:(٥٠)

«الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حدّ التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بدوائها، وقدرته على شفائها، والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لإهتدائها».

فكما أنّ المريض الصوري لا يجوز له الإعتراض على الطبيب الصوري في علاجه ودوائه وتركيب الأدوية والأشربة والمعاجين وغير ذلك، فكذلك المريض المعنوي فإنّه لا يجوز له الإعتراض على الطبيب المعنوي في إرشاده وهدايته وكيفيّة رياضاته ومجاهداته في التكاليف الشاقة والأعمال البدنيّة الصعبة، لأنّ الإعتراض على الطبيب مطلقا صورياً أو معنويّا لا يزيد في المريض إلاّ المرض، لأنّ المريض الصوري إذا أعترض على الطبيب الصوري، ينفر منه الطبيب ويترك علاجه، وإذا ترك

➲ التعريف من كمال الدين عبد الرزاق القاساني كما في «إصطلاحات الصوفيّة»، ص٦٥.

٥٠ ـ قوله: كقولهم في الشيخ

ذكره عبد الرزاق القاساني في «اصطلاحات الصوفيّة» ص ١٥٤، وسبق ذكره أيضاً في التعليق ٢٤.

علاجه زاد مرضه أو مات وهلك، وكلاهما قبيح، ومع قبحه يوجب للهلاك الصوري وزوال الحياة عن صاحبها.

وكذلك المريض المعنوي، فإنّه إذا أعترض على الطبيب المعنوي ينفر الطبيب منه وترك علاجه الّذي هو إرشاده، وإذا ترك علاجه زاد مرضه المعنوي الّذي هو الضلال والإضلال، لقوله تعالىٰ:

﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ [البقرة: ١٠].

أو مات بالموت الحقيقي الّذي هو الكفر والنفاق، لقوله تعالىٰ:

﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وكلاهما قبيح، ومع قبحه موجب للهلاك الأبدي والشقاء السرمدي، فحينئذ كما أنّ المريض الصوري الذي يريد الصحة الكليّة، يجب عليه تناول الأشربة المنفرة للطبع من يد الطبيب الصوري طوعاً وكرهاً من غير أعتراض ولا منع، فكذلك المريض المعنوي الّذي هو الصحة الكلّيّة، فإنّه يجب عليه أيضاً تناول الأشربةالمنفرة للطبع، الّتي هي التكاليف الشاقّة على أنواع طبقاتها من يد الطبيب المعنوي طوعاً وكرهاً من غير إعتراض ولا منع، وإلى هذا المعنىٰ أشار الحق تعالىٰ في قوله بالنسبة إلى نبيّنا محمّد ﷺ:

﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء: ٦٥].

(في أنّ مالا يكون مطابقاً لعقل الناس أحياناً وظاهراً لا يلزم أن يكون حقاً وصدقاً)

والمراد من هذا البحث في هذه المقدمّة أنّ يتحقق عندك وعند غيرك أنّ القواعد الّتي قد تقدّم تقديرها، والضّوابط الّتي قد تقرّر تمهيدها، خصوصاً من بحث الشريعة والطريقة والحقيقة حق وصدق، وكلّ واحدة منها في نفسها لا ينبغي إلاّ كذلك، ولا يعترض أحد على أحد منهم في شيء منها ولا يقول إنّ هذا خلاف العقل أو خلاف النقل، لأنّ كلّ مايكون خلاف عقل زيد مثلاً، لا يجب أن يكون خلاف عقل عمرو، وخصوصاً عقول الأنبياء والأولياءعليهم السلام، فإنّ عقولهم أكمل العقول، كما أنّ نفوسهم أكمل النفوس، والتفاوت بين عقولهم وعقول الخلق بعينه التفاوت بين نفوسهم ونفوس الخلق، ومعلوم أن بينهما بون بعيد، ومن أنكر ذلك فهو جاهل سفيه، مكابر لعقله، لا يلتفت إليه، وليس هو المخاطب لهذا الكلام، وكذلك النقل، لأنّك ماأنت في صدد أن كلّ نقل ورد في الوجود سمعته وعرفته، وإن سمعته وعرفته عرفت معناه وتحققت فحواه، لأنّ هناك نقل كثير ماقرع سمعك أبداً ذكره، ولا عرفت معناه، كما قال جلّ ذكره:

﴿أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر﴾[٥١].

---

(٥١) قوله: أعددت لعبادي الصالحين.

رواه أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان في سورة السجدة الآية ١٧ وقال: قد ورد

في الصحيح عن النبيﷺ أنه قال: الحديث.

و أخرجه ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزّهد باب صفة الجنّة ص ١٤٤٧.

وفي حديث آخر أخرجه كنز العمال ج ١٤ الحديث ٣٩٢٤١:

«إنّ في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»

وفي حديث المعراج رواه الديلمي في «ارشاد القلوب» ص ٢٠٠:

«ياأحمد: إنّ في الجنّة قصراً من لؤلؤ فوق لؤلؤ، ودرّة فوق درّة، ليس فيها قصم (فصم) ولا وصل، فيها الخواصّ، أنظر إليهم كلّ يوم سبعين مرّةً وأكلّمهم، كلّما نظرتُ إليهم أزيد في مُلكهم سبعين ضعفاً، وإذا تلذّ أهل الجنّة بالطعام والشراب تلذّذوا أولئك بكلامي وذكري وحديثي الحديث».

وفي حديث رواه المجلسي في «البحار» ج ٨ باب الجنة ونعيمها الحديث ١٠٩ عن التفسير المنسوب إلى الامام العسكريعليه السلام عن رسول اللهﷺ قال:

«ياعليّ! في الجنة من القصور... وقصر من نور ربّ العزّة». الحديث.

وفي حديث آخر الحديث ١٣٨:

«في الجنة قصراً من نور ربّ العالمين».

أيضاً فيه الحديث ١٩٨ عن كتاب حسين بن سعيد بإسناده عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام قال:

«إنّ الله خلق جنّة لم يرها عين ولم يطلّع عليها مخلوق، يفتحها الربّ تبارك وتعالىٰ كلّ صباح فيقول:ازدادي طيباً ازدادي ريحاً، فتقول: قد أفلح المؤمنون، وهوقول الله تعالىٰ:

﴿فلا تعلم نفس ماأُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾.

ورواه أيضاً علي بن أبراهيم القمي في تفسيره في تفسير سورة السجدة الآية ١٧ بإسناده عن عاصم بن حميد عن الصادقعليه السلام في حديث طويل فراجع إلاّ أنّ فيه:**«أنّ الله خلق الجنة بيده، ولم يرها عين»**. الحديث.

ومعلوم أنّ أكثر الأوضاع الشرعيّة والأحكام الإلهيّة، خلاف الإدراكات العقليّة والتّصرف الحسيّة، فلا يجوز حينئذ الإعتراض على واحدة منها، لأنّ الأنبياء والأولياء،ﷺ، الّذين حكموا بها، لو لم يكن موافقاً لعقلهم لم يكونوا مأمورين من عند الله بأدائها ماحكموا بها، ولا كلفوا العباد بالقيام

⬅ روى الصدوق في «أمالي» في المجلس الحادي والثمانون الحديث ١ ص ٤٣٥.
بإسناده عن سفيان الثوري، عن الباقرﷺ عن آبائه عن أمير المؤمنينﷺ (في حديث) قال:
«من تصدق بصدقة في رجب إبتغاء وجه الله، أكرمه الله يوم القيامة في الجنة من الثواب بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر».
أيضاً روي فيه في «المجلس الثمانون» الحديث ١ ص ٤٣١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللهﷺ قال: (الحديث طويل قالﷺ فيه):
«من صام من رجب أربعة عشر يوماً أعطاه الله من الثواب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». الحديث.
ونشير في المقام إلى بعض آيات القرآن المباركة الّتي يكون ماجاء في الروايات المذكورة كالتطبيق والجري أو كالتفسير لها أحياناً كما كان في نفس بعض تلك الروايات بالنسبة إلى بعض هذه الآيات، والآيات هذه:
﴿فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرّة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون﴾ [السجدة:١٧].
﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ٧٢].
﴿لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥].
﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾ [الرحمن: ٤٦].
﴿ان المتقين في جنّات ونهر* في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥ ـ ٥٤].
﴿فادخلي في عبادي. و ادخلي جنّتي﴾ [الفجر ٢٩ ـ ٣٠].
راجع في مصادر الحديث أيضاً الجزء الأوّل ص ٣٠٧ التعليق ٦٥.

بأركانها، وكلّ مايكون موافقاً لعقلهم، يكون موافقاً لعقل جميع العقلاء، غاية مافي الباب يكون خلاف عقلك وعقل مثلك، فلا يلزم من هذا أنّه ليس بمعقول، ولا موافقا للعقل في نفس الأمر، وبسبب أن أكثر أسرارها وأحكامها خارجة عن طور عقل الخلق، خصوصاً أهل الظاهر، منع رسول الله ﷺ السؤال عن كيفيّته وكميّته، مثل السؤال: أنّ الظهر مثلاً لِمَ كانت أربعة، والمغرب ثلاثاً، والصبح ركعتان وكذلك باقي الأركان الشرعيّة ومثال عجز العقل عن إدراك أسرار الشرع وأحكامه كعجزه عن إدراك سرّ ملك الموت فإنّ العقل ما له قوّة أن يدرك أنّ هناك ملك واحد له قوّة أن يقبض في ساعة واحدة نفس مائة ألف إنسان أو حيوان مع بعد المسافة من المشرق إلى المغرب، وكذلك عن سرّ جبرئيل ﷺ، فإنّه لا يعرف ولا يدرك أنّ ملك واحد (ملكاً واحداً) كيف ينزل في آن واحد من السابعة، على رأي، ومن العرش على رأي إلى الأرض، ويوحي إلى نبيّ من الأنبياء، ويرجع في ذلك الآن أو غيره من الآنات، وعلى هذا التقدير ليس للمكلّف العاقل أصلح من التسليم للأوامر الآلهيّة والأحكام الشرعيّة، والتصديق بها مع عدم السؤال عن ماهيّتها وحقيقتها، لأنّه ليس في الشرع شيء خلاف العقل أصلاً، ولا في العقل الصحيح خلاف الشرع شيء أيضاً، وعند التحقيق ليس بناء التكاليف الشرعيّة والقوانين الإلهيّة إلاّ على العقل والعاقل، وكذلك ظهور الشرع وإجراء أحكامه، فإنّ الكلّ موافق للعقل، مطابق لنظر العاقل إذا كان صحيحاً، وبل مدار الوجود كلّه ليس إلاّ على العقل والعاقل، وبه أبتدأ الوجود عند الإيجاد، وبه يختم عند الإعدام، وفيه قيل:

«سبحان من أبتدء بالعقل وأنختم بالعاقل».

وقد ورد في الحديث النبوي:(٥٢)

«**أوّل ماخلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: بعّزتي وجلالي ماخلقت خلقا أحبّ إليّ منك، بك أخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب**»، الحديث

(الشرع كالروح للعقل كما أنّ العقل كالبدن للشرع)

وبالجملة مثال الشرع والعقل واحتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، مثال الروح والبدن، واحتياج كلّ واحد منهما إلى الآخر، أعني كما انّ تصرّف الروح وظهور صفاته وكمالاته لا يمكن إلاّ بالجسد، ومااشتمل عليه من القوى والأعضاء، فكذلك تصرف الشرع وظهور مراتبه وكمالاته، فإنّه لا يمكن إلاّ بالعقل ومراتبه وأقسامه، وقد عرفت مراتب العقل من: العقل الهيولاني، والعقل بالفعل، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد.

فالشرع دائر على هذه المراتب، لأنّ الأولى والثانية مرتبة العوام، والثالثة مرتبة الخواصّ، والرابعة مرتبة خاصّ الخاصّ من الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(٥٢) قوله: في حديث النبويّ: أوّل ماخلق الله العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤ ص ٢٦٧ باب النوادر الحديث ١ / ٨٢١، وروى قريباً منه الكليني في «أصول الكافي» باب العقل والجهل بإسناده عن الباقر عليه السلام. الحديث ٢٦ و ١، وراجع أيضاً الجزء الأوّل تعليقنا الرقم ٧٥ ص ٣١٧.

(في حاجة الشرع إلى العقل والعقل إلى الشرع)

والغرض أنّ الشرع ليس بمستغن عن العقل، ولا العقل عن الشـرع، وقد ذهب إلى هذا أكثر العلماء والعارفين، وأكثر الحكـماء الإسـلاميين، ومنهم الشيخ الكامل أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصـفهاني تغمّده الله بغفرانه، فإنّه ذكر[٥٣] في كتابه المسمّى بـ«تفصيل النشأتين في تحصيل السعادتين» بيان ذلك مفصّلاً وهو قوله:

«اعلم أنّ العقل لن يهتدي إلاّ بالشرع، والشرع لن يتبيّن إلاّ بالعقل، والعقل (فالعقل) كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أسّ مالم يكن بـناء، ولن يثبت بناء مالم يكن أسّ.

---

(٥٣) قوله: فإنّه ذكر.

ذكره الراغب الإصفهاني في كتابه: «تفصيل النشأتين في تحصيل السعادتين» البـاب الثامن عشر ص ٥٠، وفي المطبوع حديثاً في بيروت ص ١٤٠ الى ص ١٥٣.

وأمّا الراغب نفسه، المعروف أنّه: أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل الإصبهاني، الملقب بالراغب، المتوفّى ٥٠٢ هق.

وهو شافعي في الفقه عند «روضات الجنّات»، وشيعي في العقائد عند «أعيان الشيعة» وعند البعض، كما أنّه معتزليّ عند بعض آخر و«بغية الوعاة»، ومن أئـمة السـنّة عـند الإمام فخر الرازي.

له مؤلفات عديدة منها:

«المفردات في غريب القرآن»، ومنها «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، ومـنها «تـفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين».

راجع روضات الجنات ج ٣، أعيان الشيعة ج ٦، «بغية الوعاة» ج ٢، «الذريـعة» ج ٨ و ٢٠.

وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر مالم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع مالم يكن بصر. فلهذا (ولهذا) قال تعالىٰ:

﴿قد جائكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه﴾ [المائدة:١٦ - ١٥].

وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الّذي يمدّه فما لم يكن (فإن لم يكن) زيت لم يشتغل (يحصل) السراج، ومالم يكن سراج لم يضيء الزيت، وعلى هذا نّبه بقوله:

﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿نور على نور﴾ [النور: ٣٥].

(والمراد نور الشرع على نور العقل فإنّه لا يضيىء إلاّ به).

وأيضاً فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما يتعاضدان بل يتحدّان (متّحدان)، ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالىٰ إسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن، نحو:

﴿صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ [البقرة: ١٧١].

ولكون العقل شرعاً من داخل قال الله تعالىٰ في صفة (وصف) العقل:

﴿فطرت الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠].

فسمى العقل دينا، ولكونهما متّحدين قال: ﴿نور على نور﴾ أي نور العقل ونورالشرع، ثمّ قال:

﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥].

فجعلهما نوراً واحداً، فالعقل إذا فقد عجز الشرع عن أكثر الأمور

الكلّيّة كما إذا فقد الشرع فإنّ العقل يعجز عن أكثر الأمور الجزئيّة، وذلك لأنّ الشرع كالعين والعقل كالنور أو بالعكس ولا يستغني أحدهما عن الآخر، (فالشرع إذا فقد العقل عجز عن أكثر الأمور، عجز العين عند فقد الشعاع).

ثمّ إعلم أنّ العقل بنفسه قليل الغناء (الفناء) لا يكاد لا يتوصل إلاّ معرفة كلّيّات الشيء (الأشياء) دون جزئيّاته (تها) نحو أن يعلم جملةً حسن اعتقاد الحق، وقول الصدق، وتعاطي الجميل، وحسن استعمال المعدلة(العدالة) وملازمة العفّة، ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء، والشرع يعرف كلّيّات الشيء وجزئياته(الأشياء وجزئيّاتها) ويبيّن ماالّذي يجب أن يعتقد في شيء شيء، ومالذّي هو معدلة في شيء شيء ولا يعرفها (لايُعَرّفنا) العقل مثلاً: أنّ لحم الخنزير والدم والخمر محرّمة، وأنّه يجب أن يتحاشى (يتحامى) من تناول الطعام في وقت معلوم، وأن لا تنكح ذوات المحارم، وأن لا تجامع المرأة في حال الحيض، فإنّ أشباه ذلك لا سبيل إليها إلاّ بالشرع، فالشرع نظام الإعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة، والدال على مصالح الدنيا والآخرة، من عدل عنه فقد ضلّ سواء السبيل، ولأجل ألاّ سبيل للعقل إلى معرفة ذلك

قال الله تعالىٰ:

﴿وماكنّا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالىٰ:

﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ [طه: ١٣٤].

وإلى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله:

﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلاً﴾ [النساء:٨٣].
وعنى بـ﴿القليل﴾: المصطفين الأخيار».

(الإنسان الحقيقي هو الّذي يعبد الله سبحانه وتعالىٰ)

ثمّ شرع في بيان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الربّ وبيان أنه ليس بإنسان ولا عاقل وإن كان اسمه إنسانا أو عاقلاً فقال:

«لمّا كان الإنسان إنّما يصير إنساناً بالعقل ولو توهّمنا العقل عنه مرتفعاً لخرج عن كونه إنسانا ولم يكن إذاً تخطينا الشبح الماثل إلاّ مثل بهيمةً مهملةً (إلاّ بهيمه مهلمة) أو صورة ممثّلة[٥٤]، و(لّما كان) العقل لن (لا) يكمل بل لا يكون عقلاً إلاّ بعد الإهتداء (اهتداءه) بالشرع كما تقدّم ولذلك نُفي العقل (نفى الله العقل) عن الكافر لمّا تعرّى عن الإهتداء بالشرع (عن الكفّار لما تعروا عن الهداية بالشرع) في غير موضع من كتابه، و(لمّا كان) الإهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالىٰ، فالإنسان إذن في

---

(٥٤) قوله: أو صورة ممثلة.

مَثَل دائر، يضرب في مدح القدرة على الكلام، ذكره الميداني في «مجمع الأمثال» ج ٢ ص ٣٣٤ الرقم ٣٩٥٨.:

«ماالإنسان لولا اللسانُ إلاّ صورة ممثّلة أو بهيمة مهملة».

وذكره أيضاً الطرابلسي في «فرائد اللآلي» ج ٢ ص ٢٥٥، وأضاف:

مالمرءُ لولا النطق إلاّ صنَم ... مُـمثَّلَ أو بـهيمةٌ يـاأسْلمُ

كما ذكره الراغب أيضاً في كتابه «الذريعة إلى مكارم الشريعة» باب ٥٣ ص ١٧١، قال: وقيل: «المرء مخبوء تحت لسانه»، قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلاّ صورة اللحم والدم

الحقيقة هو الّذي يعبد الله ولذلك خُلق»

كما قال تعالىٰ:

﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

وكما قال تعالىٰ:

﴿وماأمروا إلاّ ليعبدو الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة﴾ [البيّنة: ٥].

وكلّ من (فكلّ ما) أوجد لفعل فمتىٰ لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم، ولذلك كثيراً مايسلب عن الشيء إسمه إذا وجد فعله ناقصاً لقولهم للفرس الرديء: ليس هذا بفرس، وللإنسان الرذل: ليس هو بإنسان، ويقال: فلان لا عين له ولا أذن إذا بطل فعل عينه وأذنه وإن كان شبحهما باقياً، وعلى هذا قال تعالىٰ:

﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾ [البقرة: ١٧١].

فيمن لم ينتفع بهذه الأعضاء.

فالإنسان يحصل له من الإنسانيّة بقدر مايحصل له من العبادة الّتي لأجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانيّة، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانيّة، فصار حيواناً أودون حيوان، كما قال في صفة الكفّار،

﴿إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقال تعالىٰ:

﴿انّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾ [الانفال: ٢٢].

فلم يرض أن جعلهم أنعاماً ودوابّ حتّى جعلهم أضلّ منها، وجعلهم

من أشرارها، وأخرج كلامهم من جملة البيان فقال:

﴿وماكان صلوتهم عند البيت إلاّ مكاء وتصدية﴾ [الأنفال: ٣٥].

(من لم يكن له دين ليس بإنسان حقيقة)

أن الإنسان لا يكون إنساناً إلاّ بالدين، ولاٰ ذا بيان إلاّ بقدرته على الإتيان بالحقايق الدينيّة، فقال تعالىٰ:

﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: ١].

فأبتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الإنسان ثمّ بتعليم البيان، ولم يدخل الواو بينهما، (فيما بينها)، وكان الوجه على متعارف النّاس أن يقول:

خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وعلّمه القرآن، فإنّ إيجاد الإنسان بحسب نظرنا مقدّم على تعليم البيان، وتعليم البيان مقدّم على تعليم القرآن، لكن لمّا لم يَعُدَّ الإنسان إنساناً مالم يتخصّص بالقرآن ابتدأ بالقرآن ثم قال: «خلق الإنسان» تنبيهاً على أنّ بتعليم القرآن جعله إنساناً على الحقيقة، ثمّ قال: «علمه البيان» تنبيهاً على أنّ البيان الحقيقي المختصّ بالإنسان يحصل بعد معرفة القرآن، فنبّه بهذا الترتيب المخصوص، وترك حرف العطف منه، وجعل كلّ جملة بدلاً ممّا قبلها لاعطفاً: على أنّ الإنسان مالم يكن عارفاً برسوم العبادة متخصّصاً بها لا يكون إنساناً وأنّ كلامه مالم يكن على مقتضى الشرع لا يكون بياناً.

فان قيل: فعلىٰ ماذكرت لا يصحّ أن يقال كلّ كافر إنسان، وقد سّماهم الله تعالىٰ بذلك في عامّة القرآن.

(قلنا) قيل: أنّا لم نقل إنّا لا نسمّي الكافر إنساناً على تعارف الكافّة،

بل (قلنا) قضيّة العقل والشرع تقتضي أن لا يسمّىٰ به إلاّ مجازاً مالم يوجد منه الفعل المختّص به، ثمّ إن سمّي به على سبيل تعارف الكافّة (العامّة) فليس بمنكر، فكثير من الأسماء تستعمل على هذا الوجه فبيّن الشرع أن ليس استعماله على مااستعملوه كقولهم: «الغنى» فإنّهم استعملوه في كثرة المال فقالوا:

«ليس الغنىٰ بكثرة المال إنّما الغنىٰ غنىٰ النفس»(٥٥).

فبيّن أنّ الغنى ليس هو كثرة المال، وقال تعالىٰ:

﴿ومن كان غنيّاً فليستعفف﴾ [النساء: ٦].

أي كثير الأغراض، فاستعمله على ماهو متعارف.

(الإنسان المطلق)

وجملة الأمر أنّ الشيء إذا أطلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول الأشرف كقوله تعالىٰ:

﴿وإنّه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف: ٤٤].

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤].

---

(٥٥) قوله: ليس الغنىٰ بكثرة المال...الخ

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه باب ٧٨٦ الحديث ١٣١١ ج ٨ ص ٤٦٥ بإسناده عن النّبي ﷺ إنّه قال:

«ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكنّ الغنى غنى النفس»

أيضاً أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٧٢٦ كتاب الزكاة باب ٤٠ ح ١٠٥١ وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٨٧٠ سورة الضحىٰ الآية ٨.

وإن كان الذكر قد يقال للمحمود والمذموم، وعلى هذا يمدح كلّ شيء بلفظ نوعه، فيقال: فلان هو إنسان، وهذا السيف سيف، ولهذا قيل: «الإنسان المطلق (٥٦) هو نبيّ زمانةً (كل زمان)»، وقال بعض العلماء: قول من قال: «الإنسان هو الحيّ الناطق المايت» صحيح وليس معناه ماتوهّم كثير من الناس من له (من أنّه من) الحياة الحيوانيّة والموت الحيواني والنطق الّذي هو في الإنسان بالقوّة، وإنّما أريد بالحيّ من كان له الحياة المذكور في قوله:(٥٧)

﴿علّمه البيان﴾ [الرحمن: ٤].

وبالمايت من جعل قوتّي الشهويّة والغضبيّة مقهورتين على مقتضىٰ الشريعة، فيكون حينئذ ميّتا بالإرادة، حيّاً بالطبيعة كما قيل: مت بالإرادة تحيي بالطبيعة».

---

(٥٦) قوله: الإنسان المطلق.

راجع التعليق ١١.

(٥٧) قوله: وإنّما أريد بالحيّ.

نعم حياة الإنسان مساوق لإيمانه بالحيّ القيّوم، إذن المؤمن هو الحيّ، والحياة هي الإيمان، كما أنّ الشرك موت والكافر ميّت في القرآن، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿أومن كان مَيتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون﴾ [الانعام:١٢٢]

وقال تعالىٰ:

﴿ومايستوي الأحياء ولا الاموات﴾ [فاطر: ٢٢].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ياأيّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤].

(الموت الإرادي)

وبالحقيقة عن هذا الموت أخبر نبيّناﷺ في قوله:

«موتوا قبل أن تموتوا»(٥٨)

وكذلك أمير المؤمنين ؑ في قوله:

«قد أحيا عقله وأمات نفسه حتّى دقّ جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى

---

(٥٨) قوله: موتوا قبل أن تموتوا.

قال المجلسي في البحار ج ٧٢ ص ٥٩: قد ورد في الحديث المشهور: **«موتوا قبل أن تموتوا»**.

قال السبزواري في كتابه «شرح الأسماء» ص ٤٣٠:

الموت الإختياري هو: قمعُ هوى النفس وقتلها، وقلعُ شهواتها كما في الحديث: **«موتوا قبل أن تموتوا»** و**«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»**، وقال الإمام جعفر بن محمّد الصادقؑ: **«الموت هو التوبة»** قال الله تعالىٰ: **﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾** [البقرة: ٥٤]، **﴿فمن تاب فقد قتل نفسه﴾**.

راجع أيضاً اصطلاحات الصوفيّة لعبد الرزاق الكاشاني ص ٩١، قال: وإلىٰ هذا الموت أشار أفلاطون بقوله: **«مت بالإرادة تحيي بالطبيعة»**.

تبصرة: الميّت بالموت الأرادي يرى قبل موته الطبيعي في هذه النشأة مايرىٰ غيره بعد موته الطبيعي بل أكثر بكثير أحياناً، ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين الّذي قامت قيامته الكبرىٰ في هذه الدنيا: **«لو كشف الغطاء مازددت يقيناً»**.

روى الغزالي في إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٧١٨ كتاب ذكر الموت، عن أنس عن النبيّﷺ أنّه قال: **«الموت قيامة، فمن مات فقد قامت قيامته»**.

باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربّه» [نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٠].

وأمثال ذلك كثير في هذا الباب فأطلب من مظانّها، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا آخر بحث الشريعة والطريقة والحقيقة، وآخر بحث احتياج العقل إلى الشرع واحتياج الشرع إليه بقدر هذا المقام، ولهذه الأبحاث أبحاث أخرى، وهي من توابعها ولوازمها، وبل لا يتحقّق هذه الأبحاث على ما ينبغي إلاّ بها وهي بحث الأصول والفروع والقواعد والضوابط الّتي تتعلّق بهما وسيّما بحث كلّ أصل وفرع من (في) مراتب ثلاث من الشريعة والطريقة والحقيقة، وكيفيّة تدويره فيها.

ثمّ بحث المذاهب والملل والآراء والنحل في صورة دائرتين مجدولتين مشتملتين على اثنين وسبعين فرقة من أهل الإسلام، واثنين وسبعين فرقة من أهل الكفر مطابقاً لما ذكر الشهرستاني في كتابه المسمّىٰ بالملل والنحل.

وحيث إنّ هذه الأبحاث لها طول وبسط نجعلها في أصلين وثلاث قواعد:

الأصل الأوّل في الضوابط الكلّية المقرّرة بين الأنبياء والأولياء والرسل ﷺ لإرشاد الخلائق وهدايتهم إلى الطريق المستقيم والدّين القويم.

الأصل الثاني، في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات، وكيفيّة سلوكه إليه واتّصافه به.

والقاعدة الأولىٰ، في بحث الأصول الخمسة، وكيفيّة تدويرها في

المراتب الثلاث من الشريعة والطريقة والحقيقة.

والقاعدة الثانية، في الفروع الخمسة، وكيفيّة تدويرها في المراتب الثلاث أيضاً.

والقاعدة الثالثة، في بيان المذاهب والملل، وتعدادها في العدد المعيّن مطابقاً للحديث النبويّ:

«ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، الواحدة منها ناجية والباقي هالك»(٥٩).

---

(٥٩) قوله: ستفترقَ أمّتي.

الحديث معروف عند الفريقين ونقلاه في جوامعهم الروائيّة وإليك النظر الى بعض مانقلهم:

أخرج ابو داود في سننه ج ٤ ص ١٩٧ باب شرح السنّة الحديث ٤٥٩٦، بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«افترقت اليهود على إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى او ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة».

أخرجه أيضاً الترمذي وسننه ج ٥ ص ٢٥ باب ماجاء في افتراق هذه الأئمة، الحديث ٢٦٤٠.

أيضاً أخرج أبو داود في المصدر نفسه الحديث ص ١٩٨، بإسناده عن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي ﷺ قال:

«ألا إنّ مَنَ قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة،وهي الجماعة».

وأخرج الترمذي في المصدر نفسه الحديث ٢٦٤١؛ بإسناده عن عن عبدالله بن عمر (عبدالله بن عمرو)، عن النبي ﷺ قال: **«ليأتين على أمّتي ماأتىٰ على بني إسرائيل**

➲ حذو النعل بالنعل (إلى أن قال): وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلّها في النّار إلاّ ملّة واحدة، قالوا: من هي يارسول الله، قال: ماأنا عليه وأصحابي، (فقيل له ماالواحدة، قال: ماأنا عليه اليوم وأصحابي)».
أخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ج ١ ص ١٢٨.
وأخرجه أيضاً الهندي في كنز العمّال ج ١ ص ١٨٢ الحديث ٩٢٨.
ورواه الصدوق في معاني الأخبار ص ٣٢٣ باب معنى الفرقة الواحدة الناجية، الحديث ١ بإسناده عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:
«مانحن عليه اليوم أنا وأصحابي».
وأخرج الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٣٠ بإسناده عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:
«ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام».
روى المجلسي في بحار الأنوار ج ٢ ص ٣١٢ بإسناده عن الكراجكي في كنز الفوائد، عن رسول الله ﷺ قال:
«ستفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمّتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرّمون الحلال ويحلّلون الحرام».
وروي الصدوق في الخصال ص ٦٣٢٦ في حديث اربعمائة بإسناده عن محمّد بن مسلم وأبي بصير عن الصادق عليه السلام، عن آبائه على أمير المؤمنين عليهم السلام قال في حديث طويل:
«افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة».
وروي سليم بن قيس في كتابه ص ١٧٥ الحديث ٣٩ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:
«افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة سبعون منها في النار وواحدة في ➲

وإذا تقرّر هذا فلنبدأ بالأوّل ثمّ بما بعده على الترتيب المذكور، وبالله التوفيق.

الجنة، وهي الّتي أتّبعت يوشع بن نون وصي موسىٰ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، احدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة وهيي الّتي أتّبعت شمعون وصيّ عيسىٰ، وتفرقت هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة، وهي الّتي أتّبعت وصي محمّد ﷺ وضرب بيده على صدره».

وروى الكليني قريب منه في الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٢٤ الحديث ٢٨٣ بإسناده عن الباقر عليه السلام.

وروي المجلسي في بحار الانوار ج ٢٤ ص ١٤٦ الحديث ١٨ عن كنز الفوائد للكراجكي قال: روى الجمهور عن أبي نعيم وابن مردويه باسنادهما عن زاذان عن علي عليه السلام قال:

«تفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهم الّذين قال الله عزّ وجلّ:

﴿وممّن خلقنا أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، وهم أنا وشيعتي.

روي البحراني في تفسيره «البرهان» ج ٢ ص ٥٣ الحديث ٩ عن موّفق بن أحمد، بإسناده عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، وقال: أخبرنا أحمد بن محمّد السري قال: حدثنا المنذر بن محمّد بن المنذر، قال: حدّثني عمّي، عن الحسين بن سعيد، قال حدثني أبي، عن أبان بن تغلب، عن فضل، عن عبد الملك الهمداني، عن زاذان عن علي عليه السلام، مثله.

روي أبو نعيم في «حلية الاولياء» ج ٥ ص ٨ بإسناده عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال: «تفرّق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، شرّها فرقة تنتحل حبّنا وتفارق أمرنا».

الأصل الأوّل

في الضوابط الكلّيّة المقرّرة بين الأنبياء والرّسل عليهم السلام لإرشاد الخلايق وهدايتهم إلى الطريق المستقيم والدّين القويم

(في أنّ غرض الأنبياء و هدفهم إيصال الخلق إلى كمال المطلوب)

إعلم أنّ الضوابط الكلّيّة والقواعد الجملّية المقرّرة بين الأنبياء والرسل والأولياء والأئمّة من آدم إلى نبيّنا صلّىٰ الله عليه وعليهم أجمعين، ومنه إلى المهدي عليه السلام هي إيصال كلّ إنسان إلى كماله المعين له بحسب الإستعداد والقابليّة، وإخراجه من درك النقصان والجهل بحسب الطاقة والجهد، لقوله تعالىٰ فيهم:

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة: ١٥١].

لأنّ غرضه تعالىٰ من إيجاد الخلق لم يكن إلاّ هذا، كما أشار إليه في كتابه الكريم في قوله:

﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي قوله:

﴿الله الّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير وانّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً﴾ [الطلاق: ١٢].

وفي قوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق»[٦٠].

---

(٦٠) قوله: كنت كنزاً مخفياً الخ.

ذكره المجلسي في البحار ج ٨٤ ص ١٩٩ وأيضاً ص ٣٤٤.

نقل مؤلّف كتاب «أحاديث مثنوي» ص ٢٩ عن «منارات السائرين» لنجم الدين أبو بكر الرازي المتوفىٰ ٦٥٨، هكذا:

«قال داود ﷺ: ياربّ لماذا خلقت الخلق؟ قال:

كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرَف فخلقت الخلق لكي أعرف».

فأنظر أيضاً تفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٣٢٤ التعليق ٧٧.

والجزء الثاني ص ٣٥٦ تعليقنا ١٥٧.

نذكر في المقام بعض مايناسب مضمون الحديث وجريه أي تطبيقه، والله العالم:

روىٰ الصدوق رحمه الله في «العلل» ص ٩ الباب ٩، الحديث ١ بإسناده عن سلمة بن عطاء عن أبي عبدالله الصادق عليه الصلاة والسلام قال:

«خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس إنّ الله جلّ ذكره ماخلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه»

وقال البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» في تفسير الآية المباركة:

﴿وماخلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] ج ٥ ص ٢٣٠:

«وقال المجاهد: إلا ليعرفوني وهذا حسن».

وفسّرها المؤلّف الجليل أيضاً كما فسّرها المجاهد وقال: «أي ليعرفوني»

راجع الجزء الاوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٠٥ وتعليقنا فيه الرقم ١٠٥.

وروى الصدوق ﷺ في التوحيد ص ٢٩٠ عن الصادق عليه أفضل صلوات المصلين، إنّه قال:

«لولا الله ماعُرفنا ولولا نحن ماعُرف الله».

وروي أبا بن أبي عيّاش، عن سليم بن قيس، عن سلمان وأبي ذر والمقداد عن رسول الله ﷺ قال (في حديث طويل):

«ياعلي، خُلِقتُ أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين تحت العرش، إلى ان قال ﷺ: ياعلي، ماعرف الله إلاّ بي ثمّ بك».

والحديث كما أشرنا طويل فراجع كتاب سليم بن قيس الهلالي المتوفى حوالي سنة ٩٠ للهجرة ص ٢٠٢، ونقل عنه المجلسي أيضاً في بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٧ الحديث ١٤١.

أيضاً روي سليم بن قيس في كتابه ص ٢٠٥ عن النبي ﷺ قال: (في حديث طويل):

«لولا أنا وعلي ماعرف الله، ولولا أنا وعلي ماعبد الله، ولولا أنا وعلي ماكان ثواب ولا عقاب، ولا يستر علياً عن الله ستر، ولا يحجبه عن الله حجاب، وهو الستر والحجاب فيما بين الله وبين خلقه».

راجع بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٩٦ الحديث ١١٦.

وروي المجلسي في بحارالانوار ج ٢٣ ص ١٠٢ الحديث ٨ عن «بصائر الدرجات» بإسناده عن بريد عن أبي جعفر الباقر عليه أفضل صلوات المصلّين قال:

«بنا عبد الله، وبنا عرف الله، وبنا وحّد الله، ومحمّد ﷺ حجاب الله».

وقوله أيضاً:

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً﴾

[النور: ٢١].

إشارة إليه، ومعناه: ولولا فضل الله عليكم بإنزال الكتب ورحمته بإرسال الرسل، مازكى منكم من جهله وكفره أبداً، لأنّ الشيء إذا كان بالقوّة لابّد له من آخر يخرجه إلى الفعل، فكمال الّذي للموجودات والمخلوقات بالقوّة لولا الأنبياء والرسل وتكميل قوّتي العلمية والعملية

راجع في مضمون هذا الحديث تفصيلاً بحار الانوار ج ٣٥ ص ٢٨ الحديث ٢٤.

وفيه عن الكاظم عليه السلام قال:

«ولولاهم ماعرف الله». الحديث.

وروي المجلسي في البحار ج ٢٥ ص ٤ الحديث ٧ عن كنز الفوائد، عن منهج التحقيق بإسناده عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه الصلاة والسلام قال:

«إن الله تعالىٰ خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم... فهي أرواحنا... الى أن قال: ولولانا ماعرف الله». الحديث.

وروي مثله أيضاً عن بصائر الدرجات باسناد مختلفة في ج ٢٦ ص ١٠٦ الحديث ٥ وص ١٠٧ الحديث ١٠ وص ٢٤٧ الحديث ١٤.

قال الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» ج ٢٧ ص ٢٥. في تفسير الآية:

﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾: أي ليعرفون، وهو عندهم اشارة إلى ماصححوه كشفاً من روايته صلى الله عليه وآله عن ربّه سبحانه أنّه قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، وفي كتاب الأنوار السنيّة للسيّد نور الدين السمهوري بلفظ: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفوني فبي عرفوني»، وفي المقاصد الحسنة للسخاوي بلفظ: «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني».

اللّتان هما في الإنسان بالقوة ماترقى أحد من النقصان إلى الكمال أبداً، وقول نبيّناﷺ:

«أوتيت جوامع الكلم»(٦١).

و: «بعثتُ لأتمم مكارمِ الأخلاق»(٦٢).

دالّ على هذا، لأنّه يقول: بعثت لأتممّ مكارم الأخلاق الّذي وضعوها الأنبياء قبلي وكان تمامها موقوفاً على بعثتي في عالم الشهادة، وإن كان جميع الأنبياء والرسل في عالم الغيب والشهادة كانوا خلفائي و (نّوابي) نائبي ومظهر من مظاهري، كما قال:

«آدم ومن دونه تحت لوائي»(٦٣).

---

(٦١) قوله: أوتيت جوامع الكلم

قد سبق ذكر مصادره في التعليق الرقم ٢١ تفصيلاً فراجع. وأيضاً في الجزء الثاني ص ٥٩ التعليق الرقم ٢٢.

(٦٢) قوله: بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق.

راجع في مصادر الحديث، تعليقنا الرقم ٢٢ قد ذكرنا فيه تفصيلاً.

(٦٣) قوله: آدم ومن دونه تحت لوائي

قد ذكرنا مصادر الحديث في الجزء الثاني من تفسير المحيط الاعظم ص ٤٥٩ وتعليقنا فيه الرقم ٢٤٧ فراجع.

وأخرج الترمذي في سننه ج ٥ كتاب المناقب الباب ١ ص ٥٨٧ الحديث ٣٦١٥، بإسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ومامِن نبيّ يومئذ آدم فَمَن سواه إلاّ تحت لوائي». الحديث.

وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٨١ و ٢٩٥ بإسناده عن ابن عباس

وقال:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[٦٤].

عنه صلى الله عليه وآله وفيه: «آدم فَمَن دونه تحت لوائي»، والحديث طويل.

وروي الصدوق في أماليه المجلس السابع والأربعون ص ٢٣٠ الحديث ٩ بإسناده عن المفضل عمر عن الصادق عليه الصلاة والسلام عن أبيه عن أبائه عليهم السلام عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال:

«اذكروا وقوفكم بين يدي الله جلّ جلاله فإنّه الحكم العدل، واستعدوا لجوابه إذا سألكم فإنّه لابّد سائلكم عمّا عملتم بالثقلين من بعدي كتاب الله وعترتي، فانظروا أن لا تقولوا: أمّا الكتاب فغيّرنا، وأمّا العترة ففارقنا وقتلنا، فعند ذلك لا يكون جزاؤكم إلاّ النار، فمن أراد منكم ان يتخلّص من هول ذلك اليوم فليتولّ ولّي وليتّبع وصّي خلفيتي من بعدي علي بن أبـي طـالب عليه السلام فـإنّه صـاحب خوضي يذود عنه أعداءه ويسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشان ولم يرو أبداً، ومن سقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبداً.

وأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام لصاحب لوائي في الآخرة كما كان صاحب لوائي في الدنيا، وإنّه أوّل من يدخل الجنّة لأنّه يقدمني وبيده لوائي تحته آدم ومن دونه من الأنبياء».

وروي المجلسي في بحار الانوار ج ٣٨ ص ٩٩ الحديث ١٨ عنه.

نقل العلاّمة الحّجة السيّد الأستاذ المرعشي التجفي رحمه الله في «ملحقات الإحقاق» ج ٢٠ ص ٣٢١ عن العلاّمة حسام الدين المردي الحنفي، عن أحمد بن حـنبل فـي كـتاب «فضائل علي» وفي «المناقب» بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«انا أوّل من يدعىٰ يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش في ظلّه ثمّ أكسىٰ حلة، ثمّ يدعى بالنبيّين بعضهم على إثر بعض فيقومون عن يمين العرش ويكسون حللاً، ثمّ يدعى بعليّ بن أبي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي ويـدفع إليـه لوائي لواء الحمد آدم دونه تحت ذلك اللواء». الحديث.

(٦٤) قوله: كنت نبّياً وآدم بين الماء والطين.

وهذا لمكان يحتاج إلى عقليّة، ثمّ إلى كلمات خطابيّة نـقررها أوّلاً، ونرجع بعدها الى الغرض.

(في أنّ لكلٍّ استعداد خاصّ)

فمنها، أن تعرف: أنّ كلّ ذات لها استعداد فيض من الفيوض الإلهي ولم يمنع منه مانع لم يحرم منه لا في عالم الغيب ولاٰ في عالم الشـهادة، وطلب الفيض إنّما يمكن لمن علم شيئين: أحدهما وجـود هـذا الفـيض بالنفس التامّ، وثانيهما أنّ كلّ ذات حصل لها هذا الفيض اقتضى كـمالها، وهذا العلمان يقارنان استعداد قبول ذلك الفيض في جميع الأحوال.

ومنها، أن تعرف أنّ للنفس الناطقة قوّتي علم وعمل، ولكلّ واحدة منهما مراتب في الكمال والنقصان، وأكملها فيها مايسمّى عقلاً مستفاداً، وهو حصول العلوم الكسبيّة بالفعل، المتعلقة بـالأمور العـلميّة والعـمليّة، والطريق الصّواب هو المؤدى إليها، دون الحـيرة الّـتي هـي التـردد فـي الإعتقاد، والضّلال الّذي هو سلوك طريق الخطأ، ونعم الله تعالىٰ وان كانت غير متناهية إلاّ أنّها متفاوتة في الكمال وأعلاها مرتبة العقايد اليقينيّة في الأصول الدينيّة إذ من حصلت له هذه المرتبة خلص من العذاب السرمد وحصل بالنعيم المؤبّد.

ومنها أنّ الله تعالىٰ يفعل لغرض لا عايد إليه تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً

➲ أنظر في مصادر الحديث الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢٦٧ تعليقنا الرقم ٤٥ والجزء الثاني ص ٣٨٣.

كبيراً بل هو نفع للعباد، لأنّ الفاعل لا لغرض عابث والعبث عليه محال، ولأنّ القرآن ناطق به كقوله:

﴿ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض﴾ [البقرة: ٢٥١].

وكقوله:

﴿وماخلقنا السّماء والأرض ومابينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦].

وههنا مسائل:

(في معنى اللطف الواجب على الله سبحانه و تعالى)

الأولىٰ: انّ اللطف واجب على الله تعالىٰ، واللطف ماكان معه المكلّف أقرب إلى الطاعة وأبعد من المعصية، لأنّه لايق بحكمته وكرمه ورحمته، ولا نعني بالوجوب إلاّ ذلك، ولأنّ أنّ من أراد من آخر فعلا وعلم أنّه يرجح فعله عند فعل نوع مامن اللطف به، وهو قادر عليه، ولا ضرر في فعله عليه ولا على غيره ولا على ذلك المكلّف، فإنّه إن لم يفعل به كان ناقضاً لغرضه ونقض الغرض على الحكيم محال، وإنزال الكتب وإرسال الرسل لطف، والتكليف أيضاً لطف، فيجب على الله تعالىٰ جميع ذلك عقلاً لئلاّ يناقض فعله غرضه الّذي أشار إليه في كتابه في قوله:

﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

ووجه آخر: وهو أنّه تعالىٰ خلق الشهوات في بني آدم وأقدرهم على مقتضاها ولم تف عقول كثير منهم بإدراك الحسن والقبح، وبسبب استيلاء الجهل على أكثرهم يسهل فعل القبيح والإخلال بالحسن، ويسهل اختلال نظام النوع في ابلاغ القوة الشهويّة والغضبيّة ومقتضاهما، ومع

إنزال الكتب وإرسال الرسل وإيجاب طاعتهم على النّاس يكون معه الناس إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، فهذا هو اللطف فيجب عليه، ولأنّه لولا أن يفعل ذلك لكان تاركاً للحسن وفاعلاً للقبيح، وهما محالان على الله تعالىٰ.

وبالجملة يجب عليه اللطف مع عباده لئلاً يلزم بإخلاله له هذه المفاسد والعلم بهذه المقدمات من ضروريّات هذا البحث وأكثرها بل بأجمعها منقولة من كتب أرباب الظاهر وأهل المنقول منهم، لأنّه مطابق موافق لأغراض أهل الباطن.

وإذا عرفت هذا نرجع إلى الغرض ونقول:

إعلم أنّ الكمال والنقصان بحسب كلّ شخص من الأشخاص ونوع من الأنواع كما ستعرفه في موضعه، وأمّا الكمال مطلقاً فهو منحصر في معرفة الله تعالىٰ وعبادته على حسب طبقاتها ومراتبها، وأمّا النقصان مطلقاً فهو الّذي يكون بازاء هذه المعرفة أو الكمال على حسب مراتبها ومدارجها أيضاً، وحيث أنّ تحصيل هذه الكمالات والإخراج من هذه النقصانات لم يكن يتيسّر إلاّ بتكميل قوّتي العلم والعمل ومقتضاهما، فجميع سعيهم واجتهادهم وإرشادهم ودعوتهم كان في تكميل القوّتين وتحصيل هاتين القاعدتين المشار إلى الأولى بالأصول، وإلى الثانية بالفروع، ولهذا ماتعدى أوامرهم ونواهيهم من حيث الإجمال عنهما، وإن استقريت عرفت تحقيق هذا من غير شك ولا شبهة، والّذي قيل: إنّ جميع أوامر الله ونواهيه منحصرة في كلمتين من قول نبيّناﷺ اللّتين هما التعظيم لأمر الله والشفقة علىخلق الله فهو مطابق لهذاالقول، لأنّ من قام بحق

هاتين الكلمتين وماشتمل عليهما من الأوامر والنواهي فقد قام بجميع أحكام الله الشرعيّة وأوامرها ونواهيها، فكذلك أيضاً في تلك الصورة، فإنّ كلّ من قام بالأصول والفروع المذكورة على ماينبغي فقد قام بجميع أوامر الله ونواهيه ووصل إلى كماله المعين له بحسب الإستعداد والقابليّة، وغرضه تعالىٰ من ذلك ان تحصل العلّة الغائيّة من إيجاد الخلق وتكليفهم ولا يقع فعلها عبثاً ومهملاً لأنّ العبث والإهمال من الحكيم الكامل قبيح، وبل مستحيل كما أشرنا إليه غير مرّة وأشار إليه هو في قوله:

﴿وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦].

(تكليف كلّ طائفة يكون بحسبها)

وحيث إنّ جميع الناس كانوا منحصرين في طبقات ثلاثة الّتي هي البداية والوسط والنهاية، فانحصرت مراتب إرشادهم وهدايتهم إجمالاً في هذه الثلاث المعبّرة عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة، وحيث إنّهم مع هذا الحصر ليسوا في مرتبة واحدة من حيث الذوات والماهيّات بل مختلفين فيها وفي الإستعدادات والقابليّات المرتبة عليهما أيضاً اقتضت الحكمة الإلهيّة والعناية الربانيّة نظم هذا الترتيب إجمالاً وتفصيلاً ليمكن إيصال كلّ واحد منهم إلى كماله المعين له وإخراجهم من النقصان الّذي هم فيه قوة وفعلاً، وبناء على هذا اختلف التكاليف بحسب كلّ طايفة بل بحسب كلّ نوع وصنف وشخص، وإن كان من حيث الإجمال حكمهم واحد، ومن هذا صار تكليف كلّ طايفة من الطوايف المذكورة خلاف طايفة أخرى من حيث الفروع والأحكام لا من حيث الأصول والقواعد، أعني صار

تكليف كلّ طايفة من الطوايف المذكورة خلاف طايفة أخرىٰ من حيث الفروع والأحكام لا من حيث الأصول والقواعد، أعني صار تكليف أهل الشريعة وكمالهم ومعرفتهم غير تكليف أهل الطريقة وكمالهم ومعرفتهم، وكذلك أهل الحقيقة فإنّ كمالهم ومعرفتهم غير كمال أهل الطريقة وكمالهم ومعرفتهم، وقد عرفت هذا عند تفصيل كلّ طايفة من الطوايف الثلاث على الأخرى شرفاً ورتبة مع اتحادهم في المقصد، ومن هذا كان تكليف الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء من تابعيهم غير تكليف الخلايق بعد مشاركتهم في تكليفهم من غير عكس، لقوله تعالىٰ:

﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود: ١١٢].

وقوله ﷺ:

«شيّبتني سورة هود»[٦٥]

ومن هذا يعرف قدرهم ومنزلتهم عند الله وشرفهم ورفعتهم عند الخلق، وهاهنا سؤالان:

(وجه وصول الانسان الى مقام إلهى من قِبل الله سبحانه)

الأوّل: أنّهم لِمَ خصصوا بهذه المراتب من بنى النوع دون غيرهم؟

والثاني: أنّهم لِمَ صاروا مكلّفين بزيادة تكليف مع عظمة قدرهم

---

(٦٥) قوله: شيّبتني سورة هود.

ذكرنا مصادر الحديث الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم ص ٤٦٢ تعليقنا الرقم ٢٤٩ فراجع.

وجلالة شأنهم؟

أمّا جواب السؤال الأوّل، فهو انّ الله تعالىٰ حيث خلق الخلق وكلّفهم بتكليف معيّن وليس لهم علم بذلك التكليف يجب عليه تعالىٰ ان يعلمهم التكليف ليقومون به ويخرجون عن عهدته، ويحصل به غرضه تعالىٰ منهم، ولا يقع فعله عبثا كما بيّناه وقررناه قبل هذا، وهذا يسمّى لطفاً عند أهل الظاهر، وعند أهل الباطن عناية، وإذا كان كذلك ولم يكن لكل واحد منهم استعداد أخذ هذا التكليف منه تعالىٰ بنفسه لعدم المناسبة وبعد الجنسيّة، لقوله جلّ ذكره:

﴿ماكان لبشر ان يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء إنّه حكيم عليم﴾ [الشورىٰ: ٥١].

وجب عليه تعالىٰ عقلاً تعيين جماعة يكون بينه وبينهم مناسبة مّا حتّى يأخذون منه ذلك التكليف وحياً وإلهاماً ويوصلونه إلى المكلفين من عبيده بحكم المناسبة أيضاً لقوله:

﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم مايلبسون﴾ [الأنعام: ٨].

فهؤلاء الجماعة هم الأنبياء والرسل بالأصالة، والأولياء والأوصياء بالتبعيّة، لقوله فيهم على الإطلاق والتقييد:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهارون وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسىٰ تكليما رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [النساء: ١٦٤].

وإن قلت: هذا بيان علّة الاحتياج إلى جماعة يكونون واسطة بين الله وبين الخلق في إيصال تكليفهم إليهم لا بيان خصوصيّتهم بذلك.

قلنا: علّة خصوصيّتهم بذلك، المناسبة الذاتيّة بينه وبينهم الآتية بيانها بعد هذه الكلمات من الإتّصاف بصفاته التخلّق بأخلاقه لقوله:

«كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله»(٦٦).

---

(٦٦) قوله: كنت سمعه وبصره. الحديث.

هذا الحديث معروف بحديث القرب النوافل وقد ذكرناه في تعليقنا الرقم ٨٥ في الجزء الاول ص ٣٤٥.

أخرج البخاري في الصحيح ج ٨ كتاب الرقاق، باب ٨٠٩ (التواضع) ص ٤٨٢ الحديث ١٣٦٧ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنّ الله قال من عادىٰ لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وماتقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممّا افترضت عليه ومايزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي يسمع به وبصره الّذي يبصر به ويده الّتي يبطش بها ورجله الّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنّه وماتردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره أساءته».

أخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في المسند ج ٦ ص ٢٥٦ بإسناده عن عايشة، وفيه:

«من أذلّ لي وليّاً فقد استحلّ محاربتي».

وأخرج أيضاً: «المسند الجامع» ج ٢٠ ص ٣٨٣ نقلاً عن أحمد.

وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرىٰ ج ٣ ص ٣٤٦ و ج ١٠ ص ٢١٩، وفيه في آخر الحديث: **وأكره مساءته»**

وذكره أيضاً «الأحاديث القدسيّة» ص ٨١ الحديث ٨١.

أقول: ينبغي للقاري العزيز التأمّل في الأمور التالية:

ولقوله:

﴿ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧].

وإن قلت: ذلك المناسبة الذاتيّة ممن حصلت لهم أو من أين حصلت.

قلنا: ههنا قولان:

الأوّل على طريق أهل الشرع وأهل الظاهر، وذلك راجع إلى عناية الله تعالىٰ وإعطائه لهم هذه المراتب والمقامات لقوله:

﴿لايسئل عمّا يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

أ - التأمل في قوله ﷺ في صدر الحديث: «من أهان لي ولياً بارزني بالمحاربة»، «من عادىٰ لي وليّاً فقد آذنته بالحرب»، «من أذلّ لي وليّاً فقد استحلّ محاربتي»، وجريه على عمل الذين عادوا وآذوا وأهانوا علّياً وفاطمة عليهما السلام، وأولادهما عليهم السلام، وهم أهل البيت وعترة رسول الله ﷺ.

ب - معنى الحديث في قرب النوافل هو التخلّق بأخلاق الله سبحانه وتحقق أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا في وجود الانسان وأعماله، وماذكر في متن الحديث بأن الله سبحانه يكون سمع ذلك الإنسان ويده ورجله جاء من باب المثال وإلاّ الحكم جار في لسان هذا الانسان مثلاً وساير قواه الظاهرة وفؤاده وساير قواه الباطنة أيضاً.

ج - معنى قرب الفرائض الّذي هو أعلي وأفضل بكثير من القرب النوافل هو كون الإنسان نفس أسماء الحسنىٰ والصفات العليا ونفس وجه الله سبحانه وتعالىٰ، والانسان في هذا المقام يكون عين الله ويد الله ووجه الله كما ورد كثيراً ومتواتراً عن أئمّة أهل البيت عليهم آلاف التحية والسلام بأنهم: عين الله، يد الله، وجه الله، وهم الأسماء الحسنىٰ وغير ذلك.

فان شئت الإطلاع فراجع الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢١٤ تعليقنا الرقم ١٩ و٢٠ ذكرنا فيه بعض تلك الأحاديث، وأيضاً ص ٤٤١ التعليق الرقم ١١٦، والجزء الثاني ص ٤٥٣ تعليقنا فيه الرقم ٢٣٧.

والثاني، على طريق أرباب الباطن وأهل الحقيقة، وذلك راجع إلى بحث الأعيان والماهيّات وأنّها بجعل الجاعل أم لا؟ وقد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولى، وبيّناه أنّ استحقاق تلك المناصب لهم من اقتضاء ذواتهم وماهيّاتهم بمقتضى علمه تعالىٰ بها لأنّ العِلم تابع للمعلوم والمعلوم لا يوجد إلاّ على الوجه الّذي كان مقرراً في نفي العالم، وهاهنا أبحاث وأسرار لا يعرفها إلاّ أهلها، وقد بيّنا أكثرها في المقدمة الأولى، ومع ذلك أيّ جماعة فرض فيهم هذه المناصب يمكن عليهم هذا الإعتراض ويلزم من هذا امّا دور وامّا ترجيح من غير مرجّح، وامّا الإخلال بالواجب منه تعالىٰ والكلّ مستحيل بالنسبة إلى حضرته، فيجب عليه تعيينهم وتخصيصهم بمقتضىٰ علمه وحكمته، لقوله أيضاً تأكيداً للاقوال المذكورة:

﴿إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار* وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص: ٤٧ – ٤٦].

وإذا عرفت هذا لابدّ من بيان المناسبة الواقعة بينهم وبين الحقّ بوجه، وبينهم وبين الخلق بوجه آخر.

امّا الأولى أي المناسبة التي بينهم وبين الحقّ فتلك بوجهين:

(بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبّة بين الحق والخلق عقلاً)

الاوّل من حيث العقل. **والثاني** من حيث النقل.

امّا العقل، فالعقل الصحيح يحكم بانّ بين الذاتين أو الشخصين مثلاً لو لم يكن مناسبة مّا لم يمكن تصوّر المحبّة بينهما أصلاً، لأنّ أعظم شرط

المحبّة: المناسبة الذاتيّة، ثمّ العارضيّة، وتلك بأنواع كما هي مذكورة في الكتب الحكميّة في باب المحبّة، وكذلك في كتب المحقّقين من أرباب التوحيد، حتّى ذهب بعض الحكماء إلى أنّ الله تعالىٰ لا يجوز له أن يحبّ أحداً ويحبّه أحد، لأنّ المحبّة تقتضي الجنسيّة وليس للواجب مع الممكن جنسيّة بوجه من الوجوه فلا يجوز له محبّته أصلاً، وهذا الكلام ليس له أصل لكن ذكرناه تنبيهاً لك على فساد عقايدهم وقواعده.

والغرض أنّه لابدّ في المحبّة من المناسبة، ذاتيّة كانت أو عرضيّة كما ورد في اصطلاح أهل الله وهو قولهم: المحبّة الأصليّة هي محبّة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زايد لأنّها أصل جميع أنواع المحبّات، فكلّ مابين اثنين فهي إمّا لمناسبة في ذاتهما أو لاتّحاد في وصف أو مرتبة أو حال أو فعل، فمناسبتهم مع الله حينئذ يكون من حيث تقديسهم وتنزيههم من دنس البشريّة، ورجس الحدوث والإمكان، وإتّصافهم بالأوصاف الربّانيّة والأخلاق الآلهيّة، والدليل على ذلك وهو أنّهم إذا كانوا في عالم البشريّة وحكم الطبيعة لم يتمكّنوا من هذا، كما قال النبيّ ﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»(٦٧).

---

(٦٧) قوله: لي مع الله وقت. الحديث.

ذكره المجلسي ﷫ في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٦٠، والحديث معروف ومشهور عند علماء المسلمين وخاصّة عند العرفاء.

مقام لدى سدرة المنتهى ... لأحمد لاشكّ للمصطفىٰ

فقد كان بالقرب من ربّه ... علىٰ قاب قوسين لما دَنا

فما مثل أحمد فيمن مضى ... من الرسل في سالف من ورىٰ

⬅

لعله ﷺ أخبر في هذا الحديث عن مقامه الأعلى يعني مقام: «قاب قوسين أو أدنى» كما قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿وهو بالأفق الأعلى ۝ ثم دنا فتدلّىٰ ۝ فكان قاب قوسين أو أدنى ۝ فأوحي الى عبده ما أوحىٰ﴾ [النجم: ٧ – ١٠].

لا يصل الى هذه المرتبة من القرب إلاّ العبد المطلق أي «عبده» يعني عبد الذات وهو أشرف من عباد الأسماء حتىٰ من عبدالله سبحانه وتعالىٰ.

والمقام هذا فوق المقامات والمرتبة هذه أعلى المراتب وهو التجرّد عن الكونين يحصل بعد العبور عن العالمين: الخلق والأمر، لم يصل إليه أحد من الملائكة والرسل، كما قال الروح الأمين ليلة المعراج:

«لو دنوت أنملة لاحترقت» [بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٨٢].

أي لو أتجاوز هذا المقام لا أكون ومرتبة وجودي هذا، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿ومامنا إلاّ له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤].

قيل أراد بالنبي المرسل أخاه الخليل عليه السلام ولكنّه سهو واضح باعتبار أنّ كلمة «مرسل» في الحديث نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم يعني أنّه ﷺ أراد نفي أيّ رسول حتّى نفسه، والمذكور في الرسالة القشريّة ص ١٥٥ هكذا:

«لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي عزّ وجلّ».

ويُعَّبر أيضاً هذا: بمقام العنديّة كما قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥].

نعم هناك رفيق معه ﷺ من هو نفسه وهو حقيقة العلويّة وهي مع حقيقته المحمّديّة نور واحد من نور واحد كما أشار إليه سبحانه وتعالىٰ:

﴿فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ [آل‌عمران: ٦١].

كما وصل إليه واعترف به الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي وقال:

(ظهور الملائكة في صورة الانسان)

بل لابّد لهم من الإنسلاخ عن عالم البشرية، والإتّصاف بالصفات الآلهيّة، ليتمّكنوا من هذا، لأنّه ورد في الخبر الصحيح أنّه إذا كان من عالم البشريّة الصرفة، لم يتمكّن من أخذ الوحي بنفسه لعدم المناسبة، بل كان يحتاج إلى جبرئيل في صورة (٦٨) دحية الكلبي (٦٩) وغيره، لئلاّ يحصل

فلما أراد سبحانه وتعالىٰ وجود العالَم، وبدأه على حدّ ماعلمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الأرادة المقدّسة بضرب تجلّ من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكليّة، انفعل عنها حقيقة تسمّى الهباء...

ثمّ أنّه سبحانه تجلّى بنوره إلى الهباء...

فلم يكن أقرب إليه تعالىٰ قبولاً في ذلك الهباء إلاّ حقيقة محمّد ﷺ فكان سيّد العالم وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب عليه السلام إمام العالم وسرّ الأنبياء أجمعين. (وأسرار الأنبياء) ذكره في الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١١٦ وأنظر الطبع الحديث ج ٢ ص ٢٢٧ متناً وتعليقاً.

راجع أيضاً الجزء الأول من تفسير المحيط الأعظم ص مج وص ١٤٩ من المقدّمة وص ٢٦٧ تعليقنا الرقم ٤٦ وص ٤٤٦ تعليقنا الرقم ١١٦ وص ٥١٠ تعليقنا الرقم ١٥٩.

وان شئت الإطلاع في الهياء أكثر فراجع «مصباح الأنس» ص ٧٤ وص ١٦٤، وتفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٧٥ وتعليقنا فيه الرقم ١٧٨ وأيضاً ص ٤١٠ وص ٤١٢.

(٦٨) قوله: في صورة دحية كلبي.

روي المجلسي في بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٧ ح ٢٩ عن الأمالي للشيخ الطوسي بإسناده عن أبن عباس قال:

كان رسول الله ﷺ يغدو إليه علي عليه السلام في الغداة، وكان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فإذاً النبيّ ﷺ في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي،

فقال: «السلام عليك، كيف أصبح رسول الله ﷺ»؟
قال: «**بخير يا أخا رسول الله، فقال علي**ؑ: **جزاك الله عنّا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إنّي أحبّك، وإنّ لك عندي مديحة أُهديها إليك: أنت أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيّد ولد آدم (يوم القيامة) ماخلا النبيّين والمرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزّف أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه الى الجنان زّفاً، قد أفلح من ولاّك، وخاب وخسر من خلاّك، بحبّ محمّد**ﷺ **أحبّوك وببغضه ابغضوك، (محبّ محمّد**ﷺ **محبّك ومبغضه مبغضك) ولا تنالهم شفاعة محمّد**ﷺ **أُدن من (مني) صفوة الله، فأخذ رأس النبيّ**ﷺ **فوضعه في** حجره، فانتبه النبيّ ﷺ **فقال: «ماهذه الهمهمة»؟** فأخبره الحديث، فقال: «**لم يكن دحية (الكلبي) كان جبرئيل، سمّاك بإسم سمّاك الله به وهو الّذي ألقى محبّتك في قلوب المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين**».

وروى أيضاً قريب منه في بحار الانوار ج ٤٠ ص ١٦ ح ٣٣ وج ٣٩ ص ٩٦ ح ٨ عن كتاب «اليقين» للعلاّمة الحلّي بإسناده عن أمّ سلمة وأيضاً بإسناده عن ابن عباس.

وروى أيضاً في ج ٤٠ ص ١١ ح ٢٦ عن كتاب اليقين في إمرة أمير المؤمنين للعلامة الحلّي بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:
«**الجنة مشتاقة إلى أربعة مِن أمتي**»، فهبت أن أسأله مَن هم؟...

إلى أن قال: فأتيت عليّاًؑ... فدخلنا على النبيّ ﷺ ورأسه في حجر دحية الكلبّي، فلمّا رآه دحية قام إليه وسلّم عليه وقال: خذ برأس ابن عمّك ياأمير المؤمنين فأنت أحقّ به (منّي)، فاستيقظ النبّي ﷺ ورأسه في حجر عليؑ فقال له: «**ياأبا الحسن ماجئتنا إلاّ في حاجة**»، قال: بأبي وأمّي يارسول ﷺ دخلت ورأسك في حجر دحية الكلبيّ، فقام إليّ و سلّم عليّ وقال: خذ برأس ابن عمّك إليك فأنت أحقّ به منّي يا أمير المؤمنين! فقال له النبيّ ﷺ: **فهل عرفته؟** فقال: هو دحية الكلبّي، فقال له: «**ذاك جبرئيل**»، فقال له: بأبي وأمّي يارسول الله أعلمني أنس أنّك قلت: «**إنّ الجنّة مشتقاة**

إلى أربعة مِن أمّتي» فَمن هم؟ فأومأ إليه بيده فقال: «أنت والله أوّلهم، أنت والله أوّلهم أنت والله أوّلهمّ»، ثلاثاً. فقال له: بأبي وأمّي فمَن الثلاثة؟ فقال له: «المقداد وسلمان وأبو ذرّ».

وروي قريب منه الشيخ الطوسي في أماليه (المجلس الثالث عشر) ص ٣٩٥، وأيضاً روى قريب منه العياشي من تفسيره ج ٢ ص ٧٠ في سورة الأنفال الآيـة ٨١، وعـنه البحار ج ٤١ ص ١٧٢ ح ٩.

وروى (الكليني في الكافي ج ٢ ص ٥٨٧ ح ٢٥ عن كتاب الدعاء الباب ٢ بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ أبا ذر أتىٰ رسول الله ومعه جبرئيل في صورة دحية الكلبي». الحديث.

وعنه البحار ج ٢٢ ص ٤٠٠ ح ٩. وروى مثله الصدوق في «أمـاليه» ص ٢٨٣ ح ٣ المجلس الخامس والخمسون، وعنه البحار ج ٩٥ص ٣٥٤ح ٨.

(٦٩) قوله: دحية الكلبي

الرجل، إسمه دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي. وهو من أصـحاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله ومن رسله، أرسله مع رسالة إلى قيصر ملك روم، وكان جميلاً بل أجمل الناس وجها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتي رسول‌الله صلى الله عليه وآله على صورته أحياناً.

سلّم بعد بَدر وشهد المشاهد مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله وبقي إلى زمان معاوية، وشهد اليرموك ثمّ سكن دمشق بعد ذلك، وقيل: أسلم قبل البدر ولم يشهدها.

ومن كلامه أنّه قال: قدمتُ من الشام، فأهديت الى النبيّ صلى الله عليه وآله فاكهةً يابسةً من فستق، ولوز، ولعك. الحديث.

وقال: بعث رسول الله معيى بكـتاب إلى قـيصر، فـقمتُ بـالباب، فـقلت: أنـا رسـولُ رسولِ‌الله صلى الله عليه وآله ففزعوا لذلك فدخل عيه الآذن، فأُدخلتُ وأعطيته الكتاب، «من محمّد رسول الله، إلى قيصر صاحب الروم».

فإذا ابنُ أخ له، أحمر أزرق، قد نخر، ثمّ قال: لِمَ لمْ يكتب ويبدأ بك! لا تقرأ كتابه اليوم،

⬅ فقال لهم: أخرجوا.

فدعا الأسقف - وكانوا يصدرون عن رأيه - فلّما قُرئَ عليه الكتاب، قال: هو - والله - رسول الله الّذي بشّرنا به عيسىٰ وموسىٰ، قال: فأيّ شيء ترى؟ قال: أرى أن نتبعه، قال قيصر: وأنا أعلم ماتقول، ولكن لا استطيعُ أن أتبعه، يذهب ملكي ويقتلني الروم.

راجع: «سير أعلام النبلاء» ج ٤ ص ١٥٧و ١٥٨ و«تـهذيب الكـمال» ج ٨ ص ٤٧٣ و«الوثائق السياسية» ص ١١٢ و«سيرة ابن هشام» ج ٤ ص ٢٣٢ و«تاريخ الاسلام» للحافظ الذهبي، المجلد «المغازي» ص ٥٠١ وص ٤٢١ وص ٣٠٩.

وقال صاحب تفسير «كشف الأسرار» أبو اسماعيل عبدالله الأنـصاري فـيه ج ٣ ص ٥٠٠: «روي في بعض الأخبار أنّ دحية الكلبي كان كافراً من ملوك العرب، فلّما أراد أن يسلم، أوحى الله تعالىٰ إلى النبيّ ﷺ بعد ماكان صلّى الفجر: يامحمّد! إنّ الله يقرئك السلام ويقول: إن دحية الكلبي يدخل عليك الآن ويسلم، قال: فلّما دخل المسجد، رفع رسول‌الله ﷺ رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض بين يديه، قـال: يـادحية! هـاهنا، وأشار إلى رداءه، فبكى دحية من كرم رسول‌الله ﷺ، ورفع رداءه وقبّله و وضعه على رأسه و عينه، فقال: بأبي مَن له هذا الرّداء، ثمّ قال: يامحمّد! ماشرائط الإسلام أعرضها عليّ، فقال: **«أن تقول: لا إله إلاّ الله محمّد رسـول الله»** فـقال: يـارسول الله! إنـي ارتكبت الخطيئة وفاحشة كبيرة، فماذا كفارته؟ إن أمرتني أن أقتل نفسي قتلتها، وإن أمرتني أن أخرج من جميع مالي خرجت، فقال رسول‌الله ﷺ: **«وماذاك يـادحية»**! قال: كنت رجلاً من ملوك العرب وأستنكف أن يكون لبناتي ازواج، فقتلت سبعين من بناتي كلّهن بيدي، فتحيّر رسول‌الله ﷺ من ذلك حتّى نزل جبرئيل، فقال: يامحمّد! إنّ الله يقرئك السّلام ويقول: **«قل لدحية: وعزّتي وجلالي أنّك لمّا قلت: لا إله إلاّ الله غفرت لك كفر ستين سـنة، فكـيف لا أغـفر لك قـتلك بـناتك»**! قـال: فـبكىٰ رسول‌الله ﷺ وقال:

«إلهي غفرت لدحية قتل بناته بشـهادة واحـدة، فكـيف لا تـغفر للـمؤمنين ⬅

صغائرهم بشهادات كثيرة؟».

وروي بحار الانوار ج ٨٩ ص ١٩٥ ح ٣٩ نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ:

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً﴾ [الجمعة: ١١].

إن دحية الكلبّي جاء يوم الجمعة من الشام بالميرة، فنزل عند أحجار الزيت ثمّ ضرب بالطبول ليؤذّن الناس بقدومه، فتفرّق النّاس إليه إلاّ عليّ، والحسن، والحسين، وفاطمة، وسلمان وأبو ذرّ، والمقداد، وصهيب، وتركوا النبيّ ﷺ قائماً يخطب على المنبر، فقال النبيّ ﷺ:

«لقد نظر الله يوم الجمعة إلى مسجدي فلولا الفئة الّذين جلسوا في مسجدي لأضرمت المدينة على أهلها، وحصّبوا بالحجارة كقوم لوط، ونزل فيهم:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة﴾ [النور: ٣٧]».

وروى الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في تفسير سورة الجمعه، في الآية ١١:

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ [الجمعة: ١١].

وقال: قال الحسن وأبو ماك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبّي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلّما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبيّ ﷺ إلاّ رهط فنزلت الآية، فقال: **«والّذي نفسي بيده لو تتابعتم حتّى لا يبقىٰ أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً».**

وقال المقاتلان (يعني مقاتل بن سليمان ومقاتل بن قيام): بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، ثمّ أحد بني الخزرج، ثمّ أحد بني زيد بن مناة من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلاّ أتته، وكان يقدم إذا قدم لكل مايحتاج إلى من دقيق أو برّ أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثمّ يضرب بالطبل ليؤّن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس ليتباعوا معه، فقدم ذات جمعة، وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب،

له غيبة عن عالم الحسّ وانزعاج في النفس، ويتمكّن من الإبلاغ والرسالة والدعوة والإرشاد، وقد كان يحصل له غشيان في بعض الأوقات عند نزول الوحي فكان يقول لعايشة:

«كلّميني ياحميراء كلميني ياحميراء»[(٧٠)].

ليرجع من تلك العوالم إلى عالم الحسّ والشهادة، ويقوم بالأمر

فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلاّ اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال ﷺ:لوا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء، وأنزل الله هذه الآية.

راجع في هذا أيضاً تفسير «التبيان» ج ١٠ ص ٩ وتفسير الدّر المنثور ج ٨ ص ١٦٦، وفيه في نقل آخر: «فخرجوا من الجمعة، بعضهم يريد أن يشتري، وبعضهم يريد أن ينظر إلى دحية».

وراجع أيضاً تفسير «معالم التنزيل» ج ٥ ص ٣٨٤، وعوالي اللئالي ج ٢ ص ٥٧.

(٧٠) قوله: كلّميني ياحميراء.

الحميراء: يعني عايشة، أي لقبها. راجع «النهاية» لابن الأثير ج ٣ ص ٤٣٨ و«مهّذب الأسماء».

وأمّا في قول المنسوب إلى رسول الله ﷺ راجع احياء العلوم للغزالي ج ٣ ص ١٠١ وفيه: «كلميني ياعايشة»، وطبقات الشافعيّة ج ٤ ص ١٦٣ و«المحجة البيضاء» ج ٥ ص ١٧٩.

وقال مولانا جلال الدين محمد المولوي:

مصطفى آمد كه سازد همدمى	كلّميني ياحميرا كلّمي
أي حميرا اندر آتش نِه تو نعل	تاز نعل تو شود اين كوه لعل
اين حميرا لفظ تأنيث است وجان	نام تأنيثش نهند اين تازيان
ليک از تأنيث جان را باک نيست	روح را با مرد وزن اشراک نيست
از مؤنّث وزمذكّر برتر است	اين نه آن جانست كزخشک وتر است
اين نه آن جان است كافزايد ز نان	يا گهى باشد چنين گاهى چنان

الدفتر الأوّل في معنى حديث: **«أن لربكم في ايّام دهركم نفحات»**.

المأمور به من إبلاغ الرسالة، ويعضد ذلك حال موسى ﷺ حيث قال:

﴿وخرّ موسى صعقاً﴾ [الاعراف: ١٤٣].

لأنّ ذلك كان من اقتضاء البشريّة والطبيعة الحيوانيّة، وإلاّ كلّم الله موسىٰ تكليماً في حال التجرّد والمناسبة الحقيقيّة، شاهد عدل لأنّه في ذلك الوقت تكلّم مع الله تعالىٰ وماحصل له هذه الحالة حتّى قال تعالىٰ له:

﴿فاخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى﴾ [طه: ١٢].

وقال:

﴿إنّي أنا الله ربّ العالمين﴾ [القصص: ٣٠].

وقطّ ماتغيّر من حاله وكان يتكلّم حتىٰ قال في جواب كلام واحد كم من كلام وهو قوله تعالىٰ:

﴿وماتلك بيمينك ياموسى* قال هي عصاي أتوكّؤا عليها وأهشّ بها علىٰ غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ [طه: ١٧ - ١٨].

وكذلك نبيّنا ﷺ ليلة المعراج الّذي هو الانسلاخ عن عالم البشريّة حيث قال تعالىٰ:

﴿فأوحي إلى عبده ماأوحى﴾ [النجم: ١٠].

(شرف الانسان الكامل على الملائكة)

فان ذلك كان في حال التجرّد والمناسبة الذاتيّة من غير واسطة ملك أو جبرئيل، وورد أنّه أوحى إليه تعالىٰ[٧١] ثلاثين ألف خبر أو أكثر في

---

(٧١) قوله: ورد أنّه أوحى إليه تعالى..

نقول: تدلّ عليه غير واحد من الآيات والروايات التالية وغيرها:

قوله تعالىٰ:

﴿فأوحى إلى عبده ماأوحى*ماكذب الفؤاد مارأى﴾ [النجم: ١٠ – ١١].

وقوله تعالىٰ:

﴿مازاغ البصر وماطغى* لقد رأىٰ من إيات ربّه الكبرىٰ﴾ [النجم: ١٧ – ١٨].

وأما من الروايات:

روى الصدوق في كتابه «علل الشرايع» باب ١١٢ علة المعراج ص ١٣١ الحديث ١ بإسناده عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان. فقال: **«تعالىٰ عن ذلك»**، قلت فَلِما أسرى بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى السماء ؟قال: **«ليريه ملكوت السماوات ومافيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه»**.

قلت: فقول الله عز وجلّ:

﴿ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [النجم: ٩ – ٨].

قال: «ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور، فرأى ملكوت السماوات، ثمّ تدلّىٰ صلى الله عليه وآله فنظر تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى».

وروى أيضاً في نفس المصدر ص ١٣٢ الحديث ٢ وفي كتابه «التوحيد» باب نفي الزمان والمكان عن الله عزّ وجلّ ص ١٧٥ الحديث ٥ بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:

لأي علّة عرج الله بنّبيه صلى الله عليه وآله إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهىٰ، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان؟ فقال عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالىٰ لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان، ولكنّه عزّ وجلّ اراد أن يُشرف به ملائكته وسُكّان سماواته، ويُكرمهم بمشاهَدَته، ويُريه مِن

ساعة واحدة أو أقل وفي هذا المقام قال جبرئيل:
«لو دنوت أنملة لاحترقت»(٧٢).

عجائب عظمته مايُخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على مايقول المشبّهون، سبحان الله وتعالى عمّا يصفون، (عمّا يشركون)».
وعنهما «بحار الأنوار» ج ١٨ ص ٣٤٨ الحديث ٥٧ و٥٩.

(٧٢) قوله: قال جبرئيل: لو دنوت انملة...
روى ابن شهر آشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج ١ ص ١٧٩، المتوفى ٥٥٨ هـ ق عن ابن عباس في حديث في المعراج:
﴿فلّما بلغ الىٰ سدرة المنتهى﴾ فانتهى إلى الحجب، فقال جبرئيل: «تقدّم يارسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان، ولو دنوت أنملة لاحترقت».
وعنه البحار ج ١٨ ص ٣٨٢.
روى الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٤٢ باب مولد النبيّ ص ١ ح ١٢ بإسناده عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام قال:
«لمّا عرج برسول الله صلى الله عليه وآله انتهى به جبرئيل إلى مكان فخلّى عنه، فقال له: «ياجبرئيل تخليني على هذه الحالة»؟ فقال: امضه، فوالله لقد وطئت مكاناً ماوطئه بشر ومامشىٰ فيه بشر قبلك».
أقول: ليس المراد من المكان، المكان الماديّ، بل المراد منه المقام الرُّتبيّ والمرتبة الوجوديّة، كما قال تعالىٰ:
﴿ومامنّا إلاّ له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤].
وهذا يعني لكل من الخلق ومنه الملائكة، قدر خاصّ من الوجود وهو رتبته منه، ومرتبة وجود جبرئيل عليه السلام ذاك المقدار وليس أكثر ولا أشدّ منه، ومستحيل ان يتجاوز عن ذلك المقام، وتجاوزه عنه أي التجاوز عن رتبته، وهذا يعني عدمه وليس هو بعد ذلك التجاوز هو هو، بل لو كان يكون موجوداً آخر، وهذا معنى توقيفيّة كلّ إسم وكلّ شيء موجود في العالم، وهذا بمعنى أنّ مرتبة كل موجود هي نفسه وذاته، وبما ذكرنا

وهذا أيضاً يدل على شرف الإنسان وفضيلته على المَلَك وغيره، هذامن طرفهم، وأمّا من طرف الحقّ فيكفي فيه قوله:

﴿فإذا سويته ونفخت من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩].

لأنّ هذا القول دالّ على شيئين: **الأوّل**، المناسبة بينه وبين عبده،

يعلم معنى الإحتراق أيضاً ولا تغفل.

ومقام رسول الخاتم ﷺ أنّه ﷺ «عبده» أي عبد الذات والهويّة المطلقة كما قال تعالىٰ:

﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده﴾ [الإسراء: ١].

وقال سبحانه وتعالىٰ على ماورد في الحديث التالي:

«يامحمّد أنت عبدي وأنا ربّك».

وهذا هو كمال الإنسان والغاية من خلقه، يعني الهدف من خلق الإنسان والهدف من العمل بالدين هو أن يكون الانسان عبداً وسلماً له سبحانه وتعالىٰ.

وروى الصدوق في «العلل» باب ٧ الحديث ١ ص ٥ وفي «عيون» باب ٢٦ الحديث ٢٢ ص ٢٦٢ بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن الامام الرضا عليه السلام عن آباءه، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل في المعراج قال:

«إنّه لمّا عُرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنىٰ مثنىٰ، وأقام مثنىٰ مثنىٰ، ثمّ قال لي: تقدّم يامحمّد، فقلت له: ياجبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّة، فتقدّمت فصلّيت بهم ولا فخر، فلّما انتهيتُ إلى حُجُب النور، قال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد، وتخلّف عنّي، فقلت: ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يامحمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزتُه احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فزج بي في النور زجة، (فزخَّ بي النور زخّة)، (فرجّ بي النور رجّة) حتّى انتهيت إلى حيث ماشاء الله من علوّ ملكه، فنوديت: يامحمّد، فقلت: لبيك ربّي وسعديك تباركتَ وتعاليت، فنوديت: يامحمّد أنت عبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد». الحديث.

عنهما البحار ج ١٨ ص ٣٤٦ الحديث ٥٦.

والثاني، على شرف الإنسان وفضيلته على المَلَك، وقد ورد في اصطلاحهم أيضاً مايؤكّد ذلك وهو قولهم:

المناسبة الذاتيّة بين الحق وعبيده من وجهين: إمّا أن لا تؤثّر أحكام تعيّن العبد وصفات كثرته في أحكام وجوب الحقّ ووحدته، بل تتأثّر منها وتتصبغ ظلمة كثرته بنور وحدته، وإمّا بأن يتّصف العبد بصفات الحقّ ويتحقّق بأسمائه كلّها.

فإن اتّفق الأمران فذلك العبد هو الكامل المقصود بعينه، وإن اتّفق الأمر الأوّل بدون الثّاني فهو المحبوب المقرّب، وحصول الثّاني بدون الأوّل محال، وفي كلا الأمرين مراتب كثيرة:

أمّا في الأمر الأوّل فبحسب (فيجب) شدّة غلبة نور الوحدة على الكثرة وضعفها وقوّة استيلاء أحكام الوجوب على أحكام الإمكان وضعفه.

وأمّا في الأمر الثاني، فبحسب (فيجب) استيعاب تحقّقه بالأسماء كلّها وعدمه بالتّحقّق ببعضها دون البعض، وههنا أبحاث كثيرة بالنسبة إلى أرباب الظّاهر من المعتزلة والأشاعرة وأرباب التّوحيد من المتقدّمين والمتأخّرين، وليس هذا موضع تلك الأبحاث فاطلب في مظانّها.

(بيان وجه المناسبة الموجبة للمحبة بين الحق والخلق نقلاً)

وامّا الوجه الثاني الّذي هو من حيث النقل فلقوله تعالى:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤].

ولقوله في الحديث القدسي:[٧٣]

«ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي، وإنّي لأشدّ شوقاً إليهم»

ولقوله فيه:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»[٧٤].

لأنّ هذه كلّها تشهد بالمحبّة من طرف الحقّ أوّلاً، ثمّ من طرف العبد آخراً.

المحبّة كما تقرّر لا تكون إلاّ بعد حصول المناسبة والمؤانسة، وقول نبيّنا ﷺ:

(إخبار الإنسان الكامل من عالم الواحدة الصرفة)

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[٧٥].

إشارة إلى هذا، لأنّه من عالم الوحدة الصرفة، ومقام رفع البشريّة بالكلّيّة الّتي هي الإتصاف بالصفات الآلهيّة، والتخلّق بالأخلاق الرّبانيّة، ومعلوم أنّ هذا لا يكون إلاّ بعد فناء أوصاف العبد في أوصاف الربّ وفناء

---

(٧٣) قوله: في الحديث القدسي: ألا طال شوق الأبرار. الحديث.

ذكرنا مع الاحاديث الأخرى من الأدعية وغيرها في الجزء الأوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٦٥ التعليق الرقم ٤٤ فراجع.

(٧٤) قوله: كنت كنزاً مخفياً.

ذكرناه في التعليق الرقم ٦٠ من هذا الجزء وأيضاً في الجزء الأوّل ص ٣٢٤ التعليق ٧٧، والجزء الثاني ص ٣٥٦ التعليق ١٥٧ فراجع.

(٧٥) قوله: لي مع الله وقت. الحديث.

قد مرّت الإشارة إليه في تعليقنا الرقم ٦٧ و٣٨ فراجع.

وجوده في وجوده كفناء القطرة في البحر، وفناء الجليلد في الماء وإن لم تفهم هذه الإشارات في صورة هذه المناسبات.

(بيان مايحصل للانسان بفناءه في الحقّ سبحانه)

نضرب لك مثلاً تفهم منه مطلوبك من غير شكّ، وذلك المثل وهو أن تعرف النار مثلا نوراني مضيء شفّاف يحصل منه الطبخ والنضج والإضائة وغير ذلك، والفحم أو الحطب ظلماني مظلم كدر مايحصل منه هذه الفوائد، وبل في طبعه البرودة والغِلَظ واليبوسة وغير ذلك لكن إذا حصل له مجاورة النار تدريجاً أو دفعياً واتصف به صار ناراً، وصدق عليه أنّه نورانّي مضيء شفاف، ويحصل منه كلّ مايحصل من النار من الطبخ والنضج والإضائة وغير ذلك من الأوصاف، ومن هذا قال النبيّ ﷺ:

«من رآني فقد رأىٰ الحقّ»[٧٦].

وقال غيره:

«سبحان ماأعظم شأني»[٧٧].

وقال غيره:

«أنا الحقّ»[٧٨].

---

(٧٦) قوله: من رآني فقد رأى الحقّ.

ذكرنا في تعليقنا الرقم ٣٥ قدّ مرّ فراجع.

(٧٧) قوله: سبحانه ماأعظم شأني.

قاله أبي يزيد، راجع تعليقنا الرقم ٣٦.

(٧٨) قوله: أنا الحقّ.

وقال:

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا»(٧٩).

﴿وتلك الأمثال نضربهاللنّاس ومايعقلها إلا العاملون﴾ [العنكبوت: ٤٣].

هذا بالنسبة الحاصلة بين الأنبياء والحقّ تعالىٰ جلّ ذكره.

(المناسبة الحاصلة بين الأنبياء والخلق)

وأمّا بالنسبة المناسبة الحاصلة بينهم وبين الخلق فتلك أيضاً بوجهين:

الأوّل العقل، والثاني النقل:

امّا العقل، فالّذى تقدّم ذكره من حيث الإمكان والحدوث والبشريّة والخلقيّة، فإنّ الناس وبل الموجودات كلّها من هذه الحيثيّة سواء، لأنّ الموجودات منحصرة في الممكن والواجب، والواجب واحد بالإتّفاق فلم يبق إلاّ الممكن والممكنات من حيث ذواتهم وماهيّاتهم متساوية كما هو معلوم عند أهله.

وأمّا النقل،

فلقوله تعالىٰ:

قاله الحلاجّ، قد مرّت الاشارة اليه في تعليقنا الرقم ٣٦.

(٧٩) قوله: أنا من أهوىٰ.

قاله الحسين المنصور الحلاج وتمامه هكذا:

أنا من أهوىٰ، ومن أهوىٰ أنا ... نحن روحان حَلَلْنا بدناً

فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

راجع شرح الفصوص للقيصري فصّ شيثيّة.

﴿إنّما أنا بشر مثلكم يوحي اليّ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولقوله:

﴿مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ [الفرقان: ٧].

فإنّ ذلك كلّه يدل على بشريّته، ومناسبته للخلق في أوصافهم البشريّة وأخلاقهم الطبيعيّة.

اذا عرفت المناسبة الّتي بينهم وبين الحقّ، والمناسبة الّتي بينهم وبين الخلق.

فاعلم، أنّ بينهم وبين الملك أيضاً مناسبة، وكذلك بين الله وبين الملك.

(المناسبة بين الأنبياء والملائكة)

وأمّا المناسبة الّتي بينهم وبين الملك فلقوله تعالىٰ على العموم:

﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة﴾ [فصّلت: ٣٠].

وعلى الخصوص:

﴿علّمه شديد القوىٰ ذو مرّة فاستوى﴾ [النجم: ٥].

وكذلك:

﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ٤].

(المناسبة الحاصلة بين الحق سبحانه والملائكة)

وأمّا المناسبة الّتي بين الله وبين المَلَك فلتقديسهم وتنزيههم عن نقائص البشرية وخسايس الجسمانية ودنس الطبيعة الحيوانيّة، ولقوله

تعالىٰ فيهم:

﴿نحن نسبح بحمدك ونقدّس لك﴾ [البقرة: ٣٠].

لأنّ هذا كلام صادر من إقتضاء ذواتهم، ومقتضى مقاماتهم لقولهم:

﴿ومامنّا إلاّ وله مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤].

وذلك المقام ليس إلاّ مقام التقديس والتنزيه والتسبيح، ويدلّ على ذلك كلّه تعليم الله لهم في قوله:

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ماعلّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة:٣٢].

لأنّ التعليم لا يتيسّر إلاّ بالمناسبة بين المعلّم والمتعلم كما قال تعالىٰ لآدمعليه السلام حيث يشاهد فيه المناسبة العلميّة بينه وبينهم وهو قوله:

﴿قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنيّ أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾ [البقرة: ٣٣].

وإذا عرفت هذا فقس عليه حال الأولياء والأوصياء وأمثالهم فإنّهم يأخذون منه العلوم والحقايق من غير واسطة أحد لقوله تعالىٰ فيهم:

﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدّنا علماً﴾ [الكهف: ٦٥].

ولقوله في الإنسان:

﴿أقرء وربّك الأكرم* الّذي علّم بالقلم * علم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق:٣-٥].

ولقوله فيهم:

﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: ١ - ٣].

وأمثال ذلك كثيرة في هذا الباب، والله أعلم وأحكم، هذا بالنسبة إلى السؤال الأوّل.

(في وجه زيادة تكليف الانبياء والأولياء بالنسبة الى غيرهم)

امّا السؤال الثاني، فهو أنّهم لِمَ صاروا مكلّفين بتكليف زيادة مع عظمة قدرهم وجلالة شأنهم، فجواب ذلك من وجهين أيضاً:

الأوّل باستعدادهم الحاصل لهم في الأزل من غير سبب سابق وعمل لاحق كما بيّناه في المقدّمات السابقة بحكم قوله تعالىٰ:

﴿**انالذين سبقتلهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾ [الأنبياء:١٠١].

وقوله:

﴿**هذاعطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾ [ص: ٣٩].

وقوله:

﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ [الحديد: ٢١].

وأمّا الثاني، فلزيادة مجاهدتهم وسعيهم ورياضاتهم في طاعة الله وتحصيل مرضاته، لقوله تعالىٰ:

﴿**ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضات الله فسوف يؤتيه أجراً عظيماً**﴾ [النساء: ١١٤].

أمّا نبيّنا ﷺ فرياضته ومجاهدته بعد الجهاد والحرب مع الكفّار وحمل إيذائهم لقوله:

«ماأوذي نبيّ بمثل ماأوذيت»(٨٠).

معلومة مشهورة، خصوصاً ماورد في القرآن من قوله تعالىٰ:

﴿طه※ ماأنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾ [طه: ١ – ٢].

وماروى عن عايشة:

أنّه قام في الليل للصلوة والتهجد حتّى تورّمت قدماه، فقالت: يارسول الله ماورد فيك:

﴿ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر﴾ [الفتح: ٢].

---

(٨٠) قوله: ماأوذي نبي. الحديث.

أخرجه السيوطي في الجامع الصغير مرّة:

«ماأوذي أحدٌ ماأوذيتُ» [الرقم: ٧٨٥٢].

وأخرىٰ:

«ماأوذِيَ أحدٌ ماأوذيتُ في الله» [الرقم: ٧٨٥٣].

ورواه أيضاً بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٥٦ نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب. وروى في «مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة» المنسوب الى أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، الباب التسعون في البلاء:

قال الصادق عليه السلام:

«البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل، لأنّ في مباشرته، والصبر عليه، والثّبات عنده تصحيح نسبة الإيمان».

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «نحن معاشر الأنبياء أشدّ الناس بلاءً، والمؤمنون الأمثل فالأمثل». الحديث، عنه بحار الانوار ج ٦٧ ص ٢٣١ حديث ٤٧.

وأخرج السيوطي أيضاً في جامع الصغير الرقم ١٠٥٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثمّ الأمثل فالأمثل».

وراجع تفسير القرآن اكريم لصدر المتألهين الشيرازي ج ١ ص ١٥٣ الى ١٥١.

فقال لها:

«أفلا أكون عبداً شكوراً»(٨١).

---

(٨١) قوله: أفلا أكون عبداً شكوراً.

روي الكليني في الكافي ج ٢ باب الشكر ص ٩٥ الحديث ٦ بإسناده عن الباقر عليه السلام قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وما تاخّر؟ فقال: ياعايشة ألا أكون عبداً شكورا.الحديث.

وعنه البحار ج ١٦ ص ٢٩٤ الحديث ٥٩.

وأخرج البخاري ـ قريب منه في الصدر ومثله في الذّيل ـ في صحيحه كتاب التفسير سورة الفتح، الحديث ١٢٦٣.

وروى المجلسي في البحار ج ١٦ ص ٢٨٧ الحديث ١٤٣ نقلاً عن أمالي الشيخ، والشيخ روى بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«قال علي بن الحسين عليهما السلام: إن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ماتقدّم من ذنبه وماتأخّر، فلم يدع الإجتهاد له، وتعبّد بأبي هو وأمّي حتّى انتفخ الساق، وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً».

أيضاً فيه ص ٢٢٢ الحديث ٢٠ عن أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٨، المجلس الرابع عشر بإسناده عن بكر بن عبدالله قال:

أنّ عمر بن الخطّاب دخل على النبي صلى الله عليه وآله وهو موقوذ - أو قال: محموم - فقال له عمر: يارسول الله ماأشدّ وعكك أو حماك؟ فقال:

مامنعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهنّ السبع الطول، فقال عمر: يارسول الله غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر وأنت تجتهد هذا الإجتهاد؟ فقال: ياعمر! افلا أكون عبداً شكوراً؟

وروي أبن شهر آشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج ٣ ص ١٤٨ وأيضاً

وأمّا باقي الأنبياء عليهم السلام فرياضتهم ومجاهدتهم معلومة من كتبهم وصحفهم مفصّلاً، وعلى الإجمال من القرآن، وذلك لا يخفىٰ على أحد من العلماء، ونعم الشاهد القرآن، ونعم الدليل البرهان، وكفىٰ بالله شهيداً وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

وهاهنا أبحاث كثيرة نختصر منها على هذا، ونشرع في القاعدة الثانية وتعيين كمال كلّ موجود وسيره وسلوكه صورة ومعنىً بحسب هذا المقام وهي هذه وبالله التوفيق.

المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٦٠ نقلاً عن أمالي الشيخ بإسناده عن عمرو بن عبدالله بن هند عن الباقر عليه السلام قال: (والحديث طويل فراجع) فلّما دخل (يعني جابر بن عبدالله الانصاري) عليه (يعني الإمام السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام) وحده في محرابه قد أنصبته (أنضته) العبادة، فنهض عليّ عليه السلام فسأله عن حاله سؤلاً حفيّاً (خفيّاً) ثمّ أجلسه بجنبه، فأقبل جابر عليه يقول: ياأبن رسول الله أما علمت أنّ الله خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم؟ وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم؟ فما هذا الجهد الّذي كلّفته نفسك؟ قال له عليّ بن الحسين عليهما السلام: ياصاحب رسول الله أما علمت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ماتقدّم من ذنبه وماتأخّر، فلم يدع الإجتهاد وتعبّد، بأبي هو وأميّ، حتىٰ انتفخ الساق وورم القدم وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ٤٨٠ سورة الفتح الحديث ١٢٦٢ ص ٥١٠ ج ٦، وأيضاً ابن جنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٥١ باسنادهما عن المغيرة بن شعبة، قال: قام النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى تورّمت قدماه فقيل له غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وماتأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأصل الثّاني

في تعيين كمال كلّ موجود من الموجودات الروحانيّة والجسمانية صورةً ومعنىً

(كلّ موجود سائر إلى الله سبحانه ويسبّح له)

إعلم أنّ السير والسلوك وطلب الكمال ليس مخصوصاً بالإنسان فقط بل جميع الموجودات والمخلوقات علويّة كانت أو سفليّة، فإنّها في السير والسلوك وطلب الكمال، وله توجّه إلى مطلوبه ومقصوده، ويشهد بذلك النقل والعقل، أمّا النقل وكقوله تعالىٰ:

﴿ومامن دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربّهم يحشرون﴾ [الأنعام: ٣٨].

وكقوله:

﴿ألم تر أنّ الله يسجد له من في السمّوات ومن في الأرض والشمس

والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ وكثير من الناس﴾ [الحجّ: ١٨].

وكقوله:

﴿كلّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ [النور: ٤١].

وكقوله:

﴿وان من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذه الأقوال الأربعة دلالات قاطعة على أنّ الكلّ مكلّفين ومأمورين بحسب قابليّتهم وأستعدادهم. لأنّ القول الأوّل يشمل الأرض وأهلها، والقول الثاني يشمل السّماوات والأرض ومابينهما، والقول الثالث يشمل الكلّ على التعيين، والقول الرابع يشمل الكلّ على الإطلاق.

فيعلم من هذا أنّ الكلّ متوجّهون إلى الله تعالىٰ، سائرون إليه، طالبون معرفته وعبادته، لأنّ السّجدة والصّلاة هاهنا بمعنىٰ العبوديّة والمعرفة، لا بمعنىٰ السّجدة المتعارفة في الشّرع، وكذلك التسبيح لأنّ تسبيحهم وصلاتهم لو كان من قسم صلاة الإنسان وتسبيحهم لعرفوها وفهموها لكن لمّا لم يعرفوها بشهادة الله لهم في قوله:

﴿لكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤].

عرفنا أنّها ليست من تلك الأقسام، فحينئذ صلاة كلّ موجود وسجدته وتسبيحه يكون مناسباً لحاله. وعند التحقيق تسبيح كلّ موجود غير الإنسان هو الّذي هو عليه من الأوضاع والأفعال والأخلاق والأحوال، لقوله تعالىٰ:

﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤].

(حقيقة الصلاة والذكر والتسبيح)

وكذلك صلاته وسجدته، والمراد من الكلّ واحد وهو معرفة الله أو عبادته لقوله فيهما: أمّا المعرفة فلقوله:

«كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»[٨٢]

وأمّا العبادة، فلقوله:

﴿وماخلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومثال ذلك مثال روح الإنسان وبدنه وأعضاؤه وقواه فإنّ الكلّ ساجدون له منقادون لأمره مطيعون لأحكامه وهذا هو الصّلاة الحقيقيّة والسّجدة المعنويّة والتسبيح والذّكر المعنويان وغير ذلك.

(أنّ العالم بدن للانسان الكبير)

(الإنسان الكامل والروح الكلي الإنساني خليفة الله في العالم كما هو مظهره سبحانه)

والمراد من هذا المثال أنّ نسبة جميع العالم بالنسبة إلى روح الإنسان، هذا هو بعينه، لأنّ العالم بأسره بدن الإنسان الكبير، وجميع مافي ضمنه وما اشتمل عليه بمثابة أعضائه وجوارحه وقواه كما سبق ذكره في المقدّمات.

---

(٨٢) قوله: كنت كنزاً مخفياً

قد أشرنا اليه في التعليق الرقم ٦٠ و ٧٤ فراجع.

فتسبيح الكلّ وصلاتهم وسجدتهم بالنسبة إليه يكون مطاوعتهم فيما ينهاهم ويأمرهم، وتسبيح هذين المظهرين وسجدتهما هو تسبيح الحقّ وسجدته في الحقيقة، لأنّ الروح الجزئي الإنساني كما هو خليفة الله في البدن، فالروح الكلّي الإنساني خليفة الله في العالم وليس مظهره الحقيقي أيضاً إلاّ الإنسان الّذي هو خليفة الله فيكون السجدة والتسبيح لهما حقيقةً، السجدة والتسبيح لله، لقوله تعالى:

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠].

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت:٤٣].

ومن هذا ورد في الشكر الحقيقي من بعض الأئمّة:

«إنّه صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله»(٨٣).

---

(٨٣) قوله: إنّه صرف كلّ عضو فيما خلق لأجله.

روى الصدوق في «الخصال» ج ١ ص ١٤ الحديث ٥٠ بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وشكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله عزّ وجلّ».

ورواه أيضاً في معاني الأخبار ص ٢٥١ وعنه البحار ج ٧٠ ص ٣١٠ الحديث ٣ وروى الكليني في الكافي ج ٢ ص ٩٥ الحديث ١٠ بإسناده عن الصادق عليه السلام قال:

«شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرّجل: الحمد لله ربّ العالمين».

روى ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٤ ص ١٨٠ عن الباقر عليه السلام قال:

«إنّ الله تعالىٰ أعطىٰ المؤمن البدن الصحيح، واللّسان الفصيح، والقلب الصريح، وكلّف كلّ عضو منها طاعة لذاته ولنبيه ولخلفائه. فمن البدن الخدمة له ولهم، ومن اللسان الشهادة به وبهم، ومن القلب الطمأنينة بذكره وبذكرهم، فمن شهد باللّسان واطمأنّ بالجنان، وخدم بالأركان أنزله الله الجنان». عنه

←

(لا يقع شيء في الوجود ويكون خلاف علم الله سبحانه وتعالىٰ)

وقيل: «إنّ كلّ موجود من الموجودات العلويّة والسفليّة بالنسبة إلى الإنسان الكبير، هو في الّذي خلق لأجله إلاّ الإنسان».

يعني ليس هناك موجود يخالفه في أمره ونهيه وطاعته وعبادته إلاّ الإنسان، فإنّه في حالة المخالفة لله تعالىٰ ليس في أمره وطاعته كأنفسنا في بعض الأوقات بالنسبة إلى روحنا وعقلنا وان كانت تلك المخالفة

➲ البحار ج٦٧ ص٣٣ الحديث ٣٣.

في البحار ٦١ ص٢٤٦: قال النيسابوري (في تفسير الآية: «**لعلكم تشكرون**» النحل ٨٠):

«**أن تصرفوا كلّ آلة في ماخلق لأجله**».

قال المراغي في تفسير الآية المذكورة ج ١٤ ص ١١٨:

«**لعلكم تشكرون**» «أي رجاء أن تشكروه باستعمال نعمه فيما خلقت لأجله، وتتمكنوا بها من عبادته تعالىٰ، وتستعينوا بكل جارحة وعضو على طاعته».

قال العلاّمة الطباطبائي في «الميزان» ج ٤ ص ٣٨:

«وحقيقة الشكر إظهار النعمة، كما أن الكفر الّذي يقابله هو إخفاؤها والستر عليها، وإظهار النعمة هو استعمالها في محلها الّذي أراده منعمها، وذكر المنعم بها لساناً وهو الثناء، وقلباً من غير نسيان، فشكره تعالىٰ على نعمة من نعمه أن يذكر عند استعمالها، ويوضع النعمة في الموضع الّذي أراده منها ولا يتعدى ذلك، وإن من شيء إلاّ وهو نعمة من نعمه تعالىٰ، ولا يريد بنعمة من نعمه إلاّ أن تستعمل في سبيل عبادته، قال تعالىٰ:

﴿**وآتاكم من كلّ ماسألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾ [أبراهيم: ٣٤].

فشكره على نعمته أن يطاع فيها ويذكر مقام ربوبيّته عندها.

أيضاً عين الموافقة في الحقيقة، لأنّ كلّ مخالفة فرض في العالم من حيث الأوامر الشرعيّة ونواهيها، فهو موافق لعلم الله به أزل الآزال وأبد الآباد، لوجوب تطابق العلم المعلوم أيّ معلوم كان، كما قال بعض العارفين في هذا المعنىٰ: «من خالف الله في أمره لم يخالفه، ومن خالفه في مراده منه وافقه في مراده به، وإلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه بالنسبة الى آدم عليه السلام أو ذرّيته في قوله:

«وأسكنه جنته وأرغد فيها أُكُله، و أوْعَزَ إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أنّ في الإقدام عليه التعرّض لمعصيته، والمخاطرة بمنزلته، فأقدم على مانهاه عنه موافاةً لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله»

[نهج البلاغة: صبحي الخطبة ٩١ وفيض: ٩٠].

ويدلّ على هذا أيضاً قوله في موضع آخر:

«إعلموا علماً يقيناً أنّ الله لم يجعل للعبد – وإن عظمت حيلته، واشتدّت طلبته، وقويت مكيدته – أكثر ممّا سمّى له في الذكر الحكيم، ولم يَحُل بين العبد في ضعفه وقلّة حيلته، وبين أن يبلغ ماسُمّي له في الذكر الحكيم، والعارف لهذا، العامل به، أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له الشاك فيه أعظمُ الناس شغلا في مضرّة، وربّ منعم عليه مستدرَج بالنُّعمىٰ، وربّ مبتلىً مصنوع له بالبلوى، فزد أيّها المستمع (المستنفع) في شكرك، وقصّر من عجلتك، وقِف عند منتهىٰ رزقك»

[نهج البلاغة: الحكمة رقم ٢٧٣].

وكذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله:

«جفّ القلم بما هو كائن»[٨٤].

---

(٨٤) قوله: جفّ القلم بما هو كائن.

وقوله:

«كلّ ميسر لما خلق له»(٨٥).

وكذلك قوله تعالىٰ:

﴿كلّ شيء فعلوه في الزبر﴾ [القمر: ٥٢].

وقوله:

﴿ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩].

وليس مرادنا بهذا إثبات مسألة الجبر، ولا إثبات قول من قال: إنّ كلّ ماعلم الله تعالىٰ وقوعه يجب وقوعه، وكلّ ماعلم الله تعالىٰ بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، بل مرادنا أنّه لا يقع شيء في الوجود خلاف علم الله تعالىٰ موافقاً كان ذلك الشيء أو مخالفاً، وهذا شمّة من بحر سرّ القدر المنهيّ «عن كشف» أسراره، وإن سبق من سرّ القدر أكثر من ذلك في المقدّمات، ولهذا مولانا أمير المؤمنين ﷺ ماشرع في جواب سرّ القدر إذا سئل، وبل منعهم عن ذلك، وهو قوله:

«ألا إنّ القدر سّر مِن سرّ(٨٦) الله عزّ وجلّ، وستر مِن ستر الله، وحرزِ

⬅ ذكرناه الى مصاره تفصيلاً في الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٣٩ وص ٤٤٤، تعليقنا الرقم ٩٧ و ٢٣١ فراجع.

(٨٥) قوله: كل ميسر لما خلق له.

راجع في مصادره الجزء الاوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٣٠٤ تعليقنا فيه الرقم ٦٤، وقد مرّ أيضاً ذكره في التعليق الرقم ١٦ من هذا الجزء.

(٨٦) قوله: ألا إنّ القدر سرّ. الحديث.

رواه الصدوق في كتابه «التوحيد» باب القضاء والقدر ص ٣٨٣ الحديث ٣٢ بإسناده ⬅

عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه آلاف التحيّة والسلام.

وعن أمير المؤمنين أيضاً في نهج البلاغة،الحكمة الرقم ٢٨٧:

وسُئل عن القدر، فقال: «**طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلّفوه**».

وروي ابن أبي جمهور الأحسائي في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠٨ الحديث ١٦١، فقال: وروي عن عليّ عليه السلام وقد سئل عن القدر؟

فقال: «**سرّ عظيم فلا تكشفه**».

واخرج السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٩٥ الرقم ٦١٥، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إذا ذكر القدر فامسكوا**».

وروي الصدوق في «التوحيد» باب التوحيد ونفي التشبيه الحديث ٩ ص ٤٧ بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

«**الخلق إلى ماعَلِمَ (الربّ) منقادون، وعلى ماسَطَرَ في المكنون من كتابه ماضون، ولا يعملون خلاف ماعلم منهم، ولا غيره يريدون**». الحديث.عنه البحار ج ٣ ص ٢٩٧.

وروي المجلسي في البحار ج ٥ ص ١٢٣ باب القضاء والقدر الحديث ٧٠ عن «فقه الرضا»:

«**سُئِلَ أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر فقيل له: أنبئنا عن القدر ياأمير المؤمنين، فقال: «سرّ الله فلا تفتّشوه»**».

فقيل له الثاني: أنبئنا عن القدر ياأمير المؤمنين، قال:

«**بحر عميق فلا تلحقوه**». فقيل له: أنبئنا عن القدر، فقال:

مايفتح الله للنّاس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له» [فاطر: ٢].

ورویٰ الصدوق في «التوحيد» باب القضاء والقدر الحديث ٣ ص ٣٦٥ بإسناده عن عبد الملك بن عنترة الشيباني، عن أبيه، عن جدّه، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«ياأمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال ﷺ: طريقٌ مظلم فلا تسلكه، قال: ياأمير المؤمنين أخبرني عن القدر، قال ﷺ: سرّ الله فلا تكلّفه (فلا تتكلّفه)، قال: ياأمير المؤمنين أخبرني عن القدر، فقال أمير المؤمنين ﷺ: أمّا إذا أبيت فإنّي سائلك أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟ قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد، فقال أمير المؤمنين ﷺ: قوموا فسلّموا على أخيكم فقد أسلم وقد كان كافراً، قال: وأنطلق الرجل غير بعيد، ثمّ أنصرف إليه فقال له: ياأمير المؤمنين أبا المشيئة الأولىٰ تقوم ونقعد، ونقبض ونبسط؟ فقال لها أمير المؤمنين ﷺ: وإنّك لبعدُ (لبعيد) في المشيئة، أما إنّي سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟ فقال: كما شاء، قال ﷺ: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا؟ فقال: لما شاء،، قال ﷺ: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟ قال: يأتونه كما شاء، قال ﷺ: قم فليس إليك من المشيئة شيء». عنه البحار ج ٥ باب القضاء والقدر الحديث ٣٥ ص ١١٠.

أقول هناك في «البحار» للعلاّمة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان تعليق على كلام المجلسي ذيل الحديث، نذكر مابيّنه العلامة هنا مزيداً للفائدة ونذكر أيضاً بعده كلام من صدر المتألهين الشيرازي.

واما كلام العلامة هكذا:

«كل واحد من آحاد الخلق محدود بحدود يتعيّن بها في وجوده كالطول والعرض واللون وسائر الأوصاف والروابط الّتي يرتبط بغيره بواسطتها ككون الإنسان ابن فلان وأخا فلان وأبا فلان وفي زمان كذا ومكان كذا وهكذا.

وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده سائر مايتعلق بوجوده، وأنّها هي الّتي يتقدّر بها الشيء، غير أنّ كلاًّ من الأسباب أيضاً يتقدّر بما يتقدّمه من المقدّرات، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه فعنده تعالىٰ حقيقة

⮌ مايتقدّر به كلّ شيء ويتحدّد به كلّ أمر.

والأشياء إنّما ترتبط به تعالىٰ من جهة صفاته الفعليّة الّتي بها ينعم عليها ويقيم صلبها ويدّبر أمرها كالرحمة والرزق والهداية والإحياء والحفظ والخلق وغيرها ومايقابلها فلله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق ومايتعلّق به من أثر وفعل إذ لا معنى لإثبات صفة فيه تعالىٰ متعلقة بالأشياء وهي لا تتعلّق بها.

ولذلك فإنّهﷺ سأل الرجل عن تقدّم صفة الرحمة على الأعمال، ولا معنى لتقدّمها مع عدم ارتباطها بها وتأثيرها فيها فقد نظم الله الوجود بحيث تجري فيه الرحمة والهداية والمثوبة والمغفرة، وكذا مايقابلها، ولا يوجب ذلك بطلان الإختيار في الأفعال فان تحقق الإختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الأمر المقدّر، إذ لولا الإختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية، فلم يتحقق ثواب ولا عقاب، ولا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا تبليغ.

ومن هنا يظهر وجه تمسك الإمامﷺ بسبق صفة الرحمة على العمل، ثمّ بيانهﷺ أنّ لله مشيّة في كلّ شيء وأنّها لا تلغوا ولا تغلبه مشية العبد فالفعل لا يخطئ مشيئته تعالىٰ ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشيئة العبد فإنّ مشيئة العبد إحدى مقدّمات تحقق ماتعلّقت به مشيئته تعالىٰ، فإن شاء الفعل الّذي يوجد بمشيئة العبد فلابّد لمشيئة من التحقق والتأثير، فافهم ذلك.

وهذه الرواية الشريفة على أرتفاع مكانتها ولطف مضمونها يتّضح به جميع ماورد في الباب من مختلف الروايات، وكذا الآيات المختلفة من غير حاجة إلى أخذ بعض وتأويل بغض آخر» انتهى كلام العلاّمة.

وأمّا كلام صدر المتألهين، في تفسير سورة السجدة الآية ٢١، فهو مايلي:

«وأمّا ماألهمني الله به وقذف في قلبي من نوره، وهو أنّ لعلم الله تعالىٰ وإرادته مراتب متفاوتة في النزول، فكما أنّ لعلمه مرتبة كماليّة هي نفس ذاته بذاته، إذ بذاته يعلم جميع الأشياء الكلّية والجزئية، وهذا العلم ليس متكثراً بل علم واحد إجمالي، هو واجب بالذات وهو مرآة كل الحقائق ومجلىٰ جميع الرقائق، وبعد ذلك مرتبة تفصيل ⮌

من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مَطويّ عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وَضَعَ الله عن العباد علمه (وضع‌الله العباد عن علمه)، ورفع فوق شهاداتهم، ومنع عقولهم بأنّهم لا ينالونه (ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنّهم لا ينالونه) لا بحقيقة الربانيّة، ولا بقدرة الصمدانيّة، ولا بعظمة النورانيّة، ولا بعزّة الوحدانيّة، لأنّه بحر زاخر خالص لله عزّ وجلّ، عمقه مابين السمّاء والأرض، عرضه مابين المشرق

المعقولات الكلية، وهو مرتبة القضاء الإلهي وهي مفاتيح الغيب لقوله:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو﴾ [الانعام: ٥٩].

وهي أيضاً خزائن الرحمة لقوله تعالى:

﴿و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾ [الحجر: ٢١].

ثمّ بعده مرتبة الجزئيّات والشخصيّات المقدّرة بأوقاتها و أزمنتها المثبتة بهيئاتها في كتاب لايجليها لوقتها إلّا هو، وهذه المرتبة «عالم قدر» لقوله:

﴿و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١].

وهذا هو «كتاب المحو والإثبات» كما أنّ السابق «اللوح المحفوظ» لقوله:

﴿يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩].

وبعد ذلك مرتبة وجودات المعلومات في موادّها الخارجيّة الجزئيّة المكتوبة بمداد الهيولي الّتي تسمّىٰ بـ«البحر المسجور» و «الكتاب المبين» كما أشير في قوله:

﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

وفي قوله:

﴿لا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [الانعام: ٥٩].

وهاتان المرتبتان قابلتان للتغير، وبهاتين الأخيرتين يتضّح (يسترجع) عروض التغيّر في علمه تعالىٰ بالحوادث من حيث هو معلوم، لا بما هو علم، وإن كانا أمراً واحداً بالذات. وهذا ممّا لا يعلمه إلاّ المحققون المحقّون، المتحقّقون بالشهود.

راجع أيضاً الجزء الثاني من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٢٣٩ التعليق ٩٧.

والمغرب، أسود كالليل الدّامس، كثير الحيّات والحيتان، يعلو مرّة ويسفل أخرى،في قعره شمس تضيء، ولاينبغي أن يطلع عليها إلاّ الواحد الصمد (الفرد)،فمن تطلّع إليها فقد ضادّالله في حكمه،ونازعه فيسلطانه، وكشف عن سرّه وستره ﴿وباءَ بغضب من الله ومأويٰه جهنم وبئس المصير﴾».

وتلك شقشقة هدرت ثمّ قرت، فنرجع إلى كنّا بصدده ونقول:

(كل موجود له تسبيح وحياة)

إعلم، حيث ثبت إنّ كلّ موجود له صلاة وتسبيح وسجدة، ثبت أنّ كلّ موجود له حياة ونطق ومعرفة، وهذا هو الكمال المقصود من الكلّ، أمّا الحياة فتلك حقيقيّة ومجازيّة.

(الحياة الحقيقيّة هي العلم والمعرفة)

أمّا الحقيقيّة فقد تقرّر أنّ الحياة الحقيقيّة هي العلم والمعرفة أي العلم بالله والمعرفة به، وهذه حاصلة لكلّ موجود بحكم قوله:

﴿ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله﴾ [لقمان: ٢٥].

لأنّ هذا إقرار بألوهيّته ووحدانيّته، وهذا المقدار يكفي في المعرفة الجبليّة دون الكسبيّة، وكذلك قوله:

﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤].

لأنّ التسبيح للشيء يكون مسبوقاً عن معرفة، لأنّ التسبيح بدون المعرفة مستحيل جبليّة كانت أو كسبيّة.

وأمّا المجازيّة، فقد تقرّر أنّ كلّ موجود له حياة بحسبه ويشهد به

قوله تعالىٰ:

﴿وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فهذا الماء إن قلنا: من المركّبات فذلك ظاهر، لأنّ جزء كلّ مركب ماء عنصريّ صوريّ الّذي تركّب به بدن الإنسان لقوله:

﴿وهو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ [الفرقان: ٥٤].

وإن قلنا: من البسائط فذلك يرجع إلى الهيولى الكلّيّة الّتي كان العرش عليه قبل إيجاد العالم ومافيه لقوله تعالىٰ:

﴿وهو الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧].

وبالجملة للكلّ حياة مناسب بحاله، فإن شئت سمّها علماً ومعرفة، وإن شئت سمّها ماء عنصريّاً، وإن شئت هيولىٰ كلّيّاً، لا مشاحّة في الألفاظ.

وأمّا النطق فذلك أيضاً مجازيّ وحقيقي.

امّا المجازي فلقوله تعالىٰ:

﴿أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء﴾ [فصّلت: ٢١].

ولقول النبيّ ﷺ:

«يشهد للمؤذن كلّ رطب ويابس(٨٧)، ويستغفر لطالب العلم كلّ

---

(٨٧) قوله: يشهد للمؤذن.

أخرجه أبن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤٦١ و٤٥٨ بإسناده عن أبي هريرة وفي ج ٤ ص ٢٨٤ بإسناده عن البراء بن عازب عن النبيّ ﷺ قال:

شيء حتّى الحيتان في البحر والطير في السماء»(٨٨).

فإنّ هذين القولين دالاّن على أن لهم نطق وأظهر وأبين من ذلك

«يغفر للمؤذن مدّ صوته ويشهد له كل رطب ويابس». الحديث.

وفي رواية ابن عازب هكذا:

المؤذن يغفر له مدّ صوته ويصدّقه من سمعه من رطب ويابس، وله مثل أجر من صلّى معه.

وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ج ١ كتاب الأذان باب فضل الأذان الحديث ٧٢٤.

وفيه: «ويستغفر له كلّ رطب ويابس».

وروى الشيخ المفيد مثل ماأخرجه ابن حنبل، مرسلاً عن الصادقين، عن النبيّ ﷺ في المقنعة باب الأذان والإقامة ص ٩٨.

وروى الصدوق في «الخصال» باب العشرة ص ٤٤٨ الحديث ٥٠ وأيضاً في «ثواب الأعمال» ص ٥٣ الحديث ٨، بإسناده عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«من أذّن عشر سنين محتسباً يغفر الله له مدّ بصره، ومدّ صوته في السماء، ويصدّقه كلّ رطب ويابس سمعه، وله من كل من يصلّي في مسجده سهم، وله من كلّ من يصلّي بصوته حسنة».

وعنهما البحار ج ٨٤ ص ١٠٤ الحديث ٢ و ١.

(٨٨) قوله: يستغفر لطالب العلم.

رواه محمّد بن الحسن الصفّار المتوفّىٰ ٢٩٠، بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن الصادق عليه السلام، في «بصائر الدرجات» باب ٢ الحديث ٣. وقريب منه الحديث ٥ و ٤ أيضاً وأخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ باب ١٧ فضل العلماء الحديث ٢٢٣ ص ٨١.

ورواه أيضاً الصدوق في «أماليه» المجلس الرابع عشر ص ٥٨ الحديث ٩ بإسناده عن عبدالله بن ميمون، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول‌الله ﷺ ورواه أيضاً الطوسي في أماليه، ج ٢، في آخر الجزء الثامن عشر ص ١٣٥. فراجع، وعنه البحار ج ١ ص ١٧٢ الحديث ٢٥.

تسبيح الحصىٰ في كفّ نبيّناﷺ الّذي هو الجماد، وأنين الخشبة الّذي هو النبات، وتكلّم الذراع المشوى، لأنّ المولّدات منحصرة في هذه الثلاث، وأمّا العنصريات والطبيعيّات فقد تقدّم تقريرها.

وامّا **الحقيقي**، فالنطق هو التعقّل مطلقاً وتعقّل الشيء ذاته وذات موجوده هو النطق الحقيقي، وقد سبق بيان ذلك بحكم الآية والخبر، والدليل على أنّهم عرفوه وسبّحوه لأنّهم لو لم يعرفوه لم يسبحوه لأنّ الشيئ المجهول الغير المعلوم لا يسبحه أحد أصلا.

(المعرفة حقيقية ومجازية والمراد من المعرفة في «عالم ألست» هي المعرفة في عالم الفطرة والجبلّة)

وأمّا **المعرفة** فتلك أيضاً حقيقيّة ومجازيّة، أعني جبليّة وكسبيّة.

أمّا الجبليّة الحقيقيّة فقد شهدت به الآية في قوله:

﴿**ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ [لقمان: ٢٥].

وشهد به قوله:

﴿**ألست بربّكم قالوا بلى**﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وان قلت: هنا ضمير راجع إلى ذريّة آدم لا إلى الموجودات مطلقاً.

قلنا: هذا صحيح، أنّه ضمير إلى ذّريّة آدم لكن آدم يشمل الإنسان الكبير والصغير، وهذا ضمير إلى آدم الكبير الّذي هو العالم ومافيه من الموجودات، لأنّ الكلّ ذريّة له كما أشار إليه الحقّ في قوله:

﴿**ياأيّها النّاس اتقّوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾ [النساء: ١].

والمراد بالرجال والنساء الذكورة والأنوثة الحاصلة في كلّ موجود من الموجودات العلويّة والسفليّة المشار إليه في قوله:

﴿ومن كلّ شيء خلقنا زوجين﴾ [الذاريات: ٤٩].

أي الأناث والذكور، والذي قيل:

وفي كلّ شيئ له آية ‏ ‏ ‏ تدل على أنّه واحد(٨٩)

أيضاً دليل على هذا.

وأمّا الكسبيّة المجازيّة، فتلك مخصوصة بالإنسان والملك والجنّ مع أنّ لهم معارف جبلّية سابقة على الكسبيّة وقد تقدّم ذكرها بوجوه كثيرة، والعود إلى ماسبق غير مستحسن، فأرجع إليه، هذا من حيث النقل الممزوج بالعقل، وأمّا من حيث العقل الممزوج بالكشف المحبوب والذوق:

(ليس في الوجود سوى الله، وهو العارف والمعروف وهو المحبّ والمحبوب)

فاعلم، انّه قد تقرّر عند أهل الله باتّفاق أكثر العقلاء أنّ الوجود واحد، وذلك دائر بين المحبّ والمحبوب، والعارف والمعروف، والطالب والمطلوب، بشهادة قوله تعالىٰ:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله:

---

(٨٩) قوله: وفي كل شيء له آية.

ذكره ابن العربي في «الفتوحات» ج ١ ص ١٨٤، ونسبه إلى أبي العتاهيّة، وهو أبو إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان، المتوفّى ٣١٠.

«فأحببت ان أعرف»[٩٠].

فالمحبوب الحقيقي عند التحقيق يكون هو الله فقط، والمحبّ ماسواه من المخلوقات والموجودات جماداً أو نباتاً، أو حيواناً أو إنساناً، أو جنّاً أو ملكاً، كما قيل:

وكل مليح حسنه من جماله ... معار له بل حسن كلّ مليحة

وكما قيل:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ماالحب إلاّ للحبيب الاوّل

وبناء على هذا يصدق على الكلّ أنّهم محبّون له، متوجّهون إليه، سايرون إلى حضرته، وإن حقّق عرف أنّه المحبّ والمحبوب، والطالب والمطلوب، والعارف والمعروف، لأنّ من هذه الإعتبارات يلزم الغيريّة والكثرة ومشاهدة الغير، وهذا خلاف التوحيد الحقيقي، والمقصد ليس إلاّ التوحيد، فيجب حينئذ مشاهدة وجود باعتبارين:

بوجه بإعتبار أن لاتعتبر معه أحد غيره أصلاً وهو اعتبار الحضرة الأحديّة، ومقام الإطلاق والوحدة. والثاني بإعتبار أن تعتبره مع أسماؤه وصفاته وأفعاله، والمظاهر الّتي بإزائها المعبّر عنها بالأكوان، وبالنسبة إلى الأوّل قيل:

لقدكنت دهراً قبل أن تكشف الغطاء ... أخالك إنّي ذاكر لك شاكر

فلماأضاءالليل أصبحت عارفاً(شاهداً) ... بأنّك مذكور وذكر وذاكر

---

(٩٠) قوله: فاحببت ان أعرف.

قدّ مرّ ذكره في التعليق الرقم ٦٠ فراجع.

وقيل: لا يحبّ الله إلاّ الله، ولا يعرف الله إلاّ الله، ولا يذكر الله إلاّ الله.

وبالنسبة إلى الثاني قيل: ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه وإليه، وقال هو بنفسه:

﴿هوالأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾ [الحديد:٣].

وقال:

﴿أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد * ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألاٰ إنّه بكلّ شيء محيط﴾ [فصلّت: ٥٤ - ٥٣].

وفيه قيل:

جمالك في كلّ الحقايق سائر وليس له إلاّ جلالك ساتر

تجليت للأكوان خلف ستورها فنمت بما ضمت عليه الستاير

وقيل:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كلّ معنى وصورة

وأكثر ذلك قد ذكرناه مراراً، والغرض واحد وهو إثبات أنّ كلّ شيء له سير وسلوك صورةً ومعنىً، وقد ثبت ذلك والحمد لله، وحيث إنّه كان على سبيل الإجمال فالواجب أن نشرع فيه على سبيل التفصيل بعون الله وحسن توفيقه وهذا:

(كمال كل شيء وصوله إلىٰ الانسان وكمال الانسان وصوله الى الحق سبحانه)

إعلم، أنّ لكلّ موجود سيران صوري ومعنوي:

أمّا السير الصوري للجماد فهو انّه يصل إلى مرتبة النبات

كالمرجان فإنّه ينبت ويحصل له أغصان وأوراق وشعب كالنبات والشجر.

وأمّا السير المعنوي له فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، أعني في صورة الأغذية والأشربة والمعاجين وغير ذلك.

وأمّا السير الصوري للنبات فهو أن يصل إلى مرتبة الحيوان كالنخل، فإنّ له تعشّق وتحبّب كالحيوان إلى نخل آخر بقوّة التناسب الّتي بينه وبينه وغير ذلك من المناسبة مع الحيوان لأنّه إذا قطع رأسه يموت، واذا غرق في الماء يموت، وأمثال ذلك وكلّ ذلك من خصال الحيوان.

وأمّا السير المعنوي له، فهو ان يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه يكون بالأغذية كانت أو بغيرها.

وأمّا السير الصوري للحيوان، فهو أن يصل إلى مرتبة الإنسان، ويحصل له النطق والتكلّم كالقرد والببغاء وغير ذلك من الحيوانات.

وأمّا السير المعنوي له، فهو أن يصير جزء بدن الإنسان على أيّ وجه كان، والسرّ في ذلك كلّه أنّ كمال جميع الموجودات دون الإنسان هو وصوله إلى الإنسان فقط، وكمال الإنسان في وصوله إلى الحقّ تعالىٰ فقط، فحينئذ توجّه جميع العالمين يكون إلى الإنسان صورة ومعنىً كبيراً كان الإنسان، أو صغيراً لحصول كما لهم المعيّن لهم في الأزل، وتوجّه الإنسان إلى الحقّ تعالىٰ مطلقاً لحصول كمالهم المعين لهم في الأزل. فافهم جدّاً، وإليه الإشارة:

﴿**وسخّر لكم مافي السّموات ومافي الأرض جميعاً**﴾ [الجاثية: ١٣].

وأبلغ من ذلك قوله لنبيّنا ﷺ:

«لولاك لما خلقت الأفلاك»(٩١).

أي لولاك لما خلقت العالم ومافيه.

وامّا السير الصوري للإنسان، فهو أن يصير ملكاً ويحصل له الطهارة والتجرّد من ملابس الصورة البشريّة وخسايس الطبيعة الحسيّة.

وامّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل مرتبة النبوّة والرسالة والولاية، ويصل منها إلى مرتبة الوحدة الصرفة الّتي هي عبارة عن رفع الاثنينيّة الإعتباريّة، لقول النبيّ ﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»(٩٢).

وقوله أيضاً:

---

(٩١) قوله: لولاك لما خلقت الأفلاك.

قد مرّ ذكره وذكر مصادره في التعليق الرقم ١٦٧، الجزء الأوّل ص ٥٤٨ تفصيلاً فراجع، وذكره السيد الجليل المؤلّف أيضاً في الجزء الثاني ص ٥٠٧.

روى المجلسي ﷺ في «البحار» ج ١٥ ص ٢٦ الحديث ٤٨، و ج ٥٧ ص ١٩٨ الحديث ١٤٥، عن كتاب «الانوار» للشيخ أبي الحسن البكري، استاذ الشهيد الثاني، قال: روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، قال:

«كان الله ولا شيء معه، فأوّل ماخلق نور حبيبه محمّد ﷺ قبل خلق الماء، والعرش، والكرسي، والسماوات والأرض، واللوح، والقلم، والجنة والنار، والملائكة، وآدم وحوّاء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام، فلّما خلق الله تعالىٰ نور نبّينا محمّد ﷺ بقي ألف عام بين يدي الله عزّ وجلّ واقفاً يسبّحه ويحمده، والحقّ تبارك وتعالىٰ ينظر إليه ويقول: ياعبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي مِن خلقي، وعزّتي وجلالي لولاك ماخلقت الأفلاك». الحديث.

(٩٢) قوله: لي مع الله وقت.

ذكرنا تفصيلاً في تعليقنا على الكتاب الرقم ٣٨ و٦٧، فراجع.

«من رآني فقد رأى الحقّ»(٩٣).

لأنّ كلّ ذلك دليل عليه، وقوله تعالىٰ:

﴿ومارميت إذ رميت ولكنّ الله رمىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

يكفي فيه، لأنّه نفي في عين الإثبات، وإثبات في عين النفي، والمراد إثبات مقام الوحدة له ورفع الإثنينيّة والكثرة، الموجب للإتّحاد الكلّي المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿ثمّ دنا فتدلّىٰ وكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾ [النجم: ٨ - ٩].

وقد ذكرنا من كلام العارف في هذا الباب أقوال كثيرة فارجع إليها.

وأمّا السير الصوري للجنّ، فهو أن يحصل له مرتبة الملكيّة السماويّة من التجرّد والتقديس (التقدّس)، فإنّ عند أكثر الناس الجنّ من الملائكة الأرضيّة وسمّاهم الجنّ لخفائهم عن عيون الإنس، كما قال تعالىٰ في حقّ إبليس:

﴿كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه﴾ [الكهف: ٥٠].

وإن كان عند البعض هم أشكال ناريّة موضعهم كرة الأثير، ولهم دخول في كرة الماء والتراب، وكيفيّة ذلك موقوف على بسط عظيم ليس هذا موضعه.

وامّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له المراتب الإنسيّة والمعارف البشريّة، ويؤمن بالشرع والقرآن، كما نطق به الكتاب الكريم في قوله:

---

(٩٣) قوله: من رآني فقد رأى الحقّ.

ذكرناه مع ذكر مصادره وتوضح في التعليق الرقم ٣٥ فراجع.

﴿قل أوحي إليّ إنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً* يهدي إلىٰ الرّشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً﴾ [الجن: ١ - ٢].

وأمّا السير الصوري للملك، فهو أن يحصل له مقام القرب والتقديس والتنزيه، ويصل إلى مرتبة الكروبيين الّذين أخرجهم الله تعالىٰ عنهم بالإستثناء الفاضل بين النوع والأشخاص كإخراج جبرئيل وميكائيل من الملائكة، أو الإنسان من الحيوان المطلق، وقد سبق ذكره في الديباجة.

(في أنّ الإنسان أفضل من الملائكة)

وامّا السير المعنوي له، فهو أن يحصل له الإطلاع علىٰ بعض أسرار الإنسان الحاصلة له من الله تعالىٰ المخصوصة بالإنسان دون الملك لقول جبرئيل ﷺ:

«لو دنوت أنملة لأحترقت»(٩٤).

ويشهد به تعليم آدم الملائكة في قوله:

﴿فلمّا أنبأئهم﴾ [البقرة: ٣٣].

ولهذا ذهب العارف: أنّ الإنسان أعظم من الملك(٩٥)، وأشرف منه

---

(٩٤) قوله: لو دنوت أنملة.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق الرقم ٧٢.

(٩٥) قوله: ان الإنسان أعظم من الملك.

أقول: كيف لا يكون الإنسان أشرف وأعظم عند الله سبحانه مع أنّه خليفته، وخلقه على صورته، وعلّمه الأسماء كلّها.

➲ الإنسان الكامل هو نفس الأسماء الحسنى، وهو الإسم الأعظم، امّا الملائكة لا يعرفون الأسماء بل عرفوا أسماء أنفسهم وحقيقة وجودهم من خلال إنباء الإنسان الكامل لهم، وأين التعلّم والعلم والإنباء والخبر، الله سبحانه وتعالى علّم الانسان الأسماء كلّها، والإنسان أخبرهم بأسمائهم بأمر الله تبارك وتعالى.

نعم ليس البحث في أنّ جميع أفراد الإنسان أفضل من الملائكة لأنّه يوجد بينهم أشق الإشقياء، ومن ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم﴾ [النساء: ١٣٧]، ﴿إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤]، والّذين لا يفيدهم هداية النبيّ والقرآن، لقوله تعالى:

﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [يس: ١٠].

وقوله تعالى:

﴿ولا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً﴾ [الإسراء: ٨٢].

بل الحقّ هو أنّ حقيقة الإنسانيّة لها فضيلة على حقيقة الملائكة، والإنسان الكامل أشرف وأفضل وأعظم بمراتب من الملائكة المقرّبين، وهو الّذي كان مسجود الملائكة، والآن كما كان، فهو قطب العالم ومختلف الملائكة، وليس هذا أمراً تشريفيّاً بل أمر حقيقيّ وبسبب كمال المرتبته الوجوديّة في قوس النزول وعبوديته الصرفة في قوس الصعود قال سبحانه في حديث القدسي:

«أنت المريد والمراد».

المراد من العلم بالأسماء كلّها، عبارة عن العلم الشهودي،وبتعبير آخر عبارة عن أعلى المراتب من مراتب حق اليقين بحقائق ماسوى الله سبحانه وأسرار حقائق وجودات العالم، وهذا يعني تحقق الأسماء في وجود العالم وهو فوق التخلّق بها، فيكون العالِم حينئذ:

الأسماء المتجسدة.

الإنسان الكامل لا يصل الى هذا المقام إلاّ من خلال الطهارة والعبوديّة الصرفة. ➲

والإخلاص والقرب والمحبوبيّة والولاية المطلقة، ومن هنا صار الانسان الكامل «عبده» و«خليفته»، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده﴾ [الإسراء: ١].

وقال:

﴿فأوحى إلى عبده ماأوحىٰ﴾ [النجم: ١٠].

اذن الإنسان الكامل مقامه ومرتبته فوق مقام عبوديّة الأسماء فهو عبد مطلق للذّات المطلقة (أي المطلقة حتّى من قيد الاطلاق) لشهادة «ه» في «عبده».

والآن نذكر قسماً من الآيات والروايات الكثير الدالّة على ماذكرنا وهي كثيرة جداً، خاصّة الأحاديث ولا يبعد دعوى التواتر في المعنى والمضمون فيها، وأمّا ماقصدنا بذكرها من الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة هنا مايلي:

﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم مالا تعلمون* وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ماعلّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم* قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٣].

وقوله تعالىٰ:

﴿وهو بالأفق الأعلى* ثمّ دنا فتدلّى* فكان قاب قوسين أو أدنىٰ* فأوحىٰ إلى عبده ماأوحىٰ* ماكذب الفؤاد مارأى* أفتمارونه على مايرى* ولقد رءاهُ نزلة أخرى* عند سدرة المنتهىٰ* عندها جنّة المأوى* اذ يغشى السّدرة مايغشى* مازاغ البصر وماطغى* ولقد رأىٰ من آيات ربّه الكبرى﴾ [النجم:٧ - ١٨]

وأمّا الأحاديث، منها:

قول جبرئيل: **«لو دنوت أنملة لاحترقت»**. راجع التعليق ٧٦.

منها، ماروى عن النبيّ ﷺ:

«لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبّي مرسل ولا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان». راجع التعليق ٤١ و ٧١.

منها، ماروى أيضاً عن الرسول الاكرم ﷺ:

«من رآني فقد رأى الحقّ». راجع التعليق الرقم ٣٨.

منها، مارواه الكليني في أصول الكافي ج ١ ص ٢٣٠ الحديث ١ باب ماأعطىٰ الأئمة من أسم الله الأعظم، بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر الباقر قال:

«إنّ أسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض مابينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالىٰ أستأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

ومنها، مارواه الكليني أيضاً في المصدر نفسه الحديث الثاني بإسناده عن الصادق قال:

«إن عيسى ابن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطيى أبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمّد ﷺ، وإنّ إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطىٰ محمداً ﷺ اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد».

ومنها مارواه الكليني أيضاً في المصدر باب لولا أن الأئمة يزدادون لنفد ماعندهم، الحديث ٤، ج ١ ص ٢٥٥، بإسناده عن الصادق قال:

«ليس يخرج شيء من عند الله عزّ وجلّ حتّى يبدأ برسول الله ﷺ، ثمّ بأمير المؤمنين﵇ ثمّ بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم أولنا».

ومنها، ماروأه الكليني في المصدر باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا﵇، الحديث ٤ بإسناده عن محمّد بن اسحاق بن عمّا قال: قلت لأبي الحسن الأوّل﵇: ألا تدُلّني إلى مَن آخِذ عنه ديني؟ فقال:

«هذا ابني عليّ، إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: يابُنيّ! إنّ الله عزّ وجلّ قال:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿وإنّ الله عزّ وجلّ إذا قال قولاً وفىٰ به﴾.

أقول: الحديث يدل بأن الجعل مستمر لا ينقطع قطّ ابداً والآن كما كان، لولا العالِم لانعدم العالَم، العالِم يعني الانسان الكامل الّذي علّمه الله سبحانه الأسماء كلّها فهو خليفة الله وصاحب العصر وأمام الهدى وقطب العالم.

ومنها، ماروى المجلسي في البحار ج ٥٣ ص ٤٦ الحديث ٢٠، عن كتاب «منتخب البصائر» بإسناده عن عاصم بن حميد، عن أبي جعفر الباقر﵇، قال: قال أمير أمير المؤمنين﵇:

«إن الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد، تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً ﷺ وخلقني وذرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجّ على خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا،...إلى ان قال:

وأنا عبد الله، وأخو رسول الله ﷺ، أنا أمين الله وخازنه، وعيبة سرّه، وحجابه ووجهه وصراطه وميزانه، وأنا الحاشر إلى الله، وأنا كلمة الله الّتي يجمع بها

المفترق ويفرق بها المجتمع، وأنا أسماء الله الحسنى، وأمثاله العليا، وآياته الكبرى». الحديث.

ومنها، ماروواه الكليني في الكافي ج ١ ص ١٤٣ باب النوادر الحديث ٤ بإسناده عن معاوية بن عمّار عن الصادقعليه السلام في قول الله عز وجلّ: ﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال: «نحن والله الأسماء الحسنىٰ الّتي لا يقبل الله من العباد عملا الاّ بمعرفتنا».

ومنها، ماروواه العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٤٢ الحديث ١١٩ في سورة الأعراف الآية ١٨٠ بإسناده مرسلاً عن الرضا عليه السلام قال:

«إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله:

﴿ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾.

قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «نحن والله «الأسماء الحسنىٰ» الّذي لا يقبل من أحد إلاّ بمعرفتنا، قال: «فادعوه بها» . عنه البحار ج ٩٤ ص ٥ الحديث ٧.

ومنها، ماروواه الصدوق في «علل الشرايع» ص ٥ الباب ٧ الحديث ١، وفي «عيون أخبار الرضا» ج ص ٢٦٢ الباب ٢٦ الحديث ٢٢، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسىٰ الرضا، عن آباءهعليهم السلام، عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنينعليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ماخلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم منّي، قال علي عليه السلام: فقلت: يارسول الله! فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقالصلى الله عليه وآله: ياعلي إنّ الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك ياعليّ وللأئمّة من بعدك، وإنّ الملائكة لخُدّامنا، وخدّام محبّينا . ياعلي! الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

ياعلي لولا نحن ماخلق الله آدم ولا حوّاء، ولا الجنّة ولا النار، ولا السماء ولا

الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة؟!، وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؛ لأنّ أوّل ماخلق الله عزّ وجلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلمّا شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله، وأنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نُعبد معه، أو دونه، فقالوا: لا إله إلاّ الله، فلّما شاهدوا كِبَرَ مَحلّنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن يُنال عظم المحلّ إلاّ به، فلّما شاهدوا ماجعله لنا من العزّة والقوّة، قلنا لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوّة إلاّ بالله، فلّما شاهدوا ماأنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: «الحمد لله»، لتعلم الملائكة مايحقّ لله تعالىٰ ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمّ إن الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم فأودعنا صلبه وأمَر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبودّية، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون.

وإنّه لمّا عُرِج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنىٰ مثنىٰ، وأقام مثنىٰ مثنىٰ، ثمّ قال لي: تقدّم يامحمّد، فقلت له: ياجبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّة، فتقدّمتُ فصلّيت بهم ولا فخر، فلمّا انتهيتُ إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يامحمّد، وتخلّف عنّي، فقلت: ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يامحمّد إنّ انتهاء حدّي الّذي وَضَعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته

احترقت اجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلَّ جلاله، فزخّ بي في النور زخّة حتّى انتهيت إلى حيث ماشاء الله من علوّ ملكه» . الحديث.
عنهما البحار ج ١٨ ص ٣٤٥ الحديث ٥٦.
وراجع أيضاً تعليقنا الرقم١١٦ في الجزءالاوّل من تفسيرالمحيط الأعظم ص٤٤١.
ذكر هذا الحديث الشريف، العالم الرّباني والعارف الصمداني الامام الخميني رضي الله تعالىٰ عنه، في كتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية» ص ١٦٤، وفي طبع الآشتياني ص ٧٥. وله فيه تعليق على الحديث، ولا بأس بذكر مابيّنه في التعليق، مزيداً للفايدة، قال بعد ذكر الحديث هكذا:
مطلع: اعلم جعلك الله وإيّانا من أمّة الرسول المختار وسلكنا سبيل الشيعة الأبرار: أنّ قوله ﷺ: «ماخلق الله خلقاً أفضل منّي»، إشارة إلى أفضليته ﷺ في مقام تعيّنه الخلقي، فإنّه في النشأة الخلقيّة أوّل التعيّنات وأقربها إلى الإسم الأعظم إمام أئمة الأسماء والصفات، وإلاّ فهو بمقام ولايته الكلّيّة العظمى، وبرزخيّة الكبرى، والهيولويّة الأولى المعبّر عنها بـ«دنىٰ وتدلّىٰ» والوجود الإنبساطي الاطلاقي، والوجه الدائم الباقي المستهلك فيه كلّ الوجودات والتعيّنات، والمضمحلّ لديه جميع الرسوم و السمات، لانسبة بينه و بين شيء لإحاطته القيّوميّة بكلّ ضوء وفيء، فلا يستصحّ الأكرميّة والأفضلية، ولا يتصوّر الأوّليّة والآخريّة، بل هو الأوّل في عين الآخريّة، والآخر في عين الأوّليّة ظاهر بالوجه الّذي هو باطن، وبالوجه الّذي هو ظاهر كامن، كما قال: «نحن السابقون الأوّلون».
١ - قوله ﷺ: فانت أفضل أم جبرئيل؟
أعلم أنّ هذا السؤال وغيره من المقال من مولانا أمير المؤمنين وإمام اصحاب الكشف واليقين عليه صلوات ربّ العالمين لمصلحة كشف الحقائق بالنسبة إلى ساير الخلق (الخلائق)، وإلاّ فهو عليه الصلاة والسلام يستفيد من رسول الله ﷺ حقائق العلوم وغيبيّات السرائر بمقامه العقلي وشأنه الغيبي قبل الوصول إلى النشأة المثاليّة الخياليّة

⬅ فضلاً عن نزولها إلى الهيئات اللفظيّة والكلاميّة، فإنّ منزلته ﷺ منه ﷺ بعد اتحاد نورهما بحسب الولاية الكليّة المطلقة، منزلة اللطيفة العقلية، بل الروحيّة السريّة من النفس الناطقة الإلهيّة، ومنزلة ساير الخلايق منه صلوات الله عليه وآله منزلة ساير القوى الباطنيّة والظاهرة منها، فإنّ لرسول الله ﷺ أحديّة جمع الحقائق الغيبيّة والشهادتيّة، وهو اصل اصول المراتب الكلّية والجزئيّة، ونسبته إلى رعيته نسبة الإسم الأعظم في الحضرة الجمعية إلى ساير الأسماء والصفات، بل هو الإسم الأعظم المحيط بسائر الأسماء الإلهية في النشأة الخلقيّة والأمريّة، فكما أن الفيض من حضرة الجمع لا يصل إلى التفاصيل المحضة إلاّ بعد عبوره في مراحل متوسطة، ولا يمرّ على السوافل إلاّ بعد مروره على العوالي الّتي هي الواسطة، كذلك الفيوضات العلميّة والمعارف الحقيقيّة النازلة من سماء سرّ الأحمديّة لا تصل إلى الأراضي الخلقيّة إلاّ بعد عبورها على المرتبة العماء العلويّة، ولذلك ولأسرار أُخر قال ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

وممّا يؤيد ماذكرنا لك ويشهد على ماتلونا عليك أنّه يسمع كلام جبرئيل، ومن ذلك ماورد في الكافي الشريف في باب العهود، في رواية طويلة، أنّه قال أمير المؤمنين:

والذّي فلق الحبّة وبرء النسمة لقد سمعت جبرئيل يقول للنّبي ﷺ: يامحمّد! عرّفه أنّه منتهك (يُنتهك) الحرمة». الخبر الشريف. (الكافي ج ١ باب أنّ الأئمّة لم يفعلوا، الحديث ٤ ص ٢٨٤.)

٢ - ثمّ إنّ السؤال عن افضلّيته عن جبرئيل سؤال عن قاطبة سكنة عالم الجبروت، واختصاصه بالذكر إمّا لعظمة شأنه من بين سائر الملائكة أو لتوجّه الأذهان إليه دون غيره، وبالجملة ليس السؤال مختصّاً به ولهذا أجاب ﷺ بفضله على جميع الملائكة.

٣ - وليعلم انّ هذه الفضيلة ليست فضيلة تشريفيّة اعتباريّة كفضيلة السلطان على الرعيّة، بل فضيلة حقيقيّة وجوديّة كمائيّة ناشئة من إحاطته التامّة، وسلطنته القيّوميّة ظلّ الإحاطة الّتي لحضرة الإسم الله الأعظم المحيط على ساير الأسماء والصفات، فان ⬅

سایر الأسماء والصفات من شؤونه وأطواره ومظاهره وأنواره، فكما أنّ شرافة اسم الله الأعظم المحيط على ساير الأسماء ليست تشريفيّة اعتباريّة. فكذا ساير الأسماء بعضها بالنسبة إلى بعض، وكذلك الأمر في مربوب الأسماء المحيطة الّذي هو النبيّ في كلّ عصر، وخصوصاً نبيّنا ﷺ الّذي هو مربوب إمام أئمّة الأسماء والصفات، فله الرياسة التامّة على جميع الأمم السابقة واللاّحقة بل كلّ النبوّات من شؤون نبوّته، ونبوّته دائرة عظيمة محيطة على جميع الدوائر الكليّة والجزئيّة والعظيمة والصغيرة.

٤ - قوله ﷺ: **«والفضل بعدي لك وللأئمّة من بعدك»**. إشارة إلى ماذكرنا من أنّ مرتبة وجوده ﷺ وجود سائر الأئمّة ﷺ بالنسبة إلى النبيّ ﷺ مرتبة الروح من النفس الناطقة الإنسانيّة، ورتبة سائر الأنبياء والأولياء رتبة سائر القوى النازلة منه، ورتبة سائر الرعيّة رتبة القوى الجزئيّة النازلة الظاهرة أو الباطنة حسب درجاتهم ومراتبهم، وكلّ فضيلة وكمال وشرف في المملكة الإنسانية ثابتة للمرتبة الروحية، ومنها يصل الفيض إلى سائر القوى والمراتب، بل جميع القوى الظاهرة والباطنة ظهور حقيقة الروح، ولذلك قال علي ﷺ:

«كنت مع الأنبياء سرّاً ومع رسول الله جهراً».

على ماحُكي، والمعيّة بالنسبة إلى سائر الأنبياء ﷺ معيّة قيّوميّة، وبالنسبة إلى رسول الله ﷺ معيّة تقوّميّة.

٥ - قوله ﷺ:

«وانّ الملائكة لخدّامنا وخدام محبّينا».

شاهد على ماذكرنا من أنّ العالم بجميع أجزائه وجزئياته من القوى العلاّمة والعمّالة الكامل فبعض الملائكة من قواه العلاّمة كجبرئيل، ومن في طبقته، وبعضهم من العمّالة كعزرائيل ومن في درجته وكالملائكة السماويّة والأرضيّة المدبّرة، وخدمة الملائكة لمحبّيهم أيضاً بتصرّفهم ﷺ كخدمة بعض الأجزاء الإنسانيّة لبعض بتصرّف النفس.

٦ - قوله ﷺ:

لأنّ السرّ الّذي هي مخصوص به ليس للملك حظّ ولا سمع رائحته أبداً، وههناأبحاث سيجيء في موضعها إن شاء الله.

هذا آخر بحث الكمالات المخصوصة لكلّ موجود من الموجودات العلويّة والسفلّية، وإذا عرفت هذا، وعرفت أنّ كمال الإنسان ومرتبته أعظم وأشرف في الكلّ، فاجتهد في تحصل كمالك وتكميل مرتبتك، وكن بمعزل عن غيرك ولو كان مَلَكا، فإنّ الإشتغال بالغير يمنعك عن الوصول إلى سعادتك العظمى ومرتبتك العليا.

﴿وكُلّاً نقصّ عليك من أنباء الرسل مانثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ [هود: ١٢٠].

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، وإذا فرغنا من الأصلين المذكورين فالشروع في القواعد المذكورة واجب وهي هذه:

➲ «لولا نحن ماخلق الله آدم»الى آخر

لأنّهم وسائط بين الحق والخلق وروابط بين الحضرة الوحدةالمحضة والكثرة التفصيليّة، وفي هذه الفقرة بيان وساطتهم بحسب أصل الوجود، وكونهم مظهر الرحمة الرحمانيّة الّتي هي مفيض أصل الوجود، بل بحسب مقام الولاية هم الرحمة الرحمانيّة، بل هم الإسم الأعظم الّذي كان «الرحمن الرحيم» تابعين له كما أنّ الفقرة الآتية أي قوله ﷺ: «كيف لا نكون أفضل من الملائكة».

بيان كونهم وسائط بحسب كمال الوجود وكونهم مظهر الرحمة الرحيّمية الّتي بها يظهر كمال الوجود، فبهم يتمّ دائرة الوجود ويظهر الغيب والشهود، ويجري بالفيض(الفيض) في النزول والصعود.

قال الشيخ محيي الّدين في فتوحاته:

«ظهر الوجود ببسم الله الرحمن الرحيم، فتمام دائرة الوجود تحت هذه الأسماء الثلاثة، جمعاً في الأوّل منها، وتفصيلاً في الآخرَين».

القاعدة الأولىٰ

في بيان الأصول الخمسة من التوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والمعاد في المراتب الثلاثة الّتي هي الشريعة والطريقة والحقيقة، وعلّة حصرها فيها

إعلم، أنّ غرض الأنبياء والأولياء عليهم السلام كما سبق ذكره حيث كان إيصال الخلق إلى كمالهم المعين لهم بحسب استعدادهم وقابليتهم، وإخراجهم من ظلمات نقصهم وجهلهم بقدر الجهد والطاقة، وكانوا عالمين بأنّ هذا لا يتيسّر إلاّ بتكميل قوّتَي العلم والعمل، اللذين هما عبارتان عن الأصول والفروع، فوضعوا الأصول لتطهير بواطنهم وتكميل عقايدهم، والفروع لتطهير ظواهرهم وتكميل أعمالهم وأفعالهم، وأخبروا عنهما بنعمتَي الظاهر والباطن بأمر الله وإذنه المشار إليه في كتابه بقوله:

﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: ٢٠].

وقالوا بعد ذلك كلّه:

﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: ١٨].

ليعرف العبد أنّ نعم الله في حقّه غير قابلة للحصر في الدنيا والآخرة.

(في أن غرض الأنبياء طهارة الإنسان، ظاهراً و باطناً)

وبيان ذلك، وهو أنّ **طهارة الباطن** من نجاسة الشرك الجليّ والخفي، وتصقيل مرآة النفس من رين الكفر والضلال لا يمكن إلاّ بالإعتقاد الصحيح بالتوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والمعاد المشار إليها بقول النبيّ ﷺ:

«بُني الإسلام علىٰ خمسة»[٩٦].

---

(٩٦) قوله: بني الإسلام على خمسة.

الظاهر أنّه صحيح - والله العالم - أن نقول: ان معالم الاسلام اعتقاديّةٌ وعملّية مركبّة من الأصول والفروع، كما أن فيه توجد الأصول الاعتقاديّة، كذلك فيه توجد الأصول العملّية، والاصول الاخلاقيّة، وتوجد أيضاً الاصول، بالنسبة الى المسائل والموضوعات الاجتماعيّة، مثلاً، العدل الاجتماعي والتعاون على البّر، والمصابرة والترابط والاتّحاد، والأمن وغيرها، وتفصيل هذا المقال يقتضي المقام الآخر.

ومعلوم انه كما ان الاصول الاعتقاديّة في الاسلام عبارة عن التوحيد والنبوة والمعاد والعدل والإمامة، كذلك الاصول العملية هي عبارة عن الصلاة، والصوم، والزكاة، والحجّ والجهاد، ولكل منها فروع وأحكام كثيرة جداً.

وعلى ماذكرنا تحمل الأحاديث المسماة بدعائم الاسلام، بمعنى انّه ذكرت فيها الاصول الاعتقاديّة والاصول العملّية في الاسلام بتعبيرهم عليهم السلام: بُني الاسلام على كذا وكذا.

ونعلم أن الأحاديث الّتي وردت عن أهل بيت العصمة والطهارة وعترة النبيّ ﷺ بيان

وتفصيل لما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ، اذن كما أنّه يجب علينا الأخذ بقوله وسنّته ﷺ كذلك يجب علينا بقولهم وسنتهم عليهم السلام لدلالة حديث الثقلين، ومن هنا قولهم وسنّتهم عليهم السلام تصير نفس سنّة النبي وقوله ﷺ ولا غير، ولهذا تكون حجّة علينا.

وأمّا ماورد في دعائم الاسلام وهو كما يلي:

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٩٣ بإسناده عن ابن عمرن قال: سمعت رسول‌الله ﷺ يقول: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول‌الله ﷺ، واقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام رمضان**».

وأخرجه أيضاً مسلم في الصحيح ج ١ كتاب الايمان ص ٤٥ باب أركان الاسلام ودعائمه العظام الحديث ٢١.

وراجع أيضاً كنز العمال ج ١، الكتاب الأول في الايمان والاسلام، الفصل الأوّل.

وأخرج البخاري في صحيحه ج ١، كتاب الايمان ص ٨٩ الباب ٣٨، الحديث ٤٩، بإسناده عن أبي هريرة قال: كان النبيّ ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ماالإيمان قال:

«**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقاءه، ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ماالإسلام، قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ماالإحسان، قال: أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وأخرج الهندي في كنز العمال ج ١ الفصل الاول من الكتاب الاول، الحديث ٣٢ و٣٧ و٤٣، بأسناده مختلفة عن رسول الله ﷺ قال:

«**الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لا سهم له، شهادة أن لا إله إلاّ الله وهي الملّة، والثانية الصلاة وهي الفطرة (الفريضة)، والثالثة الزكاة وهي الطهرة، والرابعة الصوم وهي الجنّة، والخامسة الحجّ وهي الشريعة، والسادسة الجهاد وهو الغزوة، والسابعة الأمر بمعروف وهو الوفاء، والثامنة النهي عن المنكر**

وهو الحجّة، والتاسعة الجماعة وهي الألفة، والعاشرة الطاعة وهي العصمة». وروي مثله الصدوق في «الخصال» ج ٢ ص ٤٤٧ باب العاشر الحديث ٤٧ بإسناده عن عبد العزيز القراطيسي، عن أب عبدالله الصادق عليه السلام.

وروى الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام الحديث ٣ بإسناده عن فضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام قال:

«بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه».

وروى أيضاً في المصدر الحديث ٥ بإسناده عن زرارة عن الباقر عليه السلام قال:

«بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت، وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ والوالي هو الدليل عليّهن».

وروى أيضاً في المصدر الحديث ٩ بإسناده عن عيسىٰ بن السريّ قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: حدّثني عمّا بُنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زَكىٰ عملي، ولم يَضرُّني جهل ماجهلت بعده، فقال:

«شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحقّ في الأموال من الزكاة، والولاية الّتي أمر الله عزّ وجلّ بها ولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلّية، فان الله عزّ وجلّ: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. الحديث.

ورَوىٰ أيضاً في المصدر الحديث ١٤ بإسناده عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام، فقلت: جعلت فداك ألا أقصّ عليك ديني؟ فقال: بلىٰ، قلت: أدين الله بشهادة أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وانّ الله يبعث من في القبور، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والولاية لعليّ أمير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والولاية للحسن

وقوله تعالىٰ:

﴿إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:١١٦].

إشارة إلى الشركين اللّذين هما بازاء التوحيدين المذكورين الآتـي ذكرهما مرّة أخرى من الألوهـي والوجـودي المـبنيّ عـليهما الأصـول الخمسة.

وكذلك طهارة الظاهر من نـجاسة الأحـداث العـيني والحكـمي، وتطهير البدن ونظافته من القاذورات والنجاسات، فإنّه لا يمكن أيضاً إلاّ بالفروع الخمسة من الصّلاة والصّوم والزكاة والحجّ والجهاد المشار إليـه بقول النبيّ ﷺ:

«بني الإسلام علىٰ النظافة»(٩٧).

وبقوله تعالىٰ:

والحسين والولاية لعليّ بن الحسين، والولاية لمحمّد بن عليّ، ولك من بعده صلوات الله عليهم أجمعين.

أنكم أئمتي عليه أحيا وعليه أموت وأدين الله به، فقال: ياعمرو هذا والله دين الله ودين آبائي. الحديث.

وراجع أيـضاً أمـالي الصـدوق ص ٢٢١ الحـديث ١٤ والخـصال له ج ١ ص ٢٧٧، الحديث ٢١.

(٩٧) قوله: بُني الاسلام على النظافة.

أخرجه الغزالي أبو حامد في احياء علوم الدين ج ٦٠ ص ٧٣ الباب الخامس في آداب المتعلّم والمعلّم، عن النبيّ ﷺ بهذه العبارة: «**بُني الدين على النظافة**».

وروي أيضاً عن الرسول الأعظم ص ٦ قال:

«**النظافة من الايمان**»

رواه نهج الفصاحة، ورواه أيضاً البحار ج ٦٢ ص ٢٩١ عن كتاب طب النبيّ.

﴿إن الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وإليهما معاً أشار أمير المؤمنين ﷺ وقال:

«فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لأخلاص الخلق، والحجّ تقويةً للديّن، والجهاد عزّاً للإسلام والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسّفهاء، وصلة الأرحام (الرحم) منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة، وترك الزنا حفظاً وتحصيناً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادات استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصدق، والسلام أماناً من المخاوف، والإمامة نظاماً للأمّة، والطاعة تعظماً للإمامة» [نهج البلاغة، الكلمات القصار، الرقم في فيض ٢٤٤ وفي ص ٢٥٢].

فكلّ من أراد تطهير الظاهر والباطن على الوجه الّذي تقرّر، فعليه بالقيام بالأصول والفروع المذكورة، وماشتمل عليهما في المراتب الثلاث من الشريعة والطريقة والحقيقة، لأن أصول كلّ واحدة من أهل هذه المراتب وفروعها خلال أصول ذاك الآخر وفروعه كما ذكرناه وسنذكر إن شاء الله، وبناءً على هذا لابدّ أوّلاً من تعيين الأصول والفروع على مذهب الحقّ، ثم تحقيق القيام بهما، ثمّ تعيين أركانهما، ثمّ بيان انحصارهما في العدد المذكور.

أمّا الأصول وتحقيقها على مذهب الحقّ

(الأصول الخمس على مذهب الحق)

فاعلم، انّ الناس قد اختلفوا فيها اختلافاً شديداً لأنّ عند البعض منهم أصول الايمان شيئان: التصديق بالله وبكون النبيّ صادقاً، والتصديق بالاحكام الّتي يعلم يقيناً أنّه ﷺ حكم بها دون مافيه اختلاف أو إشتباه، وهؤلاء البعض هم الأشاعرة.

وعند البعض الآخر ثلاث: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وعلى هذا ذهب بعض الشيعة أيضاً، وقال:

«أصول الإيمان ثلاثة: التصديق بوحدانيّة الله في ذاته، والعدل في أفعاله، والتصديق بنبّوة الأنبياء وإمامة الأئمّة المعصومين عليهم السلام».

وعند البعض الآخر من الشيعة أصول الإيمان أربعة: التوحيد، والعدل، والنّبوّة، والإمامة.

وعند المعتزلة، خمسة: التوحيد، والعدل، والإقرار بالنبّوة، وبالوعد

والوعيد، والقيام بأمر المعروف ونهي المنكر.

وبعض متأخرين الشيعة ذهبوا إلى هذا، لكن بعبارة أخرىٰ وهي:

أنّ اصول الإيمان خمسة: التوحيد، والعدل، والنّبوّة، والإمامة، والمعاد، وهذا هو الحقّ في نفس الأمر والمختار عندي وأكثر المحققين من أهل الله.

أمّا حقيّته فلإنحصاره في العدد المذكور لا غير، لأنّ صاحب الإعتقاد الصحيح والإيمان الكامل لابّد له من التوحيد ليخلص من الشرك، ومع هذا التوحيد لابد له من أن يعتقد أنّ الله تعالىٰ عادل حكيم لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب حتّى تخلص من الجبر وإضافة أفعال الخير والشرّ إلى الله، لأنّ ذلك يؤدّي إلى ظلمه تعالىٰ على العباد وجلّ جنابه عن أمثال ذلك وإليه أشار أيضاً بقوله:

﴿وماربّك بظلاّم للعبيد﴾ [فصلّت: ٤٦].

وحيث إنّ هذين الإعتقادين هما موقوفان على وجود النبيّ وإظهار معجزته لبيان سقمهما وصحتهما فلابّد له أيضاً من الإعتقاد في النبيّ ونبوّته، والذي قال بعض النّاس: أنّ الأصول ليست موقوفة على النقل بل يكفي في حصولها العقل ليس بحسن، لأنّ العقل لو كان كاف في معرفة الدين والأصول لكان كلّ عاقل مصيب (مصيباً) في اعتقاده وليس كذلك، ومع ذلك لم يكن يلزمنا مذّمة البراهمة والفلاسفة الّذين يقولون بالعقل المجرّد ولا يلتفتون إلى النقل، نعم يعرف المكلّف الأصول بنظره العقلي بعد أن تحقّق حقيّتها وباطليّتها من النبيّ المعصوم أو الإمام، ولا يلزم من هذا، الميل إلى مذهب الإسماعيليّة، ولا إلى غيره، بل هو الحقّ في

نفسه وهذا هو مذهب الأئمّة المعصومين والعلماء المتقدّمين دون متأخريهم.

وحيث إنّ النبيّ ﷺ لا يبقى دينه وشرعه إلاّ بوجود إمام كامل معصوم الّذي يحفظ شرعه ويقوم بأداء أركانه قوّة وقهراً وإرشاداً وتعليماً، المعبّر عنه بأولي الأمر، لقوله تعالىٰ:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩].

فلابدّ له أيضاً من الإعتقاد في الإمام، لأنّ النبيّ كما هو لطف في حقّ المكلّف كذلك الإمام فإنّه لطف في حقّه أيضاً، فكما أنّ إرسال الرسول والنبيّ يجب علىٰ الله تعالىٰ فكذلك تعيين الإمام وتمكينه يجب عليه لئلاّ يلزم منه الإخلال بالواجب، وهذان الأصلان ترجع إلى الله وإلى تعيينه، فيكون حصولهما نقليّاً لا عقليّاً كما سبق، وههنا أبحاث كثيرة ليس هذا موضعها وهي مخصوصة بعلم الكلام من أصول الدين.

وحيث إنّ جميع ذلك ليس إلاّ لدعوة الخلق إلى المعاد وإرشادهم إلى القيامة والإخبار بالوعد والوعيد فلابدّ له أيضاً من الإعتقاد في المعاد ومايتعلّق به من الثواب والعقاب المعبر عنهما بالنقصان والكمال، لئلاّ يهمل في شيء من الأصول المذكورة والفروع المعلومة الآتية ذكرها، فتكون الأصول حينئذٍ منحصرة في هذه الخمسة، ولا يحتاج المكلّف إلى أكثر من ذلك، ولا يجوز له الوقوف علىٰ أقلّ منه.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل.

هذا من حيث الأصول وأمّا الفروع فسيجيئ بيانه عند بحث الفروع إن شاء الله.

وإذا تقرّر هذا فلنشرع في بيان كلّ واحدة من هـذه الأصـول فـي المراتب الثلاث الّتي هي الشريعة والطريقة والحقيقة:



أمّا التــوحيد وأقســامه

(في توحيد الانبياء والأولياء
وبيان التوحيد الألوهي والوجودي)

فذلك يحتاج أوّلاً إلى مقدّمة ثمّ إلى تقسيمه في المراتب المذكورة.

أمّا المقدّمة فهي أن تعرف:

أنّ التوحيد مع كثرة أقسامه وأنواعه، كما سيجيء بيانها في موضعها بعد هذه المقدّمة مفصّلاً، مشتمل علىٰ قسمين: **الأوّل: توحيد الأنبياء، والثاني: توحيد الأولياء.**

أمّا التوحيد الأنبياء فهو التوحيد الألوهي الظاهر العام الّذي هو دعوة الخلق إلى عبادة إله مطلق من عبادة آلهة مقيّدة، أو إلى إثبات إله واحد ونفي آلهة كثيرة، لقوله تعالىٰ في الأوّل:

﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون‌الله﴾ [آل‌عمران: ٦٤].

ولقوله أيضاً فيه:

﴿أجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب﴾ [ص: ٥].

ولقوله تعالىٰ في الثاني:

﴿قل إنّما يؤحىٰ إليّ أنّما إلهكمُ إله واحد﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

ولقوله:

﴿فاعلم أنّه لا اله إلاّ الله﴾ [محمّد: ١٩].

وكلمة لا إله إلاّ الله، هذا معناها، أعني نفي آلهة كثيرة وإثبات إله واحد، ويشهد به قول نبيّنا ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتّىٰ يقولوا لا إله إلاّ الله»(٩٨).

وبهذا كان دعوة الأنبياء والرسل من آدم إلى محمّد ﷺ.

وسيجيء اثبات هذا عقلاً ونقلاً في المقدّمة السابعة الآخرة إن شاء الله.

وأمّا توحيد الاولياء فهو التوحيد الوجودي الباطنّي الخاصّ، وهو دعوة إلى مشاهدة وجود مطلق من مشاهدة وجودات مقيّدة، أو إلى إثبات وجود واحد حقّ واجب بالذات ونفي وجودات كثيرة ممكنة بالذات

---

(٩٨) قوله أمرت أن أقاتل.

رواه الصدوق في «العيون» ج ٢ ص ٦٥ بإسناده عن داود بن سليمان، عن علي بن موسى الرضا ﷺ عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله،فإذا قالوها فقد حُرم عليّ دماؤهم وأموالهم».

وأخرجه ابن ماجه مثله مع تفاوت في اللفظ في سننه ج ٢ ص ١٢٩٥ الحديث ٩ و ٨ و٣٩٢٧؛ بإسناده عن أبي هريرة وجابر وأوس، عن النبيّ ﷺ.

وأخرجه أيضاً السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٢٤٩ الحديث ١٦٣.

معدومة في نفس الأمر لقوله تعالىٰ:

﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص:٨٨].

ولقوله:

﴿كلّ من عليها فان* ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٦].

ولقول العارفين بأجمعهم فيه:

«ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه وإليه».

وبهذا كان دعوة الأولياء والأئمّة من شيث إلى المهدي عليه السلام كما سيجيئ إثباته في موضعه أيضاً.

(الشرك الجليّ والشرك الخفيّ)

وليس غير هذين التوحيدين هناك توحيد آخر، والدليل علىٰ حصره في القسمين، هو أنّ الشرك الّذي هو بازاء التوحيد منحصر في الشركين: **الجليّ والخفيّ**، لأنّ الشرك إمّا أن يكون في الظاهر أو الباطن، فإن كان في الظاهر كعبادة الأصنام والأوثان، والحجر والمدر، والشمس والقمر، وأمثال ذلك فهو شرك جليّ لجلائه وظهوره بين أهل العالم المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿واتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً ولا يملكون موتاً ولا حيٰوة ولا نشوراً﴾ [الفرقان:٣].

وهو بازاء التوحيد الألوهي.

وإن كان في الباطن كمشاهدة وجود الغير وإثباته في الخارج من مشاهدة الموجودات الممكنة كالعقل والنفس، والأفلاك والأجرام، والعناصر والمواليد، وغير ذلك وهو الموسوم بالشرك الخفّي لخفائه بين الناس المشار إليه في قوله تعالى:

﴿ياصاحبي السجن ءأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار* ماتعبدون من دونه إلاّ أسماءً سميّتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلاّ لله أمر أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه ذلك الدين القيّم ولكن أكثر النّاس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٤٠].

وهو بازاء التوحيد الوجودي.

وليس غير هذين الشركين هناك شرك آخر، فتحقّق حينئذٍ أنّ التوحيد منحصر في التوحيدين المذكورين، وكذلك الشركين.

(في أن دعوة الأنبياء كانت إلى التوحيد الألوهي، أمّا دعوة الأولياء فتكون إلى التوحيد الوجودي)

وإذا عرفت هذا فاعلم، أنّ ظهور جميع الأنبياء والرسلﷺ لم يكن إلاّ لدعوة الخلق إلى التوحيد الإلوهي والخلاص من الشّرك الجلي الّذي هو بإزائه، وظهور جميع الأولياء والأئمّةﷺ لم يكن إلاّ لدعوة الخلق إلى التوحيد الوجودي والخلاص من الشرك الخفي الّذي هو بإزائه.

وكلّ من توجّه إلى الإله المطلق من الإله المقيّد، وعدل عن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ونطق بكلمة التوحيد الألوهي الّتي هي: لا إله الاّ الله خلص من الشرك الجلّي وصار في الشريعة مسلماً مؤمناً موحّداً

بحسب الظاهر، وصار ظاهره وباطنه طاهراً من نجاسة الشرك الجليّ، لقوله تعالىٰ:

﴿إنّما المشركون نجس﴾ [التوبة: ٢٨].

وان لم يكن كذلك يكون مشركاً كافراً نجساً في الظاهر والباطن.

وكل من توجّه إلى الوجود المطلق من الوجود المقيّد، وعدل عن مشاهدة الممكن إلى مشاهدة الواجب ونطق بكلمة التوحيد الوجودي الّتي هي: ليس في الوجود سوى الله، خلص من الشرك الخفي وصار في الحقيقة موحّداً عارفاً محقّقاً بحسب الباطن، وصار ظاهره وباطنه طاهراً من نجاسةالشرك الخفي لقوله تعالىٰ:

﴿ومايؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦].

وان لم كذلك يكون مشركاً نجساً في الباطن دون الظاهر عند البعض، لأنّ عند بعض المحقّقين وهو أيضاً نجس في الظاهر والباطن. ويشهد بذلك قوله تعالىٰ:

﴿انّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨].

لأنّ حكمه حكم العموم ولا مخصص هناك. فكلّ من يكون مشركا، جليّاً كان شركه أو خفيّاً، فهو لا يكون مغفوراً، وهذا في غاية الصعوبة لأنّه مايخلص منهما إلاّ القليل النادر لقوله تعالىٰ:

﴿وقليل من عبادي الشّكور﴾ [سبأ: ١٣].

ولقوله:

﴿وقليل ماهم﴾ [ص: ٢٤].

ومن هذا قال العارف: إنّ الخلاص من الشرك الجليّ أسهل من

الخلاص من الشرك الخفيّ، كما أن الوصول إلى التوحيد الألوهي أسهل من الوصول إلى التوحيد الوجوديّ، لأنّ صاحب الشرك الخفيّ يعد نفسه من المؤمنين الموحدّين بمجرّد توحيده الألوهي، وهو غافل عن الشرك الخفي الّذي هو محجوب به، ومن هذا قال النبيّ ﷺ:

«دبيب الشرك في أمّتي أخفىٰ من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء»(٩٩).

---

(٩٩) قوله: دبيب الشرك في أمّتي.

نقله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان في سورة الأنعام الآية ١٠٨: **﴿ولا تسبّوا الّذين يدعون من دون الله﴾**، هكذا:

«الشرك أخفىٰ من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء»

ورواه الصدوق في «معاني الأخبار» ص ٣٧٩ باب نوادر المعاني الحديث ١ بإسناده عن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الشرك أخفىٰ من دبيب النمل. وقال: منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا». وعنه البحار ج ٧١ ص ١٤٢ الحديث ٣٦.

وروى الهمداني في بحر المعارف ج ٢ ص ٢٧٨ عن النّبي ﷺ:

«ان الشرك أخفىٰ فيكم من شعر الرّس في ليل مظلم في بيت مظلم».

وأخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ٢٩١، بإسناده عن عايشة، عن النبيّ ﷺ قال:

«الشرك أخفىٰ في أمّتي من دبيب النمل على الصّفا في الليلة الظّلماء، وأدناه أن تحبّ علي شيء من الجور، أو تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلاّ الحبّ في الله، والبغض في الله؟

قال الله تعالىٰ:

﴿قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١].

لأنّه كان عارفاً بأنّ أكثر أمّته لا يخلصون منه، ومعلوم أنّ هذا الشرك الخفيّ مخصوص بالمؤمنين والمسلمين، دون المنافقين والكفّار، لأنّ الله تعالىٰ ضمّه إلى الإيمان في قوله:

﴿ومايؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦].

والنبيّ ﷺ ضمّه إلى المسلمين من أمّته، واجتماع الشرك الجلي والإيمان مستحيل، فلم يبق إلاّ أن يكون المراد به الشرك الخفيّ، وقد عبّر القرآن بالشرك الخفيّ بالهوىٰ في قوله:

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣].

لأن بالهوى يصيّر الشخص كافراً ومشركاً ومنافقاً كما قيل:

«لولا الهوىٰ ماعُبدتْ الأصنام أصلاً»، وقيل: «ماعبد إلهاً دون الله أعظم من الهوى»، لأنّ مِن هوائه مالَ الكافر إلى دين آبائه وأجداده، وصار من المشركين، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم في قوله:

﴿بل قالوا إنّا وجدنا آبائنا على أمّة وإنّا على آثارهم مهتدون﴾ [الزّخر: ٢٢].

وههنا أبحاث كثيرة ودقائق شريفة وقد سبقت بعضها أبسط من ذلك

وراجع تعليقنا على الجزء الاوّل ص ٢٨٤ الرقم ٥٤.

وأخرجه أيضاً السيوطي في «الجامع الصغير» ج ٢ ص ٨٥ الحديث ٤٩٣٥.

وأخرج السيوطي أيضاً في المصدر الحديث ٤٩٣٤ عن الرسول الأعظم ﷺ:

«الشرك فيكم أخفىٰ مِن دبيب النمل، وسأدلّك على شيء إذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم»

تقولها ثلاث مرّات».

في المقدّمة الرابعة عند بحث الكلمة، وسيجيء أكثر منه إن شاء الله في المقدّمة السابعة المخصوصة بالتوحيد.

وإذا عرفت هذه القواعد في هذه المقدّمة على سبيل الإختصار فلنشرع إلى تخصيص التوحيد بكلّ طايفة من الطوايف الثلاث وهو هذا:



أمّا توحيد أهل الشريعة

فهو التوحيد الألوهي الّذي هو عبارة عن نفي آلهة كثيرة، وإثبات إله واحد، أو نفي آلهة مقيّدة وإثبات إله مطلق، لا مشاحّة في الإصطلاح.

(في بيان التوحيد التقليدي)

وهذا التوحيد ينقسم إلى قسمين: قسم يتعلّق بأرباب التقليد منهم كالعوام والجهلة، وقسم يتعلّق بأرباب النظر والإستدلال كالخواصّ والعلماء.

أمّا الطايفة الأولىٰ فطريقتهم وهي أنّهم يعتقدون في الباطن أنّ الإله واحد، لا شريك له في الإلهيّة، ولا نظير له في الوجود، ليس كمثله شيئ، وهو السميع البصير، ويتمسّكون في هذا بقوله تعالىٰ:

﴿لو كان فيهما ءالهة إلّا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وبقوله:

﴿قل هوالله أحد* الله الصّمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد﴾[التوحيد: ١ – ٤].

ويعتقدون أنّه حيّ، عالم، قادر، سميع، بصير، مريد متكلّم، «لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض» [سبأ: ٤] وهو بكلّ شيء عليم» [البقرة: ٢٩].

ويعتقدون أنّ غيره من الآلهة أصنام وأوثان لا يملكون نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً، وعابديها كفّار مشركون ملعونين، أينما ثقفوا يجب البراءة منهم في الدنيا والآخرة، كما أمر الله تعالىٰ به في قوله:

﴿ياأيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظّالمون﴾ [التوبة: ٢٣].

ولقوله:

﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشريتهم﴾ [المجادلة:٢٢].

وهؤلاء القوم بهذا الإعتقاد يكونون في حماية الإسلام وحفظة في دار الدنيا، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وفي الآخرة يكون رجوعهم إلى فضل الله ورحمته، فإن الله ذو فضل عظيم.

وقد أشار إلى هذا المعنىٰ الشيخ الكامل أبو اسماعيل الهروي قدّس الله سرّه في كتابه الموسوم بـ«منازل السائرين»[١٠٠]، وهو قوله:

(١٠٠) قوله: في كتابه الموسوم بمنازل السائرين.

راجع شرح منازل السائرين لعبد الرزاق القاساني ص ٦٠٩ وأيضاً «شرح منازل السائرين» لعفيف الدين سليمان التلمساني ص ٦٠٢.

«والتوحيد على ثلاثة أوجه (وجوه):

الوجه الأوّل، توحيد العامّة، الّذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني توحيد الخاصّة، وهو الّذي يثبتُ بالحقايق، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصّة الخاصّة.

وامّا توحيد الأوّل، فهو شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ الّذي نفي الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمّة، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، وصحت به الملّة للعامّة وإن لم يقوموا بحق الإستدلال.

(في بيان التوحيد النظري والاستدلالي)

وأمّا الطايفة الثانية، فطريقتهم مع حصول هذا يكون طريقة النظر والإستدلال، وهو أنّهم يثبتون بالدليل العقلي أنّ إلآله واحد ولا يجوز أن يكون أكثر من واحد.

وبيانه وهو أنّه لو كان في الوجود إلهين مستقلّين لكان كلّ واحد منهما متميّزاً عن الآخر بالذّات ومشاركاً له بالصفات فليزم أن يكون كلّ واحد منهما مركّباً من جزء المباينة وجزء المشاركة، وكلّ مركّب ممكن، لأنّه محتاج إلى جزئه، وجزؤه غيره، والمحتاج إلى الغير ممكن فيكون الواجب ممكناً هذا خلف فيجب أن يكون إلآله واحداً وهذا هو المطلوب.

وهؤلاء بهذا الإعتقاد يكونون في مقام التوحيد البرهاني دون العياني، ويكون لهم مرتبة النظر والاستدلال، ويصدق عليهم أنّهم الحقّ ببعض

الوجوه، وصاروا من الّذين نجوا ودخلوا الجنّة الصوريّة الموعودة في القيامة[(١٠١)].

وقد يعبّر عن هذا التوحيد بالتوحيد الفعلي لأنّهم بالفعل يستدلّون على الفاعل وبالصنع على الصانع، وليس لهم وراء هذا مرمى.

﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٣٠].

﴿يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون﴾ [الروم: ٧].



---

(١٠١) قوله: الموعودة في القيامة.

هذا الوعد أشار إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وبشّر الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الّذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥].

ومنها قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٧:

﴿والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهّرة وندخلهم ظلّاً ظليلاً﴾.

وأمّا توحيد أهل الطريقة

(في بيان التوحيد الفعلي والتوحيد الوصفي)

فهم أنّهم يشاهدون بعد حصول هذا التوحيد والوصول إليه بعين البصيرة أنّ إلآله واحد، وليس في الوجود غيره ولا فاعل سواه، لقولهم: لا فاعل إلاّ الله وليس في الوجود فاعل غيره، فيقطعون النظر عن الأسباب والمسبّبات، ويتكلّون عليه حقّ التوكّل، يسلمون أمرهم إليه بالكلّي، ويفرحون بما يجري عليهم منه، ويرضون به، لقوله:

﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩].

وبهذا يحصل لهم مقام التوكّل والتسليم والرضا وأمثالها لقوله تعالىٰ:

﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً﴾ [الطلاق: ٣].

ويصلون بذلك إلى مرتبة التوحيد الوصفي بعد الفعلي ويستحقّون به درجة جنّة الصفات ومقام الرّضا الّذي هو أعلىٰ المقامات في التوحيد الوصفي كما أشار إليه الحقّ جلّ ذكره في قوله:

﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢].

ولقول النبيّ ﷺ:

«الرضا باب الله الأعظم»(١٠٢).

---

(١٠٢) قوله: الرضا باب الله الأعظم

نقله أبو نعيم الإصفهاني في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ١٥٦، بإسناده عن عبد الواحد بن زيد.

أخرج الطبري في تفسيره «جامع البيان» ج ١٠ ص ١٢٦، وأيضاً النيسابوري في تفسيره «غرايب القرآن» المطبوع بهامش «جامع البيان» وأيضاً البغوي في «معالم التنزيل» ج ٣ ص ٨١، في سورة التوبة الآية ٧٧: ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾، باسنادهم عن أبي سعيد الخدري عن الرسول الاكرم ﷺ قال:

«يقول الله عزّ وجلّ لأهل الجنّة: «يأهل الجنّة هل رضيتم»؟ فيقولون: ربّنا ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعطه أحداً من خلقك؟ فيقول: «أفلا أعطيكم أفضل من ذلك»؟ فيقولون: ربنا وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: «أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

وروى العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٩٧ في تفسير الآية المذكورة، عن ثور، عن علي بن الحسين عليه السلام قال:

إذا صار أهل الجنّة، ودخل وليّ الله إلى جنّاته ومساكنه، واتّكئ كلّ مؤمن على أريكته حفّته خدّامه، وتهدّلت عليه الأثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزرابيّ، ووضعت له النمارق، وأتته الخدّام بما شاءت هواه من قبل أن يسألهم ذلك، قال: ويخرج عليه الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ماشاء الله.

ثمّ إن الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم: «أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنّتي في جواري! ألا هل أنبؤكم بخير ممّا أنتم فيه»؟ فيقولون: ربّنا وأيّ شيء خير ممّا نحن فيه: فيما اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النعم في جوارالكريم، قال: فيعود

وإلى هذا التوحيد أشار الشيخ أبو إسماعيل الهروي(١٠٣) قدّس الله سرّه أيضاً في قوله:

«وأمّا التوحيد الثاني، الّذي يثبت بالحقايق، فهو توحيد الخاصّة، وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلّق بالشواهد، وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكلّ سبباً، ولا للنجاة وسيلة، فيكون مشاهداً سبق الحقّ بحكمه وعلمه، وضعه الأشياء مواضعها، وتعليقه إيّاها بأحايينها، وإخفائه إيّاها في رسومها، ويحقق معرفة العلل، وتسلك سبيل إسقاط الحدث».

والفرق بين هذا التوحيد والتوحيد المخصوص بأهل الشريعة، وهو

← عليهم القول، فيقولون: ربّنا نعم فأتنا بخير ممّا نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالىٰ:

﴿رضاي عنكم ومحبّتي لكم خير وأعظم ممّا أنتم فيه﴾، قال فيقولون: نعم ياربنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خير وأطيب لأنفسنا»، ثمّ قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآية:

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ٧٢].

وروى الشيخ الطوسي في أماليه الجزء السابع ص ٢٠٠ بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن الصادق عليه السلام قال:

«رأس طاعة الله الرضا بما صنع الله فيما أحب العبد وفيما كره، ولم يصنع الله تعالىٰ بعبد شيئاً إلاّ وهو خير له».

(١٠٣) قوله: أشار الشيخ أبو إسماعيل الهروي.

راجع شرح «منازل السائرين» للقاساني ص ٦١١، وللتلمساني ص ٦٠٥.

أنّ ذلك من التوحيد العلمي المنسوب إلى العوام، وهذا التوحيد العيني المنسوب إلى الخواصّ، والأوّل موجب للخلاص من الشرك الجليّ، والثّاني للخلاص من الشرك الخفيّ الّذي هو الأعظم والأصعب وبينهما بون بعيد.

أمّا الفرق بين هذا التوحيد وتوحيد خاصّ الخاص من أهل الله، وهو أنّ التوحيد المخصوص بأهل الطريقة مبنّي على التوكّل والتسليم والرضا وأخواتها(١٠٤) منوط بتحصيل المقامات والمراتب والتخلّق بأخلاق الله والإتّصاف بصفاته، وهذا كلّه من باب التوحيد الوصفي الّذي يقتضي الواصف والموصوف والصفة، وهذا لا يخلوا من الكثرة بل هو عين الكثرة، لأنّه مشتمل على الموكّل والمتوكّل والراضي والمرضي وأمثال ذلك، وبين الكثرة والتوحيد مباينة كلّيّة، وتوحيد خاصّ الخاص مبنّي

---

(١٠٤) قوله: مبنيّ على التوكّل والتسليم والرضا.

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٤٧، باب خصال المؤمن، الحديث ٢ عن السكوني، عن الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«الإيمان له أركان أربعة: التوكلّ على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عزّ وجلّ».

وروى مثله أيضاً في باب المكارم الحديث ٥ ص ٥٦، وروى أيضاً مثله الحميري في قرب الإسناد ص ٣٥٦، الحديث ١٢٦٨ بإسناده عن البزنطي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وروى الصدوق في «الخصال» الباب الرابع ج ١ ص ٢٣١، الحديث ٧٤، بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد».

وراجع أيضاً الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥٢، باب حقيقة الإيمان واليقين.

على الفناء المحض والطمس الكلّي، والعبور عن جميع المقامات والمراتب والإضافات والإعتبارات حتّى الوجود وتوابعه لقولهم:

«التوحيد إسقاط الإضافات»[١٠٥].

وأين هذا من ذاك؟ وأين الباقي بنفسه من الفاني بربّه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وستعرف توحيدهم أبسط من ذلك في موضعه ان شاء الله.

وفي الكتاب العزيز[١٠٦] جلّت كلمته: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، إشارة إلى هذا التوحيدات الثلاث، وكذلك الإسلام، والايمان، والايقان[١٠٧]، وأصحاب الشمال وأصحاب اليمين، والسابق

---

(١٠٥) قوله: التوحيد إسقاط الإضافات.

قال محيي الدين بن عربي في الفتوحات، في الباب الثالث والسبعون، السؤال الرابع والستّون، ج ١٢ ص ٣٦٩:

«التوحيد لا يُضاف ولا يضاف إليه».

(١٠٦) قوله: وفي الكتاب العزيز.

في قوله تعالىٰ:

﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجحيم * ثمّ لترونّها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٥ - ٧].

وقوله تعالىٰ:

﴿إن هذا لهو حقّ اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥].

وقوله تعالىٰ:

﴿وإنّه لحقّ اليقين﴾ [الحاقّة: ٥١].

(١٠٧) قوله: وكذلك الإسلام، والايمان، والايقان.

⮌ نذكر في المقام قسماً من الآيات القرآنيّة وعدّة من الأحاديث الدالّة على العناوين الثلاثة المذكورة، وامّا **الآيات في بيان الإسلام**، منها قوله تعالىٰ:

﴿قالت الأعراب ءامنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤].

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأمّا الأحاديث، منها مارواه الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢٥ الحديث ١ باب أنّ الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان، بإسناده عن سماعة قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال:

«الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدّماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى ومايثبت في القلوب من صفة الإسلام وماظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة».

وينبغي أن يعلم أنّ هذه المرتبة المذكورة من الإسلام الّتي هي أدنىٰ المراتب في سلوك الإنسان إلى الله سبحانه وتعالىٰ، غير مرتبة الإسلام بمعنى الإنقياد الصرف الّتي درجتها أعلى حتّى بالنسبة إلى بعض مراتب الإيمان أيضاً، ويعتبر هذا الإسلام في القرآن الكريم من مقامات سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، كما قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال تعالىٰ:

⮎

﴿ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله سبحانه:

﴿ربّنا وأجعلنا مسلمَين لك ومِن ذريّتنا أمّة مسلمة لك﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقوله تعالىٰ:

﴿اذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين﴾ [البقرة: ١٣١].

وامّا الآيات والأحاديث في بيان الايمان، منها قوله تعالىٰ:

﴿قد أفلح المؤمنون* الّذين هم في صلاتهم خاشعون* والّذين هم عن اللّغو معرضون﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿هو الّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤]

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يؤادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أوعشريتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه﴾ [المجادلة: ٢٢].

وامّا الأحاديث، منها:

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٤ الحديث ١ بإسناده عن عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:

﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨]، قال: «الاسلام»، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿فقد أستمسك بالعروة الوثقىٰ﴾، قال: «هي الإيمان بالله وحده لا شريك له».

وروى أيضاً بإسناده عن جميل في الحديث ٥ قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿هو الّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين﴾، قال: هو «الإيمان». قال:

﴿وأيّدهم بروح منه﴾، قال: «هو الإيمان»، وعن قوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوىٰ﴾؟ [الفتح: ٢٦]. قال: «هو الإيمان».

وروى أيضاً في المصدر باب فضل الإيمان ص ٥٢ الحديث ٣ بإسناده عن حمران بن أعين، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول:

«إنّ الله فضّل الإيمان على الإسلام بدرجة كما فضّل الكعبة على المسجد الحرام».

وروي أيضاً في المصدر باب ان الإسلام يُحقن به الدم الحديث ١ ص ٢٤ بإسناده عن الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«الإسلام يُحقن به الدّم، وتؤدّي به الأمانة، وتستحلّ به الفروج، والثواب على الإيمان».

وروىٰ أيضاً في الباب الحديث ٤ بإسناده عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجلٌ أبا عبد الله عليه السلام، عن الإسلام والإيمان، ماالفرق بينهما؟ فقال:

«الإسلام هو الظاهر الّذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، قال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً».

راجع أيضاً على مامرّ في التعليق الرقم ١٠٤.

وامّا الآيات والأحاديث في بيان اليقين، منها قوله تعالىٰ:

﴿وأعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩].

ومنها قوله تعالىٰ:

﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام: ٧٥].

ومنها قوله تعالىٰ:

المقرّب(١٠٨)، وأمثال ذلك وكأنّ النبيّ ﷺ. إلى أهل هذه المراتب أشار

﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]

وأمّا الأحاديث في بيان اليقين، منها رواه الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥١ باب فضل الإيمان على الإسلام، واليقين على الإيمان، الحديث ١ بإسناده عن جابر، عن الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الإيمان أفضل من الإسلام وإنّ اليقين أفضل من الإيمان ومامن شيء أعزّ من اليقين».

ومنها مارواه في المصدر الحديث ٢، بإسناده عن الوشّاء عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوىٰ فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوىٰ بدرجة، وماقُسّم في الناس شيء أقلّ من اليقين».

ومنها مارواه الكليني في المصدر باب حقيقة الإيمان واليقين الحديث ٢، ص ٥٣، بإسناده عن اسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ رسول الله ﷺ صلّىٰ بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه، مصفرّاً لونه، قد نحُف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: كيف أصبحت يافلان؟ قال: أصبحت يارسول الله موقناً، فعجب رسول الله ﷺ من قوله وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟

فقال: إنّ يقيني يارسول الله هو الّذي أحزنني وأسهَرَ ليلي وأظْمأ هواجري فعزفتْ نفسي عن الدنيا ومافيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون وعلى الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان». الحديث.

(١٠٨) قوله: وأصحاب الشمال، وأصحاب اليمين، والسابق المقرّب.

بقوله:

«الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله»(١٠٩).

لأنّ الطايفة الاولىٰ حيث إنّهم في مقام التقليد ومرتبة الظاهر جعلوهم من أهل الدنيا، لأنّهم ماتجاوزا عنها لحرصهم وشرّهم في طلبها، وبخلهم وشحّهم على متاعها، و:

المذكور في قوله تعالىٰ:

﴿فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة* وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة* والسّابقون السّابقون* أولئك المقرّبون﴾ [الواقعة: ٧ - ١١].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين* في سدر مخضود﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٢٨].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿وأصحاب الشّمال ماأصحاب الشّمال* في سموم وحميم﴾ [الواقعة: ٤١-٤٢].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿فأمّا إن كان من المقرّبين* فروح وريحان وجنّت نعيم* وأمّا إن كان من أصحاب اليمين* فسلام لك من أصحاب اليمين* وأمّا إن كان من المكذّبين الضّالين* فنزل من حميم﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٣].

(١٠٩) قوله: الدنيا حرام على أهل الآخرة.

رواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٩، الحديث ١٩٠.

وأخرجه أيضاً السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٦٥٦ الحديث ٤٢٦٩.

وأخرجه أيضاً الديلمي في «الفردوس» الحديث ٣١١٠، راجع «سرّ الأسرار ومظهر الأنوار» لعبد القادر الجيلاني ص ٨١ و٩٨، والجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٣٠٩ التعليق ٦٨.

«حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»[١١٠].

مقرّر، فنسبتهم إليها يكون صحيحة واقعة، وفيهم ورد قوله تعالىٰ:

﴿يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم:٧].

والطايفة الثانية، حيث إنّهم في مقام التّحقيق ومرتبة الباطن والتّوحيد العيني، الّذي هو فوق العلمي، جعلوهم من أهل الآخرة، لأنّهم تجاوز عن الظاهر ووصلوا إلى الباطن، وشاهدوا المطلوب بعين البصيرة على ماهو عليه المشار إليه في قوله:

﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتّبعني﴾ [يوسف:١٠٨].

والطايفة الثالثة، حيث إنّهم في مقام الفناء ومرتبة الباطن وخاصّ الخاصّ والتوحيد الذاتي، جعلوهم من أهل الله وخاصّته، لأنّهم تجاوزوا عن الظاهر والباطن، أعني الملك والملكوت والغيب والشّهادة، ووصلوا إلى المقصود بالذّات من الكلّ الّذي هو الحقّ تعالىٰ، وشاهدوه، بنوره على

---

(١١٠) قوله حبّ الدنيا.

رواه الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٣٠ الحديث ١١ بإسناده عن محمّد بن مسلم بن شهاب، عن علي بن الحسين عليه السلام، عن الأنبياء والعلماء.

رواه الصدوق في الخصال ج ١ ص ٢٥ الحديث ٨٧ بإسناده عن درست بن أبي منصور عن الصادق عليه السلام.

ورواه ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي، ج ١ ص ٢٧ الحديث ٩، بإسناده عن سلمان الفارسي، عن النبيّ صلى الله عليه وآله».

وأخرجه أيضاً السيوطي في «الجامع الصغير» ج ١ ص ٥٦٦ الحديث ٣٦٦٢.

ماينبغي ونطقوا لما نطق العارف مثلهم وهو قولهم:

«سبحان من لا يوصل إليه إلاّ به»، وطابق قول النبيّ ﷺ:

«رأيت ربّي بربّي، وعرفت ربّي بربّي»(١١١).

وحيث كان سلمان من أهل هذا المقام قال النبيّ ﷺ في حقّه:

«إنّ الجنّة أشوق من سلمان من سلمان إلى الجنّة»(١١٢).

لأنّ الجنّة من الآخرة وسلمان من أهل الله الّذين هم فوق أهل الجنّة بمراتب كثيرة فكيف يشتاق إليها؟

لأنّ التنزّل من الأعلىٰ إلى الأدون نقص، وفيه قال نبيّنا ﷺ:

«حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين»(١١٣).

---

(١١١) قوله: رأيت ربي وعرفت ربّي.

راجع التعليق الرقم ٢٩ و ٣٠.

(١١٢) قوله: ان الجنّة أشوق من سلمان.

راجع الجزء الاوّل من تفسير «المحيط الأعظم» ص ٣٠٧ التعليق ٦٦ وص ٤٣٣ التعليق ١١١ وص ٤٩٠ التعليق ١٤٣.

وأخرج الترمذي في «الجامع الصحيح» ج ٥ كتاب المناقب باب ٣٤ الحديث ٣٧٩٧ بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار، وسلمان».

وراجع أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٦٩، وشرح الخطبة ١٢٠، وراجع أيضاً «إحقاق الحق» ج ١٦ ص ٥٣٢، وج ٦ ص ١٩٣.

أقول: والسّر في اشتياق الجنّة إلى هؤلاء الكرام، هو أنّ مقامهم أعلى بمراتب من حيث الوجود والقرب، من مقام الجنّة ومرتبتها، ومعلوم أنّ الداني لمشتاق للوصول إلى العالي.

(١١٣) قوله: حسنات الأبرار سيئات المقرّبين

وقد سبق بعض هذا البحث في المقدّمة الأولى، وسيجيء أكثر من ذلك في المقدّمة السابعة إن شاء الله.

هذا توحيد أهل الطريقة.



⊃ كلام معروف، ومنسوب إلى المعصومين، ومضمونه مطابق للقواعد والأصول.

ذكره عبدالرزاق القاساني في شرح منازل السائرين باب الصدق، ص٢٢٦، نقلاً عن النبيّ ﷺ.

وذكره المجلسي في البحار ج ٢٥ ص ٢٠٥ والسيد علي خان المدني في رياض السالكين ج ٢ ص ٤٧٣.

وأمّا توحيد أهل الحقيقة

(وحدة الشهود ووحدة الوجود)

بعد وصولهم إلى التوحيدين المذكورَين، فهو أنّهم لا يشاهدون في الوجود غير الله ولا يعرفون في الحقيقة غيره، لأنّ وجوده حقيقيّ ذاتي، ووجود غيره عارضيّ مجازيّ في معرض الفناء والهلاك آناً فآناً، لقوله:

﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص:٨٨].

ولقوله:

﴿كلّ من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربّك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]

لأنّ هذا الفناء والهلاك ليس موقوفاً على زمان وآن، كما ذهب إليه بعض المحجوبين، بل هو واقع دائماً من الأزل إلى الأبد على وتيرة واحدة، لهلاك الأمواج في البحر، وفناء القطرات في المحيط. فإنّ الأمواج والقطرات وإن كانت لها اعتباراً عقليّاً وتميزاً وهميّاً، لكن في الحقيقة

ليس لها وجود أصلا لأن الوجود الحقيقيّ للبحر فقط. والأمواج هالكة فانية في نفس الأمر، وهذا أمر معقول يعرفه كلّ عاقل، وبل أمر محسوس يعرفه كلّ ذي حسّ، وفيه قيل:

البحر بحر على ماكان في (من)قدم   إنّ الحوادث أمواج وأنهار
لا تحجبنك أشكال تُشاكلها   عمن تشكّل فيها فهي أستار(١١٤)

فكما أنّ من شاهد البحر والأمواج والقطرات على الوجه المذكور، وعرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للبحر، والأمواج والقطرات معدومات في نفس الأمر لأنّها ساعة فساعة في معرض الفناء والهلاك والزّوال، وقال ليس في الحقيقة ولا في الخارج إلاّ البحر، فكذلك من شاهد الحقّ والخلق والمظاهر على مايقرّر وعرف أنّه ليس في الحقيقة وجود إلاّ للحقّ، والخلق والمظاهر معدومات في نفس الأمر لأنّهم آناً فآناً في معرض الزوال والهلاك، فإنّه يجوز له أيضاً أن يقول: ليس في الحقيقة ولا في الخارج إلاّ الحقّ، وهذا معنى قولهم:

«الباقي باق في الأزل، والفاني فان لم يزل»

---

(١١٤) قوله: البحر بحر.

الشعر منسوب إلى ابن العربي، راجع جامع الأسرار ص ٨٠٦ والفتوحات ج ٣ ص ١٧٢، وتمام الشعر هكذا:

ولا أقول بتكرار الوجود ولا   عود الوجود فما الأمر تكرار
البحر بحر على ماكان من قدم   إنّ الحوادث أمواج وأنهار
لا يحجبنّك أشكال تُشاكلها   عمّن تشكّل فيها فهي أستار
وكن فطيناً بها في أيّ مظهره   فإنّ ذا الأمر إخفاء وإظهار

وراجع الجزء الثاني ص ٦٧ تعليقنا الرقم ٢٨.

وإليه الإشارة بقوله:

﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ [ق: ١٥].

لأنّ عندالعارف، الوجود الإضافي القائم بنَفَس الرحمان ومدد الوجود الحقيق ساعة فساعة في معرض الزوال والفناء وقبول الوجود مثله، ومن هذا يصعب إدراكه، لأنّه في غاية الخفاء، وإلى هذا أشار أيضاً وقال:

﴿ترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب﴾ [النمل: ٨٨].

ويعرف هذا من كبر الثمرة ساعة فساعة وعدم إدراك الحس ذلك الكبر والصغر والإعدام والإيجاد، وكذلك في سريان الماء وتمّوجه، فإنّه في كلّ ساعة يعدم ويوجد مثله بقدرة الله وكمال صنعه، وإليه الإشارة في اصطلاحهم أيضاً وهو قولهم:

«المدد الوجودي هو وصول كلّما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء حتّى يبقىٰ، فإنّ الحقّ يمده من النَفَس الرحماني بالوجود، حتّى يترجّح وجوده على عدمه الّذي هو مقتضى ذاته بدون موجده، وذلك في التحلّل وبدله من الغذاء والتنفّس ومدده من الهواء ظاهر محسوس».

وأمّا في الجمادات والأفلاك والروحانيات، فالعقل يحكم بدوام رجحان وجودها من مرجّحة، والشّهود يحكم بكون كلّ ممكن في كلّ آن خلقاً جديداً، وبالجملة ليس في نظر هذا العارف الّذي شهد الحقّ أو الوجود على ماهو عليه إلاّ الحقّ تعالىٰ المعبّر عنه بالوجود تارة، وبالذات أخرى.

(ليس في الوجود سوىٰ الله تعالىٰ)

ويعضد ذلك قول جميع العارفين مثله، الّذي قالوا بالإتّفاق:

«ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله فالكلّ هو وبه ومنه وإليه»

وهذا معنى قوله تعالىٰ عند التحقيق:

﴿هوالأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيءعليم﴾ [الحديد:٣].

ومعنى قوله:

﴿أولم يكف بربّك إنّه على كلّ شيء شهيد * ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط﴾ [فصّلت: ٥٤ - ٥٣].

لانّ المحيط لا ينفكّ عن المحاط ولا المحاط عن المحيط، والمحاط عند التحقيق أسماؤه وأفعاله وأثاره، أو الوجود الإضافي الإمكاني الّذي لا حقيقة له في الخارج، فلا يكون في الخارج إلاّ هو، ولهذا قال تأكيداً للأقوال المذكورة:

﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥].

لأنّ الوجه هو الذات بالإتّفاق فيكون تقديره: أينما تولّوا من الأمكنة والجهات، ثمّ ذاته ووجوده لأنّه المحيط، والمحيط لا يكون مخصوصاً بمحاط دون محاط، ولا بموضع دون موضع، والله بكلّ شيء محيط، فافهم جداً مع انّه قد مرّ هذا البحث مراراً وسيجيء أيضاً مراراً.

(في توحيدات الثلاث الفعلي والوصفي والذاتي)

فالتوحيد الفعلي كما أنّه عبارة عن إسقاط كلّ فاعل وفعل عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الفاعل الحقيقيّ الواحد الّذي هو مصدر كلّ الأفعال، ويثبت قدمه العقليّ في التّوحيد الفعلي.

والتوحيد الوصفيّ عن إسقاط كلّ صفة وموصوف عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الموصوف الحقيقيّ الوحدانيّ الّذي هو منشأ كلّ صفة وموصوف، ويثبت قدمه البصيري في التوحيد الوصفيّ.

والتوحيد الذاتي المشار إليه الآن عبارة عن إسقاط كلّ ذات ووجود عن النظر حتّى يصل صاحبه إلى الوجود المطلق المحض، والذات البحت الخاصّ الّذي هو موجد كلّ موجود، منشيء جميع الذوات، ويثبت بذلك قدمه الشهودي الروحي في التوحيد الوجوديّ الذاتيّ، ويصير به عارفاً كاملاً مكمّلاً محقّقاً، واصلاً مقام الإستقامة والتمكّن، الّذي لا مقام فوقه، المعبّر عنه في قولهم:

«ليس وراء عبّادان قرية».

وإلى التوحيدات الثلاث أشار النبيّ ﷺ في دعائه المشهور عند الخاصّ والعام والموافق والمخالف، وهو قوله:

«اللهمّ إنّي أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك»(١١٥).

لأنّ الأوّل إشارة إلى التوحيد الفعلي، والثاني إلى التوحيد الصفاتي، والثالث إلى التوحيد الذاتي.

وكذلك القوم في إصطلاحهم فإنّهم قسّموا التّوحيد ثلاثة أقسام، وسمّوا صاحب القسم الأوّل بذو العقل، وصاحب القسم الثاني بذو العين،

---

(١١٥) قوله: اللّهم إني أعوذ بعفوك من عقابك.

ذكرناه في الجزء الأوّل ص ٢٨١ التعليق الرقم ٥٢، فراجع.

وصاحب القسم الثالث بذو العقل والعين، لأنّه الجامع لهما والفايق عليهما، نذكره هاهنا ونختم هذا البحث عليه وهو قولهم:

«**ذو العقل هو الّذي يرى الخلق ظاهراً والحقّ باطناً، فيكون الحقّ عنده مرآة الخلق، لاحتجاب المرآة بالصورة الظاهرة فيه إحتجاب المطلق بالمقيّد.**

ذو العين هو الّذي يرى الحقّ ظاهراً والخلق باطناً فيكون الخلق عنده مرآة الحقّ لظهور (لظهوره) عنده واختفاء الخلق فيه إختفاء المرآة بالصورة.

ذو العقل والعين هوالّذي يرى الحق في الخلق، والخلق في الحقّ، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر، بل يرى الوجود بعينه: حقّاً من وجه، خلقاً من وجه، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد، ولا تزاحم في شهوده كثرة المظاهر أحديّة الذات الّتي يتجلّي فيها، ولا يحتجب بأحديّة وجه الحقّ عن شهود الكثرة الخلقيّة ولا تزاحم في شهودها أحديّة الذات المتجلّيّة في المجالي كثرتها».

وإلى المراتب الثلاث أشار الشيخ الكامل محيي الدين الأعرابي (ابن العربي) قدّس الله سرّه في أبيات له:(١١٦)

---

(١١٦) قوله: أشار الشيخ الكامل محي الدين في أبيات له.

قاله ابن العربي في الفتوحات الملكيّة ج ٣ ص ٢٩٠، في آخر باب الموفئ ستين وثلثمائة في «معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهورة».

وأمّا متن الشعر في الفتوحات هكذا:

ففي الخلق عين الحقّ إن كنت ذا عـين
وفي الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عـقل
وان كــنت ذا عــين وعــقل فـماترى
سوى عين شـيء واحـد فـيه بـالشكل

وحيث هذا مقام شريف ليس فوقه مقام كما أشرنا إليه قال الشيخ أيضاً في فصوصه:(١١٧)

«وإذا ذقتَ هذا فقد ذقتَ الغاية الّتي ليس فـوقها غـاية فـي حـقّ المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثمّ أصلا ومابعده إلا العدم المحض».

رزقنا الله وايّاكم الوصول إلى هذا المقام بمحمّد وآله الكرام ﷺ.

هذا آخر بيان التوحيدات الثلاث بقدر هذا المقام بالنسبة إلى الطوائف الثلاث. والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

➲ ففي الحقّ عين الخلق إن كنت ذا عين وفي الخلق عين الحقّ إن كنت ذا عقل
فـإن كـنت ذا عـين وعـقل مـعاً فـما ترى غـير شـيء واحـد فـيه بـالفعل
ونقل السيّد المؤلّف الشعر في «نصّ النصوص» ص ٣٦٠، وفي «جامع الأسرار» ص ١١٣ كما نقله هنا.

(١١٧) قوله: في فصوصه.
قاله في فصّ الشيثي.
راجع شرح فصوص الحكم للقيصري ص ١٠٧.

وأمّا العدل

(المراد من العدل الإلهي)

فالمراد بالعدل وهو أنّه تعالىٰ لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب، والقبيح كلّ فعل ينفر العقل عنه، ولا يكون ملايماً لحكمه كالكذب والظلم والسرقة وأمثال ذلك، فإنّ العقل الصحيح ينفر عن أمثالها، ولا يحكم بها أصلاً، والواجب عليه تعالىٰ(١١٨) وهو الّذي تقدّم ذكره بانّه تعالىٰ حيث

---

(١١٨) قوله: والواجب عليه تعالىٰ

مراده ﷺ هو أنّ بعث النبيّ وإرسال الرسول واجب عنه سبحانه وتعالىٰ لرحمته وحكمته.

وليعلم أنّ الحقّ سبحانه وتعالىٰ كتب على نفسه الرحمة والهداية وغير ذلك.

فهذه كلّها واجب عنه عزّ وجلّ وليس بواجب عليه، لأنّ الواجب تعالىٰ مستحيل أن يكون موجَباً.

قال سبحانه وتعالى:

﴿قل لِمن مّافي السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرّحمة﴾ [الأنعام:١٢].

خلق الخلق وكلّفهم بتكليف يجب عليه أن يبعث إليهم أحداً من عنده، ليعلّمهم هذا التكليف، ويرشدهم إلى سواء الطّريق لقوله فيه جلّ ذكره:

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وإلاّ يلزم منه الإهمال والإجمال في التكليف والأفعال، والإخلال بالواجب عن الحكيم الكامل، ويؤدّي ذلك إلى نقض غرضه، ونقض الغرض على الحكيم الكامل محال، فيجب أن يبعث أحداً إليهم ليعلّمهم ذلك التكليف، وهم يقوموا به ويحصل غرضه منهم لقوله:

﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولقوله في الحديث القدسي:

«كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»(١١٩).

(المراد من اللطف اللهي)

وهذا يسمّى لطفاً كما سبق ذكره غيرمرّة بأنّ اللطف هوالّذي يكون

وقال:

﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز﴾ [المجادلة: ٢١].

وقال:

﴿إنه من يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠].

أي كتب على نفسه ان لا يضيع أجر المحسنين لأنّه عليم، حكيم، قدير، غنّي.

(١١٩) قوله: كنت كنزاً مخفّياً.

راجع التعليق ٦٠.

العبد به إلى الطاعة أقرب ومن المعصية أبعد، وكلّ ذلك راجع إلى حكم العقل لأنّ الحسن والقبح عند أكثر العقلاء عقليّان لا نقليّان، وعند البعض بعكس ذلك أعني هما نقليّان وبينهما خلاف، فالمعتزلة وتابعيهم ذهبوا إلى أنّهما عقليّان، والأشاعرة وتابعيهم ذهبوا إلى أنّهما نقليان، والحقّ في طرف المعتزلة بحكم العقل الصحيح أيضاً، لأنّ النقل ماله دخل في ذلك، لأنه لو كان موقوفاً على النقل والشرع، ما أقرّوا به الكفار وعبدة الأوثان لأنّ عندهم الصدق حسن والكذب قبيح، والعدل حسن والظلم قبيح، وكذلك جميع الأفعال المستحسنة عند العقل، والمستقبحة عنده، فإنّ أكثر العقلاء اتفقوا على أنّهما عقليان لا نقليان.

ومع ذلك كلّه، المعتزلة وتابعيهم استدلّوا عليه ببرهان عقلي غير قابل للمنع، نقرره هاهنا حتّى يتحقّق عندك صدق دعوانا ودعواهم وهو قولهم:

مرادنا في كونه تعالىٰ عادلاً وهو أنّه لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب، وهذه المسألة متفرّعة على إثبات الحُسن والقبح بحكم العقل مطلقاً، فنقول:

(في اثبات الحسن والقبح العقليان)

اعلم أنّ كلّ من صدر عنه فعل المكلفين من الأفعال الإختياريّة لا يخلو إمّا أن يكون صدور ذلك الفعل منافراً للعقل، أو لا يكون، فالأوّل هو القبيح، والثاني إمّا أن يكون تركه منافراً للعقل أو لا يكون، والأوّل هو الواجب، والثاني إمّا أن يكون فاعله مستحقاً للمدح أو لا يكون، والأوّل هو الندب، والثاني إمّا أن يكون فعله أولىٰ من تركه أو لا يكون، والأوّل

هو الحسن، والثاني إمّا أن يكون تركه أولى من فعله أو لا يكون، والأوّل هو المكروه، والثاني هو المباح، وليس أفعال المكلّفين بخارج عن هذا الحصر.

وإذا ثبت هذا فلا شك أنّ بعض أفعالنا مايكون العقل منافراً عن فعلها، كالظلم والكذب والعبث والمفسدة وغير ذلك، وبعض أفعالنا ملايماً للعقل، كشكر المنعم، وردّ الوديعة، وقضاء الديون وغير ذلك، والعلم بذلك يجده كل عاقل من نفسه، ولا يحتاج فيه إلى شرع ولا نقل، ولهذا يعرفه المنكرون للشرايع كالكفار الأصليّة والبراهمة وعبدة الأوثان، كما يعرفه المِليّون وأرباب الأديان والشرايع، ومن أنكر ذلك فهو جاهل مكابر، لا يستحقّ الخطاب.

وحيث تقرّر هذا فلنشرع في بيانه بالنسبة إلى الطوايف الثالث.

أمّا عدل أهل الشريعة

(في نفي الظلم و القبيح عن فعل الله سبحانه و تعالىٰ)

فجميع مامرّ في هذا الباب، وبوجه آخر، هو أنّه تعالىٰ لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب لأنّه إذا كان عالماً بقبح القبيح وعالماً بإستغنائه عنه فعلمه دائماً يصرفه عن فعله ولا يدعوه الدّاعي إليه لاستغنائه، ومع عدم الداعي ووجود الصارف يستحيل أن يصدر أمثال هذه الأفعال عن القادر المختار، فثبت أنّه تعالىٰ لا يفعل القبيح ألبتّة، ولا يخلّ بالواجب.

وإذا ثبت أنّه تعالىٰ لا يفعل القبيح، فكلّ ماصدر من أحداث العالم ومافيه من خلق الحيوانات الموذية، والنبات المضرّة، والسموم القاتلة، وغير ذلك من التكاليف الشّاقّة، وتعذيب بعض الحيوان بلا سبب معلوم وأمثاله، يكون حسناً، وكلّ ما يصدر في العالم من الظلم والقبح والكذب والفساد وغير ذلك، إنّما يصدر عن غيره لا عنه، ولا يريد شيئاً من القبايح أصلاً، لأنّ إرادة القبيح قبيحة، وإلى عدم إرادة القبيح وعدم صدوره عنه

قال:

﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاً تعلمون* قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون* فريقا هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة انّهم اتّخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون﴾ [الاعراف: ٢٨ - ٣٠].

وهذه الآيات من أعظم الدلالات على صدق ماقلناه، وقد سبق الكلام في هذا المعنىٰ مبسوطاً في المقدّمة الأولىٰ عند بيان المتشابهات سيّما قوله:

﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً* ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيّئة فمن نفسك وأرسلناك للنّاس رسولاً وكفىٰ بالله شهيداً* من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ [النساء: ٧٨ - ٨٠].

فإنّ هذه الأقوال تشهد بانّ الأفعال القبيحة من العبد، والأفعال الحسنة أيضاً منه، لكن بتوفيق الله وهدايته، لأنّ المدح والذّم فيهما راجعان إليه لا إلى غيره، وعلى جميع التقادير ليس هناك قول يدلّ على ظلمه تعالىٰ، وصدور الأفعال القبيحة عنه، وهذا هو المراد بالعدل عند أرباب الشريعة بحكم العقل والنقل المطابق لقوله أيضاً:

﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ومار بّك بظلاّم للعبيد﴾ [فصّلت: ٤٦].

وأمّا عدل أهل الطريقة

(في أنّ العدل هو اعطاء كلّ شيء حقّه حسب ماهو مستعدّ له وتقتضي قابليّته من الوجود والكمال)

فالعدل عندهم بعد رسوخهم في هذا الاعتقاد، وهو أنّ الله تعالىٰ أعطى كلّ شيء ماأعطى من الحقايق والكمالات والطبايع والغرائز والأحوال والأفعال، بمقتضى العدل والقسط من غير حيف وميل وتقصير وإهمال؛ لأنّه الجواد المطلق، والجواد المطلق مايجود على القوابل والمستعدّين إلّا على الوجه الأتمّ وإلّا لا يكون جواداً، وإلى هذا أشار بقوله:

﴿ربّنا الّذي أعطىٰ كلّ شيء خلقه ثمّ هدىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وكذلك بقوله:

﴿وآتاكم من كلّ ماسئلتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومعناه على مامرّ مراراً، أي آتاكم من كلّ ماسئلمتوه في الأزل بلسان

استعدادكم وقابليّاتكم من غير زيادة ونقصان، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، أي وإن تعدّوا هذه النعمة الّتي أنعم بها عليكم ظاهراً وباطناً بقوله:

﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان: ٢٠].

لم تقدروا عليها ولا على إحصائها فإنّها غير قابلة للحصر والعدّ، وقوله:

﴿قل لن يصيبنا إلاّ ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكلّ المؤمنون﴾ [التوبة: ٥١].

بيان لهذا المعنى وتأكيد بأنّ كلّ فعل يصدر منه لا يكون إلاّ بمقتضىٰ العدل والحكمة والقسط فيجب على العبد أن يتّكل ويعتمد على أفعاله وأقواله، ولا يتحرّك إلّا بأمره وإشارته من غير التفات إلى غيره كما قال أيضاً:

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال:

﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً﴾ [الطلاق: ٣].

ومن هذا ثبتت قدمهم في مقام الإستقامة والتمكّن دائماً، أي قدم أهل الطريقة وأرباب العرفان في مقام التوكلّ والتسليم والرضا وأمثال ذلك كما أشار إليه بقوله:

﴿يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة﴾ [ابراهيم: ٢٧].

ولا يمكن التجاوز عنه، لأنّ كلّ شخص يعرف أن الحكيم الكامل في ذاته، العالم بجميع الأشياء قبلها وبعدها، لا يفعل إلاّ بمقتضى علمه وحكمته ولا يصدر منه شيء خلاف الواقع، لابّد وأن يتّكل عليه ويرضى بفعله، حسناً كان ذلك الفعل أو قبيحاً، لأنّ مقام الرضا والتسليم والعلم بعلم ربّه، وأنّه عالم بحقايق الأشياء كلّها يقتضي هذا، ومن حيث إنّ هذا الرضا موجب لرضاء ربّه عنه أشار الحقّ تعالىٰ في قوله وقال:

﴿إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البريّة * جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه﴾ [البيّنة: ٨ و ٧].

ولهذا ورد في أوليائه الّذين هم في هذا المقام أعني مقام الرضا والتسليم والتوكّل وعدم الإلتفات إلى الماضي والمستقبل، وقلّة التعلّق بالأمور الدنيويّة، الّتي تكون هي موجبة للحزن والخوف، أي الحزن على مافات والخوف على ماسيجيء، إلّا أنّ أولياء الله.

﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس: ٦٢].

لأنّهم فارغين عن الهمّ والحزن بالأمور الماضية والآتية لِعِلمهم بعلم ربهم، وأنّه مايفعل شيء إلّا على الوجه الّذي ينبغي، ومن هذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وجدت الزهد كلّه في كلمتين من القرآن»(١٢٠) وهو قوله تعالىٰ:

---

(١٢٠) قوله: وجدت الزهد.

كلامه عليه آلاف التحيّة والسلام في نهج البلاغة(صبحي) في كلمات القصار الرقم

﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣].

لأن المراد تساوي الحالين في جميع الحالات من المحبوبات والمكروهات والملايم وغير الملايم وقد أشار إلى هذا في بعض أقواله في هذا المعنى أبسط من ذلك، وهو قوله:

«إعلموا علماً يقيناً أنّ الله لم يجعل للعبد -، وإن عظمت حيلته، واشتدّت طلبته، وقويت مكيدته، - أكثر ممّا سمّي له في الذكر الحكيم. ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلّة حيلته، وبين أن يبلغ ماسمّي له في الذكر، والعارف لهذا والعامل به أعظم النّاس راحة في منفعة، والتارك له الشاكّ فيه أعظم النّاس شغلا في مضرّة. وربّ منعَم عليه مستدرَج بالنُّعمىٰ، وربّ مبتلىً مصنوع بالبلوىٰ! فزد أيّها المستنفع في شكرك، وقصّر من عجلتك وقف عند منتهىٰ رزقك» [نهج البلاغة: الحكمة (فيض) ٢٦٥ و(صبحي) ٢٧٣].

وورد (هذا) الكلام برهان قاطع على صدق جميع ماقلنا في هذا الباب.وورد عن ابن عباس رضي الله عنه انّه قال:(١٢١)

---

٤٣٩ و(فيض) و٤٣١، هكذا:

«الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن: قال الله سبحانه:

﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٢]

ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه».

(١٢١) قوله: ورد عن ابن عباس.

أخرجه ابن حنبل في سننه ج ١ ص ٣٠٧ بإسناده عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً الهندي في «كنز العمال» ج ٣ص ٧٥٤ الحديث ٨٦٦١، أيضاً ص ١٣٣ الحديث ٦٣١

كنت رديف رسول الله ﷺ فقال:

«ياغلام، (أو ياغليم)، أو يابنيّ! ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ»، قلت: بلى يارسول الله قال:

«إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده أمامك، وتقرّب (تعرَّف) إلى الله في الرخاء يقربك (يعرفك) في الشدائد، وإذا سئلت فاسئل الله، وان استعنتَ فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو كائن الى يوم القيامة، فلو أنّ الخلايق أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله عليك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضرّوك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، واعمل لله بالشكر واليقين، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل وإن لم تستطع فاصبر، وأعلم أنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب وأنّ مع العسر يسراً».

ومعلوم أنّ الشخص مايتمكّن من هذا بشيء إلاّ إذا صار عالماً بما سبق ذكره من سبق علم الله بالأشياء قبلها وبعدها، وصدور الأفعال منه تعالىٰ على مقتضى العلم والحكمة.

وجاء في الآثار أيضاً(١٢٢): أنّ جابر عبدالله الأنصاري رحمة الله

و٦٣٢.

ورواه الطبرسي في مشكاه الأنوار الفصل الخامس ص ٥٦، الحديث ٥٩، ورواه الشهيد الثاني في مسكّن الفؤاد ص ٤٩، وعنه البحار ج ٨٢ ص ١٣٨.

وروي الشيخ في «الأمالي» ج ٢ الجزء الثامن عشر، مجلس يوم الجمعة ٤ محرّم سنة ٤٥٧، ص ١٤٩ بإسناده عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ، في حديث طويل، في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذر مثل ماقاله ﷺ لعبد الله بن عبّاس. راجع البحار أيضاً ج ٧٧ ص ٨٧.

(١٢٢) قوله: وجاء في الآثار، انّ جابر.

عليه الّذي كان من كبار الصحابة، ابتلى في آخر العمر بضعف الهرم والعجز، فزاره محمّد بن علي الباقرؑ، فسأله عن حاله، فقال: أنا في حالة أُحِبّ فيها الشخوخة على الشباب، والمرض على الصحّة، والموت على الحياة، فقال الباقرؑ:

«أما أنا (ياجابر) فإن جعلني الله سبحانه شيخاً أحبّ الشيخوخة، وإن جعلني شاباً أحبّ الشيبوبة، وإن أمرضني أحبّ المرض، وإن شفاني أحبّ الشفاء (والصحة)، وإن أماتني أحبّ الموت، وإن أبقاني أحبّ البقاء».

فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبّل وجهه وقال: صدق رسول اللهﷺ، فإنه قال لي:

«أنّك ستدرك ولد من أولادي إسمه إسمي يبقر العلم (أبقراً) كما يبقر الثور الأرض، ولذلك سمّي باقراً، أي باقر علم الأوّلين والآخرين».

(في بيان التفاوت بين الصبر والرضا)

ويعلم من هذا الكلام الّذي سبق في بيان مقامات العارفين أنّ جابراً كان في مرتبة الصبر، ومحمّد الباقرؑ كان في مرتبة الرضا، والفرق بينهما ظاهر.

وبالجملة هذه المراتب لا تحصل إلاّ بعلم العبد بربّه أنّه عالم بحاله

رواه أيضاً الشهيد الثاني في «مسكّن الفؤاد» ص ٨٢.

وروي ذيله الكليني في «الأصول من الكافي» ج ١ باب مولد أبي جعفر محمّد بن علي ؑ، ص ٤٦٩ الحديث ٢.

وبحال جميع المخلوقات أزلاً وأبداً، وأنّه عادل في أفعاله وأحواله، منزّه عن الظلم والتعدّي على نفسه وعلى غيره، كما قال:

﴿إنّ الله لايظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون﴾ [يونس: ٤٤].

وإذا عرفت هذا فعليك بتحصيل هذا الإعتقاد، ثمّ بتحصيل المقامات اللازمة له ممّا مرّ ذكرها.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، هذا عدل أهل الطريقة وإعتقادهم في الحقّ تعالىٰ ذكره.



وأمّا عدل أهل الحقيقة

(تطابق الوجود العلمي والخارجي وبالعكس)

بعد رسوخهم في العدلين المذكورين، فهو أنّ الله عادل في إعطاء وجود الموجودات، كما هو عادل في إعطاء أخلاقهم وأوصافهم، بعد النظر إلى استعدادهم الذاتي وقابليّاتهم الجبليّة، وذلك لأنّ كلّ موجود فرض في العالم أو لم يفرض، له تعيّن وتحقّق في علم ربّه(١٢٣) قبل أن يوجَد في العين والخارج، والوجود له تابع لوجوده العلمي، فيجب عليه تعالىٰ حينئذٍ إعطاء وجود ذلك الموجود العلمي الأزلي المعدوم في الخارج الموجود في العلم، على ماهو عليه في تحقّقه وتعيّنه في علمه، لا

---

(١٢٣) قوله: له تعيّن وتحقق في علم ربّه.

هذا كما قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وماننزّله إلّا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١].

ومعلوم أنّ هذا النزول ليس على النحو التجافي بل كان على نحو التجلّي والظهور، والآن كما كان في كل آن.

أزيد ولا أنقص، لأنّه لو أعطي وجوده بخلاف ذلك لكان ظلماً فاحشاً، لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهذا غير جايز منه لأنّه عادل في فعله وقوله، مقسط في إعطائه وصنعه كما سبق ذكره، فيجب أن يعطي وجود كلّ موجود على ماهو عليه في نفسه من غير تفاوت من الزيادة والنقص، وهذا هو العدل الحقيقي، لأنّ العدل هو وضع الشيء في موضعه بعكس الظلم.

وههنا أبحاث كثيرة وأسرار دقيقة قد بسطنا الكلام فيها في المقدّمة الأولىٰ عند بحث المشئة والإرادة والعلم والأمر، وغير ذلك.

ونقلٌ كثير ورد في هذا الباب، منها ماسبق من قوله تعالىٰ:

﴿وآتاكم من كلّ ماسألتموه﴾ [ابراهيم: ٣٤].

لأنّه يقول: وآتاكم من كلّ ماسألتموه في الأزل عند الوجود العلمي ليطابق الأزل الأبد، والوجود العلمي الوجود الخارجي.

ومنها ماسبق أيضاً من قوله:

﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤].

لأن هذا شاهد عدل على صدق هذه الدعوىٰ، لأنّه يقول: «قل كلّ يعمل على شاكلته»، أي كلّ يعمل على شاكلته الظاهرة وصورته الحسّيّة مطابقاً لما في شاكلته الباطنة وصورته المعنويّة، ومن هذا قال:

﴿فلله الحجّة البالغة﴾ [الأنعام: ١٤٩].

على عباده، أي فللّه الحجّة البالغة عليهم بأفعالهم الصادرة منهم على مقتضى ذواتهم وماهيّاتهم، وإعطائهم الوجود مطابقاً لتلك الماهيّات والذوات.

ومنها، ماسبق من قول النبيّ ﷺ:

«كلّ ميّسر لما خلق له»(١٢٤).

وقد سبق معناه مراراً. وكذلك سؤال دواد عليه السلام حين قال:

«يارِبّ لماذا خلقت الخلق، قال: لما هم عليه»(١٢٥).

---

(١٢٤) قوله: كل ميّسر لما خلق له.

راجع التعليق ١٦ و٨٥، والجزء الأوّل التعليق ٦٤.

(١٢٥) قوله: قال: لما هم عليه.

روي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٥ باب طينة المؤمن والكافر الحديث٧، بإسناده عن إبراهيم، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أوّل ساعة من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضة، بلغت (فبلغت) قبضتُه من السماء السابعة إلى الدنيا، وأخذ من كلّ سماءٍ تربة.

وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى.

فأمر الله عزّ وجلّ كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الأخرى بشماله فقلق الطين فلقتين، فذرا من الأرض ذرواً، ومن السماوات ذرواً، فقال للّذي بيمنه: منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ماقال كما قال، وقال للّذي بشماله: منك الجبّارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ماقال كما قال.

ثمّ إنّ الطينتين خلطتا جميعاً، وذلك قول الله عز وجلّ:

﴿انّ الله فالق الحبّ والنوى﴾ [الانعام: ٩٥]

الحديث. وعنه البحار ج ٦٧ ص ٨٧ الحديث ١٠.

وروي الصدوق في «علل الشرايع» باب نوادر العلل، ص ٦٠٦، الحديث ٨١، بإسناده عن أبي اسحاق الليثي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل، قال:

⟵

«فكان ممّا خلق الله عز وجلّ أرضاً طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءاً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها، فأجرىٰ ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها وعمّها، ثمّ نصب ذلك الماء عنها، وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام، ثمّ أخذ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا...

خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخةً خبيثة مُنتنة، ثمّ فجّر منها ماءاً أجاجاً، آسناً، مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، ولم تقبلها، فاجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمّتهم، ثمّ مزجه بثقل طينتكم... إلى أن قال: (قال الله عز وجلّ): فانّي أنا الله لا إله إلا أنا، عالم السرّ وأخفىٰ، وأنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أُحيف ولا أظلم ولا أُلزم أحداً إلاّ ماعرفته منه قبل أن أخلقه».

روي المجلسي هذا الحديث عن الصدوق في البحار ج ٥ ص ٢٢٨.

لا بأس في المقام أن ننقل كلاماً عن النوريَن النيّرين، العَـلَمين الحكـيمَين، العـالِمَين الرّبانيّين، والعارفيَن بالله سبحانه والخالصَين له تعالىٰ، كأنّـهما كـانا كـالسيّد حـيدر الآملي رحمه الله في عصرنا، حشرهما الله سبحانه وتعالىٰ مع أجـدادهـما الطّـاهرين عليهم السلام، وهما: مولانا السيّد الإمام الخميني ومولانا السيّد العلاّمة الطباطبائي رضي الله عنهما.

قال العلاّمة الطباطبائي في تفسير «الميزان» ج ١١ ص ٣٣٨ في سـورة الرعـد، فـي تفسير الآية: ﴿أنزل من السّماء ماء فسألت أودية بقدرها﴾: [الرّعد: ١٧]

أن الوجود النازل من عنده تعالىٰ على الموجودات الّذي هو بمنزلة الرحمة السماويّة والمطر النازل من السحاب على ساحة الأرض، خال في نفسه عن الصور والأقـدار، وإنّما يتقدّر من ناحية الأشياء أنفسها، كماء المطر الّذي يحتمل من القـدر والصـورة مايطرءُ عليه من ناحية قوالب الأودية المختلفة في الأقدار والصور، فإنّما تنال الأشياء من العطيّة الإلهيّة بقدر رقـابليّتها واسـتعداداتـها، وتـختلف بـاختلاف الاسـتعدادات والظروف والأوعية.

ثمّ إنّ هذه الأمور المسمّاة بالأقدار وإن كانت خارجة عن الإفاضة السماويّة مقدرة لها، لكنّها غير خارجة عن ملك الله سبحانه وسلطانه، ولا واقعة من غير إذنه، وقد قال تعالىٰ:

﴿إليه يرجع الأمر كلّه﴾. وقال: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ [هود: ٣١ و ١٢٣].

وقال في تفسير سورة النحل الآية ٢ - ج ١٢ ص ٢٠٨:

«فإنّ إستعداد المستعد ليس إلّا كسؤال السائل، فكما أنّ سؤال السائل إنّما يقرّبه من جود المسئوال وعطائه، من غير أن يُجبره على الإعطاء ويقهره، كذلك الإستعداد في تقريبه المستعدّ لإفاضته تعالىٰ وحرمان غير المستعدّ من ذلك، فهو تعالىٰ يفعل مايشاء من غير أن يوجبه عليه شيء أو يمنعه عنه شيء، لكنّه لايفعل شيئاً ولا يفيض رحمة إلّا عن إستعداد فيما يفيض عليه وصلاحيّة منه».

وقال السيّد الإمام الخميني في رسالة «الطلب والإرادة» المطلب الخامس، ص ١٤١:

«فاعلم أنّ واجب الوجود بالذات لمّا كان واجباً من جميع الجهات والحيثيّات يمتنع عليه قبض الفيض عن الموضوع القابل، فإنّ قبضه بعد تماميّة الإستعداد وعدم نقص في جانب القابل مستلزم لنقص في الفاعل أو جهة إمكان فيه تعالىٰ عنه.

وهذا اللّزوم والوجوب كلزوم عدم صدور القبيح وامتناع صدور الظلم عنه اختياريّ إراديّ لا يضرّ بكونه مريداً مختاراً قادراً، فإذا تمّت الإستعدادات في القوابل أفيضت الفيوضات والوجودات من المبادئ العالية.

وأمّا إفاضة الفيض الوجودي بمقدار الإستعداد وقابليّة الموادّ للتناسب بين المادّة والصورة للتركيب الطبيعي الإتّحادي بينهما لا يمكن قبولها صورة ألطف وأكمل من مقتضىٰ استعدادها كما لا يمكن منعها عمّا استعدّت له.

ثمّ اعلم أنّ منشأ اختلاف نفوس الإنسان في الحنين إلى الخيرات أو الشرور والميل إلى موجبات السعادة أو الشقاوة أمور كثيرة.

(ذكر من الأمور بعضها) إلى أن قال:

أي لما هم عليه من القابليّات والإستعدادات.

وعلى هذه التقادير لا يكون لأحد لسان اعتراض وإقامة حجّة على الله تعالىٰ بأنّك لِمَ خلقتني كذا وكذا، بأنّ الله تعالىٰ يجيبه بلسان الحال: بأنّ

وبالجملة الإنسان بما أنّه واقع في دار الهيولىٰ من بدؤ خلقه، بل قبله حسب اختلاف الموادّ السابقة إلى زمان انتقاله من هذه النشأة واقع تحت تأثير الكائنات، لكن كلّ ذلك لايوجب اضطراره وإلجائه في عمل من أعماله الإختياريّة... إلى أن قال:

أعلم أنّ الله تعالىٰ وإن أفاض على الموادّ القابلة ماهو اللائق بحالها من غير ضنّة وبخل والعياذ بالله، لكنّه تعالىٰ فطر النفوس سيعدها وشقيّها خيّرها وشريرها على فطرة الله أي العشق بالكمال المطلق.

فجبّلة النفوس بقضّها وقضيضها إلى الحنين إلى كمال لا نقص فيه، وخير لا شرّفية، ونور لا ظلمة فيه، وإلى علم لا جهل فيه، وقدرة لا عجز فيها.

وبالجملة الإنسان بفطرته عاشق الكمال المطلق ويتبع هذه الفطرة فطرة أخرى فيها هي فطرة الإنزجار عن النقص أيّ نقص كان.

ومعلوم أنّ الكمال المطلق، والجمال الصّرف، والعلم والقدرة وسائر الكمالات على نحو الإطلاق بلا شوب نقص وحدّ، لا توجد إلاّ في الله تعالىٰ فهو المطلق وصرف الوجود وصرف كلّ كمال».

اقول: تدلّ على ما قاله أخيراً الآيات القرآنية التالية:

﴿كلاًّ نُمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً﴾ [الإسراء: ٢٠]

وقوله تعالىٰ:

﴿فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها﴾ [الروم: ٣٠]

وقوله تعالىٰ:

﴿وإذا غشيهم موج كالظّلل دعوا الله مخلصين له الدّين﴾ [لقمان: ٣٢]

وقوله تعالىٰ:

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨]

ماأعطيتُ وجودك إلاّ على قدر قابليّتك واستعدادك، وقابليّتك واستعدادك من اقتضاء ذاتك وماهيّتك لأمنّي، لأنّي فاعل وأنت قابل، وقابليّة القابل لا يكون من الفاعل، بل وجوده مطابقاً لماهيّته وقابليته، فأنت حينئذٍ تعرض على قابليّتك واستعدادك لا عليّ، لأنّ الفاعل ليس له تصرّف في القابل إلاّ على قدر قابليّته وإعطائه الوجود على ماهو عليه من حيث القابليّة.

وإن قلت: بالعلم وإنّي كنت عالماً بك فالعلم ليس له تصرّف في المعلوم حتّى يرد هذا والمطابقة شرط بين العلم والمعلوم، لأنّ العلم تابع للمعلوم، فالتابع لا يكون عالماً بالمتبوع إلاّ على الوجه الّذي هو عليه من معلوميّته، فحينئذ ماأعطيت وجودك إلاّ على الوجه الّذي كنت عالماً بك وبماهيّتك على مقتضى قابليّتك، وأنا حكيم عادل عالم كامل لا يصدر منّي شيء إلّا على الوجه الّذي ينبغي وقولي:

﴿ولا يسئل عمّا يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

إشاره إلى هذا، ومرادي إنّي عالم، حكيم ولا يسأل عن فعل العالم الحكيم، ولكن هم يسألون من جهلهم بحقايق الأشياء وقدرتهم على وضع كلّ شيء موضعه، وأنت لو كنت مثلي عالماً بحقايق الأشياء كلّها قبلها وبعدها، ماكنت ممّا يسأل عن فعله، وأنا العالم الحكيم الكامل فلا ينبغي أن يسأل عن فعلي أصلا، لأنّي ماأفعل شيئاً إلاّ بمقتضىٰ علمي وحكمتي وعلى الوجه الّذي ينبغي، ومن هذا قلت:

﴿لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ [سبأ: ٣].

وهو قولي:

﴿وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين﴾ [يونس: ٦١].

وقولي أيضاً:

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [الأنعام: ٩٦].

يشهد بهذا كلّه فارجع إليه وتدبّر فيه، فإنّه ينفتح عليك أسرار هذا المعنى بأسرها من غير مانع لقولنا أيضاً:

﴿أقرأ وربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم﴾ [العلق: ٣-٥].

ولقولي:

﴿الرحمن* علّم القرآن* خلق الإنسان* علّمه البيان﴾ [الرحمن: ١-٤].

وبالجملة هاهنا أبحاث كثيرة موقوفة على بحث المشيئة والإرادة والعلم والأمر، وأنّ الحقايق والماهيّات بجعل الجاعل أم لا، وأنّ قابليّة الأشياء من الله أو من غيره، وأنّ القابل عين الفاعل أو غيره أو هما شيء واحد، وأمثال ذلك، وقد سبق ذكره مبسوطاً في المقدّمة الأولى والعود إلى ماسبق غير مستحسن فارجع إليه تظفر به، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



وأمّا النبوّة

فهي على الإطلاق عبارة عن قبول النفس القدسي حقايق المعلومات والمعقولات عن الله تعالىٰ بواسطة جوهر العقل الأوّل المسمّى بجبرئيل تارة، وبروح القدس أخرى، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات إلى المستفيدين، والتابعين لذلك النبيّ والرسول.

وأمّا عند أهل الشريعة

(تعريف النّبوّة عند أهل الشريعة)

فالنبّي إنسان مبعوث من الله تعالىٰ إلى عباده ليكملهم بأن يعرّفهم مايحتاجون إليه من طاعته، ويعلّمهم مايجترحهم عن معصيته، وتعرف نبّوته بثلاثة أشياء:

أوّلها، أن لا يقرّر مايخالف ظاهر العقل، كالقول بأنّ الباري أكثر من واحد.

والثاني، أن يكون دعوته للخلق إلى طاعة الله والإحتراز عن معصيته.

والثالث، أن يظهر منه عقيب دعوى النّبوّة معجزة مقرونة بالتحدّي مطابقة لدعواه.

(في معنى المعجزة والكرامة)

والمعجز: كلّ فعل خارق للعادة يعجز عن أمثاله البشر، والتحدّي هو أن يقول النبيّ لأمّته: إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا الفعل أو بالعكس، أعني تقول أمّته هذا القول بعينه معارضة له مثل ماقالوا لنبيّنا: افعل كذا وكذا حتّى نصدّق بنبّوتك، كشقّ القمر وانطاق الحجر وغير ذلك من المعجزات، والفعل الّذي يظهر من أحد على غير التحدّي والتعارض يسمّى بالكرامة وهو المختصّ بالأولياء، كما أنّ المعجزة مختصّة بالأنبياء.

(الهدف من بعثة الأنبياء)

والعلّة في بعثة هذا النبيّ والرسول وهي أنّ الله تعالىٰ حيث غرضه من خلق العبيد إيصالهم إلى كمالهم المعيّن لهم في الأزل لمقتضى ذواتهم وماهيّاتهم، وجب عليه بعثة هؤلاء ليعلّمهم كيفيّة التكليف والعبادة والمعرفة، ليحصل به غرضه، وبيان ذلك وهو:

أنّه تعالىٰ إذا أمكنهم بسبب كثرة حواسّهم وقواهم، واختلاف دواعيهم وآرائهم وقوع الشرّ والفساد، ووقوع الخير والصلاح، فيجب عليه بعثة أحد إليهم ليبيّنهم على كيفيّة معاشرتهم وحسن معاملتهم وانتظام أمور معاشهم

ومعادهم الّتي تسمّى شريعة، وهذا اللطف الواجب عليه المتقدّم ذكره، وحيث إنّ الله تعالىٰ غير قابل للإشارة الحسيّة، وليس لكلّ أحد قوّة أخذ هذا المعنى منه تعالىٰ، وتعليم هؤلاء العباد بغير واسطة ممتنع، فيجب عليه تعيين طايفة من الرسل يكون بينه وبينهم مناسبة ليأخذوا منه ويوصلوا إلى عبيده التابعين، وهذا النبيّ أو الرسول بعد تخلّقه بأخلاق الله والإتّصاف بصفاته يجب أن يكون معصوماً من الصغاير والكباير من أوّل عمره إلى آخره ليحصل الوثوق بقوله وفعله كما قالوا:

أمتناع وقوع القبايح والإخلال بالواجبات عن الرسل على وجه لا يخرجون عن حدّ الإختيار، لئلاً ينفر عقول الخلق عنهم، ويثقون بما جاءوا به، لطف، واللطف واجب عليه تعالىٰ(١٢٦)، ويسمّى عصمة، فالرسل

(١٢٦) قوله: واللطف واجب عليه تعالى.

قال العلاّمة الحلّي في كشف المراد: «اللطف واجب، والدليل على وجوبه أنّه يحصل غرض المكلف فيكون واجباً وإلاّ لزم نقض الغرض.

بيان الملازمة: أنّ المكلِّف إذا علم أنّ المكلَّف لا يطيع إلاّ باللطف فلو كلّفه من دونه كان ناقضاً لغرضه، كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنّه لا يجيبه إلاّ إذا فعل معه نوعاً من التأدّب كان ناقضاً لغرضه فوجوب اللطف يستلزم تحصيل الغرض».

وقال أيضاً في كتابه «نهج المسترشدين»:

وهو واجب، وإلاّ لكان نقضاً لغرضه تعالىٰ في التكليف، لأنّه تعالىٰ أراد الطاعة من العبد، فاذا علم أنه لا يختارها أو لا يكون أقرب إليها إلاّ عند فعل اللطف، فلو لم يفعله تعالىٰ لكان ناقضاً لغرضه وهو نقص، تعالىٰ الله عنه.

قال فاضل المقداد في شرح كلام العلامة:

واستدلّ (العلاّمة) على وجوبه بما تقريره: أنّه لو لم يكن واجباً لهم لزم نقض الغرض، ←

يجب أن يكونوا معصومين من الخطأ والزلل.

وكلّ مبعوث من حضرته إلى قوم لم يقابل بأمر خارق العادة، خال عن المعارضة، مقرون بالتحدّي موافق لدعواه، لم يكن لهم طريق إلى تصديقه، ويسمّى ذلك معجزاً، فظهور معجزات الرسل واجب بالضرورة لئلاّ تبطل بعثتهم ويحصل غرض الله منهم، فافهم جدّاً، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ:

﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم تتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا لفي ضلال مبين﴾ [آل عمران: ١٦٤].

هذا ماعند أهل الشريعة في النبيّ والرسول والنّبوّة والرسالة بقدر هذا المقام، والله أعلم وأحكم.

⊃ واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنّه تعالىٰ مريد للطاعة وكاره للمعصية، فاذا علم أن المكلّف لا يختار الطّاعة، أو لا يترك المعصية، أو لا يكون أقرب إلى ذلك، إلاّ عند فعل يفعله فيه، وذلك الفعل ليس فيه مشقّة ولا غضاضة، فإنّه يجب في حكمته أن يفعله، إذ لو لم يفعله لكشف ذلك: إمّا عن عدم إرادته لذلك الفعل وهو باطل، أوعن نقض غرضه إذا كان مريداً له، لكن ثبت كونه مريداً له فيكون ناقضاً لغرضه.

وأمّا بطلان اللازم: فلأنّ نقض الغرض نقص، والنقص عليه تعالى محال. ارشاد الطالبين ص ٢٧٧، وراجع في هذا أيضاً «قواعد المرام» لابن ميثم البحراني ص ١١٧.

وأمّا عند أهل الطريقة

(تعريف النّبوّة عند أهل الطريقة)
(وتعريف النبوّة لإنبائي و التشريعي)

فالنبّوة عندهم بعد رسوخهم في الطريقة المذكورة اعتقاداً وتصديقاً هي الإخبار عن الحقايق الإلهيّة والأسرار الربانيّة، مترتباً على تحقيق أسمائه وصفاته وأفعاله، وهي على قسمين: **نبوة التعريف ونبوّة التشريع.**

فالأولىٰ هي الإنباء عن معرفة الذات والأسماء والصفات، والثانيّة جميع ذلك مع تبليغ الأحكام، والتأديب بالأخلاق، والتعليم بالحكمة، والقيام بالسياسة، ويخصّ هذه بالرسالة، وبيان ذلك على سبيل التفصيل والبسط وهو أن نقول:

(في أنّ النبيّ هو الحاكم بين الأسماء والمظاهر)

إعلم أنّ للحقّ تعالىٰ ظاهراً وباطناً، والباطن يشمل الوحدة الحقيقيّة

الّتي للغيب المطلق، والكثرة العلميّة حضرة الأعيان الثابتة، **والظاهر** لايزال مكتفياً بالكثرة لا خلو له عنها، لأنّ ظهور الأسماء والصفات من حيث خصوصيّتها الموجبة لتعدّدها لا يمكن إلّا أن يكون لكلّ منها صورة مخصوصة فيلزم التكثّر، ولمّا كان كلّ منها طالباً لظهوره وسلطنته وأحكامه حصل النّزاع والتّخاصم في الأعيان الخارجيّة باحتجاب كلّ منها عن الإسم الظاهر في غيره فاحتاج الأمر إلى مظهر حَكم عدل ليحكم بينها، ويحفظ نظام العالم في الدّنيا والآخرة، ويحكم بربّه الّذي هو ربّ الأرباب بين الأسماء بالعدالة، ويوصل كلاً منها إلى كماله ظاهراً وباطناً وهو النبيّ الحقيقيّ والقطب الأزليّ أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وهو الحقيقة المحمّديّة ﷺ كما أشار إليه بقوله:

كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين.(١٢٧)

أي بين العلم والجسم.

وأمّا الحَكَم بين المظاهر دون الأسماء فهو النبيّ الّذي تحصل نبوّته بعد الظّهور نيابة عن النّبيّ الحقيقيّ، فالنّبيّ هو المبعوث إلى الخلق ليكون هادياً لهم ومرشداً إلى كمالهم المقدّر لكلّ منهم في الحضرة العلميّة باقتضاء استعدادات أعيانهم الثابتة إيّاه، وهو قد يكون مشرّعاً وقد لا يكون كأنبياء بني إسرائيل.

والنّبوّة: البعثة، وهي إختصاص إلهيّ حاصل لعينه من التجلّي

---

(١٢٧) قوله: كنت نبيّاً وآدم.

قد مرّت الإشارة اليه في تعليق الرقم ٦٤.

الموجب للأعيان في العلم، وهو الفيض الأقدس، ولمّا كان من المظاهر طالباً لهذا المقام الأعظم بحكم التفوّق على أبناء جنسه، فرتّب النبوّة بإظهار المعجزات وخوارق العادات مع التحدّي، لتميّز النبيّ من المتنبّي.

فالأنبياءﷺ مظاهر الذات الإلهيّة من حيث ربوبيّتها للمظاهر وعدالتها بينها.

فالنّبوّة مختصّة بالظاهر ويشترك كلّهم في الدعوة والهداية والتصرّف في الخلق وغيرها ممّا لابدّ منه.

في النّبوّة دائرة تامة مشتملة على دوائر متناهية متفاوتة في الحيطة التامّة كأولي العزم والمرسلينﷺ، وغير التامة كأنبياء بني اسرائيل، فالنّبوّة دائرة تامّة مشتملة على دوائر متناهية متفاوته في الحيطة، كما بيّناه قبل هذا في الدّائرة وغير الدّائرة، هذا ماعند أهل الطريقة في بحث النّبوّة والرسالة والنبيّ والرسول، وبالله التوفيق.

وأمّا عند أهل الحقيقة

(تعريف النّبوّة والخلافة عند أهل الحقيقة)
(وفي أنّ حقيقة نبوّة الخاتمﷺ هي الروح الأعظم، و ظهرت فيها جميع أسماء الحقيقة و صفاتها)

فالنّبوّة عندهم بعد رسوخهم في المرتبتين المذكورتين، وهي الخلافة الإلهيّة المطلقة، لكن لها مراتب بحسب مراتب الشخص الّذي هو مظهر تلك الخلافة، وتلك المراتب لها تعريفات قد سبقت بعضها وقد بقيت البعض الآخر نقرّره بعبارة أخرى وهي هذه:

(في أنّ نبوّة محمّدﷺ ذاتيّة دائمة غير منصرمة)

إعلم أنّ النّبوّة عندهم بمعنى الإنباء، والنبيّ هو المنبئ عن ذات الله تعالىٰ وصفاته وأسمائه وأحكامه ومراداته، والإنباء الحقيقيّ الذاتيّ الأوّليّ ليس إلاّ للروح الأعظم الّذي بعثه الله إلى النفس الكليّة أوّلاً ثمّ إلى النفس الجزئيّة ثانياً لينبّئهم بلسانه العقليّ عن الذات الأحديّة والصفات الأزليّة،

والأسماء الإلهيّة، والأحكام الجليلة، والمرادات الجسميّة.

وكلّ نبيّ من آدمعليه السلام إلى محمّدصلى الله عليه وآله مظهر من مظاهر نبوّةالروح الأعظم، فنبوّته ذاتيّة دائمة، ونبوّة المظاهر عرضيّة منصرمة إلّا نبوّة محمّدصلى الله عليه وآله فإنّها دائمة غير منصرمة، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم، وصورته صورته الّتي ظهرت فيها الحقيقة بجميع أسمائها وصفاتها، وساير الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصفات، تجلّت في كلّ مظهر بصفة من صفاتها وإسم من أسمائها إلى أن تجلّت في المظهر المحمّدي بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النّبوّة فكان الرسولصلى الله عليه وآله سابقاً على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة متأخراً عنهم من حيث الصورة كما قال: «**نحن الآخرون السابقون**»(١٢٨).

---

(١٢٨) قوله: نحن الآخرون السابقون.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٥٨٥ باب ٦ «هداية هذه الأمّة» الحديث ٢١ و ٢٠ و١٩ وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده بإسناده عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وآله، ج ٢ ص ٣٤١ و٢٤٩ و٢٤٣.

وروي المجلسي، نقلاً عن ابن شهر آشوب، في البحار ج ٢٤ ص ٤ الحديث ١١، عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**والسّابقون السّابقون* أولئك المقرّبون**﴾ [الواقعة: ١٠ – ١١]، قال: «**نحن السّابقون، ونحن الآخرون**».

وروي أيضاً في البحار ج ٢٥ ص ٢٢ نقلاً عن كتاب «رياض الجنان» لفضل الله بن محمود الفارسي، بإسناده عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**أوّل ماخلق الله نوري، ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتىٰ وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمّ سجد لله تعظماً، ففتق منه نور عليّ عليه السلام، فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور عليّ محيطاً بالقدرة**... إلى أن قال:

وقال: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».

هذا تعريف النّبوّة والنبيّ بقدر هذا المقام.

(في تعريف الخلافة والخليفة وبيان الولاية التكوينيّة له)

أمّا تعريف الخلافة والخليفة وذلك أيضاً بعبارتهم فهو أنّهم قالوا: لمّا اقتضى حكم سلطنة الذات الأزليّة والصفات العليّة بسط مملكة الألوهيّة ونشر ألويّة الربوبيّة بإظهار الخلايق وتسخيرها وإمضاء الأمور وتدبيرها، وحفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود، وكان مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيداً جداً لبعد المناسبة بين عزّة القِدم وذلّة الحدث، حكم الحكيم بتخلف نايب ينوب عنه في التصرّف والولاية والحفظ والرعاية، وله وجه في القِدم يستمدّ به من الحقّ تعالىٰ، ووجه في الحدث يمدّ به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرّف وخلع عليه جميع أسمائه ومكّنه في مَسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه، وإحالة حكم الجمهور عليه، وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه

⬅ فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن السّابقون، و و و» الحديث.

وروي السيّد الحجّة العلاّمة المرعشي في ملحقات إحقاق الحق ج ١٣ ص ٨٣ عن محمّد بن أبي بكر بن حمويه، في كتابه «فرائد السمطين»، بإسناده عن خيثمة بن الجعفي، عن أبي جعفر الباقر ﷺ قال:

«نحن جنب الله ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، إلى أن قال: ونحن السّابقون ونحن الآخرون». الحديث.

راجع في هذا ايضاً، تعليقنا الرقم ١١٥ و١١٦ في الجزء الأوّل ص ٤٤١، وأيضاً الجزء الثاني، ص ٤٥٩ التعليق ٢٤٧.

وملكوته، وتسخير الخلايق لحكمه وجبروته، وسمّاه إنساناً لإمكان وقوع الإنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسيّة، وروابط الإنسيّة وجعل له بحكم إسمَيه الظاهر والباطن حقيقة باطنة و صورة ظاهرة، ليتمكّن بهما من التصرّف في الملك والملكوت.

وحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم وهو الأمر الّذي يستحقّ به الإنسان الخلافة، والعقل الأوّل وزيره وترجمانه، والنفس الكليّة خازنه وقهرمانه، والطبيعة الكليّة عامله وهي رئيس القوى الطبيعيّة.

وأمّا صورته الظاهرة صورة العالم من العرش إلى الفرش ومابينهما من البسايط والمركبات، وهذا هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحققين: «**العالم إنسان كبير**».

وأمّا قولهم: الإنسان عالم صغير أرادوا به نوع البشر وهو خليفة الله في الأرض والإنسان الكبير خليفة الله في السّماء والأرض.

والإنسان الصغير نسخة منتخبة، ونخبة منتسخة من الإنسان الكبير بمثابة الولد من الوالد، وله أيضاً حقيقة باطنة وصورة ظاهرة:

أمّا حقيقته الباطنة فالروح الجزئيّ، والنفس والطبيعة الجزئيّتان.

وأما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم، فيها من كلّ جزء من أجزاء العالم لطيفها وكثيفها قسط ونصيب، فسبحانه من صانع جمع الكلّ في أحد أجزائه، وقول القائل:

وما(ليس) على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد(١٢٩).

---

(١٢٩) قوله: وماعلى الله بمستنكر.

صادق في حق الكلّ وإن أراد به شخصاً معيناً.

وصورة كلّ شخص نتيجة صورة آدم وحوّاﷺ، ومعناه نتيجة الروح الأعظم والنفس الكلّيّة.

والإنسان الكبير هو مظهر الحقّ المبين، والإنسان الصغير قد يصل إليه بفناء تعيّناته ومحو تقيّداته، فيصح له حينئذ أن يقول بلسان الجمع حاكياً عن الإنسان الكبير مايستعجم على بعض السامعين:

وإنّي وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنىً شاهد بأبوّتي [١٣٠]

فافهم ذلك فإنّه أصل كبير يتفرّع عليه فهم كثير من الحقايق، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا آخر البحث في النبوّة والرسالة في المراتب الثلاث بقدر هذا المقام، وهذا ليس ببسط تامّ فيه لأنّا قد واعدناك في المقدّمة السابعة عند بحث التوحيد وستعرف تحقيق ذلك هناك إن شاء الله، وكذلك عند تأويل البقرة وغير ذلك من المواضع لأنّ هذا المقام يحتاج إلى تعيين حالة الأنبياء وحالة الأولياء، وتعيين النّبوّة المطلقة المقرّرة والولاية المطلقة والمقيّدة، وأمثال ذلك، وقد تقدّم بعض ذلك في المقدّمات في موضع الإحتياج وسيجيئ تمامه في موضع قرّرناه، والحمد لله ونحمده.

وحيث فرغنا من بحث النّبوّة، فالشروع في بحث الإمامة واجب وهو هذا:

⮌ ذكر ابن العربي في الفتوحات ج ٣ ص ٣٠٧ نقلاً عن بعض.

(١٣٠) قوله: وإنّي وان كنت ابن آدم

الشعر لابن فارض، راجع مشارق الدّراري ص ٥٣٧.

وأمّا الإمامة

(تعريف الإمامة عند أهل الشريعة)

فهي على الإطلاق رياسة دينيّة مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينيّة والدنياويّة، وزجرهم عمّا يضرّهم بحسبهما.

وأمّا عند أهل الشريعة

(في حاجة الناس الى الإمام المعصوم)

فالإمامة عندهم واجبة في الدّين عقلاً وشرعاً، كما أنّ النّبوّة واجبة في الفطرة والإسلام عقلاً وسمعاً.

وأما الوجوب عقلاً فهو أنّ احتياج الناس إلى إمام واجب العصمة يحفظ أحكام الشرع عليهم ويحملهم على مراعاة أحكامه بالوعد والوعيد واجراء حدود الدين، كاحتياجهم إلى نبيّ يشرع لهم الأحكام ويبيّن لهم

الحلال والحرام، واحتياج الخلق إلى استبقاء الشرع كاحتياجهم إلى تمهيده، وإذا كان إرسال النبيّ واجباً لكونه لطفاً وتمكيناً، كان نصب الإمام أيضاً واجباً لئلاّ تبطل حجة الله وبيّناته.

(في أنّ نصب الإمام لطف من قِبل الله سبحانه)

وبوجه آخر نصب الامام لطف(١٣١) واللطف واجب عليه تعالى،

---

(١٣١) قوله: نصب الإمام لطف.

لا يخفى أنّ هذا البحث كلاميّ معروف يوجد في كثير من الكتب الكلاميّة، ولكن الظاهر أنّ السيّد المؤلّف أخذ الكلام في المقام من «كشف المراد» للعلاّمة الحلّي المتوفى ٧٢٦ﷺ.

قال العلاّمة قدّس الله روحه في كتابه «كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد» في المسألة الثانية عشرة من الفصل الثالث من المقصد الثالث:

«اللطف هو مايكون المكلّف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يكن له حظ في ا لتمكين ولم يبلغ حدّ الإلجاء،...

وهذا هو اللطف المقرّب.

وقد يكون اللطف محصّلا وهو مايحصل عنده الطاعة من المكلّف على سبيل الإختيار، ولولاه لم يطع مع تمكّنه في الحالين، وهذا بخلاف التكليف الّذي يطيع عنده، لأنّ اللطف أمر زايد على التكليف، فهو من دون اللطف يتمكّن بالتكليف من أن يطيع أو لا يطيع، وليس كذلك التكليف لأنّ عنده يتمكّن من ان يطيع، وبدونه لا يتمكن من أن يطيع أو لا يطيع فلم يلزم أن يكون التكليف الّذي يطيع عنده لطفاً».

وأيضاً قال الشيخ الطائفة الطوسي في كتابه «تمهيد الأصول» ص ٢٠٨:

«أمّا اللطف فهو عبارة عمّا يدعوا إلى فعل الواجب ويصرف عن القبيح، ثمّ ينقسم قسمين فان وقع عنده الواجب ولولاه لم يقع سُمّي توفيقاً،وإن كان المعلوم أنّه يرتفع

عنده القبيح سُمّي عصمة.

ولابد أن يكون اللطف منفصلاً من التمكين».

قال أبي الصلاح الحلبي في كتابه تقريب المعارف ص ٧٩:

«ومن شرط اللطف أن يتأخّر عن التكليف ولو بزمان واحد لكونه داعياً ولا يتقدّر الدواعى إلى غير ثابت».

قال المحقّق الحلّي في كتابه «المسلك في أصول الدين ص ١٠١»:

وأمّا المصالح الدينيّة فإنّها تنقسم إلى مايقع عنده الطاعة ويُسمّى لطفاً بقول مطلق، وإلى مايكون المكلّف معه أقرب إلى الطاعة ويسمّى لطفاً مقرّباً.

قال الفاضل المقداد في كتابه: «إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ٢٧٧ في شرح قول العلامة الحلّي: «ولم يكن له حظّ في التمكين»:

«وبقوله: «ولم يكن له حظّ في التمكين» خرج القدرة والآلات الّتي يتمكّن من إيقاع الفعل، فانّ هذه كلّها لها حظّ في التمكين إذ بدونها لا يمكن إيقاع الفعل، وأمّا اللّطف فليس كذلك، إذ وقوع الفعل الملطوف فيه بدونه ممكن لكن معه يكون الفعل إلى الوقوع أقرب بعد امكانه الصرف».

قال الشيخ تقي الدين أبي الصلاح الحلبّي المتوفّي سنة ٤٤٧ في كتابه تقريب المعارف ص ٧٩:

«فوصف هذا الجنس من الأفعال بأنّه لطف إشتقاقاً من التلطّف للغير في إيصال المنافع إليه، وتسمّى صلاحاً لتاثيره وقوع الصلاح أو تقريب المكلّف إليه، ويسمّى إستصلاحاً على هذا الوجه، ويسمّى منه توفيقاً ماوافق وقوع الملطوف به فيه عنده، ويسمّى منه عصمة مااختار عنده المكلّف ترك القبيح على كلّ حال.

قال الفيض الكاشاني في كتابه «علم اليقين» ج ١ ص ١٢٣:

وإنّما سمّى فعل مايقرّب العباد إلى الله تعالىٰ ويبّعدهم عن المعاصي لطفاً بهم، لأنّ ذلك تلطيف لهم عن كثافة الجسم وتجريد إيّاهم عن الموارد الجسمانيّة.

⮌ وعلى هذا فإطلاق اللطيف على الله تعالىٰ بمعنى فاعل اللطف، وحظّ العبد منه إرشاد العباد إلى مايقرّبهم إلى الله تعالىٰ ويبعّدهم عن النشأة الفانية».

لا بأس بذكر حديث في المقام المنقول عن الأئمة المعصومين عليهم آلاف التحيّة والسلام وهو مارواه الصدوق في العلل باب ١٠٣ ج ١ بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقرﷺ: لأيّ شيء يحتاج إلى النّبيﷺ والإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن الأرض إذا كان فيها نبيّ أو إمام، قال الله عزّ وجلّ:

﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال النبيّ ﷺ: **«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء مايكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض مايكرهون، يعني بأهل بيته الأئمة: الّذين قرن الله عزّ وجلّ طاعتهم بطاعته فقال:**

﴿ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾.[النّساء: ٥٩].

وهم المعصومون المطهرون الّذين لا يذنبون ولا يعصون وهم المؤيدون الموفّقون المسدّدون، بهم يرزق الله عباده وبهم تعمر بلاده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه، ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

وهناك توجد روايات أخرى كثيرة حول الموضوع روى الشيخ الجليل الصدوق ﷺ طائفتين منها في كتابه «علل الشرايع» ص ١٩٥، باب ١٥٣ «باب العلّة الّتي من أجلها لا تخلو الأرض من حجّة الله عزّ على خلقه»

الطائفة الأولى في بيان تأثير الإمام وضرورة وجوده في الكون، **والطائفة الثانية** ⮌

تأثيره وضرورة وجوده بالنسبة الى الشرع ومصالح الأمّة.

اما **الطائفة الأولى** فمن الأحاديث الواردة فيها مايلي:

١ - عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت له تكون الأرض ولا إمام فيها؟ فقال: «**لا، إذاً لساخت بأهلها**».

٢ - عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقي الأرض بغير إمام؟ فقال: «**لا، لو بقيت الأرض بغير امام لساخت**».

وامّا **الطائفة الثانية** فمن الاحاديث الواردة فيها مايلي:

١ - عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام تبقى الأرض بلا عالم حيّ ظاهر يفزع إليه الناس في حلالهم وحرامهم؟ فقال لي «**إذاً لا يعبدالله يا أبا يوسف**».(ح٣).

٢ - عن الصادق عليه السلام قال: «**لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام**» وقال: «**إنّ آخر من يموت الإمام لئلّا يحتج أحدهم على الله عز وجلّ تركه بغير حجّةالله عليه**» (ح٦).

٣ - عن الصادق عليه السلام قال: «**إنّ جبرئيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله يخبر عن ربّه عزّ وجلّ فقال: يامحمّد لم أترك الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبي إلى خروج النبيّ الآخر، ولم أكن أترك إبليس يضلّ الناس وليس في الأرض حجّة وداع إليّ وهاد إلى سبيلي وعارف بأمري، وإنّي قد قضيت لكل قوم هادياً أهدى به السعداء ويكون حجّة على الأشقياء**» (ح ٧).

٤ - عن الصادق عليه السلام قال: «**والله ماترك الله الأرض منذ قبض آدم إلاّ وفيها إمام يهدى به إلى الله عزّ وجلّ وهو حجّة الله عزّ وجلّ على العباد، من تركه هلك ومن لزمه نجا، حقّاً على الله عزّ وجلّ**».(ح ١٣).

٥ - عن الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لم يدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان في الأرض، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم وإذا نقصوا أكمله لهم فقال خذوه كاملاً، ولولا ذلك لألتبس على المؤمنين أمورهم ولم يفرقوا بين**

فيكون نصب الإمام واجباً عليه(١٣٢)، وإنّما قلنا: نصب الإمام لطف، لأنّ

الحقّ والباطل»(ح ٢٢).

ومن الأحاديث الّتي مشتركة في الدلالة بين الطائفتين المذكورتين مايلي:

١ - مارواه الصدوق في الباب المذكور في علل الشرايع الحديث ١. عن الصادق عليه السلام قال: «**لمّا انقضت نبوة آدم وانقطع أكله، أوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن ياآدم قد انقضت نبوّتك وانقطع أكلك، فانظر إلى ماعندك من العلم والإيمان وميراث النّبوّة وأثرة العلم والإسم الأعظم فاجعله في العقب من ذرّيتك عند هبة الله، فإني لم أدع الأرض بغير عالم يعرف به طاعتي وديني ويكون نجاة لمن أطاعه**».

٢ - مارواه الكليني رحمه الله في الأصول من الكافي ج ١ ص ١٦٩ ح ٣ باب الاضطرار إلى الحجّة، في مناظرة هشام بن الحكم مع أبا مروان عمر بن عبيد، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «**ياهشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته**»؟ فقال هشام... إلى أن قال: قلت له: ياأبا مروان فالله تبارك وتعالىٰ لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً... (القلب) يصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ماشكّ فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكك؟!... الى أن قال: فضحك أبو عبدالله عليه السلام وقال: «**ياهشام من علّمك هذا**»؟ قلت: شيء أخذته منك وألّفته. فقال: «**هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسىٰ**».

أمّا دلالة الحديثين إلى ماتدلّ عليه الطائفة الثانية فمعلوم، وامّا دلالتهما على ماتدل عليه الطائفة الأولى من تأثير الإمام في عالم التكوين وضرورة وجود الإمام في ثبات العالم باذن الله سبحانه وتعالىٰ فبما أنه صاحب إسم الأعظم وأنّه قلب العالم أي لو عُدم الإمام انعدم العالَم.

(١٣٢) قوله: فيكون نصب الإمام واجباً عليه سبحانه.

➲ **قال الشيخ الطوسي** في «تمهيد الأصول» ص ٣٤٨:

أمّا الكلام في وجوب الرياسة فإنّه يجب لكلّ مكلّف غير معصوم، يدلّ على ذلك ماثبت من كونها لطفاً، في أفعال الواجبات والإمتناع من القبايح، بدلالة أنّ الناس متىٰ كان لهم رئيس منبسط اليد يأخذ على أيديهم ويمنع القوى من الضعيف ويؤدّب الظالم ويردع المعاند، فإنّ عند وجوده يكثر الصلاح ويقلّ الفساد، وعند عدم مَن ذكرناه يكثر الفساد ويقل الصلاح بل يجب ذلك عند ضعف سلطانهم واختلال أمره ونهيه مع وجود عينه، والعلم بما قدمناه ضروريّ لا يمكن أحداً دفعه».

قال السُّد آبادي وهو من أعلام القرن الخامس في كتابه «المقنع في الإمامة» ص ٤٧:

«إنّ وجود الإمام لطف من الله تعالىٰ لعبيده، لأنّه بكونه بينهم، يجتمع شملهم ويتّصل حبلهم، وينتصف الضعيف من القويّ، والفقير من الغنيّ، ويرتدع الجاهل ويتيقّظ الغافل. فإذا عُدِمَ بطل الشَرع وأحكام الدين، كالحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وجميع أركان الإسلام، إلاّ أن يكون الإمام خائفاً على نفسه فقد ظهر عذره».

قال ابن ميثم البحراني في «قواعد المرام» ص ١٧٥:

«أنّ نصب الإمام لطف من فعل الله تعالىٰ في أداء الواجبات الشرعيّة التكليفية. وكلّ لطف بالصفة المذكورة فواجب في حكمة الله تعالىٰ أن يفعله مادام التكليف بالمطلوب فيه قائماً. فنصب الإمام المذكور واجب من الله في كلّ زمان التكليف.

أمّا الصغرى: فإنّ مجموعها مركّب من كون نصب الإمام لطفاً في الواجبات الشرعيّة، ومن كونه من فعل الله . امّا الأوّل فلان المكلّفين إذا كان لهم رئيس تامّ الرّئاسة عادل ممكن كانوا أقرب إلى القيام بالوجبات واجتناب المقبّحات، وإذا لم يكن كذلك كان الأمر بالعكس، والعلم بهذا الحكم ضروري لكلّ عاقل بالتجربة لا يمكنه دفعه عن نفسه بشبهة، ولا معنى للطف إلاّ ماكان مقرّبا إلى الطاعة ومبعّداً عن المعصية، فثبت أن نصب الإمام لطف في أداء الواجبات.

وأمّا كونه من فعل الله فلما أنّ هذا الإمام لا يجوز عليه الإخلال بالواجب ولا فعل

➲

القبيح، فحينئذ لا يمكن أن يكون نصبه إلاّ من فعل الله، لأنّه القادر على تمييز من يجوز وقوع المعصية منه عن غيره لإطّلاعه على السرائر دون غيره.

وأمّا الكبرى، فلأنّه لو لم يجب منه تعالىٰ وجود ذلك اللطف في مدّة زمان التكليف بالملطوف فيه لقبح التكليف به وانتقض الغرض منه. وأمّا تمكين هذا الإمام فهو من أفعال المكلّفين، إذ المدح عليه والذم على عدمه راجعان إليهم.

قال العلاّمة الحلّي في «كشف المراد» في المقصد الخامس في الامامة في شرح قول الخواجة الطوسي: «الإمام لطفٌ فيجب نصبه على الله تعالىٰ تحصيلاً للغرض»:

واستدلّ المصنّف - رحمه الله - على وجوب نصب الامام على الله تعالىٰ: بأنّ الإمام لطف واللطف واجب.

امّا الصغرىٰ فمعلومة للعقلاء إذا العلم الضروريّ حاصل بأنّ العقلاء متىٰ كان لهم رئيس يمنعهم عن التغالب والتهاوش ويصدهم عن المعاصي ويُعدّهم على فعل الطاعات ويبعثهم على التناصف والتعادل كانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، وهذا أمر ضروريّ لا يشكّ فيه العاقل.

وأمّا الكبرى فقد تقدّم بيانها. (كما نقلناه أيضاً نحن ذيل قول السيّد المؤلف: واللطف واجب عليه تعالىٰ، الرقم ١٢٦)

قال العلاّمة أيضاً: إن وجود الإمام نفسه لطف لوجوه:

أحدها: أنّه يحفظ الشرايع ويحرسها عن الزيادة والنقصان.

وثانيها: أنّ اعتقاد المكلّفين لوجود الإمام وتجويز انفاد حكمه عليهم في كلّ وقت سبب لردعهم عن الفساد ولقربهم الى الصلاح، وهذا معلوم بالضرورة.

وثالثها: أنّ تصرّفه لاشك أنّه لطف ولا يتمّ إلا بوجوده، فيكون وجوده نفسه لطفاً وتصرّفه لطفاً آخر.

والتحقيق أن نقول: لطف الإمامة يتمّ بأمور:

منها، مايجب على الله تعالىٰ وهو خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم والنصّ عليه

اللطف هو ماعنده يختار المكلّف الطاعة، أو يكون إلى اختيارها أقرب، ولولاه لما كان ذلك مع تمكّنه في الحالين ولا يكون فيه وجه قبح.

ولاشك أنّ عند وجود الرئيس المهيب النافذ الأمر، الآخذ على يد السفيه الضعيف، المنتصف للمظلوم(١٣٣) من الظالم، يرتفع الفساد كلّه أو أكثر، فوجب أن يكون وجوده لطفاً كساير الألطاف.

وإنّما قلنا: إنّ اللطف واجب على الله تعالىٰ، لأنّ كلّما كان كذلك يجب أن يفعله الحكيم لأنّه لو لم يفعله مع بقاء التكليف لكان المكلّف غير

⬅ باسمه ونسبه وهذا قد فعله الله تعالىٰ.

ومنها، مايجب عل الإمام وهو تحمّله للإمامة وقبولها وهذا قد فعله الإمام.

ومنها، مايجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم تفعله الرعيّة، فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالىٰ ولا من الإمام عليه السلام.

راجع في هذا أيضاً: «الرسالة الماتعيّة» للمحقق الحلّي رحمه الله ص ٣٠٦، و «حقائق الايمان» للشهيد الثاني رحمه الله ص ١٥٣، و«تقريب المعارف» لأبي الصلاح الحلبي ص ١١٦، و«إرشاد الطالبين» للسيوري الحلّي رحمه الله ص ٣٢٦، و«علم اليقين» للفيض رحمه الله ج ١ ص ٣٧٦.

(١٣٣) قوله: المنتصف للمظلوم

لسان العرب: النَّصَفُ والنَّصَفَةُ والإنصاف: إعطاء الحقّ، وقد انتصف منه، وأنصف الرجل صاحبه إنصافاً وقد أعطاه النَّصَفة.

أنصف إذا أخذ الحقّ وأعطى الحقّ. والنصَفة: إسم الإنصاف وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف أي تُعطيه من الحقّ كالّذي تستحق لنفسك. ويقال: أنتصفتُ من فلان أخذتُ حقي كَمَلاً حتّى صرت أنا وهو على النَّصَف سواءً.

المنجد: إنْتَصَفَ من فلان: طلب منه الإنصاف، أخذ حَقَّهُ منه حتّى صار وإيّاه على النصف، انتقم منه. إستنصَفَ: طلب الإنصاف، ومن فلان: استوفى حَقَّهُ منه كاملاً.

مزاح العلّة[١٣٤] فيكون الحقّ تعالىٰ ناقضاً لغرضه وهو عليه تعالىٰ محال، وإذا ثبت المقدّمتان ثبت أنّ نصب الإمام واجب عليه تعالىٰ، هذا من حيث العقل والدلائل العقليّة.

فامّا من حيث النقل وشواهد النقليّة فقوله تعالىٰ:

﴿ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾ [النّساء: ٥٩].

ووجه **الإستدلال** به وهو أنّه تعالىٰ أمر المكلّفين بطاعة أولي الأمر كما أمر بطاعته وطاعة رسوله، وإذا كان طاعته وطاعة رسوله واجبة فوجب أن يكون طاعة أولي الأمر كذلك، لأنّ حكم المعطوف حكم المعطوف عليه في الأغلب.

---

(١٣٤) قوله: غير مزاح العلّة.

في لسان العرب: الزَّوْحُ تفريق الإبل، ويقال الزَّوْحُ جَمْعُها إذا تفرّقت، والزَّوحُ: الزّوالُ. زاحَ وزاخَ بالحاء والخاء بمعنى واحد: إذا تنحّىٰ، ومنه زاحتْ علّته وأزَحْتُها. وزاح هو يَزُوحُ، وزاح الرجل زوحاً: تباعد. والزَّواحُ: الذهاب.

المصباح المنير: زَاحَ الشّيءُ عن مَوْضِعِه يَزُوحُ زوحاً من باب قال، ويَزِيحُ زَيْحاً من باب سار تَنَحّىٰ.

مجمع البحرين: يقال زَاحَ الشيءُ يَزيحُ زَيحاً من باب سار ويَزُوحُ زَوْحاً من باب قال: بَعُد وذهب.

المنجد: زَاحَ زوْحاً وزَاحاً عن المكان: تباعد وزال (ذهب) وتِ العـلّة: زالت. يقال: أزاح الله العلل أي أزالها والأمرَ: قضاه، يقال: أَزَحتُ علّته في احتاج إليـه: إذا قـضيت حاجته.

(في أن الإمام يجب أن يكون شخصاً معيّناً، معصوماً)

وإذا ثبت هذا فنقول: لايخلو إمّا أن يكون معيّناً أو غير معيّن، والثاني باطل، وإلّا لزم الإجمال والتعطيل، والأوّل إمّا أن يكون ذلك المعيّن جميع الأمّة أو بعض الأمّة، والأوّل باطل بالضرورة، فبقي الثاني، فوجب أن يكون في الأمّة شخص معين معصوم لا يجوز عليه الخطأ يسمّى بأولي الأمر وهذا هو المطلوب، فيجب حينئذ أن يكون الإمامة واجبة في الدين عقلاً وشرعاً، خلافاً لأكثر الأمّة: فإنّ أكثرهم لا يعدون الإمامة من أركان الدين والإسلام، لقلّة دينهم وإسلامهم، ويجوّزون أن يكون هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر سلطان من سلاطين العالم أو ملك من ملوكه موصوف بالظلم والفسق، ولا يجوّزون أن يكون امام معصوم من أهل البيت عليهم السلام منصوص من قبل الله وقبل رسوله، ولا يعرفون أن أولي الأمر إذا كان من السلاطين أو الملوك، ويكون سلطنتهم وتملّكهم قهراً وغلبة، لا يجوز عليه تعالىٰ أن يأمر الخلق بمطاوعتهم وجوباً، لأنّ الأمر بمطاوعة الظالم أو الفاسق يكون ظلماً وفسقاً، تعالىٰ الله عن ذلك علّواً كبيراً.

والّذي ذهب إليه الطايفة الإماميّة بأنّ النبيّ والإمام يجب أن يكونا معصومين، هذا علّته، لأنّهما لو لم يكون معصومَين لكان يلزم من الأمر بمطاوعتهما فسق وظلم من الله تعالىٰ وجلّ جناب الحقّ ان يكون متّصفاً بهما، وقد عرفت من النقل تنزيهه وتقديسه.

وكذلك من العقل، كقولهم: يجب أن يكون الإمام معصوماً من

جميع القبايح وكذلك النبيّ ﷺ قبل الإمامة وبعدها، لأنّ العلّة في وجوب عصمة النبيّ والإمام واحد، وإذا كانت عصمة النّبي واجبة يجب أن يكون عصمة الإمام كذلك

وأمّا قولهم في علّة عصمة النبيّ مطلقاً فهو قولهم المتقدّم ذكره، يجب أن يكون النبيّ معصوماً من القبايح كلّها صغيرها وكبيرها قبل النبّوة وبعدها، عمداً كان أو نسياناً لأنّ جواز ذلك عليه ينفر العقل عن متابعته ولا يليق بالحكيم إيجاب إتّباع من ينفر العقل عن متابعته، فيجب أن يكون معصوماً من جميع القبايح.

وأيضاً هذا الشخص المسمّى بأولي الأمر يجب أن يكون في زمان النبي ﷺ معيّنا محققاً، حتّى لا يلزم الإجمال والتعطيل والعبث من الله تعالىٰ، لأنّ هذا لو لم يكن معيّناً لكان الله تعالىٰ مخلّاً بالواجب، وكذلك النبيّ وهذا غير جايز باتّفاق العقلاء.

وأيضاً قد تقرّر أن نصب الإمام واجب عليه تعالىٰ لأنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً والعصمة أمر خفيّ لا يطلع عليه غير الله، لأنّه لا يعلم الغيب إلاّ الله فيجب عليه نصبه وتعيينه وقد عيّنه في كتابه تعييناً ظاهراً جليّاً في قوله:

﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيموا الصّلوة ويؤتون الزّكوة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥].

لأنّ الزكوة في الركوع ماأعطى أحد غير أمير المؤمنين عليّ ؑ باتفاق أكثر المفسّرين، فيكون هو المراد بأولي الأمر، بتعيين الحقّ عليه لا غير، وكذلك بعده لا يكون إلاّ أولاده المعصومون لأنّ العصمة شرط في

الإمامة والولاية، وليس هناك أحد غيرهم يوصف بالعصمة بقول الخصم أيضاً، وإليهم أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تـطهيراً﴾ [الاحزاب: ٣٣].

وكذلك قوله:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المـؤمنين أعـزة علىٰ الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤].

لأنّ هذا إخبار عن الإستقبال دون غيره من الأزمان، وكذلك قوله:

﴿ونريد ان نمّن على الّذين استضعفوا فـي الأرض ونـجعلهم أئـمّة ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص: ٥].

لأنّ الإرث النبوي والعلم الإلهي الّذي هو الإرث لا يسـتحقّه أحـد غيرهم، وعلامة ذلك وصحّته قوله تعالىٰ في الآية: ضعفهمؑ في زمن المراونة والعـباسيّين، وإلى الآن مـن كـثرة الأعـداء وقـلة النـاصر، لأنّ المهدّيؑ لو لم يكن خائفاً من الأعداء[١٣٥] لوجب عليه الظـهور وإلاّ

---

(١٣٥) قوله: لو لم يكن خائفاً من الأعداء.

اقول: رويت في علّة الغيبة عدّة أحاديث نذكر بعضها في المقام:

١ – روي الصدوق ؒ في كتابه «كمال الدّين»، باب الثامن والأربعون ج ٢ ص ١٥٦ ح ١، بإسناده عن الصادق ؑ قال:

«صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج».

---

٢ - روى أيضاً ح ٤، بإسناده عن الحسن بن فضّال، عن أبي الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام قال:

«كأني بالشيعة عند فقدانهم الثالث من ولدي، يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولِم ذلك ياابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولِمَ؟ قال: لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف».

٣ - روى أيضاً ح ٦، بإسناده عن سدير، عن الصادق عليه السلام قال: **«إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها»**، فقلت له: ولِمَ ذلك يابن رسول الله؟ قال: **«إنّ الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن يجري فيه (سير) سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنّه لابّد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم (من انتهاء مدّة غيباتهم)**

قال الله تعالىٰ:

﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾ [الإنشقاق: ١٥].

أي سنن (سير) من كان قبلكم» راجع في هذا الحديث أيضاً «علل الشرايع» باب ١٧٩ ح ٧ص ٢٤٥.

٤ - وروي أيضاً الحديث ٩ بإسناده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«أنّ للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت ولِمَ؟ قال: **يخاف وأومأ بيده إلى بطنه»**، قال زرارة: يعني القتل.

٥ - وفي حديث آخر الحديث ١٠ بإسناده عن زرارة عن الصادق عليه السلام قال:

«أن للقائم غيبة قبل قيامه، قلت ولِم؟ قال: **يخاف على نفسه الذبح»**

٦ - وروى أيضاً الحديث ١١، بإسناده عن عبدالله بن الفضل الهاشمّي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول:

«انّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابّد منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت له: ولِم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: **وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من**

حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لمّا أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلّا وقت افتراقهما.

يابن الفضل! إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتىٰ علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا».

وراجع في هذه الروايات وغيرها «بحار الانوار» ج ٥٢ ص ٩٠ باب علّة الغيبة. وأيضاً في الموضوع «علل الشرايع» الجزء الأوّل ص ٢٤٣، باب ١٧٩، وأيضاً أصول الكافي ج ١ ص ٣٣٥، باب في الغيبة. وكتاب الغيبة للنعماني ص ٩٢ باب ماروي في غيبة الإمام المنتظر.

وأيضاً كتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي رحمه الله ص ١٩٩ فصل في ذكر العلّة المانعة لصاحب الأمر عليه السلام من الظهور، قال الشيخ فيه قبل ذكر الروايات:

«لا علّة تمنع من ظهوره عليه السلام إلاّ خوفه علىٰ نفسه من القتل، لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الإستتار وكان يتحمّل المشاقّ والأذى، فإنّ منازل الأئمّة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحمّلهم المشاقّ العظيمة في ذات الله تعالىٰ».

قال المحقّق الحلّي في كتابه «المسلك في اصول الديّن» ص ٢٨٢:

«وأمّا الوجه الّذي لأجله وقعت الغيبة، فقد ذكر جماعة من فضلاء الأصحاب أنّ ذلك هو الخوف على نفسه».

قال ابن ميثم البحراني في كتابه «قواعد المرام» ص ١٩٠:

«والكلام في سبب غيبته واستتاره وطول عمره، امّا الأوّل فنقول: إنّه لمّا وجب كون الإمام معصوماً علمنا أنّ غيبته طاعة وإلاّ لكان عاصياً، ولم يجب علينا ذكر السبب، غير أنّا نقول: لا يجوز أن يكون ذلك السبب من الله تعالىٰ لكونه مناقضاً لغرض التكليف، ولا من الإمام نفسه لكونه معصوماً، فوجب أن يكون من الأمّة وهو الخوف

لكان مخلّاً بالواجب وهذا لا يجوز كما هو مذكور في الكتب الكلاميّة وفيهم ورد أيضاً:

﴿إنّ الله أشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم* التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١١ - ١١٢].

لأنّ استحقاق هذه الأوصاف ليس إلاّ لهم عند التحقيق، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والأخبار فاطلب من مظانّها، وأكثرها ذكرناها عند نسبة العلوم إليهم ونسبة الخرقة إلى تلامذتهم ومريديهم كالحسن البصري وكميل بن زياد النخعي رضي الله عنهما، وسيجئ الباقي منها عند بحث التوحيد إن شاء الله والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل هذا ماعند أهل الشريعة في الإمامة ومايتعلّق بها.

⮌ الغالب وعدم التمكين، ولا إثم في ذلك و ما يستلزمه من تعطيل الحدود والأحكام عليهم، والظهور واجب عند عدم سبب الغيبة».

قال العلامة الحلّي في «نهج المسترشدين»:

وأمّا غيبة الإمام ؑ، فإمّا لخوفه على نفسه من أعدائه أو على أوليائه فلا يظهر عاماً ولا خاصاً. وإمّا لمصلحة خفيّة أستأثره الله تعالىٰ بعلمها. «ارشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ٣٧٧.

راجع أيضاً في هذا: «تقريب المعارف» لأبي الصلاح الحلبي ص ٢٠٠، و «منتخب الأنوار المُضيّة» للسيد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي ص ٧٢.

وأمّا عند أهل الطريقة

(تعريف الإمامة عندَ أهل الطريقة)
(و أنّ الإمام هو القطب)

فالإمامة عندهم هي الخلافة من قبل الله، ومن القطب(١٣٦) الّـذي

---

(١٣٦) قوله: القطب

لا بأس في المقام بذكر بعض الكلمات في بيان «القطب» وتعريفه مزيداً للفائدة.

قال السيّد حيد الآملي في جامع الاسرار ص ٣٨٠:

«للنبوّة والولاية إعتباران: إعتبار الإطلاق وإعتبار التقييد، أي العام والخاصّ.

وامّا النّبوة المطلقة هي النبّوة الحاصلة في الأزل الباقية إلى الأبـد كـقول النّـبي ﷺ **«كنت نبيّاً و آدم بين الماء والطين»**، والنبّوة الأصليّة بالحقيقة هي عبارة عن اطّلاع النّبيّ المخصوص بها على استعداد جـميع المـوجودات بـحسب ذواتـها ومـاهيّاتها وحقائقها، وإعطاء كلّ ذي حقّ منها بلسان استعداداتـها، مـن حـيث الإنـباء الذاتـي والتعليم الحقيقي الأزلي المسمّى بالربوبيّة العظمىٰ والسلطنة الكبرى، وصاحب هـذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم وقطب الأقطاب والإنسان الكبير وآدم الحقيقي، المعبّر عنه بالقلم الأعلى والعـقل الأوّل والروح الأعـظم وأمـثال ذلك».إلى أن قـال ص ٣٨٢:

⬅ «وباطن هذه النبّوة هي الولاية المطلقة.

والولاية المطلقة هي عبارة عن حصول مجموع هذه الكلمات بحسب الباطن في الأزل وإبقائها إلى الأبد، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين». وكقول النبي صلى الله عليه وآله:«أنا وعلي من نور واحد» . الى آخره فراجع.

نقل القيصري في الفصل الثامن من المقدمة في «شرح الفصوص» عن الشيخ الأكبر أنّه قال في الفتوحات في بيان المقام القطبي:

«إن الكامل الّذي أراد الله أن يكون قطب العالم وخليفة لله فيه إذا وصل إلى العناصر، مثلاً متنزلاً في السفر الثالث، ينبغي أن يشاهد جميع مايريد أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانيّة إلى يوم القيامة، وبذلك الشهود أيضاً لايستحقّ المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضاً».

وقال في المصدر في الفصل التاسع:

«فالقطب الّذي عليه مدار أحكام العالم، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة وهو الحقيقة المحمّديّة صلى الله عليه وآله.

وباعتبار حكم الكثرة متعدد، وقبل انقطاع النبّوة قد يكون القائم بالمرتبة القطبيّة نبيّاً ظاهراً كإبراهيم صلوات الله عليه، وقد يكون وليّاً خفيّاً كالخضر في زمان موسى عليه السلام قبل تحققّه بالمقام القطبي.

وعند انقطاع النبّوة أعني نبّوة التشريع بإتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبيّة إلى الأولياء مطلقاً، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام لينحفظ به هذا الترتيب والنظام.

قال سبحانه: ﴿ولكلّ قوم هاد﴾[الرعد:٧]،﴿وإن من أمّة إلّا خلا فيها نذير﴾[فاطر:٢٤]، إلى أن ينختم بظهور خاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المطلقة. فإذا أكملت هذه الدائرة أيضاً وجب قيام الساعة باقتضاء الإسم الباطن».

وقال ابن فارض في المقام: مشارق الدراري ص ٤١٢

⬅

ومسجون حصر العصر لم ير ماورا　　سجّينه في جنّة الأبديّة
فبي دارت الأفلاك. فأعجب لقطبها　　المحيط بها، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلي، عن ثلاث خلفته　　وقطبيّة الأوتاد عن بدليّة

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات ج ١ ص ٢٣٥ «الباب الثاني ـ الفصل الاوّل، الجزء السابع»:

«فاعلم: أن هذه الحروف لمّا كانت مثل العالم المكلّف الإنساني المشاركة له في الخطاب لا في التكليف، دون غيره من العالم، لقبولها جميع الحقائق كالإنسان، وسائر العالم ليس كذلك، فمنهم القطب كما منّا، وهو الألف.

ومقام القطب منّا، الحياة القيّوميّة، هذا هو المقام الخاصّ به، فإنه (أعني القطب) سارٍ بهمته في جميع العالم، كذلك الألف (سار) من كل وجه من وجه روحانيته الّتي ندركها نحن، ولا يدركها غيرنا، ومن حيث سريانه نَفَساً من أقصى المخارج، الّذي هو مبعث النفس إلى آخر المنافس، ويمتدّ في الهواء الخارج وأنت ساكت، وهو الّذي يسمّى الصدى. فتلك (هي) قيوميّة الألف».

وقال في ج ٢ ص ٣٦٣:

«وأمّا القطب الواحد فهو روح محمّد ﷺ وهو الممدّ لجميع الأنبياء والرسل، عليهم السلام، والأقطاب من حين النشئ الإنساني إلى يوم القيامة، قيل له ﷺ: متى كنت نبيّاً؟ فقال ﷺ: «**كنت نبيّا وآدم بين الماء والطين**». ولهذا الروح المحمّدي ﷺ مظاهر في العالم».

وقال في التجلّيات الإلهيّة ص ٢٩٨:

إذا استوى ربّ العزّة على عرش اللطائف الإنسانيّة كما قال: «**ماوسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي**» ملك هذا العرش جميع اللطائف فتصرّف فيها وتحلّم في ملكه، ألا فهو القطب.

قال الشارح: الّذي (أي القطب) هو صاحب الوقت، بمعنى أن يكون الوقت له لا هو

⮌ للوقت، بيد أزمّة التدبير الأعم، يتبع تدبيره علمه، وعلمه شهوده، وشهود القَدَر، فهو قلب الكون.

قال شارح منازل السائرين التلمساني في شرح قول المؤلّف الأنصاري:

«الفناء اضمحلال مادون الحق علما ثمّ جحداً ثمّ حقاً»، في ص ٥٧٠ هكذا بيانه:

«الحقّ تعالىٰ إذا رقّى عبده بالتدريج نوّر باطنه وعقله في العلم، فرأى أن لا فاعل في الحقيقة إلاّ الله تعالىٰ، فهذا توحيد العلم، ولا يقدر طور العلم على أكثر من هذا بأدلته وبراهينه، ثمّ إذا رقّاه الحقّ تعالىٰ عن هذا المقام أشهده عود أفعاله إلى صفاته، وعود صفاته إلى ذاته فحجب وجود السوى بالكلّيّة، فهذا هو الإضمحلال جحداً، ثمّ إن رقّاه الحقّ تعالىٰ عن هذا المقام بأن أراه البحر الّذي فيه أغرق الأفعال والأسمال والصفات، فذلك هو الإضمحلال حقّاً، أي أراه الحقّ المبين، فهذه مراتب الإضمحلال، وليس ورائها إلاّ مبدأ السفر الثاني، وهو الأخذ في البقاء حتّى يبلغ القطبيّة الكبرى».

قال السيد المؤلف في «جامع الأسرار» ص ٢٢٣:

«والقطب، والمعصوم، أو القطب والإمام، لفظان مترادفان، صادقان على شخص واحد، وهو خليفة الله في أرضه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللهم بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه، أمّا ظاهراً مشهوراً، أو خافيا مغموراً».

وقال أيضاً فيه ص ٤٢٠:

«وينبغي أن يكون الخاتم للولاية أعلم الخلق بالله وأشرفهم بعد الختم النبوة المطلقة، كما أشار إليه الشيخ (ابن العربي) في فتوحاته في بيان المقام القطبي: «أن الكامل» (إلى آخر ماذكرناه آنفاً).

قال محي الدين العربي في فصوص الحكم «فصّ شيثي»:

«إنّ الأعطيات إمّا ذاتيّة، أو أسمائيّة. فأمّا المنح والهبات والعطايا الذاتيّة فلا تكون أبداً إلاّ عن تجلّي إلهي.

⮍

والتجلّي من الذات لا يكون أبداً إلاّ بصورة استعداد المتجلّى له، غير ذلك لا يكون، فإذاً المتجلّىٰ له مارأى سوى صورته في مرآة الحقّ، ومارأى الحقّ، ولا يمكن أن، يراه مع علمه أنّه مارأى صورته إلّا فيه...

وهذا أعظم ماقدر عليه من العلم،... وهذا هو أعلىٰ عالم بالله، وليس هذا العلم إلّا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، ومايراه أحد من الأنبياء والرسل إلاّ من مشكاة الرّسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلاّ من مشكاة الوليّ الخاتم، حتّى أنّ الرسل لا يرونه متىٰ رأوه إلّا من مشكاة خاتم الأولياء، فإنّ الرسالة والنبوّة تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً...

فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ، مامنهم أحد يأخذ إلّا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخّر وجود طينته، فإنّه بحقيقته موجود، وهو قوله ﷺ: «**كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين**». وغيره من الأنبياء ماكان نبيّاً إلاّ حين بُعث، وكذلك خاتم الأولياء كان وليّاً وآدم بين الماء والطين» انتهىٰ.

أقول: هذا كما قال ﷺ: «**أنا أولّ الأنبياء خلقاً، وآخرهم بعثاً**». علم اليقين ج ٢ ص ٤٥٧.

وقال ﷺ: «**ياعلي إنك تسمع ماأسمع وترىٰ ماأرىٰ**».

وقال علي عليه‌السلام: «**نحن صنائع الله، والناس صنائع لنا**». [نهج البلاغة: الكتاب ٢٨].

وقال علي عليه‌السلام: «**لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً**».

وفي الزيارة الجامعة الواردة عن مولانا الإمام الرضا عليه‌السلام:

«**ذكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور**».

وقال الشيخ الأكبر أيضاً في الفتوحات ج ٣ ص ٣٢٧ الباب السادس والستّون:

إعلم أيّدنا الله أن لله خليفة يخرج، وقد أملأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من

يكون في زمانه، والإمام عبارة عن صاحب هذه الخلافة المعبّر عنه بالوليّ، والوليّ يكون على قسمين: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة ذاتيّة حقيقيّة: قسم منهما هو الّذي يكون ولايته أزليّة حقيقيّة يسمّى بالولي المطلق وهو القطب الأعظم.

وقسم آخر وهو الّذي يكون ولايته مستفادة من ذلك الوليّ المطلق أعني كسبيّة إرثيّة عارضيّة، ويسمّى بالوليّ المقيّد وهو الإمام أو الخليفة.

والقسمان ترجع إلى حقيقة نبيّنا ﷺ وإلى من يكون ورثة له من أهل بيته كأمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام.

وهذا المقام على هذا التقدير يحتاج إلى تعيين ثلاثة أشياء: الأوّل إلى تعيين الولاية، والثاني إلى تعيين الوليّ المطلق، والثالث إلى تعيين الوليّ المقيّد.

➡ عترة رسول‌الله ﷺ، من ولد فاطمة يواطيء إسمه إسم رسول‌الله ﷺ، جدّه الله ﷺ في خَلقه، وينزل عنه في الخُلق، لأنّه لا يكون أحد مثل رسول‌الله ﷺ في أخلاقه، والله يقول فيه: «وأنّك لعلى خلق عظيم».

ينفخ الروح في الإسلام، يعزّ الإسلام به بعد ذلّه، ويحييٰ بعد موته.

يظهر من الدين ماهو الدين الخالص، ينزل عليه عيسىٰ أبن مريم.

ألا إنّ ختم الأولياء شهيد	وعين إمام العالمين فقيد
هوالسيّد (القائم) المهدي من آل أحمد	هو الصارم الهندي حين يبيد
هو الشمس يجلو كلّ غمّ وظلمة	هو الوابل الوسمي حين يجود

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* إنّا أنزلناه في ليلة القدر*وماأدراك ماليلة القدر*ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربّهم من كلّ أمر* سلام هي حتّى مطلع الفجر﴾.

(الولاية هي باطن النبّوة وهي التصرّف في الخلق)

أمّا الأوّل فالولاية عندهم هي التصرّف في الخلق بعد فنائهم في الحقّ وبقائهم به، وليست في الحقيقة إلاّ باطن النبّوة الّتي ظاهرها الإنباء وباطنها التصرّف في النفوس بإجراء أحكام عليها، وحيث إنّ النبّوة مختومة من حيث الإنباء، إذ لا نبيّ بعد محمّدﷺ، فلم يبق إلاّ الولاية من حيث التصرّف في النفوس أبد الآباد، لأنّ نفوس الأولياء من أمّة محمّدﷺ حَمَلَة تصّرف ولايته يتصّرف بهم في الخلق بالحق إلى يوم القيامة بل إلى غير النهاية فباب الولاية مفتوح وباب النبّوة مسدود.

وعلامة صحة الولي متابعة النبّي في الظاهر، لإنّهما يأخذان التصرّف من مأخذ واحد إذ الوليّ هو مظهر تصرّف النبيّ فلا يتصرّف إلاّ واحداً، ومن هذا تكلّم بعض الأتباع عن نفسه بخصايص النبيّﷺ على سبيل الحكاية فنزل نفسه من النبيّ بمنزلة الآلة من التصرّف نحو قول ابن الفارض رحمة الله عليه:(١٣٧)

---

(١٣٧) قوله: نحو قول ابن الفارض: إليّ رسولاً كنت...الخ

البيتان من قصيدته التائيّة، سمّاها: «لوائح الجنَان وروائح الجِنان» فظهر له رسول اللهﷺ وأوجب عليه أن يسميّها نظم السلوك، هذا قد نُقل عن ولده محمّد ابن الفارض، قال: سمعت الشيخ ﷺ يقول: رأيت رسول الله في المنام وقال لي: «ياعمر! ماسمّيت قصيدتك؟»

فقلت: يارسول الله سميتها: لوائح الجَنان وروائح الجِنان، فقال:

«لا بل سمّها: نظم السلوك»، فسمّيتها بذلك.(ديوان ابن الفارض ص ١٧). وراجع في

إليّ رسولاً كنتُ مِنّي مُرسلاً وذاتي بآياتي عليّ استَدَلّت

الى قوله:

وكلُّهم عن سبق معنايَ دائرٌ بدائرتي أو واردٌ من شريعتي

(المهدي عليه السلام هو الخاتم الولاية وقطب الأقطاب)

فكما أنّ النبّوة دايرة متألّفة في الخارج من نقط وجودات الأنبياء، وكاملة بوجود النقطة المحمّديّة لأنّه مَثَل النبّوة بحائط كُمل إلاّ موضع لبنة واحدة وهي وجوده، فالولاية أيضاً دايرة متألفة في الخارج من نقط وجودات الأولياء كاملة بوجود النقطة الّتي سيختم بها الولاية، وهو محمّد بن الحسن صاحب الزمان المعبّر عنه بالمهدي عليه السلام، كما أشار إليه بعض العارفين(١٣٨) بعد قيام العقل والنقل والكشف بصحته وهو قوله:

«القطبيّة الكبرىٰ هي مرتبة قطب الأقطاب وهي باطن نبّوة محمّد صلى الله عليه وآله فلا تكون إلاّ لورثته لأختصاصه صلى الله عليه وآله بالأكمليّة، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلاّ على باطن خاتم النبوّة، وقال أيضاً: فخاتم النبوّة هو الّذي ختم الله به النبوّة، ولا يكون إلاّ واحداً، وهو نبيّنا صلى الله عليه وآله،

⮌ الشّعر المذكور في المتن ديوان ابن الفارض، (تحقيق فوزي عطوي). وراجع أيضاً «مشارق الدراري» للفرغاني ص ٣٧٨وص ٥٣٧ وهو شرح لهذه القصيدة التائيّة لابن الفارض، والفرغاني من تلامذة الشيخ الكبير القونوي والشرح تقرير لدرس أستاذه.

(١٣٨) قوله: بعض العارفين.

المراد من بعض العارفين: كمال الدين عبد الرزاق القاساني، ذكره في كتابه: اصطلاحات الصوفيّة في باب القاف وباب الخاء، وراجع أيضاً «جامع الأسرار» ص ٤٤٦.

وكذا خاتم الولاية وهو الّذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة نهاية الكمال، ويختلّ بموته نظام العالم وهو المهدي الموعود في آخر الزمان».

(في معنى آخَر للولاية)
(الوليّ المطلق هو عليّ بن أبي طالب والولاية المطلقة تختصّ له)

أنّ الولاية هي قيام العبد بالحقّ بعد (عند) الفناء عن نفسه، وذلك بتولّي الحقّ إيّاه حتّى بلغه غاية مقام القرب والتمكين، والواليّ من تولّي الحقّ أمره وحفظه عن العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتّى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال الله تعالى:

﴿وهو يتولّى الصّالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وقال:

﴿أنت وليّ في الدّنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصّالحين﴾ [يوسف: ١٠١].

والشيخ الأعظم قد فصّل الولاية تفصيلا، وقد قسّم لها تقسيماً، وأوضح من ذلك كلّه، وذلك قوله:

«إعلم أن الولاية تنقسمُ بالمطلقة والمقيّدة[١٣٩]، أي العامّة

---

(١٣٩) قوله: إعلم ان الولاية تنقسم.

هذا كلام للقيصري ذكره في «شرح فصوص الحكم» الفصّ الشيءِ ص ١١٣، وفي

➲ طبعة الآشتياني ص ٤٦٨.

وأمّا الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي فقال:

«إعلم أيّدنا الله، أنّ لله خليفة يخرج، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً.

لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ، من وُلد فاطمة، يواطئ إسمه إسم رسول الله ﷺ، جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب، يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في خَلقه (بفتح الخاء) وينزل عنه في الخُلق (بضمّ الخاء) لأنّه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه والله يقول فيه:

﴿وإنّك لعلىٰ خُلق عظيم﴾ [القلم: ٤].

ينفخ الروح في الإسلام، يعزّ الإسلام به بعد ذلّه، ويحيىٰ بعد موته.

يظهر من الدين ماهو الدين عليه في نفسه مالو كان رسول الله ﷺ لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقىٰ إلاّ الدين الخالص.

أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الإجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ماذهبت إليه أئمّتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه، يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم. يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهيّ.

له رجال إلهيّون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ماقلّده الله.

ينزل عليه عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

ألا إنّ ختم الأولياء شهيد ... وعين إمام العالمين فقيد

هو السيّدُ المهديّ من آل أحمد ... هو الصارم الهنديّ حين يُبيدُ

هو الشمسُ يجلو كلّ غمّ وظُلمةٍ ... هو الوابل الوَسْميُّ حين يجودُ

➲

والخاصّة، لأنّها من حيث هي هي صفةٌ إلهيّة مطلقةٌ، ومن حيث إستنادها إلى الأنبياء والأولياء مقيّدة، والمقيّد متقوّم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيّد، فولاية الأنبياء و الأولياء كلُّهم جزئيّات الولاية المطلقة، كما أنّ نبوّة الأنبياء جزئيّات النبوّة المطلقة».

والنبوّة **المطلقة** ليست إلاّ للحقيقة المحمديّة من حيث الظاهر، والولاية المطلقة إلاّ لباطنها من حيث الباطن، لكن ظهور ولايته المطلقة مخصوصة بورثته المقيّدة من أولاده وأهل بيته من الأئمة المعصومين عليهم السلام كما بيّناه عند بحث انتساب العلم إليهم.

فالنبّوة **المطلقة** كما هي مخصوصة به وبحقيقته بالإصالة، وبعده بالأنبياء والرسل الّذين كانوا من مظاهره من آدم إلى عيسىٰ عليه السلام بالإضافة.

فالولاية **المطلقة** يكون مخصوصة بعلي بن أبي طالب عليه السلام وبحقيقته بالوراثة الحقيقيّة الأزليّة الذاتيّة، وبعده بأولاده المعصومين عليهم السلام بالإضافة إلى أن يختمها الله بالمهديّ عليه السلام.

⮐ «الفتوحات المكيّة، الباب السادس والستّون وثلاثمائة، في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي بشّر به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من أهل البيت عليهم السلام. ج ٣ ص ٣٢٧.

وقال في موضع آخر:

الختم ختمان: ختم يختم الله به الولاية، وختم يختم الله به الولاية المحمّدية.

فأمّا ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسىٰ عليه السلام.

وأمّا ختم الولاية المحمّديّة فهي لرجل من الغرب من أكرمها أصلاً ويداً، وهو في زماننا اليوم موجود». (الفتوحات المكيّة، الباب الثالث والسبعون، الجزء الحادي والثمانون، السؤال الثالث عشر).

وعند الشيخ الولاية المطلقة مخصوصة بعيسىٰ ﷺ، والولاية المقيّدة بنفسه هو، كما ذكره في الفتوحات والفصوص، وليس الأمر كذلك كما أثبتناه وبيّناه في المقدّمات وسنبيّنه في تأويل البقرة وغيرها.

وعلّة تخصيص الولاية المطلقة بعلي ﷺ بعد قيام العقل والنقل والكشف بصحته كما هو مذكور في مواطنه: قول النبيّ ﷺ، ثمّ قول الشيخ الأعظم في مواضع شتّى.

وأمّا قول النبيّ ﷺ فالذيّ ورد عنه بأسناد صحيح عند الأخطب والحنبل وكثير الصحابة أنّه قال:

«خلق الله تعالىٰ روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بألفي ألفي عام»(١٤٠).

(١٤٠) قوله: خلق الله روحي وروح عليّ ﷺ.

رواه عوالي اللئالي ج ٢ ص ١٢٤، الحديث ٢١٠.

وراجع أمالي الطوسي ص ٧٧، وأصول الكافي ج ١ ص ٤٤٢ الحديث ٣ و٥ و٩ و١٠، وكمال الدين للصدوق ج ١ ص ٣٦٦، الباب الثالث والعشرون الحديث ٦، وعيون أخبار الرضا ج ١ الباب ٢٦، الحديث ٢٢ ص ٢٦٢.

وراجع إحقاق الحق وملحقات الإحقاق ج ٥ ص ٢٦٦، وج ١٦ ص ١٣٥، وج ٢١ ص ٤٣٣.

وراجع في تفصيل ماذكرنا والأخبار الّتي أشرنا إليها، تفسير المحيط الأعظم الجزء الأوّل ص ٥١٠ التعليق ١٥٩ و٥٤٨٣ التعليق ١٦٧.

أخرج الأخطب (هو: الحافظ أبو مؤيّد وأبو محمّد) الموفّق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق بن المؤيّد المكّي الحنفي المعروف بأخطب خوارزم، المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ ق) في كتابه المعروف «المناقب» الفصل الرابع عشر ص ١٤٤ الحديث ١٦٨، بإسناده عن

(في قول الشيخ الأكبر بأنّ علي بن أبي طالب ﷺ سرّ الأنبياء)

وأمّا قول الشيخ فالّذي ذكره في فتوحاته بعد بحث طويل فيه وهو قوله مشيراً إلى النبيّ ﷺ:

«وكان سيّد العالم بأسره، وأوّل ظاهر في الوجود، وكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء، من الحقيقة الكلّيّة، وفي الهباء وُجد عَينُه، وعينُ العالم تجليه (من تجلّيه)، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين»(١٤١).

⬅ جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ:

«مكتوب على باب الجنّة: لا إله إلاّ الله، محمّد بن عبدالله رسول الله، عليّ بن أبي طالب أخو رسول الله، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام».

وأخرج أيضاً في الحديث ١٦٩ بإسناده عن سلمان قال: سمعت حبيبي المصطفى محمّداً ﷺ يقول:

«كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ مطبقاً، يسبّح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام».

وأخرج قريب منه في الحديث ١٧٠ بإسناده عن محمّد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه ﷺ، عن رسول الله ﷺ.

(١٤١) قوله: وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب.

قاله الشيخ الأكبر في الفتوحات المكيّة ج ١ ص ١١٩، في الباب السادس في معرفة بدؤ الروحاني ومَن هو أوّل موجود.

وفي بعض نسخ الفتوحات هكذا: «أقرب الناس إليه عليّ ابن أبي طالب ﷺ إمام العالم ⬅

وسرّ الأنبياء أجمعين». ذكره عثمان يحيىٰ ج ١ ص ٢٢٧.

قال العارف المحقق آقا ميرزا محمد رضا قميشه‌اي في رسالة له:

أقول: كلامه (الشيخ الأكبر) هذا يدل على أنّ خاتم الولاية المطلقة الإلهيّة عنده، كما هو عندنا، عليّ ابن أبي طالب عليه السلام دون عيسىٰ عليه السلام بوجوه ثلاثة:

«**الأوّل**، أنّه صرّح بأنّه أقرب الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم وهو بـاطلاقه يشـمل قـرب المـعنوي والصوري، أي الشهادي والغيبي.

وصيغة التفضيل إما للزيادة على المفضل عليه، أو لنفي الزيادة عليه. فعلىٰ الأوّل قربه أزيد إليه من الكلّ، وعلى الثاني أيضاً كذلك، لأنّ محتد الولايـة المـطلقة وهـوخاتم الأنبياء، فمن كان أقرب إليه أي من لا أقرب منه إليه هو خاتم تلك الولاية، والخاتم لا يتعدد، فمن لا أقرب منه إليه لا يتعدد، فقربه أزيد من الكلّ فهو خاتم الولاية، وغـيره دونه وتحت لوائه ويأخذ منه.

ومن الأولياء جبرئيل، وعلي عليه السلام مُعلّمه كما هو المشهور، وعيسىٰ عليه السلام من نفخ جبرئيل وبذلك كان روحاً منه فيأخذ عنه عليه السلام.

الثاني، أنّه صرّح بأنّه إمام العالم، وعيسىٰ عليه السلام من العالم فهو إمام عيسىٰ عليه السلام والأمام مقدّم على المأموم، فعليّ عليه السلام مقدّم على عيسىٰ، فهو الخاتم دونه.

الوجه الثالث، أنّه صرّح بأنّه عليه السلام سرّ الأنبياء أجمعين، وعيسىٰ عليه السلام من الأنبياء فهو سرّه.

وسرّ الأنبياء ولا يتهم فهو بولايته سارفيه وفي غيره من الأنبياء، فولايته هي الولاية المطلقة السارية في المقيّدات جميعاً. والمقيّدات شؤونات وظهورات ومأخوذات منه، فهو الخاتم والكلّ يأخذون منه، فعيسىٰ عليه السلام يأخذ منه.

فإن قلت: قد صرّح الشيخ في غير موضع بأنّ عيسىٰ خاتم الأولياء.

أقول: أراد به ختم الولاية العامّة المقابلة للولاية الخاصّة الشاملة لهما».

راجع شرح فصوص الحكم للقيصري، الطبع الحديث للآشتياني ص ٤٤٩.

وهاهنا أبحاث وأسرار يحتاج إلى بسط عظيم حاصلها ماسبق ذكرها وستعرفها أكثر من ذلك إن شاء الله.

وأمّا الثاني والثالث من التقسيم المذكور أعني تعيين خاتم الأولياء مطلقا بالولاية المطلقة، وتعيين خاتم الأولياء مقيّداً بالولاية المقيّدة، فذلك يعرف من الأبحاث المذكورة الآن، ويحتاج إلى بسط وتفصيل مرّة أخرىٰ. **فالوليّ والإمام** عند أهل الطريقة هو الوليّ المقيّد والإمام التابع للوليّ المطلق، كما أنّ النبيّ عندهم هو النبيّ المقيدّ والرسول التابع للنبيّ المطلق، وهذا هو المقصود من هذا البحث ليطابق ترتيب الولاية، وترتيب المطلق ترتيب المقيّد.

والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، هذا ماعند أهل الطريقة في الإمام والوليّ.

أقول: مع أنّ في قوله: «و عيسى عليه السلام من نفخ جبرئيل و بذلك كان روحاً منه فيأخذ عنه عليه السلام» تأمّل، لأنه مع تسليم كلامه في النفخ، فهو لايدلّ علىٰ أفضليّة جبرئيل عليه السلام، علىٰ أنّ الرّسل أفضل من الملائكة كما أشرنا إليه غير مرّة، هذا ولكن يؤيّد كلامه في الولاية المطلقة كلام نفس الشيخ الأكبر و هو قوله: «الختم ختمان: ختم يختم الله به الولاية، و ختم يختم الله به الولاية المحمّديّة». كما أشرنا إليه في التعليق ١٣٩.

وأمّا عند أهل الحقيقة

(تعريف الإمام عند أهل الحقيقة وأنّ عليه يكون مدار الوجود)

فالإمام والوليّ عندهم الإمام الأعظم والوليّ المطلق المعبّر عنه بالقطب وإمام الائمّة الّذي يكون عليه مدار الوجود وقيام الشريعة والطريقة والحقيقة، وإليه مراتب الكلّ من النبيّ والرسول والولي، وإليه أشار الشيخ الأعظمﷺ في فصوصه (فصّ شيثي) بعد كلام طويل بقوله:

«وليس هذا العلم إلاّ لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء، وما(لا) يراه أحد من الأنبياء والرسل إلاّ من مشكاة الرسولالخاتم ولايراه أحد من الأولياء إلاّ من مشكاة الوليّ الخاتم، حتّى أنّ الرّسل لا يرونه متىٰ رأوه إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء، فإنّ الرسالة والنبوّة أعني نبوّة التشريع ورسالته تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً. فالمرسلون من كونهم أولياء لايرون ما ذكرناه إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من

الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ماذهبنا إليه، فإنّه من وجه يكون أنزل، كما أنّه من وجه يكون أعلىٰ».

وقال بعد كلام يسير بعده:

«فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ، مامنهم أحد يأخذ إلاّ من مشكاة خاتم النبيّين وإن تأخّر وجود طينته، فإنّه بحقيقته موجود،وهو قوله:

«كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين».

وغيره من الأنبياء ماكان نبيّاً إلاّ حين بُعث، وكذلك خاتم الأولياء كان وليّاً وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ماكان وليّاً إلاّ بعد تحصيله شرايط الولاية من الأخلاق الآلهيّة والإتّصاف بها، من كون الله يسمّى بالولي الحميد، فخاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه، فإنّه الوليّ والرسول النبيّ (فإنّه الولي الرسول النبيّ)، وخاتم الأولياء (الوليّ) الوارث الآخذ عن الأصل الشاهد (المشاهد) للمراتب، وهو حسنة من حسنات خاتم الرّسل محمّد ﷺ مقدّم الجماعة وسيّد ولد آدم في فتح باب الشفاعة».

وهذا الكلام بعد دلالته على وجود خاتم الأولياء وصدق جميع ما قلناه في هذا الباب، دالّ على أنّ خاتم الأولياء مطلقاً أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لأنّه قيّده بحسنة من حسنات سيّد المرسلين، وليس حسنة سيّد الرسل على الوجه الّذي ذكروا الشّراح في شروحهم إلاّ هو.

وستعرف إن شاء الله أوضح من ذلك لأن هذا أيضاً يحتاج إلى بسط

تامّ، وهذا المكان لا يحتمله على ماينبغي.

وحيث عرفت بحث الإمامة من طريق الطوايف الثلاث فلنشرع في بحث المعاد الّذي هو آخر أصل من الأصول الخمسة على ماشرطناه، وبالله التوفيق.



وأمّا المعاد

(تعريف المعاد على نحو الإطلاق)

فاعلم أنّ المعاد مطلقاً عبارة عن رجوع العالم ومافيه إلى ماصدر منه صورة ومعنى في المراتب القيامات الثلاث الّتي هي الصغرى والوسطى والكبرى آفاقاً وأنفساً.

وقد كتبنا في ذلك رسالة موسومة «**برسالة المعاد في رجوع العباد**»، وعيّنّا فيها إثنا عشر قيامة صوريّة ومعنويّة، محتوية على الصغرى والوسطى والكبرىٰ، وترتيب ذلك وهو أن يعتبر في الآفاق ثلاث قيامات صوريّة، وثلاث قيامات معنويّة، وكذلك في الأنفس، فيكون إثنا عشر قيامة ضرورة.

ونحن نبيّن لك تفصيل ذلك في هذا المقام إختصاراً لأنّ هذا المكان لا يحتمل أكثر منه.

وإذا عرفت هذا فلنشرع فيها أوّلاً من حيث الشريعة ثمّ من حيث الطريقة، ثمّ من حيث الحقيقة كما شرعنا في الأصول الأربعة المذكورة كذلك وهو هذا:

أمّا معاد أهل الشريعة

(تعريف المعاد عند أهل الشريعة)

فالمعاد عندهم عبارة عن جمع أجزاء بدن الميّت وتأليفها مثل ماكان وإعادة روحه إليه، وهذا هو المعبّر عنه بحشر الأجساد، وهذا ممكن، والله تعالىٰ قادر على كلّ الممكنات وعالم بها، والجسم قابل للتأليف، فيكون قادراً وهو المطلوب. وبنوا على هذا **مقدّمات عقليّة**:

منها أنّ الله تعالىٰ خلق الإنسان وأعطاه العلم والقدرة والإرادة والإدراك والقوى المختلفة، وجعل زمام الإختيار بيده وكلّفه بتكليف شاق، وخصّصه بألطاف خفيّة وجليّة لغرض عايد إليهم، وليس ذلك إلاّ نوع كمال لا يحصل إلاّ بالكسب، إذ لو أمكن بلا واسطة لخلقهم عليه إبتداء، ولما كان الدنيا هي دار التكليف فهي دار الكسب يعمر الإنسان فيها مدّة يمكن تحصيل كماله فيها،ثمّ يحول إلى دار الجزاء ويسمّى دار الآخرة.

ومنها أنّ الأنبياء بأسرهم أخبروا بحشر الأجساد، وهو موافق

للمصلحة الكليّة، فيكون حقّاً، لعصمتهم واستحالة صدور الكذب عنهم، وكذلك الجنّة والنار المحسوستان كما وعدوا به حقّ، لإمكانها وإخبار الصادق بها.

ومنها ماقالوا في جواب قوم قالوا: إعادة المعدوم محال، وإلاّ لزم تخلل العدم في وجود واحد، فيكون الواحد الإثنين وهو قولهم: ولمّا كان حشر الأجساد حقّاً وجب أن لا يعدم أجزاء أبدان المكلّفين وأرواحهم بل يتبدّل التأليف والمزاج، والفناء المشار إليه في قوله تعالىٰ:

﴿كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

كناية عنه.

ومنها، ماقالوا في جواب قوم قالوا: حقيقة الإنسان عرض، وهو قولهم: الّذي يشير إليه الإنسان حال قوله: أنا، لو كان عرضا لاحتاج إلى محل يتصّف به، لكن لا يتّصف شيئ بالإنسان بالضرورة، بل يتّصف هو بأوصاف غيره فيكون جوهراً، ولو كان هو البدن أو شيئاً من جوارحه لم يتّصف بالعلم، لكنّه يتّصف به بالضرورة فيكون جوهراً عالِماً، والبدن وساير الجوارح آلاته في أفعاله، وذلك هو المسمّى بالروح في الشرع الآلهي، ومع ذلك كلّه قد أختلف النّاس فيه اختلافاً شديداً:

فالدهريّة انكروه وقالوا الإنسان ينعدم بموته، فلا يكون له عود إلى الوجود.

والقائلون بأن المعدوم شيئ قالوا: بأنّه ينعدم بموته ثمّ يعود إلى الوجود وحينئذ يثاب أو يعاقب، أمّا انعدامه فلقوله تعالىٰ:

﴿كلّ من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦].

وأمّا عوده فلوجوب كونه مثاباً أو معاقباً في الآخرة كما أخبر به الكتاب الكريم في مواضع كثيرة.

والنّفاة القائلون بكونه جسماً قالوا: إفناؤه وهلاكه عبارة عن تلاشي أجزائه واضمحلال أعضائه كالتركيب وغيره وإعادة جميع أجزائه وإحداث أعراض فيه مثل ماكانت قبل موته، وهذا هو الحقّ من الأقوال المذكورة عندهم.

والقول بالأجزاء الأصليّة والحكم بالتأليف بعد التبديل، وأنّ النفس جوهر بسيط، أولى وأنسب من غيره بأنّ صاحبه يخلص من جميع الشبهات والاعتراضات.

وأكثر هذه الدلائل منقولة من كلام خواجه نصير الدين الطوسي رحمة الله عليه من الفصول في الأصول وغيره، وذكر فيه أيضاً شبهة الفلاسفة وقام بجوابهم نذكرها هاهنا ونقطع هذا البحث عليها وهو قوله:

«قالت الفلاسفة: حشر الأجساد محال، لأنّ كلّ جسد إعتدل مزاجه واستعدّ، استحقّ فيضان النفس من العقل الفعّال، فلو اتّصف أجزاء بدن الميّت بالمزاج لاستحّق نفساً من العقل، واعيد إليه نفسه الأولىٰ على قولكم فيلزم إجتماع نفسين على بدن واحد وهو محال ونحن لمّا أثبتنا الفاعل المختار وأبطلنا قواعدهم لم نحتاج إلى جواب هذه الهذيانات».

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل، هذا ماعند أهل الشريعة في المعاد.

وأمّا معاد أهل الطريقة

(المعاد هو عود مظاهر الأسماء بعضها إلى بعض آخر)

فالمعاد عندهم بعد اعتقادهم في المعاد المذكور عبارة عن عود مظاهر بعض الأسماء إلى مظاهر أسماء أخر، لقوله تعالىٰ:

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن وفداً﴾ [مريم: ٨٥].

وهذا البحث يفتقر إلى بسط تامّ وقد بسطنا الكلام فيه «في رسالة المعاد» بسطاً لا مزيد عليه، في وجوه خمسة، لأنّ تلك الرسالة مشتملة على وجوه عشرة، خمسة منها في المعاد الإجمالي، وخمسة في المعاد التفصيلي بعد اشتمالها على التنبيه والتتميم في أوّلها وآخرها، وعلى الكشف من أسرار الجنان والجحيم ومافيهما من الأوضاع والأشكال، واللّذّات والآلام، فحينئذ نذكر ههنا من تلك الوجوه الخمسة الإجمالية الأسمائيّة وجه واحد، يكون هو كالأسّ لبناء هذه المباحث، وكالركن لتشييد هذه القواعد وهو هذا:

(في أنّ حقيقة المعاد
هي رجوع المظهر إلى الظاهر والمحاط الى المحيط)

إعلم، أنّ القيامة والمعاد إجمالاً عبارة عن ظهور الحقّ بصور إسمَي الباطن والآخر مع أسماء أُخَر، كالعدل والحقّ والمحيَ والمميت، كما أنّ الدنيا والمبدأ عبارة عن ظهوره بصورة: الظاهر والأوّل مع أسماء أُخر كالمبديء والموجِد والخالق والرازق وأمثالها، وذلك لتوفّية حقوق كلّ إسم من أسمائه الغير المتناهية لأنّ ظهوره بصور الأسماء مطلقا المسمّى بالخلق والعالم المشار إليه في قوله:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»(١٤٢).

لم يكن إلاّ لذلك اي عن توفّية حقوق كلّ أسم من أسمائه.

(في ظهور الأسماء و عدم تناهيها)

وقد تقرّر عند أهل الله وخاصته أنّ اسمائه بحسب الجزئيات والأشخاص غير متناهية، وإن كان بحسب الكليّات والأنواع متناهية فيجب أن يكون دائماً متجلياً بصور أسمائه وصفاته دنياً كان أو آخرة، ولهذا ذهب بعض العارفين إلى أنّ الدنيا والآخرة مَظهران من مظاهره، فيجب أن يكونان دائماً واقعتان غير موقوفتان على زمان وآن، فإنّ

---

(١٤٢) قوله: كنت كنزاً مخفياً.

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق ٦٠.

المظاهر يستحيل رفعها عن الوجود، والمراد من ذلك ان القيامة عبارة عن تغيير عالم الظاهر وتبديله ورجوعه إلى الباطن دائماً، كما أنّ الدنيا عبارة عن ظهور الباطن بصور الظاهر دائماً ورجوعه إليه كذلك، لأنّ الأسماء وإن كانت كثيرة لكن لا يخرج حكمها عن هذه الأربع، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن.

فإنّ **الأوّل والظاهر** وأخواتها من قبيل الدنيا والمرتبة المبدائيّة، **والباطن والآخر** وأخواتها من قبيل الآخرة والمرتبة المنتهائيّة.

وهذا النظر وإن كان جايزاً بوجه لكن هو غير جايز بوجه آخر كما ستعرفه إن شاء الله.

(لكلّ إسم من الأسماء الحسنى اقتضاء وأحكام)

والحقّ في ذلك والّذي نحن بصدده وهو أنّ لكلّ إسم من أسماء الله تعالىٰ إقتضاء وأحكام، فالآخرة من إقتضاء الإسم القهّار والواحد والأحد والصمد والفرد والمعيد والماحي والمميت وغير ذلك، كما أنّ الدنيا من إقتضاء الإسم الظاهر والمبدء والأوّل والموجد وغير ذلك، وإن كان كلّ واحد منها نفس الآخر عند التحقيق، لأنّ المغايرة في الأحكام والأثر لا في الذات والحقيقة.

(المراد بالأمر في القرآن)

والحقّ تعالىٰ جلّ ذكره عن هذا الإبداء والإعادة والظهور والبطون والعروج والنزول والكثرة والوحدة والدنيا والآخرة عبّر في القرآن الكريم:

بالأمر في مواضع، منها قوله:

﴿يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ثمّ يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ [السجدة: ٥].

ومنها قوله:

﴿تعرج الملائكة والرّوح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤].

وقد ذكرنا المناسبة بين الألف والخمسين في رسالة المعاد.

وبعض ذلك وهو: أنّ سير الكواكب السبعة بعضه بالإشتراك، وبعضه بالإنفراد، فالّذي بالإنفراد خاصّة وهو ألف سنة لكلّ كوكب منها، والّذي بالإشتراك وهو ستّة آلاف سنة يحصل على الحساب الهندسي، وضرب السبعة في السبعة تسع وأربعون سنة، تكون تكميلها بإضافة الكبيسات إليه في هذه المدّة الّتي هي الألف، فتخرج خمسين ألف سنة كاملة، وهذه تسمّىٰ بالقيامة العظمىٰ، والسبعة المخصوصة بكلّ (لكلّ) واحدة من الكواكب القيامة الوسطىٰ، والألف الخاصّ يشير الخاصّ القيامة الصغرىٰ.

وههنا أسرار غير هذا وليس هذا موضعها ولا هذا البحث له مدخل في هذا الموضع فنرجع ونقول:

إعلم، أنّ الغرض من مجموع هذه الأبحاث أن يتحقّق عندك وعند غيرك أنّ الحقّ تعالىٰ عبّر بالأمر عن مجموع هذا العروج والنزول والظهور والبطون والإبداء والإعادة لقوله أيضاً غير ماسبق:

﴿الله الّذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ

لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً﴾ [الطلاق:١٢].

ولقوله:

﴿الله الّذي رفع السّمٰوات بغير عمد ترونها ثمّ أستوىٰ على العرش وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربّكم توقنون﴾ [الرعد: ٢].

(في بيان الفرق بين الظهور الكلّي والظهور الجزئي)

ليعلم أنّ هذا الأمر المعبّر عنه بهذا المجموع راجع إليه دائماً علىٰ الوجه الّذي قرّرناه، لأنّ الدنيا والآخرة مظهران من مظاهر الكلّيّة كالمائة والألف بالنسبة إلى الواحد في مراتب الأعداد وظهوره بها، فإنّ الألف والمائة من أعظم مظاهر الواحد في مراتب الأعداد، لكن ليس انحصاره في مراتب الأعداد محصورة فيهما لأنّ ظهوره في الأعداد بحسب الكلّي ينحصر في مثل هذا، وإلاّ من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال وأبد الآباد، وكذلك الحقّ ومظاهره فإنّ الدنيا والآخرة وإن كان من أعظم مظاهره لكن ليس ينحصر ظهوره فيهما، لأنّ ظهوره فيهما وفي أمثالهما ينحصر من حيث الكلّي.

وأمّا من حيث الجزئي فغير منقطع أزل الآزال وأبد الآباد، وعلى جميع التقادير لابّد من رجوع المظهر إلى الظاهر في موطنَي الدنيا والآخرة المشتملان على مواطن غير متناهية.

وهذا هو حقيقة المعاد لا غير، أعني رجوع المظهر إلى الظاهر

والمحاط إلى المحيط وعن هذا عبّر أيضاً بالتقدير والشأن في قوله:

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [يس: ٣٨].

وفي قوله:

﴿كلّ يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩].

وتقديره وهو أنّه كلّ يوم من أيّامه الألوهيّة الّتي هي خمسين ألف سنة، أو من أيّام الدنيا الّتي هي سبعة آلاف سنة في شأن من هذه الشؤون، وأمر من هذه الأمور الّذي هو استيفاء حقوق كلّ إسم من أسمائه في صورة مظهر من مظاهره ومرتبة من مراتبه في مواطن النزول والعروج والظهور والبطون، وذلك لأنّ الأكوان مظاهر الأفعال، والأفعال مظاهر الصفات والصفات مظاهر الذات (الأسماء) والأسماء مظاهر الذات وكمالاتها الذاتيّة الغير المتناهية.

وحيث تقرّر أنّ الأفعال والصفات والأسماء والكمالات غير متناهية، تقرّر أن الرجوع والعود لا يكون إلاّ كذلك، لكن من حيث الجزئيّات لا الكليّات، لأنّ الجزئي مثلاً إذا عاد إلى الكلّي، أو المركبّ إلى البسيط، يجوز عود الجزئي إلى الكلّي والمركّب إلى البسيط مرّة أخرىٰ من غير توهّم قِدم في شيء من المحدثات والممكنات، أو توهّم نقص في الشرعيّات والنقليات، فإن إندراج بعض الأسماء في البعض الآخر أو إندراج بعض المظاهر في البعض الآخر لا يكون سبباً لذلك أصلاً، «والباقي باق في الأزل، والفاني فان لم يزل»، إنّ في ذلك لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، وقوله تعالى:

﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود* ومانؤخّره إلاّ لأجل

معدود* يوم يأت لا تكلّم نفس إلاّ بإذنه فمنهم شقّي وسعيد* فأمّا الّذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق* خالدين فيها مادامت السّموات والأرض إلاّ ماشاء ربّك إنّ ربّك فعّال لما يريد* وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السّموات والأرض إلاّ ماشاء ربّك عطاءً غير مجذوذ﴾ [هود: ١٠٣ – ١٠٨].

برهان قاطع على صدق هذا المعنى وإثبات القيامات الثلاث على الوجه المذكور، ومايعرف ذلك إلاّ من يعرف معنى قوله:

﴿مادامت السّموات والأرض إلاّ ماشاء ربّك﴾ [هود: ١٠٧].

وهاهنا أيضاً أسرار كثيرة لبّها وخلاصتها ماجرى ذكرها من قبل.

وإذا عرفت هذه الضوابط كلّها وتحقّقت معنىٰ العود الحقيقي والرجوع الكلّي الأسمائي.

(في مراتب الأسماء الحسنىٰ وأحكامها)

فاعلم، أنّ للأسماء الآلهيّة أحكاماً وآثاراً، أولها أيضاً دول ودورات، وإبتداء وإنتهاء.

وبيان ذلك مفصّلاً وهو: أنّ العقل الصحيح يحكم بأنّ حكم الإسم الضّار غير حكم الإسم النافع، وأثر الإسم المحيي غير أثر الإسم المميت، ودولة الإسم الهادي غير دولة الإسم المضلّ، وكذلك.

الظاهر و الباطن و الأوّل و الآخر إلى غير مالايتناهىٰ من الأسماء المتقابلة، فكما أنّ الدّنيا من إقتضاء الإسم الأوّلوالظاهر وأخواتها، فالآخرة من إقتضاء الإسم الآخر والباطن، فكما أنّ وجود الدنيا وظهور

أحكامها كان واجباً في الحكمة الآلهيّة بمقتضىٰ الأسماء المتعلّقة بها فكذلك وجود الآخرة وظهور أحكامها فإنها يكون واجبة أيضاً في الحكمة الآلهيّة بمقتضى الأسماء المتعلّقة بها كما مرّ ذكرها، وهذا ضابط كلّيّ يعرف منه ضوابط كثيرة، ومع ذلك كلّه نمثّل لك مثالاً في هذا المعنىٰ يسهل عليك إدراك هذا السرّ سريعاً هو:

أنّ الوجود وسلطنته الحقيقيّة المعنويّة، واقعة على ترتيب السلطنة الصوريّة المجازيّة أعني كما أنّ السلطنة الصوريّة مترتبة على السلطان والوزير والأمير والجنود والرعايا وغير ذلك من التوابع، فكذلك السلطنة الحقيقيّة فإنّها أيضاً مترتبة على ذلك كلّه، فالأسماء الذاتيّة كالوزير، والصفاتيّة كالأمير، والفعليّة كالجنود، ومايحصل من تركيب كلّ واحد منها كالرعايا، فكما أنّ كلّ شخص من أعوان السلطنة الصوريّة فهو مخصوص بأمر لا يشاركه غيره، فكذلك كلّ إسم من أسماء السلطان الحقيقي وسلطنته الحقيقيّة فإنّه مخصوص بأمر لا يشاركه غيره.

(كلّ إسم ربّ لمظاهره)

وعلى هذا التقدير كلّ موجود من الموجودات الخارجيّة يكون مظهراً لإسم من أسمائه تعالىٰ ومحّلاً لأثره وحكمه، لا يكون رجوعه إلاّ إليه، لأنّ ذلك الإسم هو ربّه وهو مربوب له كما سبق ذكره، ويشهد بذلك أيضاً قوله تعالىٰ:

﴿يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً﴾ [مريم: ٨٥].

وقوله:

﴿وأنّ إلى ربّك المنتهى﴾ [النجم: ٤٢].

وإن كان في الحقيقة لا يكون رجوع الكلّ إلاّ إلى الله، كرجوع كلّ الرعيّة إلى السلطان المجازي عند التحقيق مع وجود الوزير والأمير والحاجب والنائب، وتعلّق كلّ واحد منهم بهؤلاء.

وبيان ذلك مرّة أخرى:

(كلّ محتاج إلى الله سبحانه لابدّ أن يدعو من أسمائه الحسنىٰ، ألإسم الخاصّ المناسب بحاجته)

وهو أنّه إذا جاء شخص مثلاً إلى السلطان المجازي وطلب منه إنعاماً فإنعامه لابّد وأن يكون على يد خازن من خزّانه، وكذلك الّذي يجئ إليه ويطلب حكم مدينة فإنّه لا يكون رجوعه إلاّ إلى الوزير، وكذلك الّذي يطلب منه النصرة والغلبة على عدّوه أو ظالم من الظلمة، فإنّ رجوعه لا يكون إلاّ إلى أمير من أمرائه، وكذلك إلى مالا نهاية له من الأعوان والأجناد والرعايا، لأنّ أمور السلطنة وانتظامها مايجري بدون هؤلاء، فإنّ الكلّ من حيث الكلّ لا ينتظم إلاّ بالكلّ، فكذلك السلطان الحقيقي فإنّ الفقير إذا توجّه إليه أو إلى حضرته وقال: يالله! وطلب المال لابّد وأن يكون رجوعه إلى الإسم الغني، وكذلك المريض إذا توجّه وقال: يالله! وطلب الصحّة فانّه لابّد وأن يكون رجوعُه إلى الإسم الشافي، وكذلك الضالّ إذا توجّه وقال: يالله! وطلب الهداية لابّد وأن يكون رجوعه إلى الإسم الهادي، وكذلك إلى مالا يتناهي من الأسماء، فإنّ الأمر السلطنة الحقيقيّة من حيث السلطنة لا ينتظم إلاّ بهذا كما قيل:

فـــالكلّ مـــفتقر مـــا الكـــل مسـتغن
هـذا هـو الحـقّ قـد قـلناه لا نكـني
فـــالكلّ بـــالكلّ مـــربوط وليس له
عنه انفصال (انفكاك) خذواماقلته عنّي[١٤٣]

وإن حقّق عرف أنّ قولهم:

«أنّ للربوبيّة سرّاً لو ظهر لبطلت الربوبيّة».

هذا معناه لأنّ الربوبيّة أمر لا ينتظم إلاّ بالمنتسبيَن، وأحد المنتسبيَن أسماء والآخر أعـيان، والأعـيان مـعدومة فـي نـفس الأمـر، مـوجودة بالإعتبار، وكلّ أمر ينتظم بالمعدوم فهو يكون غير منتظم فـي الحـقيقة، وذلك لأنّ الربوبيّة موقوفة على المربوب، والمـربوب عـلى الربّ، فـلو فرض عدم المربوب لم يطلق الربوبيّة مع أن يكون الربّ موجوداً، وكذلك بالعكس وإن كان هذا الفرض محال.

وفي بيان هذا السرّ قال بعض العلماء:

سرّ الربوبيّة هو توقّفها على المربوب، لكونها نسبة لابّد لهـا مـن المنتسبَين، واحد المنتسبيَن هو المربوب وليس إلاّ الأعـيان الثـابتة فـي العدم[١٤٤] والموقوف على المعدوم معدوم، وذلك لبطلان مايتوقّف عليه،

---

(١٤٣) قوله: فالكلّ مفتقر

الشعر لمحي الدين ابن العربي، في الفصوص فصّ آدمي ص ٩٣.

(١٤٤) قوله: الأعيان الثابتة في العدم.

قوله: في العـدم يـعني فـي الحـضرة العـلميّة، العـدم هـنا بـمعنى المـقابل الخـارج الإصطلاحي.

وقيل أيضاً بعكس ذلك وهو قولهم:

سرّ الربوبيّة هو ظهور الربّ بصور الأعيان، فهو من حيث مظهريّتها للربّ القائم بذاته الظاهر بتعيّناته قائمة به، موجودة بوجوده، فهي عبيد مربون (مربوبون) من هذه الحيثيّة والحق ربّ لها، فما حصلت الربوبيّة في الحقيقة إلاّ بالحقّ، والأعيان معدومة بحالها في الأزل، فلسّر الربوبيّة سرّ به ظهرت ولم تبطل، وهاهنا أسرار دقيقة والكلّ راجع إلى ماقلناه:

أنّ المعاد عبارة عن رجوع كلّ مظهر إلى إسمه الّذي ظهر فيه بالحكم والأثر، وإذا عرفت هذا في صورة المثال مرّة غير أخرىٰ فنرجع إلى الغرض ونقول:

(في غلبة بعض الأسماء على البعض)

مع أنّه كذلك أي مع أنّ الأمر على هذه الصورة في الأسماء ومظاهرها، لكن للأسماء دول ودوران وآثار وأحكام يجوز أن يكون مظهر بعض الأسماء مغلوباً بالنسبة إلى البعض الآخر، وكذلك أحكامه ودورانه فظهور القيامة من مغلوبيّة الأسماء المتعلّقة بالدنيا وغلبة الأسماء المتعلّقة بالآخرة، وقس على هذا جميع الأسماء في جميع الأوقات، وقد أشار إلى هذا بعض العلماء العارفين بعبارة موجزة نذكرها ونرجع إلى غيرها وهي هذه:

«أعلم أنّ أسماء الأفعال بحسب أحكامها ينقسم أقساماً:

منها أسماء لا ينقطع حكمها ولا ينتهي أثرها أزل الآزال وأبد الآباد كالأسماء الحاكمة على الأرواح القدسيّة والنفوس الملكوتيّة وعلى مالا

يدخل تحت الزمان من المبدعات وان كانت داخلة تحت الدهر.

ومنها مالا ينقطع حكمه أبد الآباد وإن كان منقطع الحكم أزل الآزال، كالأسماء الحاكمة على الآخرة فإنّها أبديّة كما دلّت الآيات على خلودها وخلود أحكامها، وغير أزليّة بحسب الظهور إذ إبتداء ظهورها من انقطاع النشأة الدنياويّة.

ومنها ماهو مقطوع الحكم أزلاً ومتناه الأثر أبداً كالأسماء الحاكمة على كلّ مالا يدخل تحت الزمان وعلى النشأة الدنياويّة، فإنّها غير أزليّة ولا أبديّة بحسب الظهور وإن كانت نتايجها بحسب الآخرة أبديّة، وماينقطع أحكامه: إما ان ينقطع مطلقاً ويدخل الحاكم عليه في الغيب المطلق الإلهي كالحاكم على النشأة الدنياويّة، وإمّا أن يستتر ويختفي تحت حكم الإسم الّذي يكون أتمّ حيطة منه عند ظهور دولته، إذ للأسماء دول بحسب ظهوراتها وظهور أحكامها وإليها يستند أدوار الكواكب السبعة الّتي مدّة كلّ دورة منها ألف سنة، والشرايع إذ لكلّ شريعة إسم من الأسماء يبقىٰ ببقائه ودولته ويدوم بدوام سلطنته وينسخ بعد زوالها، وكذلك التجليات الصفاتيّة إذ عند ظهور صفة مامنها يختفي أحكام غيرها تحتها، وكلّ واحد من الأقسام الأسمائيّة يستدعي مظهراً به يظهر أحكامها وهي الأعيان، فان كانت قابلة لظهور الأحكام الأسمائيّة كلّها كالأعيان الإنسانيّة كانت في كلّ آن مظهراً لشأن من شؤونها، وإن لم يكن قابلة لظهور أحكامها كلّها، كانت مختصّة ببعض الأسماء دون البعض كأعيان الملائكة ودوام الأعيان في الخارج وعدم دوامها فيه دنياً وآخرة راجع إلى دوام الدول الأسمائية وعدم دوامها، فافهم وبالله التوفيق».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمّا القيامة الصغرى المعنويّة
بالنسبة إلى أهل الطريقة

(الموت الإرادي الإختياري)

فهي عبارة عن الإنتباه والقيام بعد الموت الإرادي الإختياري بحكم قول النبيّ ﷺ:

«موتوا قبل أن تموتوا»(١٤٥).

وحكم قول الحكيم:

«مت بالإرادة تحيي بالطبيعة»(١٤٦).

---

(١٤٥) قوله: «موتوا قبل أن تموتوا».

راجع تفسير المحيط الأعظم الجزء الأول ص ٤٣٠ و٤٢٩ التعليق ٢٢٧ و٢٢٦.

وذكره أيضاً القيصري في المقدمة لشرح الفصوص، آخر فصل التاسع.

وقد مرّت الإشارة إليه في التعليق ٥٨ أيضاً.

(١٤٦) قوله مت بالإرادة

وقوله ﷺ:

«من مات فقد قامت قيامته»(١٤٧).

يُعضد الكلّ صوريّاً كان الموت أو معنويّاً.

وهذا الموت عندهم على أربعة أقسام: وهي الأحمر والأبيض والأخضر والأسود.

وأمّا مطلق الموت فهو عبارة عن قمع هوى النفس، فإنّ حياتها به، ولا تميل إلى لذّاتها وشهواتها ومقتضيات الطبيعة البدنيّة إلاّ به، وإذا مالت إلى الجهة السفليّة جذبت القلب الّذي هو النفس الناطقة إلى مركزها

⮌ قائل الكلام هو الحكيم الأفلاطوني.

قال صدر المتألهين في مفاتيح الغيب ص ٧:

«قال بعض الحكماء: «من أراد الحكمة الألهيّة،فليستحدث لنفسه فطرة أخرى»، وقال أفلاطون: «مت بالإرادة تحي بالطبيعة»، وقال المسيح النوراني علىٰ نبيّنا وآله ﷺ: «لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرّتين»، وقال نبيّنا الخاتم ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»، وقال إمامنا الأتمّ الأكرم عليه سلام الله الملك الأعظم: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»».

(١٤٧) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

ذكر أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ٢٦٨ بإسناده نقلاً عن زياد بن عبدالله النميري.

ونقله أيضاً الغزالي في «أحياء علوم الدين» ج ٤ ص ٧١٨، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**الموت القيامة**»، الحديث. وقال المحشي العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أنس.

وراجع أيضاً: «مفاتيح الغيب» لصدر المتألهين الشيرازي ص ٦٢٩.

وقد مرّ ذكره أيضاً في الجزء الأوّل ص ٤٦٠ التعليق ١٢٤.

فيموت عن الحياة الحقيقيّة العلميّة الّتي له بالجهل، فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه، انصرف القلب بالطبع والمحبّة الأصليّة إلى عالَمه عالَم القدس والنور والحياة الذاتيّة التي لا تقبل الموت أصلاً، وإلى هذا الموت والحياة أشار الحقّ تعالىٰ في قوله:

﴿أومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ومعناه أومن كان ميتاً بالجهل فاحييناه بالعلم وجعلنا له نوراً فيه يمشي في الناس عالماً كاملاً حيّاً بالحياة الأبديّة، كمن هو في ظلمات الجهل بعدُ وماخرج منها، وبل لا يمكن إخراجه منها مادام هو موصوفاً بالصفة المذكورة، وقال جعفر بن محمد الصادق ﷺ:

«الموت هو التّوبة»(١٤٨)، قال تعالىٰ:

---

(١٤٨) قوله: الموت هو التوبة

لم أعثر بهذه العبارة في الأحاديث، ولكن المضمون، ثابت من جهة ومشهور في كلمات المحققين من العلماء من جهة أخرىٰ وذلك لانّ الموت في الحقيقة حياة جديدة وتولّد آخر للانسان كما أن التوبة الحقيقيّة تكون كذلك، لانّ بها يحصل للتائب حياة جديدة معنّوية وتولّداً آخر، وهذا يؤثر في أعماله وحركاته وإعراضه عن المعاصي والشهوات وعن متاع الدنيا القليل ويتوجّه الى الله سبحانه بالمراقبة والاخلاص، نعم للتوبة مراتب ولكل مرتبة أحكام وآثار، كما أنّ الموت كذلك.

كما ورد: «**الإسلام يجبّ ماقبله**» وورد أيضاً: «**التوبة تجبّ ماقبلها**»، العوالي ج ٢ ص ٥٤ وج ١ ص ٢٣٧.

هذا بمعنى كما أنّ الاسلام حياة للكافر، التوبة أيضاً حياة للمؤمن والمسلم.

وروي عن النبيّ الأكرمﷺ: «**الموت كفّارة لكلّ مسلم**»، أخرجه الغزالي في أحياء

⬅ العلوم ج ٤ ص ٦٥٦ وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ٣ ص ١٢١ والبحار ج ٨٢ ص ١٧١ ح ٦.

وورد عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**الموت كفّارة لذنوب المؤمنين**»، بحار الانوار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣ وج ٨٢ ص ١٧٨ ح ٢١.

وكما أنّ الموت نزع، التوبة أيضاً نزع، قيل لعلي بن الحسين:

ماالموت؟ قال: «**للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة**».

الحديث، بحار الأنوار ج ٦ ص ١٥٥، وورد عن جابر، قال: قال الباقر عليه السلام: «**وعليكم بالتوبة والنزوع عمّا أنتم عليه**»، بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٧٨.

قال صدر المتألهين في تفسيره ج ٣ ص ٣٩٩:

قوله: ﴿**فأقتلوا أنفسكم**﴾ [البقرة: ٥٤]، تتميماً لتوبتكم، بترك الشهوات واللذات وأماتة القوى الحيوانيّة بمنعها عن دواعيها، كما قيل: «**من لم يعذّب نفسه لم يمنعها، ولم يقتلها لم يحيها**».

قد مرّت الإشارة إلى الموت الإرادي وذكرنا كلمات بعض الحكماء في التعليق ٥٨ فراجع.

تبصرة: لا يتحقق الموت إلاّ بانقطاع التعلّق عن الدنيا ومافيها. هذا هو الموت الصغير وبه تقوم القيامة الصغرى.

وأمّا الموت الكبير والذي به تقوم القيامة الكبرى للميّت هو الّذي لا يتحقق إلاّ بالإنقطاع عن ماسوى الله سبحانه وتعالى.

فهذان الموتان لا يستلزمان دائماً خروج الروح عن البدن أي الموت الطبيعي المتعارف الذي لابّد لكل انسان أن يذوقه، بل يمكن أن يتحقّقا أحياناً بدون ذلك الخروج وقبله، وبل يمكن أن لا يتحقّقا بعدُ حتّى بعد الخروج إلاّ بعد العبور عن عقباته اللازمة.

فقولهم عليهم السلام في المناجات الشعبانية: «**إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك**».

⬅

﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة: ٥٤].

فمن تاب فقد قتل نفسه»،

وإلى هذا أشار جلّ جلاله بقوله:

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠ و ١٦٩].

ولهذا لمّا رجع رسول الله ﷺ من جهاد الكفّار قال:

«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[١٤٩]، قالوا: يارسول الله وماالجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس الّذي هو مخالفتها في هواها ومقتضياتها».

وورد عنه ﷺ:

«المجاهد من جاهد نفسه»[١٥٠].

➲ إشارة إلى الموت الأكبر، أي: إلهي هب لي الموت عن ماسواك في هذه النشأة وقبل الموت الطبيعي.

(١٤٩) قوله: رجعنا من الجهاد الأصغر

روى الكليني في الفروع من الكافي ج ٥ ص ١٢ الحديث ٣، باب وجوه الجهاد، بإسناده عن السكوني عن الصادق عليه السلام:

«أنّ النبيّ ﷺ بعث بسريّة، فلّما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يارسول الله وماالجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس».

وروى مثله الصدوق في «أماليه» المجلس الحادي والسبعون الحديث ٨ ص ٣٧٧، بإسناده عن موسى بن اسماعيل عن أبيه، عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عن علي أمير المؤمنين، الحديث وفي ذيله، قال: ثم قال ﷺ:

«أفضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جنبيه». عنه البحار ج ٧٠ ص ٦٥ الحديث ٧.

(١٥٠) قوله: المجاهد من جاهد نفسه. ➲

(في بيان الموتات الأربعة: الأحمر والأبيض والأخضر والأسود)

لأنّ من مات عن هواه فقد حيي بهداه أي حيي بهدايته عن الضلالة وبمعرفته عن الجهالة، وهذا هو الموت المسمّىٰ عند القوم **بالموت الأحمر** من الموتات الأربعة وقد سمّوه أيضاً بالموت الجامع لجميع الموتات لأنّه إذا حصل حصل الموتات بأقسامها وفيه قيل:

اقتلوني ياثقاتي إنّ في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي (١٥١)

ونسبته إلى الأحمر لوجهين: الأوّل أنّ القتل يلازمه الدم فنسبوه إليه، والثاني لإحمرار الوجه بالنور الإلهي بعده.

وأمّا الموت الأبيض فهو عبارة عن الجوع لأنّه ينوّر الباطن ويبيّض وجه القب، فإذا لم يشبع السالك بل لا يزال جايعاً مات الموت الأبيض فحينئذ تحيي فطنته، لأنّ البطنة تميت الفطنة، فمن مات بطنته حييت فطنته.

وأمّا الموت الأخضر فهو عبارة عن لبس المرقع الملقاة الّتي لا

➲ رواه صاحب وسائل الشيعة في الكتاب باب ١ من أبواب جهاد النفس الحديث ١٠ ج ١٥ ص ١٦٣ الطبع الجديد وج ١١، ص ١٢٤ الطبع القديم، عن محمّد بن الحسين الرضي في «المجازات النبّوية».

(١٥١) قوله: اقتلوني ياثقاتي.

الشعر من أشعار الحلاج، راجع «جامع الأسرار» ص ٢٠٥ وص ١٠٥.

قيمة لها، فإذا قنع من لباس الجميل بذاك واقتصر على مايستر العورة وتصح فيه الصلاة، فقد مات الأخضر، لإخضرار عيشه بالقناعة ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي الّذي حيى به واستغنى عن التجمل العارضي كما قيل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلّ رداء يرتديه جميل

وأمّا الموت الأسود فهو عبارة عن إحتمال أذىٰ الخلق، لأنّه إذا لم يحتمل أذىٰ الخلق لم يكن محبّ حقّ ولا يتألّم ولا يشتكي، (لأنّه إذا لم يجد في نفسه حرجاً عن أذاهم و لم يتألّم به لم يكن محبّاً حقّاً) بل يلتذّ به لكونه يراه من محبوبه كما قيل:

أجد الملامة في هواك لذيذة حبّاً لذكرك فليلمني اللؤم
أشبهت أعدائي فصرت أحبّهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فاهنت نفسي عامداً مامن يهون عليك ممن يكرم

فقد مامت موت الأسود، وهو الفناء في الله لشهوده الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه بل برؤية نفسه، وأنفسهم فانين في المحبوب، وحينئذ يحيي بوجود الحق من إمداد حضرة الوجود المطلق والجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المذكور تسمّى جنّة نفسانيّة لقوله تعالىٰ:

﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ * فإنّ الجنّة هي المأوىٰ﴾ [النازعات: ٤١ و ٤٠].

ووصفها بأنّ فيها ماتشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، لأنّها محسوسة وفيها المآكل والمشارب المحسوستان من غير انقطاع، ولهذا قال:

﴿خالدين فيها أبداً﴾ [البيّنة: ٨].

رزقك الله الوصول إليها، ومن هذا لا يقبل الحصر والعدّ لقوله:

﴿وان تعدّوا نعمت الله لا تحصوها﴾ [ابراهيم: ٣٤].

وستعرف شرحها أكثر من ذلك في الأبحاث الآتية عند تعداد الجنات المعبّر فيها بالثمانية والله أعلم وأحكم.



وأمّا القيامة الوسطى المعنويّة بالنّسبة إلى أهل الطريقة

(موت الإنسان من الإخلاق الذميمة الذّي هو المقصود من بعثة الرسل)

فهي عبارة عن موت الإنسان من الأخلاق الذميمة والملكات الرديّة والأوصاف الغير الجميلة، وحياته بالأخلاق الحميدة، والملكات الفاضلة الكريمة والأوصاف (الإتّصاف) بالصفات الجميلة الّتي هي المقصود بالذات من بعثة الرسل لقول النبيّ ﷺ:

«أوتيت جوامع الكلم»[١٥٢].

و: **«بعثت لأتممّ مكارم الأخلاق»[١٥٣].**

---

(١٥٢) قوله: أوتيت جوامع الكلم.

راجع التعليق الرقم ٢١ و٦١ وفي الجزء الثاني التعليق ٢٢.

(١٥٣) قوله: بعث لأتمم.

ولقوله: «تخلّقوا باخلاق الله»(١٥٤).

وقد سبق تقسيم الأخلاق حسنها وقبيحها ولست أنت محتاجاً إلى ذكرها مرّة أخرىٰ.

ثمّ بعد ذلك لو كان نعمة أعظم من نعمة الأخلاق والإتّصاف بها لمنّ الله بها على نبيّه كما منّ عليه بالأخلاق لقوله:

﴿وإنك لعلىٰ خلق عظيم﴾ [القلم: ٤].

وسبب ذلك أنّ التخلّق بأخلاق الله والإتصاف بصفاته موجب للسعادة الأبديّة والوصول إلى الحضرة الصمديّة، وليس يمكن تحصيلهما بدون الوسيلة إليها، ولهذا أمرنا بأن نتّصف بصفات الله ونتخلّق بأخلاقه، والدليل على ذلك أيضاً قوله:

«لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»(١٥٥).

لأنّه إخبار بأنّه لا يمكن الوصول إليه إلاّ من جهة القلب إذا اتّصف بصفاته وتخلّق بأخلاقه، ومن هذا ورد أيضاً:

«قلب المؤمن عرش الله»(١٥٦).

قد مرّت الإشارة إليه في التعليق الرقم ٢٢.

(١٥٤) قوله: تخلّقوا باخلاق الله.

مرّ ذكره في التعليق ٣٢.

(١٥٥) قوله: لا يسعني أرضي ولا سمائي

ذكرناه في تعليقنا الرقم ٣٨ ص ٢٥٦ في الجزء الأوّل من التفسير المحيط الأعظم وأيضاً في التعليق ٣٥٤ ص ٥٥٣ في الجزء الثاني، فراجع.

(١٥٦) قوله: قلب المؤمن عرش الله.

و: «قلب المؤمن وكر الله»(١٥٧).

و: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»(١٥٨).

لأن الكلّ إشارة إليه، أي إلى الإتّصاف بصفات الله، والتخلّق بأخلاقه،

راجع الجزء الثاني، ص ٥٥٤ التعليق ٣٥٥.

نقل العارف الهمداني في «بحر المعارف» ج ٢ ص ٩٦، عن «من مزامير العاشقين» عن السيد الداماد، قال: ورد عن طريق الخاصّة والعامّة: «**إنّ قلب المؤمن بيت الله الحرام، وقلب العارف عرش الله الأعظم**».

وأخرج خواجه عبدالله الأنصاري في تفسيره «كشف الاسرار» ج ٦ ص ٥٣٥، عن النبيّ ﷺ قال: «**إنّ لله في الأرض أواني وهي القلوب، فأحب أوانيه أليه أصفاها وأصلبها وأرقّها، فأصفاها من العيوب وأصلبها في الدين وأرقّها على الاخوان**».

ونقل قريب منه «الجامع الصغير» ج ١ ص ٣٦٤ الحديث ٢٣٧٥، وكنز العمال ج ١ ص ٢٤١ الحديث ١٢٠٧، وبحر المعارف ج ١ ص ٩٨.

(١٥٧) قوله: قلب المؤمن وكر الله

روى فرات الكوفي في تفسيره سورة الدهر الآية ٣٠، ص ٥٢٩، بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله الصادق:

«**إنّ الله جعل قلب وليّه وكر الإرادة (وكراً لإرادته) فإذا شاء الله شِئناً**».

عنه البحار ج ٢٦ ص ٢٥٦ الحديث ٣١.

وروي المجلسي في البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥ الحديث ٤١، عن كتاب «المختصر» للحسن بن سليمان عن المفضل عن أبي عبدالله الصادق قال:

«**لو أُذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملتم، فقال له: في العلم؟ فقال: العلم أيسر من ذلك، إنّ الإمام وكر لإرادة الله عزّ وجلّ لا يشاء إلاّ من يشاء الله**».

(١٥٨) قوله: قلب المؤمن بين إصبعين.

أنظر الجزء الثاني من التفسير المحيط الأعظم ص ٥٥٤، التعليق ٣٥٦.

لأنّ استعداد ذلك كما أنّه ليس في الوجود إلاّ للإنسان الّذي هـو بـمثابة القلب في العالم، ليس في الإنسان الا القلب الّذي هو بمثابة الإنسان في العالم.

كما يشهد بصحة الأوّل قوله:

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وبالثاني قوله:

﴿لا يسعني أرضي ولا سمائي﴾. الحديث.

(في بيان الجنّة الصوريّة والنفسانيّة والروحانيّة)

والجنّة الحاصلة من هذه القيامة بعد الموت المـذكور يسـمّى جـنّة روحانيّة مخصوصة بالوارثين من عباده، المشار إليهم في قوله:

﴿قد أفلح المؤمنون * الّذين هم في صلاتهم خاشعون* والّذين هم عن اللغو معرضون. (إلى قوله:) أولئك هـم الوارثـون* الّـذين يـرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

لأنّ الإنسان إذا تبدّلت أخلاقه الذميمة بالأخلاق الحميدة، وخرجت نفسه عن دركات الظلمات الطبيعة، وخـلصت عـن مـرديات الأخـلاق الرديّة، وتهذّبت بالأوصاف الجميلة الملكيّة، وصارت موصوفة بالتسوية والتحلية المعبّر عنها بالإعتدال الحقيقي، واستعدّت للاتّـصاف بـالصفات الربانيّة والأخـلاق الإلهـيّة، وقـامت بـعد ذلك كـلّه بـالأعمال الشـرعيّة والوظايف الدينيّة، دخلت الجنّة المعنويّة قبل دخـولها الجـنّة الصـوريّة، وصارت هذه الجنّة مضافة إلى الجنّة المذكورة المسمّاة بالجنّة النفسانيّة،

وصارت صاحب الجنّتين ومالك المرتبتين لقوله تعالىٰ:

﴿ولمن خاف مقام ربّه جنّتان﴾ [الرحمن: ٤٦].

أي الجنّة النفسانيّة والجنّة الروحانيّة، وبيان ذلك مفصّلاً بوجه آخر وهو:

(في أصول محاسن الأخلاق ورذائله السبعة)

أنّ النفس إذا ارتاضت بالرياضة الحقيقية المبتنية على العلم الحقيقي والعمل المطابق له وصفّت عن الرذايل كلّها، سيّما عن السبعة الّتي هي رئيسها وأصولها كالعجب والكبر والبخل والحسد والحرص والشهوة والغضب، صار متّصفة بمحاسن الأخلاق كلّها، خصوصاً بالسبعة الّتي هي رئيسها وأصولها كالعلم والحكمة والحلم والتواضع والجود والعفة والشجاعة، وحصلت لها بواسطتها مرتبة العدالة الّتي هي نهاية مراتب الكمال في السلوك إلى الله بالنسبة إلى الإنسان.

(أبواب جهنّم السبعة)

ونظراً إلى هذا الترتيب والتقسيم أشار الكتاب الكريم إلى أبواب الجحيم ومراتبها بالسبعة لقوله:

﴿لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جز ومقسوم﴾ [الحجر: ٤٤].

المسماة في التنزيل[١٥٩]: بجهنم ولظىٰ والحطمة وسقر والجحيم

---

(١٥٩) قوله: المسمّاة في التنزيل

أمّا جهنم ففي قوله تعالىٰ:

﴿إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً﴾ [النساء: ١٤٠].

وأمّا لظىٰ ففي قوله تعالىٰ:

﴿كلّا إنّها لظىٰ * نزّاعة للّشوى﴾ [المعارج: ١٥ - ١٦].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿فأنذرتُكم ناراً تلظّى * لا يصلاها إلاّ الأشقىٰ * الّذي كذّب وتولّى﴾ [الليل: ١٤ - ١٦].

وأمّا الحطمة ففي قوله تعالىٰ:

﴿كلاّ ليُنبذنّ في الحطمة * وماأدراك ماالحطمة * نار الله الموقدة * التى تطّلع على الأفئدة * إنّها عليهم مؤصدة * في عمد ممدّدة﴾ [الهمزة: ٤ - ٩].

وأمّا سقر ففي قوله تعالىٰ:

﴿إنّ المجرمين في ضلال وسُعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مَسّ سقر﴾ [القمر: ٤٧ و ٤٨].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿سأصليه سقر * وماأدريٰك ماسقر * لا تبقىٰ ولا تذر * لوّاحة للبشر﴾ [المدّثر: ٢٦ - ٢٩].

وأمّا الجحيم ففي قوله تعالىٰ:

﴿إنّ شجرت الزّقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلى في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٩]. وفي غيرهما أيضاً.

وأمّا السعير ففي قوله تعالىٰ:

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتّبع كلَّ شيطان مريد * كتب عليه أنّه من تولاّه فإنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج: ٣ - ٤].

والسعير والهاوية، وورد في الخبر أنّ علياً عليه السلام:(١٦٠)

وفي قوله تعالىٰ:

﴿إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً* خالدين فيها أبداً لا يجدون وليّاً ولا نصيراً﴾ [الاحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وفي غيرهما من الآيات القرآنيّة.

وأمّا الهاوية ففي قوله تعالىٰ:

﴿وأمّا من خفّت موازينه* فأمّه هاوية* وماأدرك ماهية* نار حامية﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

(١٦٠) قوله: وورد في الخبر.

روى الطبرسي في تفسير «مجمع البيان» في سورة الحجر الآية ٤٤، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«انّ جهنم لها سبعة أبواب، أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدىٰ يديه على الأخرىٰ، فقال: هكذا، وأنّ الله وضع الجنان على العرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنم، وفوقها لظىٰ، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية».

وروى أيضاً في نفس المصدر عن الضحاك قال:

«للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذّبون على قدر أعمالهم وأعمالهم في الدنيا ثمّ يخرجون، والثاني فيه اليهود، والثالث فيه النصارىٰ، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركوا العرب، والسابع فيه المنافقون، وذلك قوله: ﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾».

وأخرج قريب منه أيضاً السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٥ ص ٨٢.

وأخرج السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» عن عدّة من أصحاب الحديث ومنهم البيهقي، عن عليّ عليه السلام قال:

سُئِلَ عن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لها سبعة أبواب لكل منها جزؤ مقسوم﴾، فقال لأصحابه:

«أتدرون كيف أبواب النار؟ قالوا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا ولكنّها هكذي، ووضع إحدىٰ يديه فوق الأخرىٰ، وأنّ الله تعالىٰ وضع الجنان على العرض، لقوله: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم للمنافقين، وفوقها لظىٰ للمشركين من العرب، وفوقها الحطمة للمجوس، وفوقها سقر للصابئين، وفوقها الجحيم للنصارىٰ، وفوقها السعير لليهود وفوقها الهاوية لعصاة المؤمنين».

(في مراتب الجنة الثمانية وأبوابها)

وكذلك إلى مراتب الجنة(١٦١) ومنازلها بالثمانية المسمّاة بجنّة النعيم،

«ابواب جهنم سبعة، بعضها فوق بعض».

وأيضاً نقل عن أحمد وعن خطاب بن عبدالله، عن عليّ قال:

«أتدرون كيف أبواب جهنم؟ قلنا: كنحو هذه الأبواب، قال: لا، ولكنّها هكذا، ووضع يده فوق وبسط يده على يده».

وراجع أيضاً في أبواب جهنم وأدراكها «الخصال» للصدوق باب السبعة الحديث ٥١ ص ٣٦١ وتفسير القمي سورة الحجر الآية ٤٤، ج ١ ص ٣٧٦.

(١٦١) قوله: وكذلك إلى مراتب الجنّة.

أمّا جنة النعيم ففي قوله تعالى:

﴿فأمّا إن كان من المقرّبين* فروح وريحان وجنّت نعيم﴾ [الواقعة: ٨٨ – ٨٩].

وفي قوله تعالىٰ: (في دعاء إبراهيم عليه السلام)

﴿ربِّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين* وأجعل لي لسان صدق في الآخرين* وأجعلني من ورثة جنّة النعيم﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٦].

وأمّا جنة الفردوس ففي قوله تعالىٰ:

﴿إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً* خالدين فيها لا يبعون عنها حولاً﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وأمّا جنّة الخلد ففي قوله تعالىٰ:

﴿قل أذلك خير أم جنّة الخلد الّتي وُعد المتّقون﴾ [الفرقان: ١٥].

وأمّاالجنّة المأوىٰ ففي قوله تعالىٰ:

﴿عند سدرة المنتهىٰ* عندها جنّة المأوىٰ﴾ [النجم: ١٤ - ١٥].

وامّا جنّة عدن ففي قوله تعالىٰ:

﴿وإنّ للمتقين لحسن مأب* جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب﴾ [ص: ٤٩ - ٥٠].

وفي قوله تعالىٰ:

﴿جنّات عدن الّتي وعد الرحمن عباده بالغيب إنّه كان وعده مأتيّاً* لا يسمعون فيها لغواً إلاّ سلاماً ولهم رزقهم فيهابكرة وعشيّاً﴾ [مريم: ٦١ - ٦٢].

وأمّا دار السلام ففي قوله تعالىٰ:

﴿والله يدعوا إلى دارالسلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [يونس: ٢٥].

وأمّا دار القرار ففي قوله تعالي:

﴿ياقوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر: ٣٩].

روي الصدوق في كتاب الخصال، باب الثمانية الحديث ٦ ص ٤٠٧، بإسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي عبدالله الصادق عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال:

﴿إنّ للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبّيون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال

وجنّة الفردوس، وجنّة الخلد، وجنّة المأوىٰ، وجنّة عدن، ودار السلام، ودار القرار.

وذلك لأنّ السبعة من الأخلاق المذمومة إذا تبدلّت بالسبعة من الأخلاق المحمودة صارت كلّها جنّات معنويّة روحانيّة، وزاد عليها مرتبة العدالة الّتي هي جامعة للكلّ، فصارت الجنّات ثمانية، وإلى هذه الجنات المعنويّات ونعيمها ولذّاتها أشار الحقّ تعالىٰ بعد الإشارات القرآنـيّة فـي قوله:

«أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(١٦٢).

وكذلك النبيّ ﷺ في قوله:

«إن لله تعالىٰ جنّة ليس فيها حور ولا قصور ولا عسل ولا لبن بل يتجلّى فيها ربّنا ضاحكاً»(١٦٣).

واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا، فإذاً النداء من بطنان العرش قد أُجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاّني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت».

وراجع أيضاً تعليقنا ٩٣ص ٢٢٤ الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم.

(١٦٢) قوله: أعددت لعبادي.

قد مرّت الإشارة إلى مصادره في الجزء الأوّل ص ٣٠٧ تعليقنا ٦٥، فراجع.

(١٦٣) قوله: إنّ لله تعالىٰ جنّة ليس فيها حور.

لأنّ هذه كلّها جسمانيّة وتلك روحانيّة، والفرق بينهما ظاهر، وقوله أيضاً:

«والّذي نفس محمّد بيده إنّ الجنّة والنّار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله».

يدلّ على الجنّة المعنويّة دون الصوريّة، وعلى العاجل دون الآجل، وقد أشار إلى هذا مولانا أمير المؤمنين ﷺ بعبارة يفهم منها جميع ذلك وهو قوله:

«قد أحياء عقله، وأمات نفسه، حتّى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثيرالبرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السّلامة، ودار الإقامة، ثبتتْ رِجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربّه» [نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠].

وهذا الكلام وإن كان بأسره مطلوب، لكن قوله:

➲ ذكره أيضاً العارف الهمداني في بحر المعارف ج ١ ص ٦٣٣ وقال: «والمراد به الإشراقات النوريّة الفايضة من قِبل الحقّ تعالىٰ الظاهرة على أهل الجنّة المعنويّة الساكنين في أرض قدسه، فإذا أُفيض عليهم تلك الإشراقات حصل لهم بها من المسرّات المبهّجة لهم المطربة لخواطرهم مايوجب إشراق نفوسهم وتنوّرها بنور الحقّ تعالىٰ».

وفي حديث رواه المجلسي في البحار ج ٣٦ ص ٢٩٦ الحديث ١٢٥ عن «الفضائل» و«الروضة» عن علي أمير المؤمنين ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«من أحبّ أن يلقى الله عزّ وجل وهو مقبل عليه غير معرض عنه فليتولّ عليّاً»**.... إلى أن قال ﷺ: **«ومن أحبّ أن يلقى الله تعالىٰ ضاحكاً مستبشراً فليتولّ علي بن موسى الرضا ﷺ»**.

«وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة»، هو المقصود بالذات، لأنّه إشارة إلى ماسبق من قولنا: إنّ أبواب الجحيم المعنويّة بعد تبديل الأخلاق الذميمة تصير أبواب الجنان، وترجع الكلّ إلى الباب الأعظم المسمّى بباب الرضا المشار إليه في قوله ﷺ:

«الرضا باب الله الأعظم»(١٦٤).

المنزل في كتاب الله وصفه ووصف أهله، في قوله:

﴿أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة ۞ جزاؤهم عند ربّهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضواعنه ذلك لمن خشي ربّه﴾ [البيّنة: ٧ - ٨].

وقوله تعالىٰ:

﴿وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً ۞ عاليهم ثيابُ سندس خضرٌ وأستبرق وحلّوا أساور من من فضة وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً ۞ إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾ [الإنسان: ٢٢].

إشارة إلى هذه الجنّة وهذه المشاهدة ولّذاتها ونعيمها، والنقليّات الواردة في هذا الباب كثيرة نختصر على ذلك ونرجع إلى غيره، وبالله التوفيق وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

---

(١٦٤) قوله: الرضا باب الله الأعظم

نقله أبو نعيم الإصفهاني في «حلية الأولياء» ج ٦ ص ١٥٦ بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال:

«الرضا باب الله الأعظم، وجنّة الدنيا، ومستراح العابدين».

وأمّا القيامة الكبرى المعنويّة بالنسبة إلى أهل الطريقة

(موت الإنسان من غير الحق سبحانه وتعالىٰ)

فهي عبارة عن فنائهم في الحقّ وبقائهم به، المعبّر عنه بالفناء في التوحيد المسمّى بقرب النوافل، لقوله تعالىٰ:

«لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي»(١٦٥).

(في مراتب الجنّة وأصناف أهلها)

وقد سبق بيان هذا الفناء والقرب والموت والحياة مراراً، وحاصل هذه

---

(١٦٥) قوله: لا يزال العبد يتقرّب.

راجع التعليق ٦٦ فقد أشرنا إليه فيه.

القيامة بعدالفناء المذكور الّذي هو الموتالحقيقي الجنّة الشهوديّة الّتي هي فوق جنّةالوراثة، وجنّة النفس، وإلى هذه الجنان الثلاث المعنويّة الحاصلة من هذه القيامات الثلاث أشار الشيخ الأعظم(١٦٦) في فتوحاته وقال:

«إعلم أن الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي وهي الّتي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ العمل، وحدّهم من أوّل مايولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام، ويعطي الله من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ماشاء، ومن أهلها المجانين الّذين ماعقلوا، ومن أهلها أهل التوحيد العِلمي، ومن أهلها أهل الفترات، ومن لم يصل إليهم دعوة رسول.

والجنّة الثانية، جنّة ميراث، ينالها كلّ من دخل الجنّة ممّن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن الّتي كانت من أهل النار (كانت معيّنة لأهل النّار) لو دخلوها.

والجنة الثالثة، جنّة الأعمال وهي الّتي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل، كان له من الجنّة أكثر، وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه لحالة. فما من عمل إلاّ وله جنّة، ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ماتقتضي أحوالهم».

ثم قال:

---

(١٦٦) قوله: أشار الشيخ الأعظم في فتوحاته.

راجع الفتوحات المكيّة، الباب الخامس والستون: «في معرفة الجنّة ومنازلها ودرجاتها»، ج ٥ ص ٦٣ وص ٧٣.

«إعلم، أنّ أهل الجنّة أربع أصناف: الرسل وهم الأنبياء، والأولياء وهم أتباع الرسل على بصيرة وبيّنة من ربهم والمؤمنون وهم المصدّقون بهم ﷺ، والعلماء بتوحيد الله أنّه لا إله إلاّ هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال الله تعالىٰ:

﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأُولوا العلم﴾ [آل عمران: ١٨].

وهؤلاء هم الّذين أريده بالعلماء، وفيهم يقول الله تعالىٰ:

﴿يرفع الله الّذين آمنوا والّذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

والطريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما، ومن وحّد الله بغير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده:

الطريق الواحدة منهما طريق الكشف وهو علم ضروري يحصل عند الكشف، يجده الإنسان في نفسه لا يقبل معه شبهة ولا يقدر على دفعه، ولا يعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى مايجده في نفسه.

والطريق طريق الفكر والإستدلال بالبرهان العقلي، وهذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر والدليل قد يدخل عليه الشبهة القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها، والبحث على وجه الحقّ من الأمر المطلوب.

وماثمّ طريق ثالث، فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد الله، ولفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالةً ونظراً زيادةُ عِلمٍ على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يعطيها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها، وهؤلاء الأربع الطوايف متميّزون في جنات عدن عند مشاهدة الحقّ في الكثيب الأبيض، وهم فيه على أربع مقامات:

طايفة منهم أصحاب المنابر وهي الطبقة العليا: الرسل والأنبياء.

والطايفة الثانية هم الأولياء ورثة الأنبياء قولاً وعملاً وحالاً، وهم على بيّنة من ربّهم، وهم أصحاب الأسرة والعرش.

والطبقة الثالثة العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقلي، وهم أصحاب الكراسي.

والطبقة الرابعة وهم المؤمنون المقلدون في توحيدهم، ولهم المراتب (وهم) في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي».

وغير هؤلاء الأربع والله أعلم بحالهم» هذا آخر كلامه.

(في أصناف أهل الإسلام وأهل الكفر)

فنقول: هذا التقسيم حسن لطيف لا مزيد عليه في الحسن، إلاّ في رسالتنا المذكورة، الموسومة برسالة المعاد، قد قسّمنا تقسيماً غير هذا التقسيم وذلك على سبيل الإجمال:

أنّ الناس بأجمعهم إمّا كفّار أو مسلمون، أمّا الكفّار فهم على ثلاثة أقسام: المشركون والكفّار الأصليّة كعبدة الأصنام والأوثان وأمثالهم، وإمّا أهل الكتاب القائلين بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته المنكرون للنبيّ وماجاء به، كالمجوس واليهود والنصارىٰ، وإمّا أهل النحل ولهم شبهة كتاب كالزند للزرادشت وأمثاله وهؤلاء ينحصرون في العام والخاص وخاص الخاص، فيكون مقامهم في الجحيم بحسب مراتبهم في الطّبقات الجحيميّة. فتلك ثلاثة، إما علو، أو سِفل، أومابينهما. فكلّ واحدة من الطبقات يختصّ بطايفة منهم، والله أعلم وأحكم.

وأمّا المسلمون فهم أيضاً على ثلاثة أقسام الأنبياء والرسل والأوصياء المخصوصين بهم، الموسومون بالأولياء، من شيث إلى

المهدي عليه السلام كما سبق ذكرهم في الدايرة الموضوعة في المقدمات.

وإمّا أهل العلم بالله كشفاً وبرهاناً على حسب طبقاتهم كالمشايخ الصوفيّة، والعلماء العالمين بالشرايع الآلهيّة.

وإمّا أهل الايمان والتقليد بالإعتقاد الجازم كساير الناس منهم، وهؤلاء أيضاً ينحصرون في العام والخاصّ وخاصّ الخاص، فيكون مقامهم في الجنّة بحسب مراتبهم في المدارج والغرف الجنانيّة، وتلك ثلاثة: إمّا علو، أو سفل، أو بينهما، فكلّ واحدة من المراتب والمدارج يختصّ بطايفة منهم، والله أعلم وأحكم.

وهذا المكان لا يحتمل أكثر من هذا، وحسن هذا التقسيم ولطفه لا يخفىٰ على أحد من أرباب العلم وأصحاب الذوق.

والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله وكلّ من أراد البسط في هذا فالرجوع إلى الرسالة المذكورة أولىٰ.

هذا آخر القيامات الثلاث المعنويّات بالنسبة إلى أهل الطريقة على سبيل الإختصار، وبالله التوفيق.

وأمّا بالنسبة إلى أهل الحقيقة

فالقيامة عندهم بعد القيام بالقيامات الثلاث عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي والوصفي والذاتي، وبقائهم بالحقّ بحسب مراتبهم فيه، وتلك أيضاً ترجع إلى القيامات الثلاث من الصغرى والوسطى والكبرى، مطابقاً للتوحيدات الثلاث والفناء فيها كما ستعرفه إن شاء الله.

أمّا القيامة الصغرىٰ المعنويّة
بالنسبة الى أهل الحقيقة
(حياة الإنسان بالتوحيد الأفعالي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الفعلي ووصولهم إلى مشاهدة فاعل واحد متصرّف في الكلّ. وبيان ذلك: وهو أنّ من انكشف له حجب الأفعال بانفتاح عين البصيرة، وارتفع عنه تلك الحجب بالكلّيّة بحيث لا يشاهد الأفعال مطلقاً إلاّ من فاعل واحد ومتصرّف واحد، راعيا جانبي الجبر والتفويض، حافظاً طرفي الإلجاء والإختيار فقد خلص من درك رؤية الغير ورؤية أفعاله، ووصل إلى درجة مشاهدة الأفعال من فاعل واحد الّذي هو الحقّ تعالىٰ جلّ ذكره، وثبتت قدماه في مقام التوحيد الفعلي وقام بذلك في عرصة القيامة الصغرى بين يديه، كالميت بين يدي الغاسل، وعلامة ذلك التوكّل والتسليم والتفويض والإقرار بالفعل دون القول: بأن لا فاعل إلاّ الله، وقد سبق ذكر هذا في بحث أهل الطريقة لكن

ليس هذا ذاك بعينه بل بينهما تفاوت، لأنّ الصلاة وإن كانت صورتها واحدة لكن ليس كلّ مصلّ فيمرتبة واحدة، لأنّه فرق كثير بين الصّلاة الصادرة من العلم واليقين والحضور، والصلاة الصادرة من الجهل والشك والغفلة، لقوله تعالىٰ بالنسبة إلى الطايفة الأولى:

﴿قد أفلح المؤمنون* الّذين هم في صلاتهم خاشعون* والذين هم عن اللغو معرضون* إلى قوله: الذين هم على صلوٰتهم يحافظون* أولئك هم الوارثون* الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون:١ - ١١].

ولقوله بالنسبة إلى الطايفة الثانية:

﴿وماكان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاء وتصدية...﴾ [الأنفال: ٣٥].

وبالجملة قد مرّ بحث توحيد الأفعال مراراً وسيجيء أكثر من ذلك، وله في كلّ مكان خصوصيّة وليس ذلك من التكرار والعبث، بل من التأكيد والتحقيق وأداء حقّ كلّ مقام ومرتبة.

والمراد منه تحقيق القيامة الصغرىٰ المعنويّة المخصوصة به، أي بتوحيد الأفعال.

(في بيان الجنات الثلاث: الأفعال والصفات والذات)

وحاصل هذه القيامة بعد الفناء بالصورة المذكورة: جنّة الأفعال ولذّاتها ونعيمها الّتي هي مشاهدة الفاعل الحقيقي في كلّ واحد واحد من أفعاله الروحانيّة والجسمانيّة المتقدّم ذكرها غير مرّة، لأنّ الجنّة المعنويّة الحقيقيّة المخصوصة بهذه الطايفة أيضاً ثلاثة: **جنة الأفعال، وجنّة**

الصفات، وجنّة الذّات، فجنّة الأفعال بالنسبة إليهم أوّل الجنّات في الدرجات الجنانيّة، وقد ورد في إصطلاحهم تعريف هذه الجنّات مفصّلاً، نذكرها بعبارتهم ونرجع إلى غيرها وهي هذه:

جنّة الأفعال هي الجنّة الصوريّة من جنس المطاعم اللذيذة والمشارب الهنيئة والمناكح البهيّة ثواباً للأعمال الصالحة وتسمىٰ جنّة الأعمال وجنّة النفس، هذا من حيث الصورة.

(نسبة الحق سبحانه إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده)

وأمّا من حيث المعنى الّذي نحن في صدده، وهو أن يكون له مثل هذه المطاعم والملذّات من مشاهدة الأفعال في مظاهره الفعلي صادرة من فاعل واحد محبوب بالذات، الّذي هو كالرّوح بالنّسبة إلى جسد هذا العالم، لأنّ مشاهدة الفاعل في التوحيد الفعلي بعينه مشاهدة حقيقة الانسان بالنسبة إلى جسده، وتحريك أعضائه كلّها بها، وباتفاق الأنبياء والأولياء والعارفين من أمّتهم نسبة الحقّ تعالىٰ إلى العالم نسبة روح الإنسان إلى جسده وصورته، ويعضد ذلك قوله:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»(١٦٧).

وقوله تعالىٰ:

---

(١٦٧) قوله: من عرف نفسه.

راجع الجزء الأوّل ص ٢٤٣ التعليق ٣٠، والجزء الثاني ص ٥٢٤ التعليق ٣٣٢.

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ﴾ [فصّلت: ٥٣].

وفيه قيل:(١٦٨)

وكل الذي شاهدتُه فعلُ واحدٍ بمفرَدِه لكن بحجْبِ الأكنة
إذا ما أزال السّتر لم تر غيَره ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة

وقد سبقت هذه الأبيات مرّة أخرىٰ وليس ذكرها من التكرار بل من التذكار، هو المسك ماكررته يتفوح، والحمد لله وحده.

وجنّة الصفات هي الجنّة المعنويّة من تجليّات الأسماء والصفات الالهيّة وهي جنّة القلب، وقد مرّ ذكرها بأنّها حاصلة من تهذيب الأخلاق واتّصاف القلب بالأخلاق الإلهيّة والأوصاف الربانيّة.

وجنّة الذّات وهي مشاهدة الجمال الأحدي في المظاهر الكلّي إجمالاً وتفصيلاً، وهذه جنّة الروح وقد سبق أيضاً ذكرها بأنّها حاصلة من التوحيد الذاتي وتكحيل عين الروح بكحل الوحدة الحقيقية بحيث لا يشاهد غيرالمحبوب أصلاً وأبداً، وسيجئ بيانها أيضاً،والغرض أنّ حاصل فناء العبد في التوحيد الفعلي، والقيامة الصغرىٰ المعنويّة جنّة الأفعال على حسب طبقاتها ودرجاتها صورة كان أو معنى والله أعلم وأحكم.

---

(١٦٨) قوله: وكلّ الذي شاهدتُه. (شعر)

الشاعر هو ابن الفارض، راجع ديوان ابن الفارض ص ١٠١ و«مشارق الدراري» شرح تائيّة ابن الفارض لسعيد الدين سعيد الفرغاني ص ٥٩٠.

ذكره السيد المؤلّف أيضاً في «نصّ النصوص» ص ٣٦٨ وفي الجزء الأوّل من «تفسير المحيط الأعظم» ص ٣٦٦.

وأمّا القيامة الوسطىٰ المعنويّة بالنسبة إلى أهل الحقيقة

(حياة الإنسان بالتوحيد الصفاتي)

فهي عبارة عن فنائهم في التوحيد الصفاتي ووصولهم إلى مشاهدة صفة واحدة سارية في الكلّ، وبيان ذلك وهو أنّ من انكشف له حجب الصفات كلّها وأرتفع عنه حجب مشاهدة الغير مطلقاً بحيث ماشاهد في الوجود كلّه إلاّ صفة واحدة حقيقيّة سارية في الكلّ سريان الحياة في البدن الإنسان، أو سريان صفة القدرة على الفعل في الإنسان والحيوان، أعني مشاهدة صفة واحدة مضافة إلى ذات واحدة متصرّفة في الكلّ، والكلّ متّصفة بها كاتصاف كلّ عضو بصفة الحياة أو القدرة، فقد وصل إلى التوحيد الصفاتي وحضر في عرصة القيامة الوسطى المعنويّة، وخلص من ضيق رؤية أفعال الغير الّذي هو الموت حقيقة، وصدق عليه قوله تعالىٰ:

﴿فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢].

وفيه قيل:

العين واحدة والشكل مختلف   وذاك سرّ لأهل العلم ينكشف(١٦٩)

وقيل: سُئِلَ أبا يزيد: كيف أصبحت ياأبا يزيد؟ قال:

«لا صباح عندي ولا مساء، إنّما الصباح والمساء لمن يتقيّد بالصفة، وأنا لا صفة لي»(١٧٠).

وهذا دليل واضح على رسوخ قدمه في التوحبد الصفاتي بعد الفعلي كشفاً وذوقاً، وهذا معنىٰ قولهم:

«حجب الذات بالصفات، والصفات بالأفعال».

(في حقيقة الإنسان وماهيّة الإيمان)

لأن كلّ من لم يرتفع عنه حجب الأفعال لم يصل إلى التوحيد الفعلي،وكلّ من لم يرتفع عنه حجب الصفات لم يصل إلى التوحيد الوصفي، وكلّ من لم يرتفع عنه حجب الذات لم يصل إلى التوحيد الذاتي، وكلّ من لم يصل إلى هذه التوحيدات لم يحكم بإسلامه وإيمانه ولا بأنّه إنسان أو في حكم الإنسان، لقوله تعالىٰ:

---

(١٦٩) قوله: العين واحدة - (شعر)

ذكره محي الدين ابن عربي في الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٠، الباب الأحد والسبعون وثلاث مائة، بعد الجداول والدوائر.

(١٧٠) قوله: سئل أبا يزيد.

ذكره محي الدين ابن عربي في «الفتوحات» راجع تابع الفصل الأوّل من الباب الثاني، الطبع الجديد لعثمان يحيىٰ، ج ١ ص ٣٥٨ و الطبع القديم، ج ١ ص ٨٣.

﴿إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال: ٢٢].

ولقوله:

﴿أولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وحاصل هذه المشاهدة في القيامة الصغرىٰ جنّة الصفات المتقدّم ذكرها، والوصول إلى لذّاتها ونعيمها الّتي هي مشاهدة المتقدّم ذكرها، والوصول إلى لذّاتها ونعيمها الّتي هي مشاهدة صفة المحبوب في صورة كلّ واحد من المحبيّن روحانيّة كانت أو جسمانيّة، كما أخبر عنه الواصل إلى هذا المقام بقوله:

تجلّىٰ لي المحبوب من كلّ وجهة
فشاهدته في كلّ معنى وصورة(١٧١)

وكذلك الآخر في قوله:

وكلّ مليح حسنه من جماله   معار له بل حسن كلّ مليحة(١٧٢)

رزقنا الله وإيّاكم الوصول إلى هذه المشاهدة في مدارج هذه الجنّة ذوقاً وكشفاً، لأنّه المستعان وعليه التكلان، وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

---

(١٧١) قوله: تجلّى لي المحبوب (شعر)

راجع الجزء الثاني ص ٣٥٨ التعليق ١٥٩.

(١٧٢) قوله: وكلّ مليح (شعر)

الشاعر هو أبن الفارض في قصيدته (التائيّة الكبرىٰ) راجع ديوان ابن الفارض ص ٥٦، و «مشارق الدراري» ص ٢٦٢، وتفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ٣٦٤.

وأمّا القيامة الكبرىٰ المعنويّة
بالنسبة إلى أهل الحقيقة

(حياة الإنسان بالتوحيد الذاتي)

فهي عبارة عن مشاهدة بقاء الذوات كلّها بذات الحقّ تعالىٰ بعد فنائها فيه فناء عرفان لا فناء عيان، لقوله تعالىٰ:

﴿كلّ من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربّك ذوالجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

ولقوله:

﴿كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٨٨].

وبيان ذلك مفصّلاً، وهو أنّ من انكشف له ذات الحقّ تعالىٰ ووجوده من بين الحجب الجماليّة والجلاليّة، ورفع عنه حجب رؤية الغير مطلقا، بحيث ماشاهد غيره أصلاً وأبداً، بل شاهد ذاتا واحدة متجلّية في مظاهر الأسمائيّة الغير المتناهية المتقدّم ذكرها في قولهم:

جمالك في كلّ الحقايق سائر   وليس له إلاّ جلالُك ساتر[١٧٣]

وفي قولهم: «ليس في الوجود سوى الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلّ هو وبه ومنه وإليه»[١٧٤].

فقد وصل إلى التوحيد الذاتي، وحضر في عرصة القيامة الكبرىٰ، وشاهد معنى قوله:

﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾ [غافر: ١٦].

لأنّه قهر بنظره التوحيدي كلّ الذوات بحكم: ليس في الوجود سوى الله تعالىٰ، وبمصداق:

﴿قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١].

وبمقتضىٰ إشارته:

﴿ولا تجعل مع الله أحداً﴾[١٧٥].

وهذا هو التوحيد المسمّىٰ بالتوحيد الذاتي الّذي هو توحيد خاصّ الّذي لا توحيد فوقه كما قيل:

---

(١٧٣) قوله: المتقدّم ذكرها.

راجع الجزء الأوّل ص ٤٢٦ والجزء الثاني ص ٣٦١.

(١٧٤) قوله: ليس في الوجود سوى الله.

راجع الجزء الأوّل ص ٢٤٢ التعليق ٢٩، والجزء الثاني ص ٣٦٠.

(١٧٥) قوله: ولا تجعل مع الله.

سورة الإسراء، الآية ٢٢ هكذا:

﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾.

وفي قوله تعالىٰ المناسب للمقام:

﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨].

«ليس وراء عبّادان قرية».

وقوله تعالىٰ:

﴿هوالأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيءعليم﴾ [الحديد:٣].

إشارة إلى هذه المشاهدة، لأنّه إذا ثبت أنّه ليس في الوجود غيره لابّد وأن يكون هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن من غير تصوّر مغايرة في ذاته وصفاته، لأنّه الأوّل في عين الآخر، والآخر في عين الأوّل، وكذلك الظاهر والباطن كما بيّناه مراراً لوجوه مختلفة، وكذلك:

﴿أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد* ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط﴾ [فصّلت: ٥٣].

فإنّه أيضاً إشارة إلى هذه المشاهدة، وقد سبق تفسيره وتأويله على ماينبغي غير مرّة، وعلامة هذه المشاهدة وإمارة هذا التوحيد، الثبات في مقام الإستقامة والتمكين المشار إليه في قوله:

﴿فأستقم كما أمرت﴾ [هود: ١١٢].

لأنّ الإستقامة على التوحيد الحقيقي الموصوف بأحدّ من السيف، وأدقّ من الشعر، صعب في غاية الصعوبة، حتىٰ قال ﷺ:

«شيّبتني سورة هود»(١٧٦).

ومعناه الحقيقي أي فاستقم على التوحيد الحقيقي المعبّر عنه بالصراط المستقيم الّذي هو عبارة عن النقطة الإعتداليّة بين طرفي الإفراط

(١٧٦) قوله: شيبتني سورة هود.

ذكرناه في الجزء الثاني ص ٤٦٢، التعليق ٢٤٩، فراجع.

والتفريط من غير انحراف وميل إلى طرفيهما المشار اليهما عند البعض بالتفرقة والجمع، وعند البعض بالشرك الجليّ والخفيّ، وعن هذا (هذه) الإستقامة أشار ليلة المعراج بقوله:

﴿مازاغ البصر وماطغى﴾ [النجم: ١٧].

لأنّ من زاغ بصره عن نقطة التوحيد الجمعي الإعتدالي اللازم للعدالة الحقيقيّة فقد طغىٰ عن الحدّ الحقيقي الّذي يجب الوقوف عليه، وقد ضلّ عن الطريق المستقيم ودخل في زمرة المشركين الضالين عن الحقّ وطريقه، جليّاً كان الشرك أو خفياً، و«قاب قوسين أو أدنىٰ»، إشارة إلى تلك النقطة والإقامة عليها، وقوله تعالىٰ:

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ [الإسراء: ١١٠].

إشارة إلى هذا، ومعناه ولا تلتفت في توجّهك إلينا، إلى يمينك وشمالك، المعبّرتان بالدنيا والآخرة تارة، وبالجمع والتفرقة أخرىٰ، وأبتغ بين ذلك سبيلا، أي وأسلك بين هذين السبيلين سبيل التوحيد الحقيقي الجمعي الّذي كان عليه آباؤك وأجدادك من الأنبياء والرسل والأولياء والأوصياء خصوصاً إبراهيم وأولادهﷺ، وقول بعض عبيدنا من العارفين:

«وإيّاكم والجمع والتفرقة، فإن الأوّل يورث الزندقة والإلحاد، والثاني تعطيل الفاعل المطلق وعليكم بهما، فإن جامعهما موحّد حقيقي وهو المسمّى بجمع وجامع الجميع، وله المرتبة العليا والغاية القصوى»، إشارة إلى هذه الإستقامة والفرار من الإقامة على طرفيها، والنقل الدال على هذا كثير سيّما من القرآن والأخبار، والحرّ تكفيه الإشارة.

(في معنىٰ التقوىٰ والمتّقين)

وحاصل هذا القيام في هذه القيامة المعنوية جنّة الذات الّتي هي أعلى الجنّات المخصوصة بالموحّدين الّذين ارتقوا في طريق توحيده عن مشاهدة الغير مطلقا بمقتضى قوله:

﴿إنّ المتّقين في جنّات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[القمر:٥٥ و ٥٤].

لأنّ من شاهد غيره في الوجود فهو ليس بموحّد ولا متّقي، ولهذا قال:

﴿ياأيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وحقّ تقاته ليس إلاّ الإتّقاء من مشاهدة الغير في طريق توحيده، وأكّده بقوله:

﴿ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أي ولا تموتن الموت المعنوي الحقيقي الإرادي المعبّر عنه في هذا المقام بالفناء إلّا وأنتم مسلمون بهذا الإسلام، أي بالتوحيد الذاتي دون الوصفي والفعلي، وسلطان الأولياء والوصيّين أمير المؤمنين عليّ﴿ع﴾ حيث كان عالماً بهذا السرّ ومراتب الإسلام والتوحيد أشار إلى هذا المعنى مفصّلاً في غاية الإيجاز وهو قوله:

«إني لأنسبنّ الإسلام نسبةً لن ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، (والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق والتصديق هو

الإقرار)، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الإقرار، والإقرار هو الإداء، والأداء هو العمل الصالح» [نهج البلاغة: (صبحي) الحكمة ١٢٥ والفيض ١٢٠].

وقد سبق هذا الكلام مع معناه غير مرّة، والمراد واحد، وقوله تعالىٰ:

﴿شهد الله إنّه لا اله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله هو العزيز الحكيم* إنّ الدّين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٨ - ١٩].

﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ [الأنبياء: ٥٦].

يقوم بجواب الكلّ، ويكفي في هذا شهادة الله وشهادة ملائكته وأولوا العلم من عباده، كما قال:

﴿قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد:٤٣].

هذا آخر القيامات الثلاث المخصوصة بالحقيقة من حيث المعنىٰ بعد الثلاث المخصوصة بأهل الطريقة.

(في بيان القيامات الصوريّة والمعنويّة)

وإذا تحقّق هذا فلابُد وأن نشرع في القيامات الستّة الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق حتّىٰ يصير المجموع اثنا عشر قيامة صوريّة ومعنويّة، لكن من حيث إنّ التقسيم المذكور كان على غير هذا الوجه يجب الشروع في ذلك، لئلّا يلزم التناقض في الكلام، وذلك لأنّا قلنا: القيامات تنقسم إلى اثني عشر قيامة، ستّة في الآفاق بحيث يكون ثلاثة منها صوريّة، وثلاثة معنويّة، وكذلك في الأنفس.

والآن قد خرج التقسيم على الستّة المعنويّة في الأنفس، والستّة

الصوريّة في الآفاق، وهذا غير صحيح، فنقول هذا سهل، والرجـوع إلى التقسيم الأوّل في غاية السهولة يسقط هذا الكلام، وهـو أنّك إذا جـعلت الستّة المعنويّة المتقدّمة من قبيل الأنفس وعـددتها بـالثلاث، لأنّ الكـلّ يرجع إلى شخص واحد في مراتب ثلاث، وأضفت إليها الثلاث الصوريّة المتعلّقة بالأنفس، وعيّنت للآفاق أيضاً ثلاثة صـوريّة، وثـلاثة مـعنويّة، خرج الحساب صحيحاً وسقط الإعتراض صريحاً.

فالثلاثة الأنفسيّة الصوريّة:

الصغرىٰ منها عبارة عن خلاص الشخص من حجاب البدن والنشأة الدنياويّة بالموت الطبيعي دون الإرادي، لقول النبيّ ﷺ

«من مات فقد قامت قيامته»(١٧٧).

والوسطى منها عبارة عن خروجه من الدنيا ومكـثه فـي البـرزخ المسمّىٰ بالقبر لقوله تعالىٰ:

﴿ومن وراءِهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

ولقول النبيّ ﷺ:

«القبر إما روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران»(١٧٨).

---

(١٧٧) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

قد سبق منّا البحث عن مصادره في التعليق ١٤٧ فراجع.

(١٧٨) قوله: القبر إما روضة.

اخرجه الترمذي «في الجامع الصحيح» ج ٤ كتاب صفة القيامة بـاب ٢٦ ص ٦٣٩ الحديث ٢٤٦٠ بإسناده عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ.

وروىٰ قريب منه المجلسي في البحار ج ٦ ص ٢١٨ الحديث ٣١ عن أمالي الطوسي

والكبرىٰ منها، عبارة عن يوم القيامة الكبرىٰ المعبّر عنها بـ«الطامّة الكبرىٰ» [النازعات: ٣٤]، وحضوره بأرض الساهرة لقوله تعالىٰ:

﴿وحشرناهم ولم نغادر منهم أحداً﴾ [الكهف: ٤٧].

ليصل إلى مقامه المعيّن له إمّا في الجنّة أو في النار، والله أعلم وأحكم.

وإذا تحقّق هذا وخرج التقسيم صحيحاً وبل التقسيمين، فلنشرع في الستة الآفاق أيضاً، ونعيّن منها صوريّة ومعنويّة وهو هذا:



➲ عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتبه لمحمّد بن أبي بكر.

وأخرجه أيضاً «كنز العمّال» ج ١٥ ص ٦٠٣ الحديث ٤٢٣٩٧.

ورواه أيضاً الصدوق في «الخصال» باب الثلاثة ص ١١٩ الحديث ١٠٨.

وروي الكليني في الفروع من الكافي ج ٣ ص ٢٤٢ باب ماينطق به موضع القبر الحديث ٢، بإسناده عن بشير الدهان، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

«إنّ للقبر كلاماً في كل يوم يقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، أنا القبر، أنا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار».

أمّا القيامة الصغرىٰ الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن خراب عالم المحسوس والمركّبات ورجوعه إلى البسايط العنصريّة الجسمانيّة، لقوله:

﴿وإذا الجبال سيّرت* وإذا العشار عطّلت* وإذا الوحوش حشرت* وإذا البحار سجّرت* وإذا النفوس زوّجت﴾ [التكوير: ٣ - ٧].

(في أنّ القيامة الصغرىٰ الصوريّة هي ظهور المهديّ ﷺ)

وأمّا عند البعض فهي عبارة عن ظهور المهديّ ﷺ في آخر الزمان لفصل القضاء بين حاضري زمانه، لأنّه خليفة الله الأعظم والقطب الّذي يدور عليه العالم، وبه يختم الولاية ويرتفع التكليف والشرايع والملل والأديان، ويرجع العالم كلّه إلى ماكان عليه قبل الإيجاد، لمناسبة المبدأ

والمعاد ونهاية الدائرة بما بدئ منها إليها، والدليل عليه قوله تعالىٰ:

﴿يوم نحشر من كلّ أمّة فوجاً﴾ [النمل: ٨٣].

لأنّ المراد بهذا الحشر لو كان الحشر الكلّي ماقال فوجاً من كلّ أمّة، بل قال كما قال فيه:

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال:

﴿قل إنّ الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ [الواقعة: ٥٠ و ٤٩].

ومعلوم إنّه ماقال كذلك، فعرفنا أنّه الحشر الجزئي الصغرىٰ، لا الكلّي الجامع الكبرى، وقد بسطنا الكلام في ذلك في رسالتنا الموسومة بـ«رسالة المعاد»، وكتابنا الموسوم بـ«جامع الأسرار ومنبع الأنوار» وغير ذلك من تصانيفنا، وسيجئ البحث عنها أبسط من ذلك في موضعه إن شاء الله.

وأمّا القيامة الوسطىٰ الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

وأمّا القيامة الوسطىٰ الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق فهي عبارة عن رجوع البسائط إلى الهيولي الكليّة الأوّلية القابلة لصور عالم الأجسام كلّها من الأفلاك والأجرام والمواليد وغير ذلك لقوله تعالىٰ:

﴿يوم نطوِي السماء كطيّ السجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ولقوله مفصّلاً:

﴿إذا الشّمس كوّرت * وإذا النجوم انكدرت * إلى قوله: وإذا الصحف نشرت * وإذا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعّرت * وإذا الجنّة أزلفت﴾ [التكوير: ١-١٣].

وعند البعض فهي عبارة عن تبدّل العالم الصوري الحسّي بصورة العالم البرزخي المعادي دون المبدئي، والمكث التامّ فيه، وإستيفاء الآلام واللذّات

بقدر الاستحقاق، المسمّى بعذاب القبر ونعيم الآخرة لقول النبيّ ﷺ:

«القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران»(*)

ولقوله تعالىٰ:

﴿ولنذيقهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر﴾ [السجدة: ٢١].

وقوله:

﴿من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

لأنّ في هذا العالم يحشرون إلى أرض الساهرة وعرصة القيامة الكبرىٰ، والوجهان موجّهان وهو لا يخفىٰ على الفطن المحقّق المنصف.



(*) المصدر السابق.

وأمّا القيامة الكبرىٰ الصوريّة بالنسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن رجوع صور العالم الروحانيّة من العقول والنفوس إلى الجوهر الأوّل الّذي خلق الله تعالىٰ منه تلك الحقايق والصور، لقول النبيّ ﷺ:

«أوّل ماخلق الله تعالىٰ جوهرة فنظر إليها فذابت من هيبته وصارت نصفها ماء ونصفها ناراً، فخلق الله تعالىٰ من الماء، الأرواح ومن النّار الأجساد»، الحديث(١٧٩).

---

(١٧٩) قوله: أنّا ماخلق الله جوهرة.

روي المجلسي ﵀ في بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٧ عن البكري في كتابه «الانوار» عن أمير المؤمنين ﵇ قال في حديث طويل:

«ثمّ خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة، وقسّمها قسمين: فنظر إلى القسم الأوّل ←

وأمّا بلسان الكشف وطريق أهل الذوق فهي عبارة عن المادة الّتي فتح الله فيها صور العالم كلّها، ويسمّونها: الهباء تارة، والعنصر الأعظم أخرىٰ المشار إليها في المقدّمات، والحكمة في ذلك صدق قوله:

﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ثمّ إيجاد الصور الأخرويّة من تلك الجوهرة والمادّة صوراً غير منقطعة ولا قابلة للزوال والتغيير أبداً، لقوله تعالىٰ:

﴿خالدين فيها أبداً﴾ [النساء: ٥٧ والآيات الأخرى].

ومثال ذلك، مثال قطعة من الشمع تظهر بصور مختلفة متنوّعة أمّا في نفسها كالنّواة وغيرها، وأمّا من غيرها كالحقّ تعالىٰ أو الملائكة أو القوّة المصوّرة الطبيعيّة الكلّيّة، ثمّ إزالة تلك الصّور منها كلّها، ورجوعها إلى ماكانت من القابليّة، ثمّ ظهورها بالصّور المناسبة بالعوالم الأخرويّة والمواطن الجنانيّة والجحيميّة، ويعرف صدق هذا من حشر الإنسان بصورته وأعضائه الّتي كانت قبل الموت لقوله:

﴿بلىٰ قادرين على أن نسوّي بنانه﴾ [القيامة: ٤].

وغير ذلك من الآيات.

بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسيّ من نور العرش، وخلق من نور الكرسيّ اللوح، وخلق من نور اللوح القلم... إلى ان قال: ثمّ نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت، فخلق من دخانها السماوات، ومن زبدها الأرضين». الحديث.

(في أنّ الموجود المطلق لايصير معدوماً و المعدوم المطلق لايصير موجوداً)

وقول أهل الشّرع بالأجزاء الأصليّة، وإستحالة فناء شيءٍ في الوجود مطلقا المتقدّم ذكره، وبيان الفناء بأنّه عبارة عن تبديل الصّور وتغيّرها إلى صورة أخرىٰ لا غير، والبرهان العقلي قد قام على أنّ الموجود المطلق قطّ لا يصير معدوماً، وأنّ المعدوم المطلق قطّ لا يصير موجوداً، والإعدام والإيجاد يصدق على الممكنات لا غير باعتبار تغيّر الصّورة وتبديلها فقط، ورجوع كلّ الموجودات ضروريّ في الآخرة إلى صورة كانوا عليها بحسب العلوم والأعمال وبقائهم عليها في الجنّة والنّار، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.

وأمّا القيامة الصّغرى المعنويّة
بالنّسبة إلى الآفاق
(في تزويج النفوس)

فهي عبارة عن رجوع النّفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة من حيث التوجّه والعروج إليها لقوله تعالىٰ:

﴿ياأيتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلىٰ ربّك راضية مرضيّة فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾ [الفجر: ٣٠].

ولقوله:

﴿وإذا النّفوس زوّجت﴾ [التكوير: ٧].

وتزويج النفوس هو اتّصال النفوس الجزئيّة بالنّفس الكلّيّة الّتي صدرت منها، كحوّاء من آدم ﷺ، وقوله تعالىٰ:

﴿ياأيّها النّاس أتقوا ربّكم الذّي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها

زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ [النساء: ١].

إشارة إلى هذا المعنىٰ، لأنّ آدم وحوّاء معتبران بحسب الصّورة، وهما الّذين كانا أبونا وأُمّنا، ومعتبران بحسب المعنىٰ وهما الذين كانا أبونا الحقيقي وأُمّنا الحقيقيّة، وقد يعرف صدق هذا من اطلاق إسم الآباء على الأفلاك والعلويّات، وإسم الإمهات على العناصر والسفليّات، وهذه النفوس أوّلاً عبارة عن نفوس فلكيّة، ثمّ مَلَكيّة، ثمّ جنيّة، ثمّ عنصريّة، ثمّ معدنيّة، ثمّ نباتيّة، ثمّ حيوانيّة، ثمّ إنسانية باعتبار، لأنّ باعتبار آخر نفوس الإنسان أوّل النّفوس وأشرفها.

وكلّ واحدة منها أيضاً ينقسم أقساماً يطول ذكرها، ومثالها مثال النفس الإنسانيّة فإنّها تنقسم: إلى الأمّارة، واللّوّامة، والملهمة، والمطمئنّة وغير ذلك من الإعتبارات.

وأمّا أنّ نفوس العالم وأهله مكلّف، فذلك بحث آخر وله بسط ليس هذا موضعه، يكفي فيه قوله:

﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤].

والمأمور بالتّسبيح لا يكون إلاّ مكلّفاً، فافهم.

فإنّ الكلام في الحجر والمدر لا في النفوس والأرواح، والله أعلم وأحكم.

وأمّا القيامة الوسطىٰ المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود الأرواح الجزئيّة إلى الرّوح الأعظم الكلّي بحسب التوجّه والعروج معنى دون الصّورة، مع تعلّقه بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف.

والرّوح الأعظم هو الّذي ورد في الخبر:

«أوّل ماخلق الله تعالىٰ الرّوح»(١٨٠).

---

(١٨٠) قوله: أوّل ماخلق الله الروح.

قال المجلسي ﷺ في بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٣٠٩: في بعض الأخبار العـاميّة، عـن النبي ﷺ قال:

«أوّل ماخلق الله روحي»

وروى الصدوق ﷺ في «عيون أخبار الرضا ﷺ»، ج ١ باب ٢٦، ماجاء عن الرضا ﷺ من الأخبار النادرة، ص ٢٦٢، الحديث ٢٢، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه ﷺ، عن أمـير المـؤمنين ﷺ قـال (فـي حـديث طويل): قال رسول الله ﷺ:

«أوّل ماخلق الله عزّ وجلّ أرواحنا» الحديث.

أنظر الجزء الأوّل ص ٣١٥، التعليق ٧٥ و ٧٤ و ٧٣.

وقوله:

﴿وإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩].

إشارة إلى ذلك الروح، وهو مضاف إليه بحسب التمليك لقوله أيضاً: «عبدي»، و«داري»، و«أرضي»، و«سمائي».

ومن هذه الإضافات لا يلزم تصوّر الإنفعال ولا الإتّصال، جلّ جنابه عن أمثال ذلك، وقد ورد أيضاً:

«خلق الله تعالىٰ الأرواح قبل الأجساد بكذا كذا عام»[١٨١].

وعلى الخصوص:

«خلق الله تعالىٰ روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي ألفي عام»[١٨٢].

وورد:

«الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها إئتلف وماتناكر منها أختلف»[١٨٣].

---

(١٨١) قوله: خلق الله تعالىٰ الأرواح.

قد أشرنا إليه في الجزء الأوّل ص ٣١٦ التعليق ٧٤.

(١٨٢) قوله: خلق الله روحي وروح عليّ عليه السلام.

راجع الجزء الأوّل ص ٥١٠ التعليق ١٥٩ و١٦٧.

(١٨٣) قوله: الأرواح جنود

أخرجه مسلم في صحيحه، ج ٤، كتاب البرّ والصلة باب ٤٩ الحديث ١٦٠ و١٥٩، ص ٢٠٣١ بإسناده عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

ورواه أيضاً المجلسي في البحار ج ٢ ص ٢٦٥ الحديث ١٨ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وبحث الأرواح أيضاً مطوّل وفيه أبحاث فقد سبق الحقيقة في المقدّمة الأولىٰ والثانية فارجع إليها.

(في أنّ العالم كشخص واحد وهو مكلّف)

وحيث إنّ مجموع العالم كشخص واحد لقولهم: العالم إنسان كبير، وجميع الموجودات بالنسبة إليه كجوارح الإنسان وقواه إليه، لقولهم: الإنسان عالم صغير، وهو أيضاً مكلّف وجميع أعضاءه وقواه مكلّف، وإليه الإشارة بقوله:

﴿ماخلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة﴾ [لقمان: ٢٨].

وقوله:

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق النّاس﴾ [غافر: ٥٧].

وقوله للسموات والأرض:

﴿أتيا طوعاً أو كرهاً﴾ [فصّلت: ١٧].

لولا هناك تكليف قطّ ماكانوا مستحقيّن للأمر والنهي والخطاب والعتاب، ويقوم بجواب الكلّ قوله:

﴿ومامن دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم مافرّطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربّها يحشرون﴾ [الأنعام: ٣٨].

والله أعلم وأحكم.

➲ وأيضاً ج ٦١ ص ١٣٥ الحديث ٩، رواه عن كتاب محمّد بن المثنّى الحضرميّ، بإسناده عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

رواجع الجزء الاوّل ص ٣١٥ التعليق ٧٣، وص ٣١٧ التعليق ٧٥.

وأمّا القيامة الكبرىٰ المعنويّة بالنّسبة إلى الآفاق

فهي عبارة عن عود العقول كلّها من حيث العروج إلى العقل الأوّل المشار إليه في قوله ﷺ:

«أوّل ماخلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزّتي وجلالي ماخلقت خلقاً أكرم عليّ منك، بك أعطي وبك آخذ، وبك أثيب وبك أعاقب»، الحديث(١٨٤).

وهذا العود والعروج جعلناً عرفانيّاً لا عياناً، لأنّ ذلك يكون في القيامة الصوريّة الآفاقيّة لا المعنويّة، وبالجملة لابّد من الرجوع قهقراً صورةً كان أو معنى، والمراد هاهنا بالمعنىٰ، ومعلوم أنّ العقول متعدّدة ومع

---

(١٨٤) قوله: أوّل ماخلق الله العقل.

رواه الصدوق في «الفقيه» ج ٤، باب نوادر الحديث ١ والحديث طويل وفيه (ص٢٦٧): «ياعلي إنّ أوّل خلق خلقه الله عزّ وجلّ العقل» الحديث.

وقد أشرنا إليه أيضاً تفصيلاً في الجزء الأوّل ص ٣١٧ التعليق ٧٥.

أنّها متعدّدة متفاوتة.

أمّا التعدّد فالعلماء من الفلاسفة أكثرهم ذهبوا إلى: أنّ الله تعالىٰ واحد من جميع الوجوه وصدر من هذا الواحد واحد آخر وهو العقل الأوّل، وصدر من هذا العقل عقل آخر ونفس آخرىٰ، وفلك مركّب من الصورة والهيولىٰ، وكذلك إلى آخر الأفلاك، أعني أثبتوا لكلّ فلك عقل نفس وصورة وهيولىٰ، وكذلك الملائكة فإنّهم أيضاً أرباب العقول، وكذلك الجنّ والنّاس على رأي بعضهم.

والأعلىٰ رأي المحققين، فكلّ موجود له تعقّل بقدره، إن شئت سمّه بالإلهام، أو بالفراسة، أو بالفطرة، أو بالوحي، أو بالعلم، أو بأيّ شيءٍ أردت، فإنّه عبارة عن تعقّل ذلك الشيء الأشياء، ومن هذا جعلوا أيضاً أقسام العقل أربعة: عقل هيولاني، وعقل بالملكة، وعقل بالفعل، وعقل مستفاد، وله بالعربيّة أسماء: لُبّ، حِجىً، وحِجرْ، والنُهىٰ وأمثال ذلك.

(في تطابق الآفاق والأنفس)

وبيان ذلك هو أنّ المطابقة شرط بين الآفاق والأنفس، وكلّ هذا قد سبق في معنى الأنفس صورة ومعنى، فيجب أن يثبت أيضاً للآفاق صورة ومعنى، وبناء على هذا، فكلّ مايتصوّر في حقّ الإنسان الصغير في هذا الباب ينبغي أن يتصوّر في حقّ الإنسان الكبير بعينه.

وكلّ نظرنا في هذا الكتاب من حيث التأويل، وفي هذه القيامات الثلاث من حيث التطبيق على هذا لا غير. فكما أنّه يصدق عليه الموت، والحياة، والبعث، والنشور، صورة ومعنى، فكذلك يصدق على الإنسان الكبير الموت، والحياة، والبعث، والنشور.

أمّا الموت فهو عبارة عن خرابه، وأمّا الحياة فهي عبارة عن عمارته في الآخرة بعد خرابه كما عرفته، وأمّا البعث والنشور فحساب كلّ واحد من أجزائه وأركانه يوم القيامة على قدره، لقوله ﷺ:

«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته»(١٨٥).

وعلى هذا التقدير كما أنّ الموت الصوري أو المعنوي موجب لسعادة الإنسان الصغير دنياً وآخرةً لقوله:

﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة﴾ [آل عمران: ٤٥].

ولقوله:

«فعند الله ثواب الدنيا والآخرة» [النساء: ١٣٤].

فكذلك للإنسان الكبير، فإنّ موته وخرابه يكون سبباً لسعادته وعمارته وخلوده على صورته الّتي تحصل في تلك العوالم ويبقى عليها دائماً، لأنّ هذا الموت خروج من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن دار الظلمة والكدورة إلى دار النور والضياء، ومن هذا قال:

﴿إنّ هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون﴾

---

(١٨٥) قوله، كلّكم راع.

حديث معروف، أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٥، بإسناده عن أبن عمران بن عن النبيّ ﷺ قال:

«كلكم راع وكلّكم مسؤول، فالأمير الّذي على الناس، راع وهو مسؤول عن رعيّته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيّده وهو مسؤول، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول».

وذكره أيضاً المجلسي في البحار ج ٧٥ ص ٣٨.

[الصافات: ٦٠-٦١].

ومن هذا قال العالم الربّاني ﷺ: إذا ضرب له ابن ملجم:

«فزت وربّ الكعبة»(١٨٦).

ومن هذا قال:

«والله لابْنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثَدْي أمّه» [نهج البلاغة: الخطبة ٥].

ومن هذا خاطب الحقّ تعالىٰ عبيده بقوله:

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٩٤].

لأنّه عالم بان الموت موجب لسعادتهم وسبب لوصولهم إلى كمالهم، وإن أردت أعتبرت القيامات الثلاث المعنوية للآفاق برجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الربوبيّة إلى عالم الأسماء والصفات الّتي هى عالم الألوهيّة، ورجوع عالم الألوهيّة إلى عالم الذّات والحضرة الأحديّة، فإنّه مطابق للأمر موافق للتّرتيب المذكور، ولا يخرج شيئاً من المقصود المطلوب أصلاً ورأساً، و(كما قيل):

عباراتنا شتى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وفي هذا المقام بحث كثير وسرّ لطيف قد أشرنا إلى أكثرها في

---

(١٨٦) قوله: فزت وربّ الكعبة.

رواه ابن شهر اشوب في «المناقب»، فصل في مقتله ﷺ، عن محمّد بن عبدالله الأزدي، ج ٣ ص ٣١٢، قال: قال محمّد بن عبدالله الأزدي: أقبل أمير المؤمنين ينادي: الصلاة الصلاة، فإذا هو مضروب، وسمعت قائلاً يقول: الحكم لله ياعلي لا لك ولا لأصحابك، وسمعت عليّاً يقول:

«فزت وربّ الكعبة»، ثمّ يقول: «لا يفوتنّكم الرّجل».

رسالتنا الموسومة «برسالة المعاد في رجوع العباد»، كما تقرّر ذكرها في الفهرس.

وقليل قد اتّفق لأحد من المتقدّمين والمتأخرين مثل هذا الترتيب في الأصول الخمسة، وكذلك في الفروع الخمسة كما ستعرفها بعد هذه الأبحاث، لأنّ عند أكثرهم القيامات بحسب الصورة والمعنىٰ لا تتعدىّ عن ثلاث: من الصغرى والوسطى والكبرىٰ، وماوقع نظرهم على هذا، أي أنّ للآفاق قيامة صوريّة ومعنويّة، وللأنفس كذلك، وأنّ هذا كلّه يصير أثني عشر قيامة صوريّة ومعنويّة.

والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وحيث فرغنا من هذا بقدر هذا المقام، واجتهدنا في توضيحه وتحقيقه واختصاره وإيجازه، ونظرنا فيه وفي غيره، على أفادة الغير وأيصال المعنىٰ إلى الأذهان المستعدّة.

فنريد أن نضيف إلى هذا البحث أبحاث أُخر في باب المعاد من كلام الشيخ الأعظم محي الدين الأعرابي قدّس الله سرّه، منقول عن الفتوحات المكيّة، وقد فعلنا ذلك في بحث المبدأ، ونقلنا منه بقدر ذلك المقام أبواباً وفصولاً متعدّدة على سبيل الإنتخاب، وإن شاء الله نفعل مثل هذا في هذا المقام بقدره، والله أعلم وأحكم وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

هذا ماأنتخبنا من الفتوحات المكيّة في بحث المعاد والجنّة والنّار على سبيل النقل والإستشهاد في أبواب وفصول متعدّدة، وأوّله من المجلد الأوّل [ج ١ ص ٣١٤ إلى ٣٠٧]:

الباب الرابع والستّون

في معـرفة القيـامة ومنـازلها وكيفيّة البعث والنشور

(وجه تسمية يوم البعث بيوم القيامة)

إعلم أنّه إنّما سمّي هذا اليوم يوم القيامة، لقيام النّاس فيه من قبورهم لربّ العالمين في النشأة الآخرة، ولقيامهم أيضاً، إذا جاء الحـقّ للـفصل والقضاء و«الملك صفاً صفاً»، قال الله تعالىٰ:

﴿يوم يقوم الناس لربّ العالمين﴾ [المطففين: ٦].

أي من أجل ربّ العالمين حين يأتي، وجاء بـالإسم الربّ، إذ كـان الربّ، ألمالك، فـله صـفة القـهر، وله صـفة الرّحـمة، ولم يأت بـالإسم، ألّرحمان، لأنه لابّد من الغضب في ذلك اليوم كما سنرد في هـذا البـاب، ولابّد من الحساب، والإتيان بجهنم، والموازين، وهـذه كـلّها ليست مـن

صفات الرحمة المطلقة الّتي يطلبها الإسم الرّحمان، غير أنّه سبحانه أتى بإسم إلهيّ تكون الرحمة فيه أغلب، وهو الإسم الربّ، فإنّه من الإصلاح والتربية، فيتقوّى مافي المالك والسيّد من فضل الرحمة على مافيه من صفة القهر، فتسبق رحمته غضبه، ويكثر التجاوز عن سيّئات أكثر الناس.

(في مظاهر القيامة والحوادث الّتي توجد فيها)

فأوّل ماأبيّن وأقول، ماقال الله في ذلك اليوم: من إمتداد الأرض، وقبض السماء وسقوطها على الأرض، مجيء الملائكة، ومجئ الربّ في ذلك اليوم.

وأين يكون الخلق حين تمدّ الأرض، وتبدّل صورتها وتجيء جهنم، ومايكون من شأنها؟

ثمّ أسوق حديث مواقف القيامة في خمسين ألف سنة، وحديث الشفاعة.

إعلم ياأخي! أنّ الناس إذا قاموا من قبورهم على ماسنورده إن شاء الله وأراد الله أن «يبدّل الأرض غير الأرض»، وتمدّ الأرض بإذن الله، ويكون الجسر دون الظلمة، فيكون الخلق عليه عند مايبدّل الله الأرض كيف يشاء، إمّا بالصورة وإمّا بأرض أخرى مانيم عليها يسمّى الساهرة، فيّمدها سبحانه مدّ الأديم، يقول الله تعالىٰ:

﴿وإذا الأرض مدّت﴾ [الإنشقاق: ٣].

ويزيد في سعتها ماشاء أضعاف ماكانت: من إحدى وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً حتىٰ:

﴿لا ترىٰ فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ [طه: ١٠٧].

ثمّ إنّه سبحانه يقبض السماء إليه فيطويها بيمينه.

﴿كطيّ السجلّ للكتب﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ثمّ يرميها على الأرض الّذي مدّها هاوية، وهو قوله:

﴿وأنشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ [الحاقة: ١٦].

ويردّ الخلق إلى الأرض الّتي مدّها فيقفون منتظرين مايصنع الله بهم، فإذا وهت السّماء، نزلت ملائكتها «على أرجائها»، فيردون (فيرى) أهل الأرض خلقا عظيماً، أضعاف ماهم عيه عدداً، فيتخيّلون أنّ الله نزل فيهم لما يرون من عظيم (عظم) المملكة، ممّا لم يشاهدوه من قبل فيقولون:

أفيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس فينا، وهو آتٍ، فتصطفُّ الملائكة صفاً مستديراً على نواحي الأرض محيطين بالعالَم الإنس والجنّ، وهؤلاء عُمّار السّماء الدنيا.

ثمّ نزل أهل السماء الثانية بعدما يقبضها الله أيضاً ويرمي بكوكبها في النّار، وهو المسمّى كاتباً، وهم أكثر عدداً من السّماء الأولىٰ، فيقول الخلائق: أفيكم ربّنا؟ فتفزع الملائكة من قولهم، فيقولون: سبحان ربّنا ليس هو فينا وهو آتٍ، فيفعلون فعل الأوّلين من الملائكة يصطفّون خلفهم صفّاً ثانياً مستديراً.

ثمّ ينزل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمّىٰ زهرة في النّار، ويقبضها الله بيمينه، فيقول الخلائق:

أفيكم ربّنا؟ فيقول الملائكة: سبحان ربّنا ليس هو فينا وهو آتٍ.

فلا يزال الأمر هكذا، سماءاً بعد سماء، حتّى ينزل أهل السّماء

السابعة، فيرون خلقاً أكثر من جميع من نزل، فتقول الخلائق: أفيكم ربّنا؟ فتقول الملائكة: سبحان ربّنا قد جاء ربّنا، «وإن كان وعد ربّنا لمفعولاً»، فيأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وعلى الجنبه (المجنّبة) اليسرى جهنّم، ويكون إتيانه إتيان الملك، فإنّه يقول: «ملك يوم الديّن»، وهو ذلك اليوم فسمّى بالملك، وتصطف الملائكة سبعة صفوف محيطة بالخلائق، فإذا أبصر النّاس جهنّم، لها فوران وتغيّظ على الجبابرة المتكبّرين، فيفرّون الخلق بأجمعهم منها لعظيم مايرونه خوفاً وفزعاً وهو الفزع الأكبر، إلاّ الطائفة الّتي:

﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر فتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

فهم الآمنون مع النبيّين على أنفسهم، غير أنّ النبيّين تفزع على أممها للشفقة الّتي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك اليوم: سلّم سلّم.

(في بيان نصب المنابر في القيامة ونداءات الحق سبحانه)

وكان الله قد أمر أن تنصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة، بحسب منازلهم في الموقف، فيجلسون عليها آمنين مبشّرين، وذلك قبل مجيئ الربّ تعالىٰ، فإذا فرّ الناس خوفاً من جهنّم وفرقاً لعظيم مايرون من الهول في ذلك اليوم يجدون الملائكة صفوفاً لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحقّ سبحانه وتعالىٰ إلى المحشر وتناديهم أنبياؤهم: إرجعوا إرجعوا، فينادي بعضهم بعضاً قول الله تعالىٰ فيما يقول

رسول الله ﷺ:

﴿إني أخاف عليكم يوم التّناد* يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣].

والرسل تقول: «اللّهم سَلِّم سَلِّم، ويخافون أشد الخوف على أممهم، والأمم يخافون على أنفسهم، والمطهّرون المحفوظون الّذين ماتدنست بواطنهم بالشّبه المضلّة، ولا ظواهرهم أيضاً بالمخالفات الشرعيّة آمنون «يغبطهم النبّيون» في الّذي هم عليه من الأمن لما هم النبيّون عليه من الخوف على أممهم.

فينادي مناد من قِبل الله يسمعه أهل الموقف لا يدرون فلا أدري (أو لا أدري) هل ذلك (هو) نداء الحقّ سبحانه بنفسه، أو نداء عن أمره سبحانه؟، يقول في ذلك النداء: ياأهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، فإنّه قال لنا:

﴿ياأيّها الإنسان ماغرّك بربّك الكريم﴾ [الإنفطار: ٦].

تعليماً له وتنبيهاً ليقول: كرمك.

ولقد سمعت شيخنا الشنختة يقول يوماً وهو يبكي: ياقوم لا تفعلوا بكرمه، أخرجنا ولم نكن شيئاً، وعلّمنا مالم نكن نعلم، وامتنّ علينا ابتداءً بالإيمان به وبكتبه ورسله ونحن لا نعقل، أفتراه يعذّبنا بعد أن عقلنا وآمنّا، حاشىٰ كرمه سبحانه من ذلك، فأبكاني بكاءَ فرح وبكى الحاضرون.

ثمّ نرجع ونقول فيقول الحقّ في ذلك النداء: أين الّذين كانت:

﴿تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون﴾ [السجدة: ١٦]؟

فيؤتىٰ بهم (إلى) الجنّة، ثمّ يسمعون من قبل الحق نداءاً ثانياً، لا أدرى هل ذلك نداء الحقّ بنفسه أو نداء عن أمر الحقّ؟ :أين الّذين كانوا:

﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ❁ ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله﴾ [النور: ٣٧ - ٣٨].

وتلك الزيادة كما قلنا من جنّات الإختصاص، فيؤمر بهم إلى الجنّة.

ثمّ يسمعون نداءاً ثالثاً، لا أدرى هل هو نداء الحقّ بنفسه، أو نداء عن أمر الحقّ؟: ياأهل الموقف ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، أين الّذين:

﴿صدقوا ماعاهدوا الله عليه ❁ ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ [الأحزاب: ٢٣ - ٢٤].

فيؤمر بهم إلى الجنّة.

فبعد هذا النداء يخرج عُنق من النار (١٨٧)، فإذا أشرف على الخلائق، له عينان ولسان فصيح يقول: ياأهل الموقف! إنّي وُكّلت منكم بثلاث - كما كان النداء الأوّل ثلاث مرّات لثلاث طوائف من أهل السعادة -، وهذا كلّه قبل الحساب، والنّاس وقوف قد ألجمهم العرق، وأشتّد الخوف،

---

(١٨٧) قوله: يخرج عنق.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٣٣٦ بإسناده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، وآذان (أذنان) يسمع بهما ولسان ينطق به، فيقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من ادّعى مع الله إلها آخر، والمصوّرين».

وأخرجه أيضاً الترمذي في سننه ج ٤ كتاب صفة جهنم باب ١ الحديث ٢٥٧٤ - ٢.

وتصدّعت القلوب لهول المطّلع، فيقول ذلك العنق المستشرف من النار عليهم: إنّي وُكّلت بكلّ جبّار عنيد فليلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم، فإذا لم يترك أحداً منهم في الموقف نادىٰ نداءاً ثانياً: ياأهل الموقف: إنّي وكّلت بمن آذى الله ورسوله، فيلقطهم كما يلقط الطير (الطائر) حبّ السّمسم من بين الخلائق، فإذا لم يترك منهم أحداً نادى ثالثة: ياأهل الموقف إنّي وُكّلت بمن ذهب يخلق لخلق الله فيلقُط أهل التصاوير وهم الّذين يصوّرون الكنائس لتُعْبَد تلك الصور، والّذين يصوّرون الأصنام وهو قوله تعالىٰ:

﴿أتعبدون ماتنحتون﴾؟ [الصافات: ٩٥].

فكانوا ينحتون لهم الأخشاب والأحجار ليعبدوها من دون الله، فهؤلاء هم المصوّرون فيلقطهم هذا العنق المستشرف من بين الصفوف كما يلقط الطير حب السّمسم، فإذا أخذهم الله عن آخرهم بقي الناس وفيهم المصوّرون، الّذين لا يقصدون بتصويرهم ماقصد هٰؤلائك من عباداتها(عبادتها) حتّى يسألوا عنها لينفخوا فيها أرواحاً تحييٰ بها وليسوا بنافخين كما ورد في الخبر في المصوّرين فيقفون ماشاء الله ينتظرون مايفعل الله بهم والعرق قد ألجمهم[188].

---

(١٨٨) قوله: كما ورد في الخبر المصوّرين.

في المقام روايات كثيرة وردت عن طريقين، نشير الى بعضها هنا:

أخرج البخاري ج ٧ كتاب اللباس باب ٥٠٨ الحديث ٨٣٦، ص ٣٠٧، بإسناده عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ قال:

(في بيان مواقف وسرادقات وجسور المحشر والقيامة)

فحدثنا شيخنا القصّار بمكّة، سنة تسع وتسعين وخمس مائة تجاه «الركن اليماني» من الكعبة المعظّمة وهو يونس بن يحيىٰ بن الحسين بن

«إنّ الذين يضعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ماخلقتم».
وأيضاً فيه الحديث ٨٤١ و٨٤٥، بإسناده عن عايشة، عن النبيّ ﷺ قال:
«إنّ أصحاب هذه الصّور يعذّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ماخلقتم، وإنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة».
وأخرجه أيضاً مسلم في «الصحيح» ج ٣ كتاب اللباس ص ١٦٦٩ الحديث ٩٦ و٩٧
وفيه أيضاً الحديث ٨٤٧، بإسناده عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال:
«من صوّر صورة في الدنيا، كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ».
وروي البرقي في «المحاسن» كتاب المرافق، باب تزويق البيوت والتصاوير، الحديث ٤٣، ص ٦١٦، بإسناده عن سعد بن طريف عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:
«إنّ الذين يؤذون الله ورسوله»، هم المصوّرون يكلّفون يوم القيامة أن ينفخوا فيها الروح».
وروي فيه الحديث ٤٤، بإسناده عن الحسين بن منذر، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:
«ثلاث معذّبون يوم القيامة... ورجل صوّر تماثيل، يكلّف أن ينفخ فيها وليس بنافخ».
ورواه قريب منه أيضاً في «الخصال» باب الثلاثة الحديث ٧٧ و٧٦ ص ١٠٨. بسندين آخرين، عن الصادق عليه السلام والآخر عن رسول الله ﷺ.
ورواه أيضاً بسند آخر في «ثواب الاعمال وعقاب الاعمال» ص ٢٦٦ الحديث ١.
ورواه أيضاً في حديث المناهي بسندين عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ في «الفقيه» ج ٤ ص ٣، باب ذكر جمل من مناهي النبي ﷺ الحديث ١، وفي «الأمالي» المجلس ٦٦ ص ٣٤٤، الحديث ١.

أبي البركات الهاشمي العبّاسي من لفظه وأنا أسمع قال: حدثنا أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن موسىٰ جعفر «محمّد بن علي بن محمّد بن موسى بن جعفر» المعروف بابن الخياط المغربي (المقرّيء)، قال قرأ عليّ (قُرِئَ على) أبي سهل محمود بن عمر بن اسحاق العكبري، وأنا أسمع قيل له: حدّثكم، رضىٰ الله عنكم، أبو بكر محمّد بن الحسن النّقاس؟ فقال: نعم، حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الطبري البزوري، قال حدّثنا محمّد بن حميد الرازي أبو عبد الله، قال: حدّثنا سلمة بن صالح، قال: أخبرنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمان بن غنم وزيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود، قال: كنت جالساً عند علي بن أبي طالب عليه السلام، وعنده عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه، وحوله عدّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ في القيامة لخمسين موقفاً، كلّ موقف منها ألف سنة، فأوّل موقف إذا خرج النّاس من قبورهم يقومون على أبواب قبورهم ألف سنة، عراةً، حفاةً، جياعاً، عطاشاً، فمن خرج من قبره مؤمناً بربّه، مؤمناً بنبيّه، مؤمناً بجنّته وناره، مؤمناً بالبعث والقيامة، مؤمناً بالقضاء والقدر خيرِه وشرِّه، مصدّقاً بما جاء به (محمّد) صلى الله عليه وآله من عند ربّه، نجىٰ وفاز وغنم وسعد، ومن شك في شيء من هذا بقي في جوعه وعطشه وغمّه وكربه ألف سنة حتّى يقضي الله فيه بما يشاء».

ثمّ يساقون من ذلك المقام إلى المحشر، فيقفون على أرجلهم ألف عام في سرادقات النيران في حرّ الشمس، والنّار عن أيمانهم، والنار عن

شمائلهم، والنار من بين أيديهم، والنار من خلفهم، والشمس من فوق رؤوسهم، ولا ظلّ إلاّ ظلّ العرش، فمن لقىٰ الله تبارك وتعالىٰ، شاهداً له بالإخلاص، مقرّاً بنّبيه ﷺ بريئاً من الشرك ومن السحر، وبريئاً من إهراق دماء المسلمين، ناصحاً لله ولرسوله، محبّاً لمن أطاع الله ورسوله، مبغضاً لمن عصى الله، استظلّ تحت ظلّ عرش الرحمن، ونجىٰ من غمّه، ومن حادّ عن ذلك، ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة، أو تغيّر قلبه، أو شكّ في شيء من دينه بقي ألف سنة في الحرّ والهمّ والعذاب حتّى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى النور والظلمة فيقيمون في تلك الظلمة ألف عام، فمن لقي الله تبارك وتعالىٰ ولم يشرك به شيئاً، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق، ولم يشك في شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من نفسه، وقال الحقّ وأنصف الناس من نفسه وأطاع الله في السرّ والعلانية، ورضي بقضاء الله وقنع بما أعطاه خرج من الظلمة إلى النور فيمقدار طرفة العين مبيضاً وجهه قد نجىٰ من الغموم كلّها ومن خالف في شيء منها بقي في الغم والهمّ ألف سنة، ثمّ خرج منها مسودّاً وجهه وهو في مشيئة الله يفعل به مايشاء.

ثمّ يساق الخلق إلى سرادقات الحساب وهي عشر سرادقات يقفون في كلّ سرادق منها ألف سنة، فيسأل ابن آدم عند أول سرادق منها عن المحارم، فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز إلى السّرادق الثّاني فيسأل عن الأهواء، فإن كان نجىٰ منها جاز إلى السرادق الثالث فيسأل عن عقوق الوالدين، فإن لم يكن عاقا جاز إلى السّرادق الرّابع فيسأل عن

حقوق من فوّض الله إليه أمورهم، وعن تعليمهم القرآن، وعن أمر دينهم وتأديبهم، فإن كان قد فعل جاز إلى السّرادق الخامس فيسأل عمّا ملكت يمينه فإن كان محسناً إليهم جاز إلى السّرادق السّادس فيسأل عن حق قرابته، فإن كان قد أدّى حقوقهم جاز إلى السّرادق السّابع، فيسأل عن صلة الرحمن فإن كان وصولاً لرحمه جاز إلى السّرادق الثامن فيسأل عن الحسد، وإن كان لم يكن حاسداً جاز إلى السرادق التاسع فيسأل عن المكر، فإن لم يكن مَكَر بأحد جاز إلى السّرادق العاشر فيسأل عن الخديعة، فإن لم يكن خَدَعَ أحداً، نجىٰ ونزل في ظلّ عرش الله تعالىٰ فايزةً مقرّة عينه فرحاً قلبه ضاحكاً فوه، وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كلّ موقف منها ألف عام جائعاً، عطشاناً، حزناً، مغموماً، مهموماً لا ينفعه شفاعة شافع.

ثمّ يحشرون إلى أخذ كتبهم بأيمانهم وشمائلهم فيحبسون عند ذلك في خمسة عشر موقفاً كلّ موقف منها ألف سنة فيسألون في أوّل موقف منها عن الصدقات ومافرض الله عليهم في أموالهم، فمن أدّاها كاملة جاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن قول الحقّ، والعفو عن النّاس، فمن عفىٰ، عفىٰ الله عنه وجاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الأمر بالمعروف، فإن كان آمراً بالمعروف جاز إلى الموقف الرّابع فيسأل عن النهي عن المنكر، فإن كان ناهياً عن المنكر جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن حسن الخلق، فان كان حسن الخلق جاز إلى الموقف السّادس فيسأل عن الحبّ في الله والبغض في الله، فإن كان محبّا في الله، مبغضا في الله جاز إلى الموقف السابع، فيسأل عن مال الحرام فإن لم يكن أخذ شيئاً جاز إلى

الموقف الثامن، فيسأل عن شرب الخمر فإن لم يكن شرب من الخمر شيئاً جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن الفروج الحرام، فإن لم يكن أتاها جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن قول الزور، فإن لم يكن قالها جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأيمان الكاذبة، فإن لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن أكل الرباء فإن لم يكن أكله جاز الى الموقف الثالث عشر فيسأل عن قذف المحصنات فإن لم يكن قذف المحصنات أو افترىٰ على أحد جاز إلى الموقف الرابع عشر فيسأل عن شهادة الزور، فإن لم يكن شهدها جاز إلى الموقف الخامس عشر فيسأل عن البهتان فإن لم يكن بهت مسلماً مَرَّ فنزل تحت لواء الحمد وأعطى كتابه بيمينه ونجىٰ من غمّ الكتاب وهو له، وحُوسِبَ حساباً يسيراً، وإن كان قدم في شيء من هذه الذنوب ثمّ خرج من الدنيا غير تائب من ذلك بقي في كلّ موقف من هذه الخمسة عشر موقفاً ألف سنة في الغمّ والهول والهمّ والحزن والجوع والعطش حتّى يقضي الله عزّ وجلّ (فيه) بما يشاء.

ثمّ يقام النّاس في قراءة كتبهم ألف عام فمن كان سخيّا قد قدّم ماله ليوم فقره وفاقته وحاجته، قرأ كتابه وهوّن عليه قراءته، وكُسي من ثياب الجنّة، وتوّج من تيجان الجنّة، وأُقعد تحت ظلّ عرش الرحمن، آمناً مطمئنّاً، وإن كان بخيلاً لم يقدم ماله ليوم فقره وفاقته أعطىٰ كتابه بشماله، ويقطّع له من مقطّعات النيران، ويقام على رؤوس الخلائق ألف عام في الجوع والعطش والعرى والهمّ والغمّ والحزن والفضيحة حتّى يقضي الله عزّ وجلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يحشر النّاس إلى الميزان فيقومون عند الميزان الف عام فمن رجح

ميزانه بحسناته فاز ونجىٰ في طرفة عين، ومن خفّ ميزانه من حسناته وثقلت سيّئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغمّ والهمّ والحزن والعذاب والجوع والعطش حتّى يقضي الله فيه بما يشاء.

ثمّ يُدعى بالخلق إلى الموقف بين يدي الله في اثني عشر موقفاً كلّ موقف منها مقدار ألف سنة (عام) فيسأل في أوّل موقف عن عتق الرقاب فإن كان أعتق الله تعالىٰ رقبته من النّار، وجاز إلى الموقف الثاني فيسأل عن القرآن وحفظه وقراءته، فإن جاء بذلك تامّاً جاز إلى الموقف الثالث فيسأل عن الجهاد، فان كان جاهد في سبيل الله محتسباً جاز إلى الموقف الرابع فيسأل عن الغيبة، فإن لم يكن اغتاب جاز إلى الموقف الخامس فيسأل عن النميمة، فإن لم يكن نمّاماً جاز إلى الموقف السادس فيسأل عن الكذب فإن لم يكن كذّاباً جاز إلى الموقف السابع فيسأل عن طلب العلم، فإن كان طلب العلم وعمل به جاز إلى الموقف الثامن فيسأل عن العجب، فان لم يكن معجباً بنفسه في دينه ودنياه أو في شيء من جملته (عمله) جاز إلى الموقف التاسع فيسأل عن التكبّر، فإن لم يكن تكبّر على أحد جاز إلى الموقف العاشر فيسأل عن القنوط من رحمة الله، فإن لم يكن قنط من رحمة الله جاز إلى الموقف الحادي عشر فيسأل عن الأمن من مكر الله، فإن لم يكن أمن من مكر الله جاز الى الموقف الثاني عشر فيسأل عن حقّ جاره فإن كان أدّى حقّ جاره أقيم بين يدي الله تعالىٰ قريراً عينه، فرحاً قلبه ميضّاً وجهه ضاحكاً مستبشراً فيرحب به ربّه ويبشّره برضاه عنه فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه أحد إلاّ الله، فإن لم يأت بواحدة منهنّ تامّة ومات غير تائب حبس عند كلّ موقف ألف عام

حتّى يقضي الله عزّ وجلّ فيه بما يشاء.

ثمّ يؤمر بالخلائق إلى الصراط فينتهون إلى الصراط، وقد ضربت عليه الجسور على جهنّم أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، وقد غابت الجسور في جهنم مقدار أربعين ألف عام، ولهيب جهنّم بجانبها يلتهب وعليها حَسَك وكلاليب وخطاطيف وهي سبعة جسور، يحشر العباد كلّهم عليها وعلى كلّ جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام: ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١٤].

يعني على تلك الجسور وملائكة يرصدون الخلق عليها ليسأل العبد عن الإيمان بالله، فإن جاء به مؤمناً مخلصاً لاشك فيه ولا زيغ جاز إلى الجسر الثاني فيسأل عن الصّلوة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الثالث فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر الرّابع فيسأل عن الصيام،فإن جاء به تامّة جاز إلى الجسرالخامس فيسأل عن حجّةالإسلام، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الجسر السادس فيسال عن الطهر، فإن جاء به تامّاً جاز إلى الجسر السابع فيسأل عن المظالم، فإن كان لم يظلم أحداً جاز إلى الجنّة وإن كان قصر في واحدة منهن حبس على كلّ جسر منها الف سنة حتّى يقضيالله عزّوجلّ فيه بما يشاء». وذكر الحديث إلى آخره.

وسيأتي بقيّة الحديث إن شاء الله في باب الجنّة، فإنّه يختصّ بالجنّة ولم يذكر (نذكر) النشأة الأخرى الّتي يحشر فيها الإنسان، في باب البرزخ لإنّها نشأة محسوسة غير خياليّة، والقيامة أمر محقّق موجود حسّي مثل ماهو الإنسان في الدنيا فلذلك أخّرنا ذكرها إلى هذا الباب.

وصـــل

(في بيان الحشر وكيفيّة الإعادة في يوم النشر)

إعلم أنّ النّاس اختلفوا في الإعادة مـن المـؤمنين القـائلين بـحشر الأجسام، ولم نتعرّض لمذهب من يحمل الإعادة والنشأة والآخرة عـلى أمور عقليّة غير محسوسة فإن ذلك على خلاف ماهو الأمر عـليه لأنّـه حمل (جهل).

أنّ ثَمّ نشأتين: نشأة الأجسام، ونشأة الأرواح، وهي النشأة المعنوية فأثبتوا المعنويّة ولم يثبتوا المحسوسة ونحن نقول بما قاله هذا المخالف من إثبات النشأة الروحانيّة والمعنويّة لا بما خالف فيه وإن عـين مـوت الإنسان هو قيامته لكن القيامة الصغرى، فإنّ النبيّ ﷺ يقول:

«من مات فقد قامت قيامته»(١٨٩).

وإن الحشر جمع النفوس الجزئيّة إلى النفس الكلّيّة هذا كلّه، أقول به

---

(١٨٩) قوله: من مات فقد قامت قيامته.

راجع التعليق ١٤٧.

كما يقول المخالف، وإلى هنا ينتهي حديثه في القيامة.

ويختلف في ذلك بعينه من يقول بالتناسخ، ومن لا يقوم (يقول) به وكلّهم عقلاء أصحاب نظر ويحتجون في ذلك كلّه بظواهر آيات من الكتاب، وأخبار من السنّة، إن أوردناها وتكلّمنا عليها طال الباب في الخوض معهم في تحقيق ماقالوه.

ومامنهم مَن نَحَلَ نحلة في ذلك إلاّ وله وجه حقّ صحيح، وأن القائل به فهم بعض مراد الشارع وبعضه (نقصه) عِلمُ مافهمه غيره من اثبات الحشر المحسوس في الأجسام المحسوسة، والميزان الحسوس، والصراط المحسوس، والنار والجنّة المحسوستين، كان (كلّ) ذلك حقّ وأعظم في القدرة.

(بقاء الأجسام في علم الطبيعة)

وفي الطبيعة بقاء الأجسام الطبيعة في الدارين إلى غير مدّة متناهية، بل مستمرة الوجود، وإن النّاس ماعرفوا من أمر الطبيعة إلاّ قدر ماأطلعهم الحقّ عليه من ذلك ممّا ظهر لهم في مدد حركات الأفلاك والكواكب السبعة ولهذا جعلوا العمر الطبيعي مائة وعشرين سنة الّذي اقتضاه هذا الحكم، فإذا أراد (زاد) الإنسان على هذه المدّة وقع في العمر المجهول وإن كان من الطبيعة ولم يخرج عنها، ولكن ليس في قوّة علمه أن يقطع عليه بوقت مخصوص، فكما أراد (زاد) على العمر الطبيعي سنة وأكثر جاز أن يريد (يزيد) على ذلك آلافاً من السنين وجاز أن يمتدّ عمره دائماً.

ولولا أنّ الشرع عرّف بانقضاء مدّة هذه الدار وأنّ كلّ نفس ذائقة

الموت وعرّف بالإعادة، وعرّف بالدار الآخرة، وعرّف بأنّ الإقامة فيها في النشأة الآخرة إلى غير نهاية، ماعرفنا ذلك، وماخرجنا في كلّ حال: من موت، وإقامة، وبعث أخراويّ، ونشأة أخر (اخرىٰ) وجنان ونعيم، ونار وعذاب، بأكل محسوس وشرب محسوس، ونكاح محسوس، ولباس على المجري الطبيعي، فعلم الله أوسع وأتّم، والجمع بين العقل والحسّ، والمعقول والمحسوس، أعظم في القدرة وأتمّ في الكمال الإلهي ليستمّر له سبحانه في كلّ صنف من الممكنات حكم عالم الغيب والشهادة، ويثبت حكم الإسم الظاهر والباطن في كلّ صنف.

(عدم إدراك العقل ماجاء به الوحي أحياناً)

فإن فهمت فقد وُفِّقْتَ، وتعلم أنّ العلم الّذي اطلع عليه النبيون والمؤمنون من قِبل الحق أعمّ تعلّقا من علم المنفردين بما تقتضيه العقول مجرّدة عن الفيض الإلهي، فالأولىٰ بكلّ ناصح نفسه، الرجوع إلى ماقالته الأنبياء والرسل على الوجهين: المعقول والمحسوس، إذ لا دليل للعقل يحيل ماجاءت به الشرائع على تأويل مثبتي المحسوس من ذلك والمعقول، فالإمكان يابىٰ (باقٍ) حكمه، والمرجِّح موجود فبماذا يُحيل؟ وماأحسن قول القائل:

زعم المنَجّم والطبيبُ كلاهما لا تُبعثُ الأجسام قلتُ إليكما
إن صحَّ قولكما فلستُ بخاسر أوصحّ قولي فالخسارُ عليكما

فقوله: فالخسار عليكما، يريد حيث لم يؤمنوا بظاهر ماجاءتهم به الرسل عليهم السلام، وقوله: فلست بخاسر، فإنّي مؤمن أيضاً بالأمور المعنويّة

المعقولة مثلكم وزدنا عليكم بأمر آخر لم تؤمنوا أنتم به، ولم يرد القائل به أنه يشكّ بقوله: إن صحّ، وإنّما ذلك على مذهبك أيّها المخاطب، وهذا يستعمل مثله كثيراً فتدبّر كلامي هذا وألزم الإيمان نفسك تربح وتسعد إن شاء الله تعالىٰ.

(في بيان الأقوال في كيفيّة الإعادة)

وبعد أن تقرّر هذا، فاعلم أن الخلاف الّذي وقع بين المؤمنين القائلين في ذلك بالحسّ والمحسوس، إنّما هو راجع إلى كيفيّة الإعادة، فمنهم من ذهب إلى أن الإعادة تكون في النّاس مثل مابدأهم: بنكاح، وتناسل، وابتداء خلق من طين ونفخ، كما جرىٰ من خلق آدم وحوّاء وسائر البنين من نكاح واجتماع إلى آخر مولود في العالم البشرى الإنساني، وكلّ ذلك في زمان صغير ومدّة قصيرة على حسب مايقدره الحقّ تعالىٰ، هكذا زعم الشيخ ابو القاسم قسىّ في خلع النعلين له في قوله تعالىٰ:

﴿كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف: ٢٩].

فلا أدري هل هو مذهبه؟ أو هل هو قصد شرح المتكلّم به وهو خلف الله الّذي جاء بذلك الكلام وكان من الأميّين.

ومنهم من قال بالخبر المرويّ:(١٩٠).

---

(١٩٠) قوله: قال بالخبر المرويّ

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٨٢ في تفسير الآية: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ [البقرة: ٧٣]، قال:

إن (السّماء) تمطر مطراً شبه المني تمخض بـه الأرض فـتنشأ مـنه النشأة الآخرة.

وأمّا قوله تعالىٰ عندنا:

﴿كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف: ٢٩].

هو قوله:

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون﴾ [الواقعة: ٦٢].

وقوله:

﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقد علمنا أنّ النشأة الأولى أوجدها الله تعالىٰ على غير مثال سبق، فكذا النشأة الآخرة يوجدها الله تعالىٰ على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلا شكّ، وقد ذكر رسول الله ﷺ من صفة نشأة أهل الجنة والنار، مايخالف ماهي عليه هذه النشأة الدنيا فعلمنا أنّ ذلك راجع إلى عدم مثال سابق ينشئها (ينشئوها) عليها وهو أعظم في القدرة، وأمّا قوله:

﴿وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧].

«في الدنيا والآخرة كما أحيي الميّت بملاقاة ميّت آخر، أمّا في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحي الله الّذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً.

وأمّا في الآخرة فإنّ الله تعالىٰ ينزل بين نفختي الصور - بعدما ينفخ الأولىٰ من دوين السماء الدنيا - من البحر المسجور الّذي قال الله تعالىٰ: ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور: ٦]، وهي منيّ كمنيّ الرجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المنيّ مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون».

وعنه البحار ج ٦ ص ٣٢٩ الحديث ١٣.

وراجع مسند ابن حنبل ج ٢ ص ٢٦٢ وج ٣ ص ٢٨٦، وص ٣٦٨، وج ٤ ص ١٨٢.

(علمه تعالىٰ علم تفصيلي في عين الإجمالي)

فلا يقدح فيما قلنا، فإنّه لو كانت النشأة الأولىٰ عن اختراع، فكر وتدبّر ونظر إلى أن خلق أمراً، فكانت إعادته إلى أن يخلق خلقاً آخر ممّا يقارب ذلك ويزيد عليه، أقرب للإختراع والإستحضار في حقّ من يستفيد الأمور بفكره، والله منزّه عن ذلك ومتعال عنه علوّاً كبيراً، فهو الّذي يفيد العالم ولا يستفيد، ولا يتجدّد له علم بشيء، بل هو عالم بتفصيل مالا يتناهي بعلم كلّيّ، فعلم التفصيل في عين الإجمال، وهكذا ينبغي لجلاله أن يكون.

فينشئ الله النشأة الآخرة على عَجْب الذَّنَب الّذي يبقى من هذه النشأة الدّنيا، وهو أصلها فعليه تُركّب النشأة الآخرة.

فأمّا أبو حامد فرأى أن العَجْب المذكور في الخبر[191]، أنّه النّفس

---

(١٩١) قوله: العَجْب المذكور في الخبر.

أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة عمّ يتساءلون، باب ٥٤٣، ج ٦ ص ٥٥٣ الحديث ١٣٦٠ بإسناده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مابين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً، قال: أبيت قال أربعون شهراً قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال أبيت.

قال: ثمّ يُنزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلاّ يبلى عظماً واحداً وهو عَجْب الذَنَب، ومنه يُركّب الخلق يوم القيامة».

وأخرج قريب منه في المصدر ص ٤٩٨ الحديث ١٢٤٠ سورة الزمر باب ٤٦٣.

وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٣٢، ذكر القبر والبلى، الحديث

⇐

وعليها تنشأ النشأة الآخرة، وقال غيره مثل أبي زيد الرّقراقي: هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغيّر، عليه تنشأ النشأة الأخرىٰ(وكلّ) ذلك محتمل، ولا يقدح في شيء من الأصول، بل كلّها توجيهات معقولة، يحتمل كلّ توجيه منها أن يكون مقصوداً، والّذي وقع لي به الكشف الّذي لا أشكّ فيه: أنّ المراد بعَجْب الذَّنَب هو ماتقوم عليه النشأة وهو لا يبلىٰ أي لا يقبل البلىٰ.

فإذا أنشأ الله النشأة الآخرة وسوّاها وعدّلها، وإن كانت هي الجواهر بأعيانها، فإنّ الذوات الخارجة إلى الوجود من العدم، لا تنعدم أعيانها بعد وجودها، ولكن تختلف فيها الصور بالإمتزاجات، والإمتزاجات الّتي تعطي هذه الصور أعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم.

فإذا تهيأة هذه الصور كانت كالحشيش المحرق، وهو الإستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالناريّة الّتي فيه لقبول الإشتعال والصّور

٤٢٦٦، ص ١٤٢٥.

وأخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٢٨ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال:

«يأكل كل التراب كلّ شيء من الإنسان إلاّ عَجُبَ ذَنَبه، قيل: ومثل ماهو، يارسول الله ﷺ قال: مثل حبة خردل منه تنبتون».

وأخرج قريب منه أيضاً في المصدر ج ٢ ص ٣٢٢، فراجع.

وفي تفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام، سورة البقرة الآية ٧٣ ص ٢٧٨، «قصّة ذبح بقرة بني اسرائيل»، قال:

ثمّ ذبحوها، وأخذوا قطعة وهي عَجْب الذَنَب،الّذي منه خلق أبن آدم، وعليه يُركّب إذ أعيد خلقا جديداً فضربوه بها» . فراجع.

البرزخيّة كالسّرج مشتعلة بالأرواح الّتي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرّ تلك النفخة على تلك الصور البرزخيّة فتطفئها، وتمرّ النـفخة الّـتي تليها وهي الأخرى إلى الصورة المستعدة للاشتعال وهي النشأة الأخرى فتشتعل بأرواحها،

﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨].

فتقوم تلك الصور أحياءاً ناطقة بما ينطقها الله به فمن ناطق بالحمد لله، ومن ناطق يقول:

﴿من بعثنا من مرقدنا﴾؟ [يس: ٥٢].

ومن ناطق يقول:

سبحان من أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور.

وكلّ ناطق ينطق بحسب علمه وماكان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيّل أن ذلك الّذي كان فيه منام كما تخيّله المستيقظ، وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ، كان كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام.

(أمر الدنيا منام في منام وأمر البرزخ منام والآخرة هي اليقظة)

وفي الآخرة يعتقد في الدنيا والبرزخ أنّه منام في منام، وأنّ اليـقظة الصحيحة هي الّتي هو عليها في الدار الآخرة، وهو في ذلك الحال يقول: إنّ الإنسان في الدنيا كان في منام ثمّ انتقل بالموت إلى البرزخ وكان في ذلك بمنزلة من يرى في المنام أنّه استيقظ من النوم، ثمّ بعد ذلك في النشأة

الآخرة هي اليقظة الّتي لا نوم فيها ولا نوم بعدها لأهل السّعادة، لكن لأهل النار وفيها راحتهم كما قدمنا (قلنا)، وقال رسول الله ﷺ:

«النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»(١٩٢).

فالدّنيا بالنّسبة إلى البرزخ نوم ومنام، فإنّ البرزخ أقرب إلى الأمر الحقّ فهو أولى باليقظة، والبرزخ بالنظر إلى النشأة الأخرى يوم القيامة منام، فاعلم ذلك.

(شفاعة النبيّ ﷺ في الحشر)

فإذا قام الناس، ومدّت الأرض، وانشقت السّماء، وانكدرت النجوم، وكوّرت الشمس، وخسف القمر، وحشر الوحوش، وسجّرت البحار، وزوّجت النفوس بأبدانها، ونزلت الملائكة على أرجائها يعني أرجاء السموات، ويأتي ربّنا في ظلل من الغمام ونادى المنادى: ياأهل السعادة، فأخذ منهم الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، وخرج العنق من النار فقبض الثلاث الطوائف الّذين ذكرناهم، وماج الناس واشتّد البحر، وألجم الناس العرق، وعظم الخطب، وجلّ الأمر، وكان البهت، فلا تُسمع إلاّ همساً،

---

(١٩٢) قوله: الناس نيام.

ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» ج ٤ ص ٣٥باب كيفيّة توزع الدرجات ص ٣٥ نقلاً عن الرسول الأكرم ﷺ.

كما نقله المجلسي في البحار ج ٥٠ ص ١٣٤ عنه ﷺ أيضاً. وذكره أيضاً ابن أبي جمهور في «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ٧٣ الحديث ٤٨ نقلاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

كما أنّ المجلسي أيضاً نقله عنه عليه السلام في البحار ج ٧٣ ص ٣٩.

وجيء بجهنّم وطال الوقوف بالناس، ولم يعلموا مايريد الحقّ بهم، فقال رسول‌الله ﷺ(١٩٣):

---

(١٩٣) قوله: فقال رسول‌الله ﷺ.

أخرج البخاري في «الصحيح» ج ٩ ص ٧٨٨، كتاب التوحيد باب (١٢١٣) قولِ الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ الحديث ٢٢١٢، بإسناده عن أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا حتّى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون: ياآدم! أماترى الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كلّ شئ، شفّع لنا إلى ربّنا حتّى يُريحنا من مكاننا هذا، فيقول:

لستُ هناك ويذكر لهم خطيئته الّتي أصاب، ولكن إئتوا نوحاً، فإنّه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لستُ هناكم، ويذكر خطيئته الّتي أصاب، ولكن إئتوا إبراهيم الخليل الرحمن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لستُ هناكم، ويذكر لهم خطايا، الّتي أصابها، ولكن إئتوا موسىٰ عبداً أتاه الله التوراة وكلّمه تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لستُ هناكم ويذكر لهم خطيئته الّتي أصاب، ولكن إئتوا عيسىٰ عبدالله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسىٰ، فيقول: لست هناكم ولكن إئتوا محمّداً ﷺ عبداً غُفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر، فيأتوني فأنطلِقُ فأستأذن على ربّي فيؤذَن لي عليه، فإذا رأيت ربّي وقعتُ له ساجداً فيدَعُني ماشاء الله أن يدعني، ثمّ يقال لي: ارفع محمّد وقُل يُسمع وسَلْ تُعطَه وأشفَعْ تشفَّعْ، فأَحمدُ ربّي بمحامد عَلَّمَنيها، ثمّ أشفعُ فيَحُدُّ لي حَداً فأُدخِلُهم الجنّة، ثمّ أرجع فإذا رأيتُ ربّي وقعتُ ساجداً فيَدَعُني ماشاء الله أن يَدَعني، ثمّ يقال: ارفع محمّدُ وقل يُسمَع وسَلْ تُعطَه واشفَعْ تُشفَّع، فأحمدُ ربيّ بمحامد علّمنيها ربّي، ثمّ أشفَعُ فيحُدّ لي حدّاً فأدخلُهم الجنّة، ثمّ أرجع فإذا رأيت ربّي وقعتُ ساجداً فيدعُني ماشاء الله أن يَدَعَني، ثمّ يقال: ارْفع محمّدُ قل يُسمع وسَلْ تعطَه واشفع تشفَّع،فإحْمَدُ ربّي بمحامِد علّمنيها،

«فيقول النّاس بعضهم لبعض: تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا ممّا نحن فيه، فقد طال وقوفنا، فيأتون إلى آدم فيطلبون منه ذلك فيقول آدم: إنّ الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر خطيئته فيستحي من ربّه أن يسأله، فيأتون إلى نوح بمثل ذلك، فيقول لهم مثل ماقال آدم ويذكر دعوته على قومه، وقوله: ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً، لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاءاً، ثمّ يأتون إلى إبراهيمعليه السلام بمثل ذلك فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدّم، فيقول كما قال من تقدّم ويذكر كذباته الثلاثة، ثمّ يأتون إلى موسىٰ وعيسىٰ، ويقولون لكلّ واحد من الرسل مثل ماقالوه لآدم فيجيبونهم مثل جواب آدم، فياتون إلى محمّدصلى الله عليه وآله وسلم وهو سيّد النّاس يوم القيامة، فيقولون له مثل ماقالوا للأنبياء فيقول محمّدصلى الله عليه وآله وسلم: أنالها، وهو المقام المحمود الّذي وعده الله به يوم القيامة فيأتي ويسجد ويحمد الله بمحامد يلهمها الله تعالىٰ إيّاها في ذلك الوقت، لم يكن يعلمها قبل ذلك، ثمّ يشفع إلى

ثمّ أشْفَعُ فيُحدُّ لي حَداً فأدخِلُهم الجنّة، ثمّ أرجع فأقول: ياربِّ مابقي في النار إلاّ مَن حَبَسهُ القرآن ووَجَب عليه الخلود، قال النبيّصلى الله عليه وآله وسلم يخرج من النار مَن قال: لا إله إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير مايزنُ شعيرةً، ثمّ يخرج من النار مَن قال: لا إله الله وكان في قلبه من الخير مايزن بُرَّةً، ثمّ يخرج من النار مَن قال: لا إله إلاّ الله وكان في قلبه مايَزِنُ من الخير ذَرّةً».

وأخرج قريب منه أيضاً في المصدر نفسه، باب ١٢٣١، الحديث ٢٣٠٩ ص ٨٢١، وأيضاً الحديث ٢٢٣٩ ص ٧٩٨، وفي آخره:

ثمّ تلا هذه الآية: ﴿عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الّذي وُعِده نبيّكمصلى الله عليه وآله وسلم.

ربّه أن يفتح باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب، فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين فبهذا يكون سيّد النّاس يوم القيامة، وأنّه شفع عند الله أن تشفع الملائكة والرسل».

ومع هذا تأدبﷺ وقال: أنا سيّد الناس، ولم يقل: سيّد الخلائق، فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع، وذلك أنّهﷺ جُمع له بين مقامات الأنبياءﷺ كلّهم ولم يكن ظهر له على الملائكة ماظهر لآدمﷺ من اختصاصه بعلم الأسماء كلّها، فإذا كان في ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والنّاس، من آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة وإظهار ماله من الجاه عند الله إذ كان القهر الإلهي، والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع، وكان هذا المقام مثل مقام آدمﷺ في يوم اشتّدت الحاجة فيه مع ماذُكر من الغضب الإلهي الّذي تجلّى فيه الحقّ في ذلك اليوم ولم تظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قصّة آدم فدلّ بالمجموع على عظيم قدرهﷺ حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبيّة الإلهيّة على مناجاة الحقّ فيما سُئِلَ فيه. فأجابه الحقّ سبحانه فعلّقت الموازين ونشرت الصحف ونصب الصراط وبُدئ بالشفاعة، فأوّل ماشفعت الملائكة ثمّ النبيّون ثمّ المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين[١٩٤]، وهنا تفصيل عظيم

---

(١٩٤) قوله: وبقي أرحم الراحمين.

أخرج البخاري في الصحيح ج ٩ ص ٧٩٨، باب ١٢١٨ قوله الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة﴾، الحديث ٢٢٣٩، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في حديث طويل في بيان نجاة من كان يعبد الله من برٍّ أو

يطول الكلام فيه، فإنّه مقام عظيم.

غير أنّ الحقّ يتجلّى في ذلك اليوم فيقول:

«لِتتبع كلّ أمّة ماكانت تعبد».

حتّى تبقى هذه الأمّة، وفيها منافقوها، فيتجلّى لهم الحقّ في أدنى صورة من الصورة الّتي كان تجلّى لهم فيها قبل ذلك، فيقول:

«أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا نحن منتظرون حتّى يأتينا ربّنا، فيقول لهم جلّ وتعالىٰ: هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها؟،

➲ فاجر في يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ:
«وإذا رأوا أنّهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربّنا إخوانُنا الذين كانوا يُصلّون معنا، ويصومون معنا، فيقول الله تعالىٰ: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويُحرِّم الله صُورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون مَن عرفوا، ثمّ يعودون، فيقول: أذهبوا فَمن وجدّتم في قلبه مثقال نصف دنيار فأخرِجوه فيُخرجون مَن عرفوا، ثمّ يعودون، فيقول: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرّة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون مَن عرفوا.

قال أبو سعيد: فإن لم تصدّقوني فاقرؤا:

﴿إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يُضاعفها﴾ [النساء: ٤٠].

فيشفع النبيّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبّار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخرجُ أقواماً قد امتحشوا فيُلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبتُ الحبّة في حميل السيل... فيخرجون كأنّهم اللؤلؤ، فيُجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنّة، فيقول أهل الجنّة هؤلاء عُتقاء الرحمن، أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه ولاخير قدّموه، فيقال لهم: لكم مارأيتم ومثله معه».

فيقولون: نعم، فيتحول لهم في الصورة الّتي عرفوه فيها بتلك العلامة، فيقولون: أنت ربّنا، فيأمرهم الله بالسجود فلا يبقى مَن كان يسجد لله إلاّ سجد، ومن كان يسجد اتقاءاً، أو رياءاً، جعل الله ظهره طبقة نحاس كلّما أراد أن يسجد خرّ (على) قفاه، وذلك قوله تعالىٰ:

﴿يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يسطيعون... وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ [القلم: ٣ - ٤٢].

يعني في الدنيا، والساق الّتي كشفت لهم، عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة، تقول العرب: «كشفت الحرب عن ساقها»، إذا اشتّدت الحرب وعظم أمرها، وكذلك: التفّت الساق بالساق: أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة.

(شفاعة أرحم الراحمين في يوم الحشر)

فإذا وقعت الشفاعة ولم يبق في النّار مؤمن شرعي أصلاً ولا مَن عمل عملاً مشروعاً من حيث ماهو مشروع بلسان نبيّ ولو كان مثقال حبّة من خَردَل فما فوق ذلك في الصغير إلاّ خرج بشفاعة النبيين والمؤمنين، وبقي أهل التوحيد الّذين عملوا التوحيد بالأدلّة العقليّة ولم يشركوا بالله شيئاً ولا آمنوا إيماناً شرعيّاً، ولم يعملوا خيراً قطّ من حيث ماأتّبعوا فيه نبيّاً من الأنبياء، فلم يكن عندهم ذرّة من الإيمان فما دونها، فيخرجهم أرحم الراحمين، وماعملوا خيراً قطّ يعني مشروعاً من حيث ماهو مشروع، ولا خير أعظم من الإيمان وماعملوه».

وهذا حديث عثمان بن عفّان في الصحيح لمسلم بن الحجّاج.

قال رسول الله ﷺ:

«من مات وهو يعلم»: (ولم يقل: يـؤمن) «أنّـه لا إله إلاّ الله دخـل الجنّة»[١٩٥].

ولا قال: يقول، بل أفرد العلمَ، ففي هؤلاء تسبق عناية الله في النار، فإنّ النار بذاتها لا تقبل تخليد موحّد لله بأيّ وجه كان، وأتـمّ وجـوهه: الإيمان عن علم فجمع بين العلم والإيمان.

فان قلت: فإنّ ابليس يعلم أنّ الله واحد، قلنا: صدقتَ ولكنّه أوّل مَن سنّ الشرك، فعليه إثم المشركين، وإثمهم أنّهم لا يخرجون من النّار، هذا إذا ثبت أنّه كان (مات) موحِّداً ومايدريك؟ لعلّه مات مشركاً، لشبهة طرأت عليه في نظره، وقد تقدّم الكلام على هذه المسألة فيما مضى من الأبواب، فأبليس ليس بخارج من النّار، فالله يعلم أيّ ذلك كان.

وهنا علوم كثيرة، وفيها طول يخرجنا عن المقصود من الإخـتصار، إيرادُها[١٩٦]، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

هذا من المجلد الأوّل من الباب المذكور، لكن في هذا المـعنى فـي المجلد الخامس من أصل المـجلّدات السّت فـي الفـصل الخـامس مـن الفصول الّتي وهي في ضمن الباب الأحد والسـبعون وثـلثمائة، المـتقدّم ذكره مرّة، بحثاً لطيفاً وبسطاً دقيقاً في كيفيّة الحشر والنشر ومايتعلّق بهذا

---

(١٩٥) قوله: من مات وهو يعلم

صحيح مسلم ج ١ ص ٥٥ كتاب الإيمان، الباب ١٠، الحديث ٤٣.

(١٩٦) الفتوحات المكيّة، الباب الرابع والستون، وصل في الحشر والنشر، طبع عثمان يحيى ج ٤ ص ٤٦٤ الى ٤٢٦.

البحث، وذلك مناسب بهذا المقام نذكره ونشرع بعده في بـحث الجـنّات وبعده في بحث الجحيم ومايتعلّق بهما كما شرطناه، والفصل هـذا وبـالله التوفيق.



الفصل الخامس

في أرض الحشر وماتحوي عليه من العالم[١٩٧] والمراتب، وعرش الفصل والقضاء وحملته، وصفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل

(في بيان كيفيّة الحشر والنشر ومايتعلّق بهما)

إعلم أنّ الله تعالىٰ إذا نفخ في الصُور، وبعث مافي القبور، وحشر الناس والوحوش، ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢]، ولم يبق في بطنها سوى عينها، إخراجاً لا نباتاً، وهو الفرق بين نشأة الدّنيا الظاهرة وبين نشأة الآخرة الظاهرة، فإنّ الأولىٰ أنبتنا (أنبتنا) فيها من الأرض فينبتنا (فنبتنا) نباتاً كما ينبت النبات على التدريج وقبول الزيادة في الجِرم طولاً وعرضاً، ونشأة الآخرة إخراج من الأرض على الصورة الّتي شاء (يشاء)

---

(١٩٧) الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٣٨ (طبع كشميري).

الحقّ أن يخرجنا عليها، ولذلك علّق المشيئة بنشر الصورة الّتي أعادها في الأرض الموصوفة بأنّها تنبت، فنبت (فتنبت) على غير مثال، لأنّه ليس في الصورة صورة تشبهها، فكذلك نشأة الآخرة يظهرها الله على غير مثال صورة تقدّمت تشبهها، وذلك قوله (تعالىٰ):

﴿كما بدأكم تعودون﴾ [الاعراف: ٢٩].

﴿ولقد علمتم النشأة الأولىٰ فلولا تذكّرون﴾ [الواقعة: ٦٢].

﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ [الواقعة: ٦١].

فإذا أخرجت الأرض أثقالها وحدثت أنّها مابقي فيها ممّا أختزنته شيء جيئ بالعالم إلى الظلمة دون الحشر (الجسر) فألقوا فيها حتّى لا يرى بعضهم بعضاً، ولا يبصرون كيفيّة (كيف) التبديل في السماء والأرض حتّى تقع فتمدّ الأرض أوّلاً مدّ الأديم وتبسط فلاترى فيها عوجا ولا أمتاً، وهي الساهرة فلا نوم فيها، فإنّه لا نوم لأحد بعد الدّنيا ويرجع ماتحت مقعر فلك الكواكب (الفلك المكوكب) جهنم، وبهذا سميّت بهذا الإسم لبعد قعرها فأين المقعر من الأرض؟ ويوضع الصراط من الأرض علواً على إستقامة إلى سطح فلك المكوكب، فيكون (منتهاه) الى المرج الّذي خارج سور الجنّة.

(أوّل جنّة يدخلها النّاس)

وأوّل جنّة يدخلها النّاس هي جنّة النّعيم، وفي ذلك المرج هي المأدبة وهو دَرْمَكَة بيضاء (نقيّة)، منها يأكل أهل المأدبة، وهو قوله تعالىٰ في المؤمنين إذا أقاموا التّوراة والإنجيل من بني إسرائيل:

﴿ولو أنّهم أقاموا التوراة والإنجيل وماأنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [المائدة: ٦٦].

فنحن أمّة محمّدﷺ نقيم كلّ ماأنزل إلينا من ربّنا بالإيمان به ونعمل من ذلك بما أمرنا من العمل به، وغيرنا من الأمم منهم من آمن كما آمنّا، ومنهم من آمن ببعض وكفر ببعض.

فمن نجىٰ منهم قيل فيه: «**لأكلوا من فوقهم**» وهو ماخرج من فروع أشجار الجنان على السور فظلل على هذا المرَج فقطفه السعداء «**ومِن تحت أرجُلهم**» هو ماأكلوه من الدَّرْمَكة البيضاء الّتي هم عليها.

ووضع الموازين في أرض الحشر، لكلّ مكلّف ميزان يخصّه، وضرب بسور يسمّى الأعراف بين الجنّة والنّار، وجعله مكاناً لمن اعتدلت كفّتا ميزانه، فلم ترجّح إحداهما على الأخرىٰ.

ووقفت الحفظة بأيديهم الكتب الّتي كتبوها في الدّنيا من أعمال المكلّفين وأقوالهم، ليس فيها شيءٌ من إعتقادات قلوبهم إلاّ ماشهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك، فعلّقوها في أعناقهم بأيديهم.

فمنهم من أخذ كتابه بيمينه، ومنهم من أخذه بشماله، ومنهم من أخذه من وراء ظهره وهم الّذين نبذوا الكتاب في الدّنيا وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، وليس أولئك إلاّ الائمّة الضلال المضلّون الّذين ضلّوا وأضلّوا، وجيءَ بالحوض يتدفق ماء عليه من الأواني على عدد الشاربين عنه (منه) لا تزيد ولا تنقص، ترمي فيه أنبوبان:

أنبوب ذهب، وأنبوب فضّة وهو لزيق بالسور، ومن السور تنبعث هذان الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون (ويؤتى) وتولى بمنابر من نور

مختلفة في الإضاءة واللـون فـتنصب فـي تـلك الأرض، ويـؤتى بـقوم فيقعدون عليها قد غشيتهم الأنوار، لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد، عليهم من الخلع الإلهيّة ماتقرّ به أعينهم، ويأتي مع كلّ انسان قرينة من الشياطين والملائكة.

وتنشر الألويّة في ذلك اليوم للسعداء والأشقياء بأيدي أئمّتهم الّذين كانوا يدعونهم إليه من حقّ وباطل، وتجتمع كلّ أمّة إلى رسولها مَن آمن منهم به ومَن كفر.

وتحشر الأفراد والأنبياء بمعزل مـن النـاس بـخلاف الرّسـل فـإنّهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصّهم.

وقد عيّن الله في هذه الأرض بين يدي عرش الفصل والقضاء مرتبة عظمىٰ امتدّت من الوسيلة الّتي في الجنّة، يسمّى ذلك: المقام المـحمود، وهو لمحمّد ﷺ خاصّة.

وتأتي الملائكة، ملائكة السماوات، ملائكة كـلّ سـماء عـلىٰ حـدة متميّزة عن غيرها فيكونون سبعة صفوف، أهل كلّ سماء صـفّ، والرّوح قائم مقدّم الجماعة وهو المَلَكَ الّذي نزل بالشرايع على الرّسل، ثمّ جـاء بالكتب المنزلة والصحف.

وكلّ طائفة ممّن نزلت من أجـلها خـلقها (خـلفها) فـيمتازون عـن أصحاب الفرات (الفترات) وعمّن تعبد نفسه بكتاب لم يـنزل مـن أجـله وإنّما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عـن نـظر عقليّ من عاقل مهديّ.

ثمّ يأتي الله عزّ وجلّ على عرشه، والمـلائكة الثـمانية تـحمل ذلك

العرش فيضعونه في تلك الأرض، والجنّة عن يمين العرش، والنّار من الجانب الآخر، وقد علت الهيبة الإلهيّة، وغلبت على قلوب أهل الموقف من إنسان ومَلَك وجان ووحش، فلا يتكلّمون إلاّ همساً بإشارة عين، وخفي صوت، وترفع الحجب بين الله وبين عباده، وهو كشف الساق ويأمرهم داعي الحق عن أمر الله بالسجود لله فلا يبقى أحد سجد لله خالصاً على أيّ دين كان إلاّ سجد السجود المعهود، ومن سجد اتّقاء أو (و) رياء خرّ على قفاه، وبهذه السجدة يرجّح ميزان أصحاب الأعراف لأنّها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنّة، ويشرع الحقّ في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم، وأمّا ماكان بينهم وبين الله فإنّ الكرم الإلهي قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحداً من عباد الله فيما لم يتعلّق به حقّ للغير. وقد ورد من أخبار الأنبياءعليهم السلام في ذلك اليوم ماقد ورد على ألسنة الرسل ودوّن النّاس فيه مادوّنوا، فمن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك.

(في شفاعة الخاتمصلى الله عليه وآله يوم القيامة)

ثمّ تقع الشفاعة الأولىٰ من محمدصلى الله عليه وآله في كلّ شافع أن يشفع، فيشفع الشافعون، ويقبل الله من شفاعتهم ماشاء، ويردّ من شفاعتهم ماشاء، لأنّ الرحمة في ذلك اليوم يبسطها الله في قلوب الشفعاء، فمن ردّ الله شفاعته من الشافعين لم يردّها انتقاصاً بهم، ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه، وإنّما أراد بذلك إظهار المنّة الإلهيّة على بعض عباده فيتولّى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم، فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجه (باخراجهم) من النّار إلى

الجنان، وقد ورد: «**وشفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبار**»، فهي مراتب أسماء إلهيّة لا شفاعة محققة، فإنّ الله يقول في ذلك اليوم «**شفعت (شفت) الملائكة والنبيّون والمؤمنون، وبقي أرحم الراحمين**»، فدلّ بالمفهوم أنّه لم يشفع، فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار، ونقل حال مَن هو أهل النّار من شقاء آلالام إلى سعادة أزالتها فذلك قدر نعمه (نعيمه)، وقد يشاء المشوب وقضائه ويملأ الله جهنم بغضبه (وقد يشاء ويملأ الله جهنم بغضبه المشوب وقضائه)، والجنّة برضاه، فتعمّ الرحمة ويبسط النعمة.

فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحقّ، فيتحوّلون لتحوله، وآخر صورة يتحوّل إليها في الحكم في عباده صورة الرضا فيتحوّل الحقّ في صورة النعيم، فإنّ الرحيم والمعافي أوّل مَن يرحم ويعفوا وينعم على نفسه بإزالة ماكان فيه من الحرج والغضب على من أغضبه، ثمّ سرى ذلك في المغضوب عليه، فمَن فهم فقد أمناه ومَن لم يفهم فإنّ المآل إليه، والله من حيث يعلم نفسه ومن هويّته وغناه فهو على ماهو عليه.

وإنّما هذا الّذي وردت به الأخبار وأعطاه الكشف، وإنّما ذلك أحوال تظهر، ومقامات تشخّص ومعان تجسّد وليعلم الحقّ عباده معنى الإسم الإلهي الظاهر وهو مابدأ من هذا كلّه، والإسم الإلهي الباطن وهو هويّته، وقد تسمّى لنا بهما، وكلّ ماهو العالم فيه من تصرّف وانقلاب وتحوّل في صورة في حق وخلق، فذلك من حكم **الإسم الظاهر** وهو منتهى علم العالم والعلماء بالله.

وأمّا **الإسم الباطن** فهو إليه لا إلينا ومابأيدينا منه سوى «ليس

كمثله شي» [الشورى: ١١] على بعض وجوه محتملاته، إلّا أنّ أوصاف التنزيه لها تعلّق بالإسم الباطن، وإن كان فيه تحديد، ولكن ليس في الإمكان أكثر من هذا فإنّه غاية الفهم عندنا الّذي يُعطيه استعدادنا، وأمّا قوله تعالىٰ:

﴿وان منكم إلاّ واردها﴾ [مريم: ٧١].

فإنّ الطريق إلى الجنّة عليها، فلابّد من الورود، فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنّة أحد عاد كلّه ناراً أي دار النار وإن كان فيها زمهرير فجهنم من مقعّر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين».

هذا آخر الفصل المذكور، وإذا فرغنا من هذا فلنشرع في بحث الجنّة ومراتبها ومراتب أهلها على حسب طبقاتها في الكتاب المذكور بقوله قدّس الله سرّه وهو هذا:



الباب الخامس والستّون[198]

في معرفة الجنّة ومنازلها ودرجاتها ومايتعلّق بهذا الباب

(في أنّ لكلّ من العالم والجنّة ومايلتّذ به الروح مرتبتان، الحسيّة والمعنويّة)

إعلم أيّدنا الله وإيّاك، أنّ الجنّة جنّتان: جنّة محسوسة، وجنّة معنويّة، والعقل يعقلهما معاً كما أنّ العالَم عالَمان:

عالم لطيف وعالم كثيف، وعالم غيب وعالم شهادة، والنفس الناطقة المخاطبة المكلّفة، لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وماوصَلَت إليه من ذلك بالأدلّة العقليّة، ونعيم بما

---

(١٩٨) قوله: الباب الخامس والستّون.

الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣١٧، و«عثمان» يحيىٰ ج ٥ ص ٥٩

تحمله اللّذات والشهوات مما تناله بالنّفس الحيوانيّة من طريق قواها الحسيّة: من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيّبة تتعلّق بها الأسماع، وجمال حسّيّ في صورة حسنة معشوقة يعطيها البصر في نساء كاعبات، ووجوه حِسان وألوان متنوعة وأشجار وأنهار.

(النفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بالمناظر الجميلة)

كلّ ذلك تنقله الحواسّ إلى النفس الناطقة فتلتذّ به من جهة طبيعتها، ولو لم يلتذّ به إلاّ الرّوح الحسّاس الحيوانيّ لا النّفس الناطقة لكان الحيوان يلتذّ بالوجه الحسان الجميل من المرأة المستحسنة والغلام الحسن الوجه والألوان والمصاغ. فلمّا لم نر شيئاً من الحيوان يلتذّ بشيء من ذلك علمنا قطعناً أنّ النّفس الناطقة هي الّتي تلتذّ بجميع ماتعطيه القوّة الحسيّة ممّا تشاركها في إدراكه الحيوانات وممّا لا تشاركها فيه.

(الجنّة المحسوسة والجنّة المعنويّة)

واعلم أنّ الله خلق هذه الجنّة المحسوسة بطالع الأسد الّذي هو الإقليد، وبرجه هو الأسد، وخلق الجنّة المعنويّة الّتي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهيّ من صفة الكمال والإبتهاج والسرور، فكانت الجنّة المحسوسة كالجسم، والجنّة المعقولة كالروح وقواه، ولهذا سمّاها الحقّ تعالىٰ: الدار الحَيَوان، لحياتها فأهلها يتنعمّون فيها حسّاً ومعنىً، والمعنى الّذي هو اللطيفة الإنسانيّة.

والجنّة أيضاً أشدّ تنعّماً بأهلها الداخلين فيها، ولهذا تطلب مِلأَها من

الساكنين، وقد ورد خبر عن النبيّ ﷺ:

«أنّ الجنّة اشتاقت إلى بلال وعليّ وعمّار وسلمان»[(١٩٩)].

فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، وماأحسن موافقة هذه الأسماء لِما في الشوق من المعاني، فإنّ الشوق من المشتاق، فيه ضرب ألم لطلب اللقاء، وبلال من: **«أبلّ الرجل من مرضه وأستبلّ»**، ويقال: **«بل الرجل من دائه»**. وبلال معناه.

وسلمان من السلامة من الآلام والأمراض، وعمّار أي يعمارتها بأهلها يزول منها ألمها، فانّ الله سبحانه يتجلّى لعباده، فعليّ يعلو بذلك التجلّي شأنها على النار الّتي هي أختها حيث فازت بدرجة التجلّي والرؤية، إذا كانت النار دار حجاب، فانظر في موافقة هذه الأسماء الأربعة لصورة حال الجنّة حين وصفها بالشوق إلى هؤلاء الأصحاب من المؤمنين.

(مراتب الناس بالنسبة إلى الجنّة)

والنّاس على أربع مراتب في هذه المسألة، فمنهم من يَشتهي ويُشتهىٰ، وهم الأكابر من رجال الله، من رسول ونبيّ ووليّ وكامل.

---

(١٩٩) قوله: إنّ الجنة اشتاقت.

روي السيد الحجّة العلاّمة المرعشيّ النجفي في «ملحقات احقاق الحق» ج ١٦ ص ٥٣٧ نقلاً عن العلاّمة الشيخ طه بن مهنا الجبريتي في «شرح رسالة الحلبي» ص ٦٥ ط بولاق، عن أنس أنّ النبيّ ﷺ قال:

«اشتاقت الجنّة إلى عليّ وعمّار سلمان وبلال».

وراجع أيضاً ج ٦ ص ١٩٠ وقد مرّ قريب منه في التعليق ١١٧.

ومنهم من يُشتهىٰ ولا يَشتهي، وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المُهيَّمون في جلال الله الّذين غلب معناهم على حسّهم وهم دون الطبقة الأولىٰ فإنّهم أصحاب أحول.

ومنهم من يَشتهي ولا يُشتهىٰ وهم عُصاة المؤمنين. ومنهم من لا يَشتهي ولا يُشتهىٰ وهم المكذّبون بيوم الدّين والقائلون بنفي الجنّة المحسوسة، ولا خامس لهؤلاء الأربعة الأصناف.

(مراتب الجنّة والأعمال)

واعلم أنّ الجنّات ثلاث جنّات:

جنّة اختصاص إلهي وهي الّتي يدخلها الأطفال الّذين لم يبلغوا حدّ العمل، وحدّهم من أوّل مايولد إلى يستهل صارخاً إلى انقضاء ستّة أعوام، ويعطي الله من شاء من عباده من جنّات الإختصاص ماشاء، ومن أهلها المجانين الذين ماعقلوا، ومن أهلها أهل التوحيد العلمي، ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليه دعوة رسول.

والجنّة الثانية، جنّة ميراث ينالها كلّ من دخل الجنّة ممن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن الّتي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها.

والجنّة الثالثة، جنة الأعمال، والّتي ينزل النّاس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره، في وجوه التفاضل كان له من الجنّة أكثر، وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنّه فضله في هذا المقام بهذه الحالة، فما من عمل من الأعمال إلاّ وله جنّة ويقع التفاضل بين أصحابها بحسب ماتقتضي أحوالهم.

(من يدوم على الطهارة له الجنّة المخصوصة)

وورد في الحديث الصحيح عن النبيّ ﷺ أنّه قال لبلال[٢٠٠]:

«يابلال بِمَ سبقتني إلى الجنّة، فما وطئتُ منها موضعاً (مادخلت الجنة قطّ) إلاّ سمعت خشخشتك أمامي»؟

فقال: يارسول الله! ماأحدثت قطّ إلاّ توضأت، ولا توضّأت إلاّ صلّيت ركعتين، فقال رسول الله ﷺ:

«بهما (بهذا)».

فعلمنا أنّها كانت جنّة مخصوصة بهذا العمل.

فكأنّ رسول ﷺ يقول لبلال: بِمَ نلت أن تكون مطرّقاً بين يدي تحجبني، من أين لك هذه المسابقة إلى هذه المرتبة. فلّما ذكر له ذلك قال له ﷺ: بهما.

فما من فريضة ولا نافلة، ولا فعل خير، وولا ترك محرّم ومكروه إلاّ وله جنّة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها.

---

(٢٠٠) قوله: قال لبلال: يابلال بِم سبقتني.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٣٥٤ وص ٣٦٠، عن عبدالله بن بريد، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ.

وروي المجلسي في البحار ج ٨٠ ص ٣٠٨ الحديث ١٨، نقلاً عن «إرشاد القلوب» للدّيلمي، عن رسول الله ﷺ، قال:

«يقول الله تعالى: مَن أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني، ومَن أحدث وتوضّأ ولم يُصلِّ ركعتين فقد جفاني، ومَن أحدث وتوضّأ وصلّى ركعتين ودعاني ولم أجبه فيما سألني من أمور دينه ودنياه، فقد جفوته، ولستُ بربّ جاف».

(مراتب الاعمال في الفضيلة بالأمكنة والأزمنة والأحوال وغيرها)

والتفاضل على مراتب: فمنها بالسنّ، ولكن في الطاعة والإسلام، فيفضل الكبير السنّ على الصغير السنّ إذا كانا في مرتبة واحدة من العمل بالسنّ، فإنّه أقدم منه فيه، ويفضل أيضاً بالزمان فإنّ العمل في رمضان، وفي يوم الجمعة، وفي ليلة القدر، وفي عشر ذي الحجّة، وعاشورا، أعظم من ساير الأزمان، وكلّ زمان عيّنه الشارع.

وتقع المفاضلة بالمكان كالمصلّي في المسجد الحرام أفضل من صلاة المصلّي في مسجد المدينة، وكذلك الصلاة في مسجد المدينة أفضل من الصلاة في المسجد الأقصى، وهكذا فضل الصلاة في المسجد الأقصى على ساير المساجد.

ويتفاضلون أيضاً بالأحوال: فإنّ الصّلاة في الجماعة في الفريضة أفضل من صلاة الشّخص وحده، وأشباه هذا.

ويتفاضلون بالأعمال: فإنّ الصّلاة أفضل من إماطة الأذى، وقد فضّل الله الأعمال بعضها على بعض.

ويتفاضلون أيضاً في نفس العمل الواحد: كالمتصدّق على رحمه، فيكون صاحب صلة رحم وصدقةٍ، والمتصدّق على غير رحمه دونه في الأجر، وكذلك مَن أهدى هديّة لشريف من أهل البيت أفضل ممّن أهدى لغير شريف، أو بَرَّه أو أحسن إليه.

ووجوه المفاضلة كثيرة في الشرع وإن كانت محصورة، ولكن أريتك

منها أنموذجاً تعرف به ماقصدناه بالمفاضلة.

والرّسل عليهم السلام إنّما ظهر فضلها في الجنّة على غيرها بجنّة الإختصاص، وأمّا بالعمل فهم في جنّات الأعمال بحسب الأحوال كما ذكرنا، فكلّ من فضل غيره ممّن ليس في مقامه فمن جنّات الإختصاص لا من جنّات الأعمال.

(جمع الأعمال والأجور في زمان واحد)

ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة، فيصرّف سمعه فيما ينبغي، في زمان تصريفه بصره، في زمان يده، في زمان صومه، في زمان صدقته، في زمان صلاته، في زمان ذكره، في زمان نيّته من فعل وترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممّن ليس له ذلك.

ولذلك لمّا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢٠١] الثمانية الأبواب من الجنّة أن

---

(٢٠١) قوله: لمّا ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الثمانية الأبواب من الجنّة.

أخرج البخاري في صحيحه ج ٣ كتاب الصوم باب ٩١ الريّان للصائمين، ص ٦٤، الحديث ٦٤ وأيضاً ج ٥ كتاب فضائل الصحابة، باب ٣٥ الحديث ١٨٩، ص ٦٥، بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من أنفق زوجين في سبيل الله نودي مِن أبواب الجنّة ياعبدالله هذا خير، فمَن كان مِن أهل الصلاة دُعي مِن باب الصلاة، ومَن كان مِن أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي مِن باب الريّان، ومَن كان من أهل الصدقة دُعي مِن باب الصدقة، فقال أبو بكر: ماعلى من دُعِي من تلك الأبواب

يدخل من أيّها شاء، قال بعض الصّحابة: يارسول الله وماعلى الإنسان أن يدخل من الأبواب كلّها، قال رسول الله ﷺ:

«أرجو أن تكون منهم يافلان».

فأراد بذلك الصّحابي ماذكرنا أن يكون الإنسان في زمان واحد في أعمال كثيرة تعمّ أبواب الجنّة.

ومن هنا أيضاً يعرف النشأة الآخرة، فكما لا تشبه الجنّة الدنيا في أحوالها كلّها وإن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصيّة، فإنّ الروحانيّة على نشأة الآخره أغلب من الحسيّة، وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا مع كثافة هذه النشأة، فيكون الإنسان بعينه في أماكن كثيرة، وأمّا عامّة النّاس فيدركون ذلك في المنام.

(ابن عربي ورؤياه بناء الكعبة على الفضّة والذهب)

ولقد رأيت رؤيا لنفسي في هذا النوع وأخذتها بشرى من الله، فإنّها مطابقة لحديث نبويّ عن رسول الله ﷺ، حين ضرب لنا مَثَله في الأنبياء عليهم السلام:(٢٠٢)

من ضرورة فهل يُدعى أحد مِن تلك الأبواب كلّها؟ فقال نعم، وأرجوا أن تكون منهم».

(٢٠٢) قوله: حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام.

رواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي، ج ٤ ص ١٢٢، الحديث ٢٠٣. وأخرجه مسلم

«مَثَلي في الأنبياء عليهم السلام مَثَل رجل بَنَىٰ حائطاً فأكمله إلاّ لَبِنةً واحدة، فكنتُ أنا تلك اللَّبِنة، فلا رسول بعدي ولا نبيّ».

فشبّه النبّوة بالحائط، والأنبياء باللَّبِن الّتي قام بها هذا الحائط، (وهو تشبيه في غاية الحسن) فإنّ مسمّى الحائط هذا، المشار إليه لم يصحّ ظهوره إلاّ باللّبن، فكان ﷺ خاتم النبيين.

فكنت بمكّة سنّة تسع وتسعين وخمس مائة، أرى فيها - فيما يرى النائم - الكعبة مبنيّة بلبن فضّة وذهب لَبِنةِ فضّة، ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء ومابقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفتّ إلى الوجه الّذي بين الركن اليمانيّ والركن الشاميّ، هو الى الركن الشاميّ أقرب موضع لبنتين: لبنة فضّة ولبنة ذهب، ينقص في الحائط في الصفين: في الصّف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصّف الّذي يليه ينقص لبنة فضّة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللّبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، وكمل الحائط، ولم يبق في الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر، وأعلم أنّي واقف، وأعلم أنّي تينك اللبنتين لا أشكّ في ذلك وأنّهما عين ذاتي، واستيقظت فشكرت الله تعالىٰ، وقلت متأوّلاً: إنّي في الأَتباع في صنفي كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي، وماذلك على الله بعزيز.

وذكرت حديث النبيّ ﷺ في ضربه المَثل بالحائط وأنّه كان تلك

في صحيحه، ج ٤، كتاب الفضائل باب ٧ ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، خلال أحاديث متعددة، بالفاظ مختلفة. وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤١٢.

اللّبنة. فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكّة من أهل تَوزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وماسميّت له الرّائي مَن هو؟ فالله أسأل أن يتمّها عليّ بكرمه، فإن الإختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأنّ ذلك من فضل الله «يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

(في بيان درجات جنة الأعمال)

واعلم أن جنّة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أنّ النار مائة دَرَك، غير أنّ كلّ درجة تنقسم إلى منازل. فلنذكر من منازلها مايكون لهذه الأمّة المحمّدية وماتفضل به ساير الأمم فإنّها:

﴿خير أمّة أخرجت للنّاس﴾ [آل عمران: ١١٠].

بشهادة الحقّ في القرآن وتعريفه، وهذه المائة درجة في كلّ جنّة من الثمان الجنّات وصورتها جنّة في جنّة، وأعلاها جنّة عدن وهي قصبة الجنّة فيها الكثيب الّذي يكون اجتماع النّاس فيه لرؤية الحقّ تعالىٰ، وهي أعلى جنّة في الجنّات، هي في الجنّات بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار، بين كلّ سورين جنّة، فالّتي تلي جنّة عدن إنّما هي جنّة الفردوس وهي أوسط الجنّات الّتي دون جنّة عدن وأفضلها ثمّ جنة الخلد، ثمّ جنّة النعيم، ثمّ جنّة المأوى، ثمّ دار السّلام، ثمّ دار المقامة.

(كرامة الخاتمﷺ وأمّته)

وأمّا الوسيلة فهي أعلى درجة في جنة عدن، وهي لرسول اللهﷺ

حصلت له بدعاءِ أمّته، فعل ذلك الحقّ سبحانه حكمة أخفاها، فإنّا بسببه نلنا السعادة من الله، وبه كنّا «خير أمّة أخرجت للنّاس»، وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيّين وهو ﷺ بشر كما أمر أن يقول، ولنا وجه خاص إلى الله عزّ وجلّ نناجيه منه ويناجينا، وهكذا كلّ مخلوق له وجه خاصّ إلى ربّه فأمرنا عن أمر الله أن ندعوا بالوسيلة حتّى ينزل فيها، وينالها بدعاء أمّته، فافهم هذا الفضل العظيم، وهذا من باب الغيرة الإلهيّة إن فهمت، فلقد كرّم الله هذا النبيّ وهذه الأمّة.

فتحوي درجات الجنّة من الدَّرج فيها على خمسة آلاف درج ومائة درج وخمسة أدراج لا غير، وقد تزيد على هذا العدد بلا شكّ ولكن ذكرنا منها ماأتفق عليه أهل الكشف، ممّا يجري مجرى الأنواع من الأجناس.

(مختصّات الأمّة المحمّدية من درجات الجنّة)

والّذي اختصّت به هذه الأمّة المحمديّة على سائر الأمم، من هذه الأدراج اثنا عشر درجاً لا غير، لا يشاركها فيها أحد من الأمم، كما فضل ﷺ غيره من الرسل في الأخرة بالوسيلة وفتح باب الشفاعة، وفي الدنيا بستّ لم يُعطَها نبيّ قبله، كما ورد في الحديث[٢٠٣] من حديث

---

(٢٠٣) قوله: كما ورد في الحديث (فضّلت على الأنبياء بستّ)

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤١٢ بإسناده عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «فُضّلت على الأنبياء بست، قيل ماهنّ أي رسول الله ﷺ قال: **أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحِلّت لي الغنائم، وجُعِلَت لي الأرض مسجداً** ←

وطهوراً، وأُرسِلتُ إلى الخلق كافّة، وخُتم بي النبيّون، مَثَلي ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل رجل بنىٰ قصراً فأكمل بناءه وأحسن بنيانه إلاّ موضع لبنة، فنظر الناس إلى القصر فقالوا: ماأحسن بنيان هذا القصر لو تمّت هذه اللبنة، ألا فكنت أنا اللبِنة، ألا فكنت أنا اللبنة».

وأخرجه أيضاً إلى قوله ﷺ: «وختم بي النبيّون»، مسلم في صحيحه ج ١ كتاب المساجد الحديث ٥ ص ٣٧١.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» ص ٥٠ باب معاني أسماء النبيّ ﷺ الحديث ١ بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ:

«منّ عَلَيَّ ربّي، وقال لي: يامحمّد صلّىٰ الله عليك، فقد أرسلت كلّ رسول إلى أمّته بلسانها وأرسلتك إلى كل أحمر وأسود من خلقي، ونصرتك بالرعب الّذي لم أنصر به أحداً، وأحللت لك الغنيمة ولم تحلّ لأحد قبلك، وأعطيت لك ولأمّتك الأرض كلّها مسجداً وترابها طهوراً، وأعطيت لك ولأمتك التكبير، وقرنت ذكرك بذكري حتّى لا يذكرني أحد من أمّتك إلاّ ذكرك مع ذكري، فطوبىٰ لك ولأمّتك».

وروى الشيخ الطوسي في أماليه في الجزء الثاني ص ٥٦، بإسناده عن أبي بصير، عن الباقر عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ الله بعث كلّ نبي كان قبلي إلى أمّته بلسان قومه وبعثني إلى كلّ أسود وأحمر بالعربيّة، وأعطاني في أمتي خمس خصال لم يعطها نبيّاً كان قبلي: نصرني بالرعب ليسمع بي القوم بيني وبينهم مسيرة شهر فيؤمنون بي، وأحلّ لي المغنم، وجعل لي الأرض مسجداً وطهوراً أينما كنت أتيمم من ترابها وأصليّ عليها، وجعل لكل نبيّ مسألة فسألوه إيّاه فأعطاهم ذلك وأعطاني مسألة فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من أمّتي إلى يوم القيامة ففعل ذلك، وأعطاني جوامع العلم ومفاتيح الكلام ولم يعط ماأعطاني نبيّاً قبلي، فمسألتي

مسلم بن الحجاج فذكر منها عموم رسالته وتحليل الغنائم، والنصر بالرعب، وجعلت له الأرض كلّها مسجداً، وجعلت تربتها له طهوراً، وأعطي مفاتيح خزائن الأرض.

(في مراتب أهل الجنّة وأصنافها)

واعلم، أن أهل الجنّة أربعة أصناف: **الرسل**، وهم الأنبياء، **والأولياء** وهم أتباع الرسل على بصيرة وبيّنة من ربهم، **والمؤمنون** وهم المصدّقون بهم عليهم السلام، **والعلماء** بتوحيد الله أنّه لا إله إلاّ هو من حيث الأدلّة العقليّة، قال الله تعالىٰ:

﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم﴾ [آل عمران: ١٨].

وهؤلاء هم الّذين أريد (أريده) بالعلماء، وفيهم يقول الله تعالىٰ:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

بالغة إلى يوم القيامة لمن لقى الله لا يشرك به شيئاً مؤمناً بي موالياً لوصيّي محبّاً لأهل بيتي».

وروي الصدوق في أماليه، في المجلس الثامن والثلاثون، الحديث ٦ ص ١٧٩، بإسناده عن إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلّ لي المغنم، ونُصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلام، وأعطيت الشفاعة».

وأخرج مثلها وقريب منها، مسلم في صحيحه ج ١، كتاب المساجد الحديث ٢، ص ٣٧٠.

وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٠١، وج ٥ ص ١٦١، وج ٤ ص ٤١٦، وج ٣ ص ٣٠٤.

(الطريق الموصل إلى العلم بالله سبحانه هو الكشف والعقل)

والطّريق الموصلة إلى العلم بالله طريقان لا ثالث لهما، ومن وحّد الله من غير هذين الطريقين فهو مقلّد في توحيده،:

الطّريق الواحدة: طريق الكشف، وهو علم ضروريّ يحصل عند الكشف يجده الإنسان في نفسه، لا يقبل معه شبهة ولا يقدر على دفعه ولا يعرف لذلك دليلاً يستند إليه مايجده في نفسه إلاّ بعضهم، فإنّه قال: يعطي الدليل والمدلول في كشفه، فإنّه ما (لا) يعرف إلاّ بالدليل فلابدّ أن يكشف له عن الدليل، وكان يقول بهذه المقالة صاحبنا أبو عبدالله بن الكتاني بمدينة فاس، سمعت ذلك منه وأخبر عن حاله وصدق، وأخطأ في أن الأمر لا يكون إلاّ كذلك، فإنّ غيره يجد ذلك في نفسه ذوقاً من غير أن يكشف له عن الدليل، وإمّا أن يحصل له عن تجلّ إلهيّ يحصل له، وهم الرسل والأنبياء وبعض الأولياء.

والطريق الثاني طريق الفكر والإستدلال بالبرهان العقلي، وهذا الطريق دون الطريق الأوّل، فإنّ صاحب النظر في الدليل قد تدخل عليه الشُبَه القادحة في دليله، فيتكلّف الكشف عنها والبحث على وجه الحقّ في الأمر المطلوب، وماثمّ **طريق ثالث.**

فهؤلاء هم أولوا العلم الّذين شهدوا بتوحيد الله، ولفحول هذه الطبقة من العلماء بتوحيد الله دلالةً ونظر (نظراً) زيادة علم على التوحيد، بتوحيد في الذات بأدلّة قطعيّة لا يُعطاها كلّ أهل الكشف بل بعضهم قد يعطاها.

(طوائف أهل الجنّة ومقاماتهم)

وهؤلاء الأربع الطوائف يتميّزون في جنّات عدن عند رؤية الحقّ في الكثيب الأبيض، وهم فيه على أربعة مقامات:

طائفة منهم أصحاب منابر وهي الطبقة العليا: الرسل والأنبياء.

والطائفة الثانية، هم الأولياء، ورثة الأنبياء قولاً وعملاً وحالاً، وهم على بيّنة من ربهم وهم أصحاب الأسِرَّة والعُرُش.

والطبقة الثالثة، العلماء بالله من طريق النظر البرهاني العقليّ وهم أصحاب الكراسي.

والطبقة الرابعة، وهم المؤمنون المقلّدون في توحيدهم ولهم المراتب، وهم في الحشر مقدّمون على أصحاب النظر العقلي وهم في الكثيب عند النظر يتقدّمون على المقلّدين.

(زيارة أهل الجنان الحق سبّحانه وتجلّيه تعالىٰ لهم)

فإذا أراد الله أن يتجلّى لعباده في الزَّور العام نادى منادي الحقّ في الجنّات كلّها: ياأهل الجنان حيّ على المنّة العظمى والمكانة الزلفىٰ والمنظر الأعلى، هلمّوا إلى زيارة ربّكم في جنّة عدن، فيبادرون إلى جنّة عدن فيدخلونها، وكلّ طائفة قد عرفت مرتبتها ومنزلتها فيجلسون.

ثمّ يؤمر بالموائد فتصَبّ، (فتُنصب) بين أيديهم موائد اختصاص مارأوا مثلها، ولا تخيّلوه في حياتهم ولا جنّاتهم جنّات الأعمال.

وكذلك الطعام، ماذاقوا مثله في منازلهم، وكذلك ماتنالوه من الشراب،

فإذا فرغوا من ذلك خلعت عليهم من الخلع مالم يلبسوا مثلها فيما تقدّم، ومصداق ذلك قولهﷺ:

«فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»(٢٠٤).

فإذا فرغوا من ذلك قاموا إلى كثيب من المسك الأبيض فأخذوا منازلهم فيه على قدر علمهم بالله لا على قدر عملهم، فإن العمل مخصوص بنعيم الجنان لا بمشاهدة الرحمن، فبيناهم على ذلك إذا بنور قد بهرهم فيخرون سجّداً فيسري ذلك النور في أبصارهم ظاهراً، وفي بصائرهم باطناً، وفي أجزاء أبدانهم كلّها، وفي لطائف نفوسهم، فيرجع ويسمع بذاته كلّها، (كما سمع موسىٰ كلام ربّه من جميع الجهات وجميع أعضائه) فهذا يعطيهم ذلك النور فيه يطيقون المشاهدة والرؤية، وهي أتمّ

---

(٢٠٤) قوله: فيها مالا عين رأت.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الجنّة، باب ٥١ الحديث ٤ و٣ و٢، وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٣٩ (صفة الجنة الحديث ٤٣٢٨، ص ١٤٤٧.

ورواه أيضاً ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٠١ الحديث ١٤٨.

تبصرة: لابّد من التأمل في قوله ﷺ «بشر» في هذا الحديث، بأن البشر يكون هكذا، أي أنّ في الجنة كذا وكذا ولكن لا يراها عين البشر، ولا يسمعها أذن البشر ولا يخطر على قلب بشر، معناه أنّه إذا توقّف الإنسان على بشريّته التي هي قشر له، مع أنّ للانسان درجات ومراتب أخرىٰ لابّد من وصوله إليها.

فإذن مَن لم يصل إلى تلك المراتب فهو بشر بعدُ ولم يستطيع أن يُدرك حقيقة الجنّة ومافيها وليس له حظ منها، وأمّا مَن جاوز عن البشريّة ووصل إلى طهارة النفس على مراتبها، يفهم ويدرك ويذوق ويرى ويشهد، وهكذا إلى أقصى المراتب.

من المشاهدة، فيأتيهم رسول (من) الله يقول لهم: «تأهبوا لرؤية ربّكم جلّ جلاله فهاهو يتجلّى لكم»، فيتأهبون فيتجلّى الحقّ جلّ جلاله، (و) بينه وبين خلقه ثلاثة حجب: حجاب العزّة، وحجاب الكبرياء، وحجاب العظمة، فلا يستطيعون نظراً إلى تلك الحجب فيقول الله جلّ جلاله لأعظم الحَجَبة عنده: إرفعوا الحجب بيني وبين عبادي حتّى يروني، فترفع الحجب، فتجلّي لهم الحقّ جلّ جلاله خلف حجاب واحد في إسمه الجليل (الجميل) اللطيف إلى أبصارهم، وكلّهم بصر واحد، فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم، فيكونون به سمعاً كلّهم، وقد أبْهَتَهم جمال الربّ فأشرقت ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس».

قال رسول الله ﷺ من حديث النقاش في مواقف القيامة، وهذا تمامه، فيقول الله جلّ جلاله:

«سلام عليكم عبادي ومرحباً بكم حيّاكم الله، سلام عليكم من الرحمٰن الرحيم الحيّ القيوم،

﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر: ٧٣].

طابت لكم الجنّة، فطيّبوا أنفسكم بالنعيم المقيم، والثواب من الكريم، والخلود الدائم، أنتم المؤمنون الآمنون، وأنا الله المؤمن المهيمن، شققت لكم إسماً من أسمائي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. أنتم أوليائي وجيراني وأصفيائي وخاصّتي وأهل محبّتي، وفي داري سلام عليكم، يامعشر عبادي المسلمين! أنتم المسلمون، وأنا السّلام وداري دار السلام، سأريكم وجهي، كما سمعتم كلامي، فإذا تجليت لكم، وكشفت عن وجهي الحُجب فاحمدوني، وأدخلوا إلى داري غير

محجوبين عنّي بسلام آمنين، فردّوا عليّ وأجلسوا حولي، حتّى تنظروا إليّ وتروني من قريب، فأتحفكم بتُحَفي، وأجيزكم بجوائزي، وأخصّكم بنوري، وأغشيكم بجمالي، وأهب لكم من ملكي، وأفاكهكم بضحكي، وأغلّفكم بيديّ وأشمّكم روحي وأنا ربّكم الّذي كنتم تعبدوني ولم تروني، تحبّوني وتخافوني، وعزّتي وجلالي وعلوّي وكبريائي وبهائي وسنائي، إنّي عنكم راض، وأحبّكم وأحبّ ماتحبّون، ولكم عندي ماتشتهي أنفسكم، وتلذّ أعينكم، ولكم عندي ماتدّعون، وماشئتم وكلّ ماشئتم أشاء. فاسألوني ولا تحتشموا ولا تستحيوا ولا تستوحشوا، وإنّي أنا الله الجواد الغنّي الملّي الوفيّ الصادق.

وهذه داري قد أستكنتكموها، وجنّتي وقد أبحتكموها، ونفسي قد أريتكموها، وهذه يدي ذات الندى والظل مبسوطة ممتدة عليكم لا أقبضها عنكم، أنا أنظر إليكم لا أصرف بصري عنكم، فأسألوني ماشئتم واشتهيتم، فقد آنستكم بنفسي وأنا لكم أنيس وجليس.

فلا حاجة ولا فاقة بعد هذا، ولا بؤس ولا مسكنة، ولا ضعف ولا هرم ولا سخط ولا حرج ولا تحويل أبداً سرمداً.

نعيمكم نعيم الأبد وأنتم الآمنون المقيمون الماكثون المكرمون المنعمون، وأنتم السّادة الأشراف الّذين أطعتموني، وأجتنبتم محارمي فارفعوا إليّ حوائجكم أقضيها لكم، وكرامة ونعمة».

قال: فيقولون: «ربّنا ماكان هذا أمّلنا ولا أمنيّتنا، ولكن حاجتنا إليك: النّظر إلى وجهك الكريم أبداً، ورضىٰ نفسك عنا»، فيقول لهم العليّ الأعلىٰ مالك الملك السخيّ الكريم تبارك وتعالىٰ:

«فهذا وجهي بارز لكم أبداً سرمداً، فانظروا إليه وأبشروا، فإنّ نفسي عنكم راضية فتمتعوا وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وانكحوا، وإلى ولائذكم ففاكهوا، وإلى غرفكم فادخلوا، وإلى بساتينكم فتنزهوا، وإلى دوابّكم فاركبوا، وإلى فرشكم فاتكئوا، وإلى جواريكم وسراريكم في الجنان فاستأنسوا، وإلى هداياكم من ربّكم فاقبلوا، وإلى كسوتكم فالبسوا، وإلى مجالسكم فتحدثوا، ثم قيلوا قائلة لا نوم فيها ولا غائلة في ظل ظليل، وأمن مقيل ومجاورة الجليل، ثمّ روحوا إلى نهر الكوثر، والكافور، والماء المطهّر، والسلسبيل، الزنجبيل، فاغتسلوا، وتنعّموا، طوبى لكم وحسن مآب، ثمّ روحوا فاتكئوا على الرفارف الخضر، والعبقريّ الحسان، والفرش المرفوعة في ظلّ ممدود، والماء المسكوب، والفاكهة الكثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة».

ثم تلا رسول الله ﷺ:

﴿إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم فيها مايدّعون * سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ [يس: ٩ - ٥٦].

ثمّ تلا هذه الآية:

﴿أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥].

إلى هاهنا (هنا) انتهىٰ ماحدّثنا أبو بكر (حديث أبي بكر) النّقاش الّذي أسندناه في باب القيامة قبل هذا في حديث المواقف(٢٠٥).

---

(٢٠٥) قوله: أسندناه في باب القيامة.

(تجلّي الحقّ سبحانه بدون الحجاب)

ثمّ إنّ الحقّ تعالىٰ بعد هذا الخطاب يرفع الحجاب ويتجلّى لعباده فيخرون سجدّاً، فيقول لهم: أرفعوا رؤوسكم فليس هذا موطن سجود، ياعبادي مادعوتكم إلاّ لتنعموا بمشاهدتي، فيمسكهم في ذلك ماشاء الله.

فيقول لهم: «هل بقي لكم شيئ بعد هذا»؟ فيقولون: «ياربّنا، وأيّ شيئ بقي، وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا دار رضوانك وأنزلتنا بجوارك

➲ ذكره في الجزء الثامن والعشرون من الفتوحات، الباب الرابع والستون في معرفة القيامة ومنازلها. الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٠٩، وفي الفتوحات المكيّة (عثمان يحيىٰ) ج ٤ ص ٤٣٧، قال فيه:

فحدثنا شيخنا القصّار بمكّة سنة تسع وتسعين وخمس مائة، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وهو يونس بن يحيىٰ بن الحسين ابن أبي البركات الهاشمي العباسيّ، من لفظه وأنا أسمع، قال: حدثنا أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي، قال: حدثنا أبوبكر محمّد بن عليبن محمّد بن موسى بن جعفرالمعروف بأبن الخياط (المغربي) المقرئ، قال قرئ علىٰ أبي سهل محمود بن عمر بن اسحاق العُكْبري وأنا أسمع، قيل له: حدّثكم رضيى الله عنكم أبو بكر محمّد بن الحسن النقاس؟ قال: نعم، حدّثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي الطبري البزوري قال: حدثنا محمّد بن حُميد الرازي أبو عبدالله قال: حدّثنا سَلَمة بن صالح قال: أخبرنا القاسم بن الحَكَم عن سلام الطويل، عن غياث بن المسيّب، عن عبد الرحمن بن غنم وزيد بن وهب، عن عبدالله ابن مسعود، قال:

كنت جالساً عند علي بن أبي طالب ﷺ، وعنده عبدالله بن عباس، وحوله عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال علي ﷺ: قال رسول الله ﷺ:

«**إنّ في القيامة لخمسين موقفاً...**» وذكر الحديث إلى أن قال: وستأتي بقيّة الحديث إن شاء الله في باب الجنّة.

وخلعت علينا ملابس كرمك وأريتنا وجهك»؟.

فيقول الحقّ جلّ جلاله: «بقىٰ لكم،فيقولون: ياربّنا وماذاك الّذي بقي؟ فيقول: دوام رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبداً».

فما أحلاها من كلمة، وماألذّها من بُشرى، فبدأ سبحانه بالكلام خلقنا فقال: «كن، فأوّل شيئ كان لنا منه السماع، فختم بما به بدأ، فقال هذه المقالة فختم بالسماع وهو هذه البشرىٰ، ويتفاضل الناس في رؤيته سبحانه، ويتفاوتون فيها تفاوتاً عظيماً على قدر علمهم، فمنهم من يقول سبحانه لملائكته: ردُّوهم إلى قصورهم فلا يهتدون لأمرين: لما طرأ عليهم من سكر الرؤية، ولما زادهم من الخير في طريقهم فلم يعرفوها، فلولا أن الملائكة تدلّ بهم ماعرفوا منازلهم، فإذا وصلوا إلى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان، فيرون جميع ملكهم قد اكتسى بهاءاً وجمالاً ونوراً من وجوههم، أفاضوه إفاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم: لقد زدتم نوراً وبهاءاً وجمالاً ماتركناكم عليه، فيقول لهم أهلهم: وكذا كم أنتم قد زدتم من البهاء والجمال مالم يكن فيكم عند مفارقتكم إيّانا فينعم بعضهم ببعض».

(الجنّة فيها الرحمة المطلقة)

واعلم، أنّ الرّاحة والرحمة مطلقة في الجنّة كلّها، وإن كانت الرّاحة (الرحمة) ليست بأمر وجوديّ، وإنّما هي عبارة عن الأمر الّذي يلتذ به ويتنعم (به) المرحوم، وذلك هو الأمر الوجودي فكلّ من في الجنّة متنعّم، وكلّ مافيها نعيم، فحركتهم مافيها نصب وأعمالهم مافيها لغوب إلاّ راحة

النّوم ماعندهم، لأنّهم ماينامون، فما عندهم من نعيم النوم شيء.

(خمود النار رحمة لأهل الجحيم)

ونعيم النوم هو الّذي يتنعم به أهل النار خاصّة، فراحة النوم محلّها جهنّم، ومن رحمة الله بأهل النّار في أيّام عذابهم خمود النار عنهم، ثمّ تُسعر بعد ذلك عليهم فيخفف (فيخف) عنهم بذلك من آلالام العذاب على قدر ماخبت النّار، قال تعالى:

﴿كلّما خبت زدناهم سعيراً﴾ [الإسراء: ٩٧].

وهذا يدلّك أن النار محسوسة بلا شك فإنّ النّار ماتتّصف بهذا الوصف إلاّ من كون قيامها بالأجسام، لأنّ حقيقة النّار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا الزّيادة ولا النقص، وإنّما هو الجسم المحرق بالنار، هو الّذي يُسجر بالناريّة.

وإن حملنا هذه الآية على الوجه الآخر قلنا: قوله تعالى: «كلّما خبت»، يعني النّار المسلّطة على أجسامهم، «زدنا»، يعني: المعذّبين سعيراً، فإنّه لم يقل: زدناها، ومعنى ذلك أنّ العذاب ينقلب إلى بواطنهم فهو (وهو) أشدّ العذاب الحسّي يشغلهم عن العذاب المعنوي، فإذا خبت النّار في ظواهرهم، ووجدوا الرّاحة من حيث حسّهم سلّط الله عليهم في بواطنهم التفكّر فيما كانوا فرّطوا فيه من الأمور الّتي لو عملوا بها لنالوا السعادة، وتسلّط عليهم الوهم بسلطانه فيتوهّمون عذاباً أشدّ ممّا كانوا فيه، فيكون عذابهم بذلك التوهّم في نفوسهم أشدّ من حلول العذاب المقرون بتسلّط النار المحسوسة على أجسامهم، وتلك النار الّتي أعطاها الوهم هي

النار الّتي:

﴿تطلّع على الأفئدة﴾ [الهمزة: ٧].

وهي الّتي قلنا فيها:

النار ناران: نار كلّها لَهَب ... ونار معنىً على الأرواح تطلّع
وهي الّتي مالَها سفع ولا لَهَب ... لكن لها ألمّ في القلب ينطبع

(تحّقق التمنّي في الجنّة)

وكذلك أهل الجنّة يعطيهم الله من الأمانّي والنعيم المتوهّم فوق ماهم عليه، فما هو إلاّ أنّ الشخص منهم يتوهم ذلك أو يتمناه، فيكون فيه بحسب مايتّوهمه أو يتمنّاه إن تمنّاه معنى كان معنى، أو توهّمه حسّاً كان محسوساً أيّ ذلك كان.

أمانّي إن تحصل تكن أحسن المُنىٰ ... وإلاّ فقد عِشنا بها زمناً رغداً

وذلك النعيم من جنّات الإختصاص ونعيمها وهو جزاء لما كان يتوهّم هنا ويتمنّى أن لو قدر وتمكّن أن يكون ممّن لا يعصي الله طرفة عين، وأن يكون من أهل طاعته، وأن يلحق بالصالحين من عباده، ولكن قصُرت به العناية في الدنيا فيُعطىٰ هذا التمنّي في الجنّة فيكون له ماتمنّاه وتوهّمه، وأراحه الله في الدنيا من تلك الأعمال الشاقّة ولحق في الآخرة بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات العُلىٰ.

وقد ثبت عن رسول‌الله ﷺ، في الرّجل الّذي لا قوّة له ولا مال، فيرى ربّ المال الموفّق يتصدق ويعطي ويفكّ الرقاب (في فكّ الرقاب) ويوسّع على الناس ويصل الرحم ويبني المساجد ويعمل أعمالاً لا يمكن أن

يصل إليها إلاّ ربّ المال، ويرى أيضاً من هو أجلد منه على العبادات الّتي ليس في قوّة جسمه أن يقوم بها، ويتمنّىٰ أنّه لو كان له مثل صاحبه من القوّة والمال لعمل مثل عمله، قال ﷺ:

«فهما في الآخرة (الأجر) سواء»(٢٠٦).

ومعنى ذلك أنّه يُعطىٰ في الجنّة مثل ذلك التمني من النعيم الّذي أنتجته تلك الأعمال، فيكون له ماتمنّى وهو أقوىٰ في اللذّة والنعيم ممّا لو وجدوه في الجنّة قبل هذا التمنّي فلمّا انفعل عن تمنّيه كان النعيم به أعلىٰ.

ممن جنّات الإختصاص مايخلق الله له من همّته وتمنّيه، فهو اختصاص عن عمل معقول متوهّم وتمنّ لم يكن له وجود ثمرة في الدنيا

(٢٠٦) قوله: فهما في الأجر سواء.

أخرج ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب الزهد باب ٢١ (النيّة) الحديث ٤٢٢٨، ص ١٤١٣، بإسناده عن أبي كبشة الأنماريّ، عن رسول الله ﷺ قال:

«مَثَل هذه الأمّة كمَثَل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقّه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الّذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سواء.

ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقّه، ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الّذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما في الوزر سواء».

وروي الكليني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ٨٥ الحديث ٣ بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله الصادق ﷺ قال:

«إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: ياربّ ارزقني حتّى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل مايكتب له لو عمله، إنّ الله واسع كريم».

وهو الّذي عنينا بالإختصاص في قولنا:

مــــراتبُ الجــنّة مــقسومة   مابين أعمال وبين اختصاص
فـياأولي الألبـاب سَـبقاً عـلى   نُجُب من أعـمالكم لا مـناص
إن بــلى لم تــعط أطــفالَنا   من أثر الأعمال غير الخلاص
لأنّــه لم يك شــرعاً لهــم   فهو اختصاص ماالديه انتقاص

فأردنا بالإختصاص الثاني، مـالا يكـون عـن تـمنّ ولا تـوهّم وأردنـا بالإختصاص الأوّل مايكون عن تمنّ وتوهّم الّذي هو جـزاءٌ عـن تـمنّ وتوهم في الدنيا.

وأما الأمانّي المذمومة فهي الّتي لا تكون لها ثمرة ولكـن صـاحبها يتنعّم بها في الحال كما قيل:

أمانّي إن تحصُل تكن أحسن المُنى   وإلاّ فقد عِشـنا بـها زَمَـناً رغـداً

ولكن تكون حسرة في المآل، وفيها قال الله تعالى:

﴿وغرّتكم الأمانيّ حتّى جاء أمر الله﴾ [الحديد: ١٤].

وفيها يقال:

﴿أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤].

لأنّه لا مفاضلة بين الخير والشرّ، فما كان خير أصحاب الجنّة أفضل وأحسن إلاّ من كونه واقعاً وجوديّاً محسوساً، فهو أفضل من الخير الّذي كان الكافر يتوهمه في الدنيا ويظنّ أنّه يصل إليه بكفره لجهله فلهذا قال فيه:

«**خير وأحسن**»[(٢٠٧)].

فأتىٰ ببينة المفاضلة وهي، «أفعل»، من كذا، فافهم هذا المعنى، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



---

(٢٠٧) قوله: خير وأحسن

روى الكليني في الأصول ج ٢ ص ٨٤ الحديث ٢، بإسناده عن السكوني، عن الصادق عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم:

«**نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل على نيّته**».

وفي حديث عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، قال: «**نيّة المؤمن أبلغ من عمله**. وفي حديث آخر عن الباقر عليه‌السلام قال: **نيّة المؤمن أفضل من عمله**».

راجع البحار ج ٧٠ ص ٢٠٦ الحديث ٢٣ و١٩، نقلهما عن علل الشرايع للصدوق وعن آمالي الطوسي.

الباب الحادي والستّون(٢٠٨)

في معرفة جهنم وأعظم المخلوقات فيها عـذاباً ومعرفة بعض العالم العلوي

(في أنّ جهنّم سجن الله سبحانه في الآخرة)

إعلم عصمنا الله وإيّاك أنّ جهنّم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطّلة والمشركون وهـي لهـاتين الطـائفتين دار مقامة، والكافرون والمنافقون وأهل الكبائر من المؤمنين قال تعالىٰ:

﴿وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾ [الإسراء: ٨].

ثمّ يخرج بالشفاعة ممّن ذكرنا، وبالإمتنان الإلهي مـن جـاء النـصّ الإلهي فيه.

---

(٢٠٨) قوله: الباب الحادي والستّون.

راجع الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٢٩٧ والفتوحات ط (عثمان يحيىٰ) ج ٤ ص ٣٦٧.

(وجه تسمية جهنّم بجهنّم)

وسميّت جهنّم جهنّم لبعد قعرها، يقال: بئر جهنّم إذا كانت بعيدة القعر، وهي تحوي على حرور وزمهرير، ففيها البرد على أقصىٰ درجاته والحرور على أقصىٰ درجاته، وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين.

(في أن جهنم هل هي موجودة الآن)

وأختلف الناس في خلقها، هل خُلقت بعدُ أو (أم) لم تُخلق؟ والخلاف مشهور فيها، وكلّ واحد من الطائفتين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجّة عنده، وكذلك أختلفوا في الجنّة.

وأمّا عندنا، وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان، غير مخلوقتين.

فأمّا قولنا: مخلوقة، فكرجل أراد أن يبني داراً فأقام حيطانها كلّها الحاوية عليها خاصّة فقال (فيقال): قد بنى داراً فإذا دخلها لم ير إلاّ سوراً دائراً (على) فضاء وساحة، ثمّ بعد ذلك ينشيء بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسراديب ومهالك ومخازن، وماينبغي أن يكون فيها ممّا يريده الساكن أن يجعل فيها من الآلات الّتي تستعمل في عذاب الداخل فيها.

وهي دار حرورها محترق، لا جمر لها سوىٰ بني آدم والأحجار المتّخذة آلهة، والجنّ لَهبُها، قال تعالىٰ:

﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال:

﴿إنّكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾ [الإنبياء: ٩٨].

وقال تعالىٰ:

﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون﴾ [الشعراء:٦-٩٥].

وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ والإنس الّذين يدخلونها.

وأوجدها الله بطالع الثور، ولذلك كان خلقها في الصّورة، صورة الجاموس سواءاً، هذا الّذي يعوّل عليه عندنا.

وبهذه الصورة رآها أبو الحكم بن بُرجان في كشفه، وقد تمثّل لبعض الناس من أهل الكشف في صورة حيّة فيتخيّل أنّ تلك الصورة هي الّتي جعلها الله عليها كأبي القاسم بن قسّي وأمثاله.

ولمّا خلقها الله تعالىٰ، كان زحل في الثّور، وكانت الشّمس والأحمر في القوس، وكان سائر الدراري في الجدي، وخلقها الله تعالىٰ من تجلّي قوله في حديث مسلم:(٢٠٩)

---

(٢٠٩) قوله: في حديث مسلم: فلم تطعمني.

أخرجه المسلم في صحيحه ج ٤ كتاب البرّ باب ١٣ الحديث ٤٣ ص ١٩٩٠، بإسناده عن أبي هريرة عن رسول ﷺ قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: ياابن آدم! مرضت فلم تعدني، قال: ياربّ! كيف أعودك؟ وأنت ربّ العالمين، قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعدْه، أما علمت أنّك لوعدْتَه لوجدتَني عنده؟ ياابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب وكيف أطعِمُك؟ وأنت ربّ العالمين . قال: أما علمت أنّه

«جُعتُ فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ومرضتُ فلم تعُدْني».

وهذا أعظم نزول نزله الحقّ الى عباده في اللطف بهم، فمن هذه الحقيقة خلقت جهنم أعاذنا الله وإيّاكم منها، فلذلك تجبّرت على الجبابرة وقصمت المتكبرين.

(النار والآلام التي فيها من الغضب الألهي)

وجميع مايخلق فيها من الآلام الّتي يجدونها الداخلون فيها من صفة الغضب الإلهّي، ولا يكون ذلك إلاّ عند دخول الخلق فيها من الجنّ والإنس متىٰ دخلوها، وأمّا إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذّون يُسبِّحون لا يفترون، يقول تعالىٰ:

﴿ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوىٰ﴾ [طه: ٨١].

أي ينزل بكم غضبي، فأضاف الغضب إليه، وإذا نزل بهم كانوا محلاً له، وجهنم إنّما هي مكان لهم وهم النازلون فيها وهم محلّ الغضب، وهو النازل بهم فإنّ الغضب هنا هو عين الألم.

⊃ استطعَمَك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنّك لوأطعمتَه لوجدت ذلك عندي؟ ياابن آدم! استسقيتك فلم تسقني، قال: ياربّ! كيف أسقيك؟ وأنت ربّ العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

وأخرج قريب منه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٤٤.

فمن لا معرفة له ممّن يدّعي طريقتنا، ويريد أن يأخذ الأمر بالتمثيل والقوّة والمناسبة في الصفات فيقول: إن جهنم مخلوقة من القهر الإلهي وأنّ الإسم القاهر هو ربّها والمتجلّي لها، ولو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عمّا وجدت له من التسلط على الجبابرة، ولم يتمكن لها أن تقول: «هل من مزيد»؟ ولا أن تقول: أكل بعضي بعضاً فنزول الحقّ برحمته إليها الّتي وسعت كلّ شيء، وحنانه وسّع لها المجال في الدعوى والتسلّط على من تجبّر على من أحسن إليها هذا الإحسان وجميع ماتفعله بالكفار من باب شكر المنعم حيث أنعم عليها فما تعرف منه سبحانه إلاّ النّعمة المطلقة الّتي لا يشوبها مايقابلها فالناس غالطون في شأن خلقها.

ومن أعجب مارويناه عن رسول الله ﷺ:

أنّ رسول الله ﷺ كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا، فقال رسول الله ﷺ:

«أتعرفون ماهذه الهدّة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: حجر أُلقي من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدّة»(٢١٠).

---

(٢١٠) قوله: قال رسول الله ﷺ أتعرفون ماهذه الهّدة؟ ص ٣٤٤

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنة باب ١٢ الحديث ٣١ ص ٢١٨٤ بإسناده عن أبي هريرة قال: كنّا مع رسول ﷺ إذ سمع وجْبةً فقال النبيّ ﷺ: **«تدرون ماهذا؟»** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن، حتّى انتهىٰ إلى قعرها»**.

فما فرغ من كلامهﷺ إلاّ والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر» فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذاك المنافق، وأنّه منذ خلقه الله يهوىٰ في نار جهنّم وبلغ عمره سبعين سنة فلّما مات حصل في قعرها.

قال الله تعالىٰ:

﴿إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النّار﴾ [النساء: ١٤٥].

فكان سماعهم تلك الهدّة الّتي أسمعهم الله، ليعتبروا، فانظر ماأعجب كلام النّبوّة وماألطف تعريفه، وماأحسن إشارته، وماأعذب كلامه ﷺ.

(تخاصم أهل النار في النار)

ولقد سألت الله أن يمثل لي من شأنها ماشاء، فمثّل لي حالة خصامهم فيها وهو قوله تعالىٰ:

﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النار﴾ [ص: ٦٤].

وقوله تعالىٰ:

﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله إنّ كنّا لفي ضلال مبين﴾ [الشعراء:٩٦].

لضلالهم وآلهتهم،

﴿إذ نسوّيكم بربّ العالمين * وما أضلّنا إلاّ المجرمون﴾ [الشعراء: ٩٨ - ٩٩].

يريد بالجرمين أهل النار الّذين يعمرونها ولا يخرجون منها، يمتازون عن الّذين يخرجون منها بشفاعة الشافعين وسابق العناية الإلهيّة في الموحّدين.

(منع التنازع ورفع الصوت عند رسول اللهﷺ)

فهذا مُثّل لي في وقت منها، فما شبّهت خصامهم فيها إلاّ لخصام أصحاب الخلاف في مناظرتهم، إذا استدل أحدهم، فإذا رأيت ذلك تذكرت الحالة الّتي أطّلعني الله عليها، ورأيت الرحمة كلّها في التسليم والتلقي من النبّوة، والوقوف عند الكتاب والسنّة، ولقد عمي النّاس عن قولهﷺ:

«عند نبّي لا ينبغي تنازع»[٢١١].

وحضور حديثه ﷺ كحضوره، لا ينبغي أن يكون عند إيراده تنازع ولا يرفع السامع صوته عند سرد الحديث النبّوي، فإنّ الله يقول:

﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ﴾ [الحجرات: ٢].

ولا فرق عند أهل الله بين صوت النبيّ أو حكاية قوله.

فما لنا إلاّ التهيّؤ لقبول مايرد به المحدّث من كلام النبّوة من غير جدال سواء كان ذلك الحديث جواباً عن سؤال أو أبتداء كلام، فالوقوف عند كلامه ﷺ في المسألة أو النّازلة واجب فمتى ماقيل: قال الله، أو قال

---

(٢١١) قوله: عند نبي لا ينبغي تنازع.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٣ كتاب الوصيّة الحديث ٢٠ ص ١٢٥٧ بإسناده عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عبّاس: يوم الخميس ومايوم الخميس! ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحَصىَ، فقلت، ياابن عباس! ومايوم الخميس؟ قال: اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعُه، فقال:

«أتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي»

فتنازعوا وما (لا) ينبغي عند نبيّ تنازع. الحديث.

وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده ج ١ ص ٢٢٢.

رسول الله، ينبغي أن يقبل ويتأدب السّامع ولا يرفع صوته على صوت المحدّث إذا قال: ماقال الله أو سرد الحديث عن رسول الله ﷺ، يقول الله تعالىٰ:

﴿فأجِرْه حتّى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦].

وماتلاه إلاّ رسول الله ﷺ، وماسمعه السامع إلاّمنه،ثمّ إذا شاركه السامع في حال كلامه فهو ليس بسامع فإنّه من الآداب الّتي أدّب الله بنبيّه ﷺ:

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضي إليك وحيه﴾ [طه: ١١٤].

والله يقول:

﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ [الحجرات: ٢].

وتوعّد على ذلك بحبط العمل من حيث لا يشعر الإنسان، فإنّه يتخيّل في ردّه وخصامه أنّه يذبّ عن دين الله وهذا من مكر الله الّذي قال فيه:

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢].

وقال:

﴿ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ [النمل: ٥٠].

فالعاقل المؤمن الناصح نفسه إذا سمع من يقول: قال الله، أو قال رسول الله ﷺ فلينصت ويُصغي ويتأدّب ويتفهم ماقال رسول الله ﷺ: يقول الله:

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

فاوقع الترجي مع هذه الصفة وماقطع بالرحمة فكيف حال من خاصم ورفع صوته، وداخل التالي وسارد الحديث النبويّ في الكلام وأرجوا أن

يكون الترجي الإلهي واجباً كما يراه العلماء.

ولمّا عاينت هذا المحلّ، رأيت عجباً وفي هذه الرّؤية رأيت اعتماد الماء على الهواء، وهو من أعجب الأشياء في عمارة الأحياز وأن جوهرين لا يكونان في حيّز واحد، وأنّ الحيّز لمن شغله، وفي هذه الرؤية علمت إبطال التوالد، وأنّ المحرّك للأشياء هو الله تعالىٰ، وأنّ السبب لا أثر له في الفعل جملة واحدة، وفي هذه الرؤية علمت أن الألطف أقوى من الأكثف، فإنّ الهواء ألطف من الماء بلا شكّ، وقد منعه ولم يقاومه الماء في القوّة ومنعه من النزول، فإنّي رأيت نفسي في الهواء والماء فوقي ويمنعه الهواء من النزول إلى الأرض، وفي هذه الرؤية علمت علوماً جمّة كثيرة.

(الخصومات مابين أهل النار نفس عذابهم)

وفي هذه الرؤية رأيت من دركات أهل النّار من كونها جهنم لا من كونها ناراً، ماشاء الله أن يطلعني منها، ورأيت فيها موضعاً يسمّى المظلمة، نزلت في درجة نحو خمسة أدراج، ورأيت مهالكها، ثمّ زجّ بي في الماء غلواً (علواً) فاحترقته، وقد رأيت عجباً وعلمت في أحوال مخاصمتهم حيث يختصمون من الجحيم، وأن ذلك الخصام هو نفس عذابهم في تلك الحال، وأن عذابهم في جهنّم ماهو، من جهنّم، وإنّما جهنم دار سكناهم وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متىٰ شاء، فعذابهم من الله وهم محلّ له.

(باب الحجاب عن رؤية الله سبحانه باب من أبواب جهنم)

وخلق الله لجهنّم سبعة أبواب لكلّ باب جزء من العالم ومن العذاب

مقسوم، وهذه الأبواب السبعة مفتّحة، وفيها باب ثامن مغلق لا يفتح وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالىٰ، وعلى كلّ باب ملك من الملائكة، ملائكة السماوات السبع عرفت أسمائهم هنالك وذهبت عن حفظي إلاّ إسماعيل فهو بقي على ذكري.

(الكواكب في جهنم مظلمة)

وأمّا الكواكب كلّها فهي في جهنّم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق، وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنّم دائماً، فشمسها شارقة لا مشرقة، والتكوينات عن سيرها بحسب مايليق بتلك الدار من الكائنات، وماتغيّر فيها من الصور في التبديل والإنتشار، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿النّار يعرضون عليها غدّواً وعشيّاً﴾ [غافر: ٤٦].

والحالة مستمرة، ففي البرزخ يكون العرض وفي الدار الآخرة يكون الدخول.

فذوات الكواكب فيها صورتها، صورة الكسوف عندنا سواءاً، غير أنّ وزن تلك الحركات في تلك الدار خلاف ميزآنهااليوم، فإنّ كسوفها ماينجلي، وهو كسوف في ذاتها لا في أعيننا والهواء فيها (فيه) تطفيف، فيحول بين الأبصار وبين الإدراك الأنوار كلّها، فتبصر الأعين الكواكب المنتشرة غير نيّرة الأجرام كما نعلم قطعاً أنّ الشّمس هنا في ذاتها نيّرة، وأنّ الحجاب القمري هو الّذي منع البصر أن يدركها أو يدرك نور القمر أو

ماكان مكسوفاً (و) لهذا في زمان كسوف لشئ (شئ) منها في موضع يكون في موضع آخر أكثر من ذلك، وفي موضع آخر لا يكون منه شيء.

فلمّا أختلفت الأبصار في إدراك ذلك لاختلاف الأماكن علمنا قطعاً أنّ ثمّ أمراً عارضاً عرض في الطريق حال بين البصر وبينها أو بين نورها، كالقمر يحول بينك وبين إدراك جرم الشمس، وظلّ الأرض يحول بينك وبين القمر لا بينك وبين جرمه مثل ماحال القمر بينك وبين جرم الشّمس، وذلك بحسب مايكون منك وتكون منه، وهكذا سائر الكواكب ولكن أكثر الناس لا يعلمون، كما أنّ أكثر الناس لا يؤمنون، فإنّ ذلك الكسوف كلّه على أختلاف أنواعه خشوع من المكسوف عن (تجلّ) تجلّي إلهي حصل له.

وحدّ جهنّم بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل الجنّة الجنّة من مقعّر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين، فهذا كلّه يزيد في جهنّم ممّا هو الآن ليس مخلوقاً فيها، ولكن معدّ حتّى يظهر (إلاّ) الأماكن الّتي قد عيّنها الله من الأرض، فإنّها ترجع إلى الجنّة يوم القيامة مثل الروضة الّتي بين منبر رسول الله ﷺ وبين قبره، وكلّ مكان عيّنه الشارع وكلّ نهر، فإن ذلك كلّه يصير إلى الجنّة ومابقي فيعود ناراً كلّه وهو من جهنم، ولهذا كان يقول عبدالله بن عمر إذا رأى البحر يقول: يابحر! متىٰ تعود ناراً؟ وقال تعالىٰ:

﴿وإذا البحار سجّرت﴾ [التكوير: ٦].

أي أجّجت ناراً من «سجرت التنّور» إذا أوقدته، وكان ابن عمر يكره الوضوء بماء البحر ويقول: «التيّمم أعجب إليّ منه».

(كشف باطن الأشياء والأعمال وحُسن الأعمال وقبحها الذاتيّان)

ولو كشف الله عن أبصار الخلق لرأوه يتأجّج ناراً ولكن الله يظهر مايشاء ويُخفي، مايشاء ليعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً، وأكثر مايجري هذا الأهل الورع فيرى الطعام الحرام صاحب الورع المحفوظ خنزيراً أو عذرة، والشراب خمراً لا يشك فيما يراه ويراه جليسه قرصة خبز طيّبة، ويرى الشراب ماءاً عذباً، فياليت شعري! مَن هو صاحب الحسّ الصحيح من صاحب الخيال؟ هل الّذي أدرك الحكم الشرعيّ صورة أو هل الّذي أدرك المحسوس في العادة على حاله؟

(رؤية حقيقة الأشياء والأعمال القبيحة والمحرّمة توجب تركها)

وهذا ممّا يقوي مذهب المعتزلة في أن القبيح قبيح لنفسه والحسن حسن لنفسه، وأن الإدراك الصحيح إنّما هو لمن أدرك الشراب الحرام خمراً، فلولا أنّه قبيح لنفسه ماصحّ هذا الكشف لصاحبه ولو كان فعله عين تعلّق الخطاب بالحرمة والقبح ماظهر ذلك الطعام خنزيراً، فإنّ الفعل ماوقع من المكلّف، فإنّ الله أظهر له صورته وأنّه قبيح، حتىٰ لا يقدم على أكله، وهذا بعينه يتصوّر فيمن يدركه على حاله في العادة ولكن هذا أحقّ في الشرع، فيعلم قطعاً أنّ الّذي يراه طعاماً على عادته قد حمل (حيل)

بينه وبين حقيقة حكم الشرع فيه بالقبح ولو كان الشيء قبيحاً بالتقبيح الوضعي لم يصدق قول الشارع في الإخبار عنه: إنّه قبيح أو حسن، فإنّه خبّر بالشيء على خلاف ماهو عليه فإنّ الأحكام أخبار بلا شك عند كلّ عاقل عارف بالكلام فإنّ الله أخبرنا أنّ هذا حرام وهذا حلال ولذا قال تعالىٰ في ذمّ مَن قال عن الله مالم يقل:

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ [النحل: ١١٦].

فإنّه ألحق الحكم بالخبر لأنّه خبر بلاشكّ، إلاّ أنّه ليس في قوّة البشر في أكثر الأشياء إدراك قبح الأشياء ولا حسنها، فإذا عرّفنا الحقّ بها عرفناها، ومنها مايدرك قبحه عقلاً في عرفنا مثل الكذب وكفر المنعم، وحسنه عقلاً مثل الصدق وشكر المنعم، وكون الإثم يتعلّق ببعض أنواع الصدق، والأجر يتعلّق ببعض أنواع الكذب، فذلك لله يعطي الأجر على ماشاءه من قبح وحسن، لا يدل ذلك على حسن الشيء، ولا قبحه، الكذب في نجاة مؤمن من هلاك يؤجَر عليه الإنسان وإن كان الكذب قبيحا في ذاته، والصدق كالغيبة يأثم بها الإنسان وإن كان الصدق حسناً في ذاته، فذاك أمر شرعي يعطي فضله من شاء ويمنعه من شاء كما قال:

﴿يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [آل عمران: ٧٤].

(أشد الخلق عذاباً في النار ابليس)

واعلم أن أشد الخلق عذابا في النار إبليس الّذي تبيّن (سنّ) الشرك وكان (كلّ) مخالفة، وسبب ذلك أنّه مخلوق من النار فعذابه بما خلق منه.

(تأثير النفس والهواء البارد في بقاء حياة الإنسان)

ألا ترىٰ أنّ النَّفَس به يكون حياة الجسم الحسّاس، فإذا مُنع بالشنَق والخنَق خروج ذلك النَفَس، انعكس راجعا إلى القلب فاحرقه (من) في ساعته فهلك لحينه، فبالنَفَس كانت حياته وبه كان هلاكه، وهلاكه على الحقيقة بالنَفَس من كونه متنّفساً لا من كونه ذا نفس، ولا من كونه متنّفساً فقط بل من كونه يجذب بالقوّة الجاذبة نَفَس الهواء البارد إلى قلبه، ويخرج بالقوّة الدافعة النَفَس الحارّ المحرق من قلبه، فسبب هذه الأحوال، بها يكون حياته.

فإنّ الّذي يُرمَى في النار متنفس ولكن لا يخلو من أحد الوجهين: إمّا أنّه لا يتنفّس في النار فيكون حالته حالة المشنوق الّذي يخنق بالحبل، فيقتله نَفَسُه، وإمّا أن يتنّفس فيجذب بالقوّة الجاذبة هواءاً ناريّاً محرقاً إذا وصل الى قلبه أحرقه، فلهذا قلنا في سبب الحياة هذه الأمور كلّها.

فعذاب إبليس في جهنّم بما فيها من الزمهرير، فإنّه يقابل النّار الّذي هوأصل نشأة إبليس فيكون عذابه بالزمهرير، وبما هو نار مركبة، ففيه من ركن الهواء والماء والتّراب، فلابّد أن يعذّب بالنّار على قدر مخصوص، وعامّة عذابه بما يناقض ماهو الغالب عليه في أصل خلقه.

(الجهل عذاب بما أن الحسرة أيضاً عذاب)

والنار ناران: نار حسيّة، وهي المسلّطة على إحساسه وحيوانيتّه وظاهر جسمه وباطنه، ونار معنويّة، وهي «الّتي تطّلع على الأفئدة»،

وبها يتعذّب روح (روحه) المدبّر لهيكله الّذي أُمر فعصى، فمخالفته عذّبته وهي عين جهله بمن استكبر عليه، فلا عذاب على الأرواح أشدّ من الجهل فإنّه غبن كلّه، ولهذا سمّي: «يوم التغابن»، يريد يوم عذاب النفوس، فيقول:

﴿ياحسرتا على مافرطت﴾ [الزمر: ٥٦].

وهو «يوم الحسرة»، يقول يوم الكشف من حسرتُ عن الشّيء، إذا كشفت عنه، فكأنّه يقول: ياليتني حسرتُ عن هذا الأمر في الدنيا فأكون على بصيرة من أمري فيغتبن في نفسه، والتغابن يُدرك في ذلك اليوم، الكلّ، الطائع والعاصي، فالطائع يقول:

«ياليتني بذلت جُهدي، ووفّيت حقّ استطاعتي، وتدبّرت كلام ربّي فعملت بمقتضاه»، مع كونه سعيداً.

والمخالف يقول: «ياليتني لم أخالف ربّي فيما أمرني به ونهاني»، فذلك «يوم التغابن».

ولّما أعلمناك بمرتبة النَّفَس والتنفُّس، إنما جئنا به لتعلم أنّ جهنّم لمّا أختصّ بآلام أهلها صفة الغضب الإلهي، واختصّ بوجودها التنزل الرحماني الآلهي، وجاء في الخبر الصحيح:

«نفس الرحماني»[٢١٢].

---

(٢١٢) قوله: نفس الرحماني

حديث معروف ولكن لم أجد لفظه في جوامع الحديث إلاّ أنّه رواه ابن ابي جمهور في عوالي اللئالي ج ١ ص ٥١ الحديث ٧٤.

مشعراً بصفة الغضب فكان التنّفس ملحقاً صفة الغضب بمن حلّ به ولهذا لمّا أتى نفس الرحمن من قِبل اليمن حلّ الغضب الإلهي بالكفّار بالقتل والسيف الّذي أوقعت بهم الأنصار (الكفّار)، فنَفس الله بذلك عن دينه ونبيّه ﷺ، فإنّ ذا الغضب إذا وجد على من يرسل غضبه تنفّس عنه مايجده من ألم الغضب.

وأكمل الصورة في محمّد ﷺ فقام به على الكفار لأجل ردّهم كلمة الله صفة الغضب، فنَفس الرحمن عنه بما أمره من السيف، ونفس عنه بأصحابه وأنصاره فوجد الراحة فإنّه وجد حيث يرسل غضبه.

فافهم من هذا آلام أهل النّار، والصورة المحمّديّة الحجابيّة على الغضب الإلهي على أعداء الله، و أنّ الآلام أرسلت على الأعداء فقامت بهم

➲ وأخرج ابن حنبل في سنده. ج ٢ ص ٥٤١ بإسناده عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ بلفظ آخر هكذا:

«ألا أنّ الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نَفَس ربّكم من قبل اليمن».

وروا أيضاً ابن أبي جمهور في نفس المصدر الحديث ٧٤ عن النبيّ ﷺ قال:

«لا تسبّوا الريح، فإنّها من نفس الرحمان»

وأخرج ابن الأثير الخرزي في جامع الأصول ج ٤ ص ٣٢٢ الحديث ٢٣٣٢.

عن ابن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

«الريح من روح الله، وروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبّوها، واسألوا الله من خيرها، واستيعذوا بالله من شرّها».

وروي المجلسي في البحار ج ٦٠ ص ١٢ الحديث ١٤، عن تفسير العياشي وهو بسنده المرسل عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تسبّوا الريح، فإنها بشر، وإنها نذر، وإنها لوقح، فاسألوا الله من خيرها وتعوّذوا به من شرّها».

ونفّس الله عن دينه وهو أمره وكلامه وهو عين علمه في خلقه، وعلمه ذاته جلّ وتعالىٰ، وقد بيّنا لك أمر جهنّم من حيث ماهي دار، فلنبين إن شاء الله في الباب الّذي يلي هذا الباب مراتب أهل النّار.

(مراتب الجنّة والنار و وُلاتهما)

ثمّ اعلم أنّ الله قد جعل فيها مائة دَرَك في مقابلة مائة دَرَج الجنّة، ولكلّ درك قوم مخصوص لهم من الغضب الإلهي الحالّ بهم آلام مخصوصة، وإنّ المتولي عذابهم من الولاة الّذين ذكرناهم في الباب قبل هذا من هذا الكتاب، القائم، والإقليد، والجامد، والثابت، والسادن، والجابر، فهؤلاء الأملاك من الولاة الذين يرسلون عليهم العذاب بإذن الله تعالىٰ، ومالك هو الخازن، وأمّا بقيّة الولاة مع هؤلاء الّذين ذكرناهم وهم: الجابر (الحائر)، والسابق، (السائق) والماتح، والعادل، والدائم، والحافظ.

(نشأه أهل النّار تخالف نشأه أهل الجنّة)

فإنّ جميعهم يكونون مع أهل الجنان، وخازن الجنّة، رضوان، وموادّهم (وإمدادهم) إلى أهل النّار مثل إمدادهم إلى أهل الجنّة، فإنّهم يمدّونهم بحقائقم، وحقائقهم لا تختلف، فتقبل كلّ طائفة من أهل الدارين منهم بحسب ماتعطيه نشأتهم، فيقع العذاب بما به يقع النعيم من أجل المحلّ، كما قلنا في المبرود: إنه يتنعّم بحر الشّمس، والمحرور يتعذّب بحر الشّمس، فنفس ماوقع به النعيم به عينه وقع به الألم عند الآخر.

فالله يُنشئنا نشأة النعماء كما قال تعالىٰ في حقّ الأبرار:

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ [المطففين: ٢٤].

أي هم في خلقهم على هذه الصفة، ونشأة أهل النّار مخالف (تخالف) نشأة أهل الجنان، فإنّ نشأة الجنّة إنّما هو من الحقّ سبحان على أيدي الولاة خاصّة، ونشأة أهل النّار على أيدي الولاة والحجّاب والنقباء والسدنة على كثرتهم، فإنّه لا يُحصى عددهم إلاّ الله، ولكلّ (ملك) منهم في هذه النشأة الدنياويّة، (ونشأة الآخر) و(نشأ النار) ونشأة أهلها، حكم سخره الله في ذلك، فهم كالفعلة في المملكة، وإنشاء الدار المبنية.

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



الباب الثاني والستّون[٢١٣]

في مراتب أهل النار

يقول الله تعالىٰ من كرمه لإبليس، وعموم رحمته حين قال له:

﴿أرأيتك هذا الّذي كرّمت عليّ(....) لأحْتَنِكنّ ذريّته إلاّ قليلاً﴾ قال اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ واستفزز مَن استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم﴾ [الاسراء: ٦٢ - ٦٤].

فما جاء ابليس إلاّ بأمر الله تعالىٰ فهو أمر إلهيّ يتضّمن وعيداً وتهديداً، وكان ابتلاءاً شديداً في حقّنا ليريه تعالىٰ أنّ في ذرّيته من ليس لابليس عليه سلطان ولا قوة.

ثمّ إنّ الّذين خذلهم الله من العباد جعلهم طائفتين لا يضرّهم الذنوب

---

(٢١٣) قوله: الباب الثاني والستون.

راجع الفتوحات المكيّة ج ١ ص ٣٠١ والفتوحات المكية (عثمان يحيىٰ) ج ٤ ص٣٩١.

الّتي وقعت منهم وهو قوله:

﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فلا تمسّهم النار بما تاب الله عليهم، واستغفار الملأ الأعلى لهم ودعائه لهذه الطائفة، وطائفة أخرى أخذهم الله بذنوبهم، قسّمهم بقسمين:

قسم أخرجهم الله من النّار بشفاعة الشافعين وهم أهل الكبار من المؤمنين، وبالعناية الإلهيّة وهم أهل التوحيد بالنظر العقلي.

وقسم آخر أبقاهم الله في النّار الّذين هم أهلها وهم المجرمون خاصّة الّذين يقول الله فيهم:

﴿وامتازوا اليوم أيّها المجرمون﴾ [يس: ٥٩].

أي المستحقون بأن يكونوا أهلاً لسكنىٰ هذه الدار الّتي هي جهنّم يعمرونها ممّن يخرج منها إلى الدار الآخرة الّتي هي الجنّة.

(المخلّدون في النّار)

وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلّها في النار لا يخرجون منها وهم: المتكبرون على الله كفرعون وأمثاله ممّن أدّعى الرّبوبيّة لنفسه، ونفاها عن الله فقال:

﴿ياأيّها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨].

وقال:

﴿أنا ربّكم الأعلىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

يريد أنّه مافي السماء إله غيري وكذلك نمرود وغيره.

والطايفة الثانية المشركون وهم الّذين يجعلون مع الله آلهاً آخر

فقالوا:

﴿مانعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣].

وقالوا:

﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنّ هذا لشيء عجاب﴾ [ص: ٥].

والطائفة الثالثة المعطّلة وهم الّذين نفوا الإله جملة واحدة، فلم يثبتوا إلهاً للعالم ولا من العالم.

والطايفة الرابعة، المنافقون، وهم الّذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف للقهر الّذي حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم، وهم في نفوسهم على ماهم عليه من اعتقاد هؤلاء الطوائف الثلاث.

فهؤلاء أربعة أصناف، هم الّذين هم أهل النار لا يخرجون منها من جنّ وإنس، وإنّما كانوا أربعة، لأنّ الله تعالىٰ ذكر عن ابليس أنّه «يأتينا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا»، ويأتي للمشركين من «بين يديه»، ويأتي للمعطّل «من خلفه»، ويأتي إلى المتكبّر «عن يمينه»، ويأتي إلى المنافق من «عن شماله»، وهو الجانب الأضعف، فإنّه أضعف الطوائف، كما أنّ الشمال أضعف من اليمين، وجعل المتكبّر من اليمين لأنّه محلّ القوة، فكبّر (فتكبّر) لقوّته الّتي أحسّها من نفسه، وجاء للمشرك من بين يديه، فإنّه رأى إذ كان بين يديه (جهةً) عينيّةً فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره، فجعله إبليس يشرك مع الله في ألوهيّته، وجاء للمعطّل من خلفه، فإنّ الخلف ماهو محلّ النظر فقال له: ماثمّ شيء أي مافي الوجود إله.

(منازل عذاب أهل النار)

ثم قال الله تعالىٰ في جهنم:

﴿لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر: ٤٤].

فهذه أربع مراتب لهم من كلّ باب من أبواب جهنّم جزء مقسوم، وهي منازل عذابهم، فإذا ضربت الإربعة الّتي هي المراتب الّتي دخل عليهم منها إبليس في السّبعة الأبواب كان الخارج ثمانيّة وعشرين منزلاً، وكذلك جعل الله المنازل الّتي قدّرها الله المفرد للإنسان (المفرد) وهو القمر وغيره من السيّارة الجنّس الكنّس تشير (تسير) فيها وتنزلها لإيجاد الكاينات، فيكون عند هذا السيّر مايكون من الأفعال في العالم العنصري، فإنّ هذه السيّارة قد انحصرت في أربع طبايع مضروبة في ذواتها وهنّ سبعة، فخرج منها منازلها الثمانية والعشرون وذلك تقدير العزيز العليم كما قال:

﴿كلّ في فلك يسبحون﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وكان ممّا ظهر عن هذا التسيّر (التسيير) الإلهي في هذه الثمانية والعشرون وجود ثمانية وعشرين حرفاً ألّف الله الكلمات منها، وظهر الكفر في العالَم والإيمان بأن تكلّم كلّ شخص بما في نفس من إيمان وكفر وكذب وصدق لتقوى (لتقوم) الحجّة على عباده ظاهراً بما تلفظوا به ووكّل بهم يكتبون بما تلفظوا به، قال تعالىٰ:

﴿كراماً كاتبين﴾ [الانفطار: ١١].

وقال:

﴿مايلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨].

فجعل منازل النار ثمانية وعشرين منزلاً، وجهنم كلّها مائة درك من أعلاها إلى أسفلها، نظائر درج الجنّة فيها السعداء، وفي كلّ درك من هذه الدركات ثمانية وعشرين منزلاً، فإذا ضربت ثمانية وعشرين في مائة كان الخارج من ذلك ألفي وثمان مائة منزل، فهي الثمانية والعشرون مائة، فما برحت الثمانية والعشرون تصحبنا، وهذه منازل النار.

فلكلّ طايفة من الأربع، سبع مائة نوع من العذاب، وهم أربع طوائف فالمجموع ثمان وعشرون مائة نوع من العذاب، كما لأهل الجنّة سواء من الثواب يبين ذلك في صدقاتهم:

﴿كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة﴾ [البقرة: ٢٦١].

فالمجموع سبع مائة، وهم أربع طوائف: رسل، وأنبياء، وأولياء، ومؤمنون، فلكلّ متصدّق من هؤلاء الأربعة سبع مائة ضعف من النعيم في عملهم.

فانظر ما أعجب القرآن في بيانه الشافي، وموازنته في خلفه في الدارين: الجنّة والنار، لإقامة العدل على السواء في باب جزاء النعيم وجزاء العذاب، فبهذا القدر يقع الإشتراك بين أهل الجنّة وأهل النّار للتساوي في عدد الدَّرَج والدَّرَك، ويقع الإمتياز بأمر آخر، وذلك أنّ النار امتازت عن الجنّة بأنّه ليس في النار دَرَكات اختصاص إلهي، ولا عذاب اختصاصّي إلهيّ من الله، فإنّ الله ماعرّفنا قطّ أنّه اختصّ بنقمته من يشاء، كما أخبرنا أنّه يختصّ برحمته من يشاء وبفضله، فالجنّة في نعيمها مخالف لميزان عذاب أهل النار، فأهل النار معذّبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنّة ينعّمون بأعمالهم في جنات الأعمال وبغير أعمالهم في جنات الإختصاص.

(جنات أهل السعادة)

فلأهل السعادة ثلاث جنات: **جنّة أعمال، وجنّة اختصاص وجنّة ميراث**، وذلك أنّه مامن شخص من الجنّ والإنس، إلاّ وله في الجنّة موضع، وفي النار موضع، وذلك لإمكانه الأصلي، فإنّه قبل كونه يمكن أن يكون له البقاء في العدم، أو يوجد، فمن هذه الحقيقة له قبول النعيم وقبول العذاب، فالجنّة تطلب الجميع والجميع يطلبها، والنار تطلب الجميع والجميع يطلبها، فإنّ الله يقول:

﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [النحل: ٩].

أي أنتم قابلون لذلك، ولكن حقّت الكلمة، وسبق العلم، ونفذت المشيئة، فلا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

فينزل أهل الجنّة في الجنّة على أعمالهم، ولهم جنات الميراث وهي الّتي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنّة، ولهم جنات الإختصاص، يقول الله تعالىٰ:

﴿تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّاً﴾ [مريم: ٦٣].

فهذه الجنّة الّتي حصلت لهم بطريق الورث من أهل النار الّذين هم أهلها، إذ لم يكن في علم الله أن يدخلوها، ولم يقل في أهل النار أنهم يرثون من النار أماكن أهل الجنّة لو دخلوا النار، وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله سبحانه، فما نزل من نزل في النار من أهلها إلاّ بأعمالهم، ولهذا يبقى فيها أماكن خالية، وهي الأماكن الّتي لو دخلها أهل الجنّة عَمَروها فيخلق الله خلقاً يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنّة تعذّبوا

وهو قوله ﷺ:

فيضع الجبار(٢١٤) فيها قدمه، فتقول قط قط، أي حسبي حسبي . فإنّه

---

(٢١٤) قوله: قوله ﷺ: فيضع الجبار.

أخرج البخاري في صحيحه ج ٦ ص كتاب التفسير، سورة ق، ص ٥١٤ الحديث ١٢٧٣ باسناد عن أنس عن النبيّ ﷺ قال:

«يُلقىٰ في النار وتقول: هل من مزيد حتّى يضع قدمه فتقول: قَطْ قَطْ»

وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال:

«يقال لجهنّم: هل أمتلأتِ وتقول: هل من مزيد، فيضع الربّ تبارك وتعالىٰ قدمه عليها، فتقول: قط قط».

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«تحاجّت الجنّة والنار، فقالت النار أوثرت بالمتكبّرين والمتجبّرين، وقالت الجنّة مالي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالىٰ للجنّة: أنت رحمتي أرحم بكِ مَن أشاء من عبادي، وقال للنّار: إنّما أنتِ عذاب أعذّبِ بكِ من أشاء من عبادي ولكلّ واحدة منهما مِلؤها، فأمّا النّار فلا تمتلىءُ حتّى يضع رِجله، فتقول قَط قط قط، فهنالك تمتلي ويُزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عزّ وجلّ مِن خلقه أحداً، وأمّا الجنّة فإنّ الله عزّ وجلّ ينشيء لها خلقاً».

وأخرج مثلها مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنة ص ٢١٨٦، الحديث ٣٥ و٣٧ و٣٨، وابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٣٦٩، وج ٣ ص ١٣.

وروي القمي في تفسيره ج ٢ ص ٣٢٦، بإسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، عن رسول‌الله ﷺ في قوله تعالىٰ:

«يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» [ق:]

قال: «هو استفهام لأنّ الله وعد النار أن يملأها فتمتلي النار، فيقول لها: هل امتلأتِ؟ وتقول: هل من مزيد؟ على حدّ الاستفهام، أي ليس فيّ مزيد، قال: فتقول الجنّة: ياربّ وعدت النار أن تملأها ووعدتني أن تملأني فِلم لم تملأنيي وقد ملأت، قال: فيخلق الله

تعالىٰ يقول لها: «هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد»؟.

فإنّه قال للجنّة والنار: لكلّ واحدة منكما ملؤها، فما اشترط لهما إلاّ أن يملأهما خلقاً، وما اشترط عذاب من يملؤها بهم ولا نعيمهم، وإنّ الجنّة أوسع من النار بلاشك، فإنّ عرضها السماوات والأرض فما ظنك بطولها؟ فهي النّار (للنّار) كمحيط الدائرة ممّا يحوي عليه وفي التنزلات الموصلة رسمناها وبيّناها على ما هي في نفسها في باب: يوم الإثنين، والنار عرضها قدر الحظّ الّذي يميّز قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة، فأين هذا الضيق من تلك السعة؟

وسبب هذا الإتّصال (الإتساع) جنّات الإختصاص الإلهي، فورد في الخبر:

«إنّه يبقى أيضاً في الجنّة أماكن مافيها أحد، فيخلق الله خلقاً للنعيم يعمرها لهم (بهم) وهو أن يضع الرحمٰن فيها قدمه»(٢١٥).

وليس ذلك إلاّ في جنّات الإختصاص،

﴿فالحكم لله العليّ الكبير﴾ [غافر: ١٢].

﴿يختصّ من يشاء برحمته والله ذو الفضل العظيم﴾ [آل عمران: ٧٤].

فمن كرمه أنّه تعالىٰ ماأنزل أهل النّار إلاّ على أعمالهم خاصة.

وأمّا قوله تعالىٰ:

خلقاً يومئذ يملأ بهم الجنّة، قال أبو عبدالله عليه السلام:

«طوبىٰ لهم إنّهم لم يروا غموم الدنيا وهمومها».

(٢١٥) قوله: يضع الرحمن فيها قدمه:

راجع التعليق ٢١٤ والتعليق ١٩٤ و١٩٣.

﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ [النحل: ٨٨].

فذلك لطائفة مخصوصة، وهم: الأئمّة المضلّون، يقول تعالىٰ:

﴿ولَيَحْمِلُنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣].

وهم الّذين أضلّوا العباد، وأدخلوا عليهم الشبه المضلّة، فحادوا بها عن سواء السبيل، فضلّوا وأضلّوا، وقالوا لهم:

﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢].

يقول (الله):

﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنّهم لكاذبون﴾ [العنكبوت:١٢].

في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم، والذين أضلّوهم يحملون أيضاً خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم، ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء.

يقول ﷺ:

«من سنّ سنّة سيّئة فله وزرها ووزر من عمل بها، دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»(٢١٦).

---

(٢١٦) قوله: مَن سنّ سنّة.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب العلم، باب ٦ ص ٢٠٥ الحديث ١٥.

وأيضاً في ج ٢ كتاب الزكاة باب ٢٠ ص ٧٠٥ الحديث ٦٩.

وروى الصدوق في «ثواب الاعمال» ص ١٦١ الحديث بإسناده عن الباقر عليه السلام قال:

«أيّما عبد من عباد الله سنّ سنّة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيّما عبد من عباد الله سنّ سنّة ضلالة كان عليه

فهو قوله تعالى:

﴿ثمّ أزدادوا كفراً﴾ [آل عمران: ٩٠ - والنساء: ١٣٥].

فهؤلاء قيل فيهم:

﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ [النحل: ٨٨].

فما أنزلوا من النار إلاّ منازل استحقاق، بخلاف الجنّة، فإنّ أهل الجنّة أنزلوا فيها منازل استحقاق مثل الكفّار في النار بأعمالهم، وأنزلوا أيضاً منازل وراثة ومنازل اختصاص، وليس ذلك في أهل النار.

ولابّد لأهل النّار من فضل الله ورحمته في نفس النار، بعد انقضاء مدّة موازنة أزمان العمل، فيفقدون الإحساس* فالآلام (بالآلام) في نفس

مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وروي مثله البرقي في «المحاسن» كتاب ثواب الأعمال باب ٧ و ٦، ص ٢٧، الحديث ٩ و ٨.

وعنهما البحار ج ٧١ ص ٢٥٨ الحديث ٦ و ٥.

(*) قوله: فيفقدون الإحساس.

(رسالة في الخلود)

من جملة الموضوعات القرآنيّة: موضوع «الخلود في النّار» والعمدة في البحث هو خلود بعض النّاس في النّار، بمعنى: «بقاء الأبدي في العذاب».

وما ذكر في المقام: بأنّ معنى الخلود هو المكث الطويل، ليس بصحيح، لأنّ «الخلود» كما استُعمل في اللغة بمعنى الزمان الطويل كذلك استُعمل أيضاً بمعنى الدّوام والأبد.

قال في الصحاح: الخُلد: «دوام البقاء».

وقال في لسان العرب: الخُلد: «دوام البقاء في دار لايخرج منها، وأهل الجنّة خالدون، مخلّدون آخر الأبد».

⬅ **أقول:** الظاهر أنّ الأصل في معنى الخلود هو البقاء الدائميّ الأبدي، ولكن حيث إنّ الدنيا دار فناء ودوامُه يكون بزمان طويل، استُعمل لفظ الخلود في أمور الدنيا والنشأة الطبيعة، بمعنى المكث الطويل والمدّة الطويلة.

قال الراغب: «الخلود تبرّي الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة الّتي هو عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود.

والخَلْدُ إسمٌ للجزء الّذي يبقى من الإنسان على حالته فلايستحيل مادام الإنسان حيّاً استحالة سائر أجزائه، وأصل المخلّد الّذي يبقى مدّةً طويلةً.

وأمّا معنى الخلود في القرآن فهو أيضاً جاء بمعنى الأبد غالباً، إمّا حقيقة، وإمّا كناية مع القرنية المتّصلة تصريحاً، كما في قوله تعالى:

﴿**ويدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً**﴾ [التغابن: ٩].

وفي قوله تعالى:

﴿**إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لايجدون وليّاً ولا نصيراً**﴾ [الأحزاب: ٦٥ و ٦٤].

وفي قوله تعالى:

﴿**فأمّا الّذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها مادامت السّموات والأرض**﴾ [هود: ١٠٧ و ١٠٦].

وحيث إنّ الدار الآخرة دار حَيَوان ودار بقاء، السّماوات والأرض المختصّة لدار الآخرة أيضاً باقية وأبديّة.

لقوله تعالى:

﴿**وما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾ [النحل: ٩٦].

ومعلوم أنّ السّماوات والأرض في دارالآخرة تكون من سنخها فهي غير السماوات والأرض في هذه النشأء الدنياويّة، لقوله تعالى:

﴿**يوم تبدّل الارض غير الأرض والسموات**﴾ [إبراهيم:٤٨].

⬅

فنقول: لاخلاف ولاشكّ في أنّ النّار دائميّ أبديّ بالنسبة إلى بعض النّاس، كما تدلّ عليه الآيات والأحاديث مثل قوله تعالى:

﴿كذلك يريهم الله أعمالَهم حسراتٍ عليهم و ما هم بخارجين من النّار﴾ [البقرة: ١٦٧].

وأمّا العذاب، فهل هو أيضاً مستمر و أبديّ بالنسبة إلى البعض كما هو محقّق ابتداءاً، أم لا بل يتبدّل العذب مع بقاء النّار على حالها؟.

المشهور عند المحققين من علماء المسلمين: أنّ العذاب أبديّ كما أنّ النّار أبديّة، كما يستفاد من الآيات القرآنيّة و سيأتي بيانه.

ولكن يرى بعض المحققين في بعض أحوالهم وقال في بعض أقوالهم: بأنّ العذاب سوف ينقطع و ينتهي ولو أنّ النّار تبقى أبداً.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين العربي:

«يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله و أهل النّار بعدل الله، و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيّات، فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازياً لمدّة العمر في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيم في الدار الّتي يخلدون فيها بحيث إنّهم لو دخلوا الجنّة تألّموا لعدم موافقة الطبع الّذي جبلوا عليه، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيّات و العقارب كما يلتذّ أهل الجنّة بالظلال و النور و لثم الحسان من الحور، لأنّ طبائعهم يقتضي ذلك». (راجع الأسفار ج ٩، ص ٣٤٩)

وقال أيضاً: «و قد وجدنا في نفوسنا ممّن جبل على رحمة لو حكمه الله في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالَم، والله قد أعطاه هذه الصفة و معطي الكمال أحقّ به، و صاحب هذه أنا وأمثالي، و نحن عباد مخلوقون أصحاب أهواء وأغراض. ولاشكّ أنّه ـ سبحانه ـ أرحم بخلقه، وقد قال عن نفسه ـ جلّ علاؤه ـ: إنّه أرحم الراحمين، فلا شكّ أنّه أرحم منّا بخلقه، و نحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة

في الرّحمة» انتهى. (علم اليقين للفيض الكاشاني، ج ٢ ص ١٠٨٦).

وقال القيصري:

«واعلم أنّ كلّ مَن اكتحلت عينه بنور الحقّ، يعلم أنّ العالم بأسره عباداللّه، و ليس لهم وجود و صفة وفعل إلاّ باللّه و حوله و قوّته، و كلّهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمان الرحيم، و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لايعذّب أحداً عذاباً أبداً، وليس ذلك المقدار من العذاب أيضاً إلاّ لأجل إيصالهم يكدّره و ينقص عياره، فهو متضمّن لعين اللطف و الرحمة». (شرح القيصري للفصوص الفصّ الهوديّ، ص ٧٢٦).

قال محيي الدين ابن عربي في فصوص الحكم (آخر فصّ حكمة عليّة في كلمة اسماعيليّة):

«و إن دخلوا دار الشقاء فإنّهم ... على لذّة فيها نعيم مباين
نعيمَ جنان الخلد فالأمر واحد ... و بينهما عند التجلّي تباين
يسمّى عذاباً من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صائن»

قال كما الدين عبدالرزّاق في شرحه للفصوص:

«قال: «و إن دخلوا دارالشقاء» و هي جهنّم لاستحقاق العقاب فلا بدّ أن يؤل أمرهم إلى الرحمة لقوله: «سبقت رحمتي غضبي» فينقلب العذاب في العاقبة عذباً.

وذلك أنّ أهل النّار إذا دخلوها و تسلّط عليهم العذاب بظواهرهم و بواطنهم هلكهم الجزع و الإضطرار، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً متخاصمين متقاولين، كما نطق به كلام اللّه في مواضع، و قد أحاط بهم سرادقها، فطلبوا أنّ يخفّف عنهم العذاب أو أن يقضي عليهم، كما حكى اللّه عنهم بقوله:

﴿يا مالك ليقض علينا ربّك﴾ [الزخرف: ٧٧].

أو أن يرجعوا إلى الدنيا، فلم يجابوا إلى طلباتهم بل أخبروا بقوله:

«لايخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون»

و خوطبوا بمثل قوله:
﴿إنّكم ماكثون﴾ [الزخرف: ٧٧].
﴿اخسئوا فيها و لا تكلّمون﴾ [المؤمنون: ١٠٧].
فلمّا يئسوا و وطّنوا أنفسهم على العذاب و المكث على مرّ السنين و الأحقاب، و تعلّلوا بالأعذار، (وتغللوا بالأغلال) و مالوا إلى الاضطراب (و مالوا إلى الإصطبار) و قالوا:
﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ [ابراهيم: ٢١].
فعند ذلك دفع الله العذاب عن بواطنهم، وخبت نارالله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة.
ثمّ إذا تعوّدوا بالعذاب بعد مضي الأحقاب ألفوه و لم يتعذّبوا بشدّته بعد طول مدّته و لم يتألّموا به و إن عظم، ثمّ آل أمرهم إلى أن يتلذّذوا به ويستعذبوه حتّى لو هبّ عليهم نسيم من الجنّة استكرهوه و تعذّبوا به كالجعل و تأذّيه برائحة الوَرد لتألّفه بنتن الأوراث والقاذورات.
فذلك نعيمهم الّذي تباين نعيم أهل الجنان، والأمر واحد أي أمر إلا لتذاذ والتنعم بينهم وبين أهل الجنان واحد، و اشمئزازهم عن نعيم الجنان كاشمئزاز أهل الجنّة عن عذاب النيران، وبينهما أي بين نعيم أهل الجنّة و نعيم أهل النّار عند تجلّي الحقّ في صورة الرحمن بون بعيد.»
وراجع أيضاً شرح الفصوص للقيصري، و «علم اليقين» للمفيض الكاشاني ج ٢ ص ١٠٨٥.
قال صدر المتألّهين الشيرازي:
«الجوهر النفساني من الإنسان لايقبل الفساة، فإمّا أن يزول الهيئات الردية بزوال أسبابها فيعود إلى الفطرة و يدخل الجنّة إن لم تكن الهيئات من باب الإعتقادات كالشرك، و إلاّ فتنقلب إلى فطرة أخرى و يخلص من الألم و العذاب». (الأسفار الاربعة ج ٩ ص ٣٥١).
وقال أيضاً:

«و عندنا أيضاً أصول دالّة على أنّ الجحيم و آلامها و شرورها دائمة بأهلها، كما إنّ الجنّة ونعيمها و خيراتها دائمة بأهلها إلاّ أنّ لكلّ منهما على معنى آخر» (الأسفار الأربعة ج ٩ ص ٣٤٨).

قال السبزواري في التعليق:

«أي الدوام للنعيم شخصيّ وللألم نوعيّ، فنوع المعذّب المتألّم محفوظ بتعاقب الأشخاص». (المصدر السابق)

أقول: كأنّ صدر المتألهين أيّد كلام محيي الدين، ومقصوده: أنّ المراد بدوام النّار هو أنّ أهل النّار يبقون فيها دائماً، أي دوام النّار بدوام أهلها فيها مطلقاً لابدوام الأشخاص بعينهم فيها، يعني أنّ النّار دائميّ و فيها يوجد من المجرمين و الكفّار دائماً، و أمّا الأشخاص و الأفراد بعينهم فليس كذلك، أي لايبقى في النّار كل كافر و كل معاند أبداً بل بالتناوب، لكن فيها كافر و معاند دائماً.

هذا ما قاله هؤلاء الأجلّة، ولكن لايمكن المساعدة عليهم في هذه القول، لأنّه يخالف و يختلف لما استفدناه من القرآن الكريم من دوام العذاب كما في الآيات التالية القرآنيّة.

﴿إنّ الله لعن الكافرين و أعدّلهم سعيراً ۞ خالدين فيها أبداً لايجدون وليّاً و لانصيراً﴾ [الأحزاب: ٦٥ و ٦٤].

﴿إنّ الّذين كفروا وماتوا و هم كفّار أولئك عليهم لعنة الله و الملائكة والنّاس اجمعين ۞ خالدين فيها لايخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون﴾ [البقرة: ١٦٢ و ١٦١].

﴿وكذلك نجزى مَن أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى﴾ [طه: ١٢٧].

إضافة على هذا، وليعلم أنّ للعذاب في الجحيم في الآخرة أنواع، والقرآن الكريم ناطق بأنّ العذاب لاينحصر بعذاب النّار بل هناك عذاب غير عذاب النّار، كما يستفاد من الأحاديث أيضاً، قال أميرالمؤمنين عليه السلام في دعا كميل: «وربّي صبرت على حرّ نارك

فكيف أصبر على فِراقك».

قيل: فإنّ نار الفراق ناراﷲ الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة، ونار جهنّم لاشغل لها إلا مع الأجسام و ألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد، و لذلك قيل:

ففي فؤاد المحبّ نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها

(علم اليقين ج ٢ ص ١٠٧١)

قال تعالى:

﴿أن تقول نفس يا حسرتىٰ على ما فرّطت في جنب الله﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال:

﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال:

﴿لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون﴾ [المائدة: ٥].

السخط والحسرة من أشدّ انواع العذاب، و هما لاينقطعان، كما أنّ الرضوان ألذّ من الجنّة ونعيمها بمراتب لايوصف.

وأيضاً يقول القرآن الكريم: بأنّ وقود جهنم هو نفس الإنسان، والعذاب يُنشأ منه، وكيف يفارق الشيء عن نفسه؟

قال تعالى:

﴿فاتّقوا النّار الّتي وقودها النّاس و الحجارة﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال:

﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبَ جهنّم﴾ [الأنبياء:٩٨].

و قال:

﴿و أمّا القاسطون فكانوا الجهنّم حطباً﴾ [الجنّ: ١٥].

➲ قال سيّدنا الأستاذ السيّد مرتضى بن رضي الدّين بن أحمد الموسوي الشهير بالمستنبط الغروى (رحمة الله تعالى عليه) في كتابه القيّم «مواهب الرّحمٰن في تفسير القرآن» ج ٣٠ في تفسير الآية:

﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ [النبأ: ٢٣].

اللبث على ما صرّح به أرباب اللغة: المكث. فإنّهم قالوا: لبث في المكان أي مكث وأقام، وكذا مكث في المكان أي لبث وأقام.

ويظهر من ذلك أنّهما مترادفان، والحقّ عدمه، والفرق بينهما على ما يستنبط من آيات الكتاب الحكيم: أنّ الإقامة في المكان إن كان مع رجاء الخير و الفلاح يطلق عليها المكث، وإن لم يلاحظ فيها الخير يطلق عليها اللبث.

فمن موارد اتيان المكث قوله تعالى:

﴿وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالى:

﴿لتقرأه على النّاس على مكث﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقوله تعالى:

﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به﴾ [النمل: ٢٢].

وقوله تعالى:

﴿ماكثين فيه أبداً﴾ [الكهف: ٣].

وقوله تعالى:

﴿فقال لأهله امكثوا إنّي ءآنست ناراً﴾ [طه: ١٠].

وقوله تعالى:

﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون﴾ [الزخرف: ٧٧].

وموارد استعمال اللبث فى الكتاب كثيرة نذكر بعضها في المقام كفاية للمرام، منها قوله تعالى:

➲

﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ [يوسف: ٤٢].

وقوله تعالى:

﴿قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقوله تعالى:

﴿فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقوله تعالى:

﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ [الصافات: ١٤٤].

فإنّ توقّف الماء النافع للنّاس في الأرض، والبطؤ في قرائة القرآن، وتوقّف الهُدد في بلدة سبأ، و أهل موسى‌ﷺ في البيداء لم يقع إلاّ برجاء الخير وانتظاره، وكذا إقامة الصالحين في الثواب لم يكن إلاّ برجاء الإزدياد فضلاً تعالىٰ، كما أنّ إقامة المجرمين في النّار برجاء الخلاص والنجاة و لذا عبّر عن جميع ذلك بالمكث.

وأمّا إقامة يوسف‌ﷺ في السجن بضع سنين لم يكن برجاء الخلاص لما علم بخطائه من توسّله إلى من دون ربّه بقوله لصاحب السجن: أذكرني عند ربّك فانساه الشيطان.

كما أنّ إقامة نوح‌ﷺ في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً لم يكن برجاء تصديقهم لعلمه‌ﷺ بأنّهم ظالمون فلايؤمنون، ولذا أخذهم الطوفان بل إنّما أقام فيهم بتلك المدّة لقطع العذر و إتمام الحجّة.

وكذا إقامة يونس‌ﷺ في بطن حوت إلى يوم يبعثون لو لم يكن من المسبّحين، وإقامة عزيز‌ﷺ في مأة عام ميّتاً ليس فيها رجاء الخير، كما أنّ إقامة الطاغين في جهنّم ليس برجاء الخلاص والنجاة، ولذا عبرّ عن جميع ذلك باللبث.

وممّا ذكرنا علم أنّ أهل جهنّم على طائفتين:

الأولىٰ، الّذين يرجون الخلاص والنجاة وينادون: يامالك! ليقض علينا ربّك، ويقول المالك إنّكم ماكثون إي منتظرون، ولعلّهم الموحّدون من أهل الكتاب الّذين لم يقبلوا

رسالة جدّنا سيّد المرسلين ﷺ، وهم المستثنى بمشيّة الرّبّ من الخالدين في قوله تعالى:

«فأمّا الّذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها مادامت السموات و الأرض إلاّ ماشاء ربّك إنّ ربّك فعال لما يريد. س ١١ ٢ ١٠

الثانية: الّذين فيهم رجاء الخلاص و النجاة أصلاً فهم لابثون فيها أحقاباً وهم المشركون و المنافقون أي منكروا الولاية و غاصبوا الخلافة و إن تظاهروا بالإسلام، ولذا عبّر عنهم بالطاغين و عن الطائفة الأولى بالمجرمين.

ويدلّ على ما ذكرنا ما رواه عليّ بن إبراهيم، عن أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النصر بن سويد، عن درست بن أبي منصور، عن حمران بن أعين، قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله:

﴿لابثين فيها أحقاباً * لايذوقون فيها برداً و لا شراباً﴾ [النباء: ٢٣ و ٢٢].

قال: هذه في الّذين لايخرجون من النّار.

وأمّا الأحقاب فقد ذكر فيها أقوال:

أقول: الأحقاب جمع الحقب بضمّتين من حقب المطر، أي احتسب، والمعدن أي انقطع، بحيث لايوجد فيه شيء.

ومن المعلوم أنّ الآخرة بشراشر أحوالها ومراتبها من عالم الملكوت، ووعائها الدهر الّذي بمنزلة الروح لا الزمان الّذي بمنزلة الجسد، إذ ليس فيها فلك و لا شمس و لا قمر حتّى ينتزع من حركتها الزمان و قطعاتها من يوم و شهر و سنة وغيرها.

وكلّ وعاء دهراًكان أو زماناً لا أهميّة فيه ولايتوجّه إليه إلاّ لأجل ما يقع فيه.

فالمراد من حقب أهل النّار احتباسهم عن الفيض، و انقطاعهم عن الخير بحيث لايوجد فيهم خير أصلاً بسبب ماظهر في أنفسهم من الكبر و الطغيان و الظلم و العدوان.

وفي الإتيان بلفظ الجمع إشعار إلى كثرة أسباب الإحتباس و الإنقطاع من العقائد الباطلة، والملكات الفاسدة، والأعمال الطالحة.

وهذا اقوىٰ سبب و أدلّ دليل على خلودهم في العذاب وعدم رجاء الخلاص و النجاة فيهم من النّار.

وقد انصرح بهذا البيان أنّ جميع ما ذكروا في معنى الأحقاب و تحديدها في جنب الواقع قليل، بل قول بلا دليل» إنتهى.

قال صدر المتألّهين في رسالته «الحكمة العرشية»:

«(قال) صاحب الفتوحات المكيّة في الفصوص: «أمّا أهل النّار فمآلهم إلى النعيم، إذ لابدّ لصورة النّار بعد انتهاء مدّة العقاب أن تكون برداً و سلاماً على من فيها».

و أمّا أنا و الّذي لاحَ لي بما أنا مشتغل به من الرياضات العلميّة والعمليّة أنّ دار الجحيم ليست بدار نعيم و إنّما هي موضع الآلام و المحن، و فيها العذاب الدّائم، لكن آلامها متفتة متجدّدة على الإستمرار بلا انقطاع و الجلود فيها متبدّلة و ليس هناك موضع راحة و اطمئنان لأنّ منزلتها من ذلك العالم منزلة عالَم الكون و الفساد من هذا العالم».

أقول: في المقام: أنّ لكل إعتقاد و ملكة وعمل، باطن وهو حقيقته.

و أنّ النعمة و العذاب في الآخرة ظهور لباطن تلك الأعمال والعقائد والملكات الراسخة الّتي تتكوّن حقيقة الإنسان روحه وبدنه منها في قوس الصعود إختياراً، البدن الأخروى يتكّون من الأعمال والرّوح الأخروى يتكّون من العقائد والعلوم.

وأنّ ما سوف يظهر في الأخرة من الجنّة ونعيمها، و الجحيم و عذابه، عبارة عن تجسّم نفس تلك الأعمال و الإعتقادات، الّتي كان الإنسان متلّبسابها في الدنيا.

فإذن حشر الإنسان و ابتلائه بالعذاب والجزاء في دار الآخرة هو حشره مع نفس أخلاقه و أعماله و عقائده، فلا غيريّة بين النعمة و العذاب في الآخرة و بين الأعمال و الأخلاق و العقائد في الدنيا، أي (هي هي).

فانظر الآيات القرآنية التالية:

﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تــودّ لو أنّ بينها و بينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠].
﴿إنّ الّذين يأكلون أموال اليــتمى ظـلماً إنّـما يأكـلون فــي بـطونهم نـاراً﴾ [النساء: ١٠].
﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس مّا كسبت وهم لايظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١].
﴿و وجدوا ما عملوا حاضراً﴾ [الكهف: ٤٩].
﴿فلا يجزى الّذين عملوا الـسيّئات إلاّ ما كانوا يعملون﴾ [القصص: ٨٤].
﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾ [الزّلزلة: ٨ و٧].
﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤].
فيكون حينئذ العلم والعالم و العمل متحداً واحداً.
وحيث إنّ الملكات الراسخة تصير نفس الإنسان و متحداً معها، اذن أنّ العذاب الّذي هو نفس الأعمال والملكات أيضاً سوف يكون في نفس الإنسان ويبقى معه.
نعم هناك ملكات ليست راسخة للنفس و لم تتّحد معه، فهذه قابلة للـزوال ولاتكـون دائميّة، لأنه مع هذه الملكات، الذات بقيت بعدُ سعيدة، و إن توجد فيها أخلاق و ملكات سيّئة أحياناً غير راسخة.
قال العلاّمة الطباطبائي في «الميزان»:
«و أنّ ما كانت من هذه الصور صوراً غير راسخة للنفس و غير ملائمة لذاتها، فإنّها ستزول، لأنّ القسر لايكون دائميّاً و لا أكثريّاً، و هذه النفس هي النـفس السعيدة ذاتاً و عليها هيآت شقيّة رديّة ممكنة الزوال عنها كالنفس المجرمة.
وأمّا الهيأت الرديّة الّتي رسخت في النفس حتّى صارت صـوراً أو كـالصور الجديدة تعطي للشيء نوعيّة جديدة، فمن المعلوم أنّ هذا النوع نوع مجرّد في

نفسه دائمّي الوجود.

وجميع ماكان يصدر عنه بالقسر حال عدم الرسوخ فيعذّب به ويذوق و بال أمره، فهي تصدر عن هذا النوع بإذن الله من غير قسر إلاّ أنّها لمّا كانت صادرة عن نوعيّته من غير قسر فهي دائمة من غير زوال، بخلاف ما لو كانت حاصلة بالقسر.

فقدبان أن العذاب خالد غير منقطع عن الإنسان الشقيّ الّذي لذاته شقوة لازمة.

فإنّ العذاب الخالد أثر و خاصّة لصورة الشّقاء الّذي لزمت الإنسان الشّقيّ فتصوّر ذاته بها بعد تماميّة الإستعداد الشديد الّذي حصل في ذاته القابلة لها بواسطة الأحوال العارضة لها المنتهية إلى إختياره.

واشتداد الإستعداد التامّ هو الّذي يوجب في جميع الحوادث إفاضة الصورة المناسبة لسنخ الإستعداد.

فكما لايجوز السئوال عن علّة تحقّق الأفعال الإنسانية بعد ورود الصّورة الإنسانيّة على المادّة، لوجود العلّة الّتي هي الصّورة الإنسانيّة، كذلك لامعنى للسئوال عن لميّة ترتّب آثار الشّقاء اللاّزم، و منها العذاب المخلّد بعد تحقّق صورة الشّقاء اللازم، المنتهية إلى الإختيار فإنّها آثارها و خواصّها».

بيان آخر لنا:

ألف ـ حيث إنّ العذاب في القيامة هو نفس باطن الأعمال و حقيقته، و هذا على أساس موضوع تجسّم الأعمال و الأفكار و العقائد في الآخرة.

ب ـ وحيث إنّ الإنسان متكوّنة ماهيّته صعوداً بعمله و عقيدته، و يصر العمل و العقائد متّحداً مع وجود الإنسان بل يصر هو هو باتّحاد العامل بالعمل و العاقل بالمعقول.

ج ـ وحيث إنّ الإنسان موجود أبديّ و العالم الآخرة أيضاً عالَم أبديّ.

إذن العذاب يبقىٰ ما بقي الإنسان و بما أنّ الإنسان يبقىٰ إلى الأبد و العذاب هو نفس

النّار، لأنّهم ليسوا «بخارجين من النّار» «فلا يموتون فيها ولا يحيون».

فتتخدّر جوارحهم بإزالة الروح الحسّاس منها، وثمّ طائفة يعيطهم الله بعد انقضاء موازنة المُدَد بين العذاب والعمل نعيماً خياليّاً مثل مايراه النائم وجلده، كما قال تعالىٰ:

﴿كلّما نضجت جلودهم﴾ [النساء: ٥٦].

هو كما قلنا: خدرها، فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام، لأنّه إذا انقضى زمان الإنضاج خمدت النار في حقّهم، فيكونون في النار كـالأمة الّتي دخلتها وليست من أهلها، فأماتهم الله فيها إماتة، فلا يـحسّون بـما تفعله النّار فيأبدانهم،الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحة (صـحيح مسلم ج ١ كتاب الإيمان ح ٣٠٦)، وهذا من فضل الله ورحمته.

⮊ عمل الإنسان و عقيدته اللّذان يصران نفس وجود الإنسان الباقي، فالعذاب يبقىٰ مع ببقاء الإنسان الّذي صار الكفر و العناد و النّفاق صورة ثانويّة و فصلاً اخيراً له، إلى الأبد.

على أنّ هناك بعض النّاس موجود صار العناد و الكفر و النفاق نفس وجودهم، بحيث لن يريدون ان يتغيّروا و صار الكفر و العناد تمام وجودهم، و لهذا لو يبقون في الدنيا إلى الأبد يبقون كافراً، معانداً، منافقاً، و لن يرجعون إلى الإيمان قطّ.

والشاهد على ذلك من الآيات القرآنيّة مايلي:

﴿قالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين﴾ [الشعراء: ١٣٦].

﴿ولوردّوا لعادوا لما نُهوا عنه و إنّهم لكاذبون﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿أولئك الّذين لم يردالله أن يُطهِّر قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١].

﴿إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لمن يكن الله ليغفر لهم و لا ليهديهم سبيلاً﴾ [النساء: ١٣٧].

(أبواب جهنم)

وأمّا أبواب جهنّم، فقد ذكر الله من صفات أصحابها بعض ماذكر، ولكن من هؤلاء الأربع الطوائف الّذين هم أهلها، ومن خرج بالشفاعة أو العناية ممّن دخلها، فقد جاء ببعض ماوصف الله به من دخلها من الأسباب الموجبة لذلك وهي: باب الجحيم، وباب سَقَر، وباب السّعير، وباب الحطمة، وباب لظى، وباب الحامية، وباب الهاوية.

وسمُيت الأبواب بصفات ماوراءها ممّا عدّت له، ووصف الداخلون فيها بما ذكر الله تعالىٰ في مثل قوله في لظى أنّه:

﴿تدعوا مَن أدبر وتولّى * وجمع فأوعىٰ﴾ [المعارج: ١٧ - ١٨].

وقال مايقول في سقر، إذا قيل لهم:

﴿ماسلككم في سقر* قالوا لم نك من المصلّين* ولم نك نطعم المسكين * وكنّا نخوض مع الخائضين* وكنّا نكذّب بيوم الدّين﴾ [المدثّر: ٤٢ - ٤٦].

وقال في أهل الجحيم، انّه يكذب بيوم الدين:

﴿ومايكذّب به إلاّ كلّ معتد أثيم﴾ [المطففين: ١٢].

فوصفه بالإثم والإعتداء، ثمّ قال فيهم:

﴿ثمّ إنّهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الّذي كنتم به تكذّبون﴾ [المطففين: ١٦].

وهكذا في الحطمة، والسعير وغير ذلك ما جاء به القرآن أو السنّة[٢١٧].

فهذا قد ذكرنا الأمّهات والطبقات، وأمّا مناسبات الأعمال لهذه المنازل فكثيرة جداً يطول الشرح فيها، ولو شرعنا في ذلك طال علينا المدى فإنّ المجال رحب، ولكن الأعمال مذكورة والعذاب عليها مذكور، فمتى وقفت على شيء من ذلك وكنتَ على نور من ربّك وبيّنة، فإنّ الله يطلعك عليه بكرمه.

والّذي شرطنا في هذا الباب وترجمنا عليه إنّما كان ذكر المراتب، وقد ذكرناها وبيّناها ونبّهنا على مواضع يحول فيها نظر الناظر من كتابي هذا من الآيات الّتي استشهدنا بها في هذا الباب من أوّله، من أمر الله إبليس بما ذكر له، فهل له من امتثال ذلك الأمر الإلهي، أمر يعود عليه منه من حيث ماهو ممتثل أم لا؟، وأشباه (هذه) ذلك التنبهات، إن وفقت لذلك عثرت على علوم جمّة إلهيّة ممّا يختّص أهل الشقاء والنار، وهذا القدر في هذا الباب كاف، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

---

(٢١٧) قوله: ممّا جاء به القرآن.

راجع التعليق الرقم ١٥٩.



الباب الثالث والستّون

في معرفة بقاء الناس في البرزخ بين الدنيا والبعث[218]

(في معنى البرزخ وحقيقته)

إعلم أنّ البرزخ عبارة عن أمر فاصل بين أمرين، لا يكون مـتطرفا (متطرفا) أبداً كالخطّ الفاصل بين الظل والشمس، وكقوله تعالىٰ:

﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمن: ٢٠ و ١٩].

(ومعنى «لا يبغيان») أي لا يختلط أحدهما بالآخر، وإن عجز الحسّ عن الفصل بينهما، والعقل يقضي أن بينهما حاجزاً يفصل بـينهما، فـذلك

---

(٢١٨) قوله: الباب الثالث والستّون

راجـع الفـتوحات المكـيّة ج١ ص٣٠٤، والفـتوحات المكـيّة (عـثمان يـحيىٰ) ج٤ ص٤٠٧.

الحاجز المعقول هو البرزخ فإن أُدرك بالحسّ فهو أحد الأمرين، ماهو البرزخ، وكلّ أمرين يفتقران إذا تجاوزا (تجاورا) إلى برزخ ليس هو عين أحدهما، وفيه قوّة كلّ واحد منهما.

ولمّا كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفيّ ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمّي برزخاً اصطلاحاً وهو معقول في نفسه، وليس إلاّ الخيال، فإنّك إذا أدركته وكنت عاقلاً تعلم أنّك أدركت شيئاً وجوديّاً، وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل أنّه ماثمّ شيئ رأساً فأصلاً (وأصلاً)، فما هو هذا الّذي أثبتّ له شيئيّة وجوديّة ونفيتها عنه في حال إثباتك إيّاها.

(عجز الإنسان عن إدراك حقيقة البرزخ والخيال والمرآة)

فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في المرآة، يعلم قطعاً أنّه أدرك صورته بوجه، ويعلم قطعاً أنّه ماأدرك صورته بوجه، لِمَا يرى فيها من الدّقة إذا كان جرم المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من الّتي رأئ بما لا يتقارب، وإذا كان جرم المرآة كبيراً، فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أنّ صورته فما رأى، ولا يقدر أن ينكر أنّه رأئ صورته ويعلم أنّه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة، ولا هو انعكاس شعاع البصر إلى الصورة المرئيّة فيها من خارج سواء كانت صورته أو غيرها، اذ لو كان كذلك لأدرك الصورة على قدرها وماهي عليه، وفي رؤيتها في السيف من

الطول أو العرض، يتبيّن لك ماذكرنا مع علمه أنّه رأىٰ صورته بلا شك فليس بصادق ولا كاذب في قوله: «إنّه رأىٰ صورته، مارأىٰ صورته».

فما تلك الصورة المرئيّة؟ وأين محلّها؟ وماشأنها؟ فهي منفيّة ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة، أظهره(اظهر) الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضربَ مثالٍ ليعلم ويتحقّق أنّه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا، وهو من العالم (ولم يحصل عنده علم حقيقة هذا وهو من العالم) ولم يحصل عنده علم بحقيقته، فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشدّ حيرة، ونبّهه بذلك أن تجلّيات الحقّ له أرقّ وألطف معنى من هذا الّذي قد حارت العقول فيه، وعجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها أن تقول: هل لهذا ماهيّة، أو لا ماهيّة له؟ فإنّها لا تلحقه بالعدم المحض، وقد أدرك البصر شيئاً مّا ولا بالوجود المحض، وقد علمت أنّه ماثمّ شيء ولا بالإمكان المحض.

(الأعراض القائمة بنفسها في النوم والبرزخ والآخرة)

وإلى مثل هذه الحقيقة يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها تخاطبه ويخاطبها أجساداً لا يشك فيها، والمكاشف يرىٰ في يقظته مايراه النائم في حال نومه، والميّت بعد موته كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً ويرى الموت كبشاً أملح يُذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع، فسبحان من يُجهل فلا يُعلم ويُعلم فلا يُجهل، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

(فيما ترىٰ عيُن الخيال والّذي ترى عينُ الحسّ)

ومن الناس من يدرك هذا المتخيّل بعين الحسّ، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة، وأمّا في النوم فبعين الخيال قطعاً، فإذا أراد الإنسان أن يفرّق في حال يقظته حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة، فلينظر إلى المتخيّل وليقيّده بنظره، فإن أختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكونيات وهو لا ينكر أنّه ذلك بعينه، ولا يقيّده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحَرباء في اختلاف الألوان عليها فذلك عين الخيال بلاشك، ماهو عين الحسّ فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحسّ، وقليل من يتفطن إلى هذا ممّن يدّعى كشف الأرواح الناريّة والنوريّة إذا تمثلت لعينه صوراً مدركة لا يدري بما (ممّا) أدركها: هل بعين الخيال، أو بعين الحسّ وكلاهما أعني الإدراكين بحاسة العين، فإنّهما تعطى الإدراك بعين الخيال وبعين الحسّ وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، وبين حاسّة العين وعين الحسّ، وإذا أدركتِ العين المتخيّل ولم تغفل عنه ورأته، لا تختلف عليه التكوينات ولا رأته في مواضع مختلفات معاً في حال واحدة، والذات واحدة لا شك (يشكّ) فيها ولا انتقلت ولا تحوّلت في أكوان مختلفة، فيعلم أنّها محسوسة لا متخيلة، وأنّه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال.

ومن هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربّه تعالىٰ وهو منزّه عن الصورة والمثال وضبط الإدراك إيّاه وتقييده، ومن هنا يعرف ماورد في الخبر الصحيح من كون الباري:

«يتجلّى في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها»(٢١٩).

وفي تحوله في صورة يعرفونها وقد كانوا أنكروه وتعوّذوا منه فتعلم بأيّ عين تراه، فقد أعلمتك أن الخيال يُدرك بنفسه، نريد بعين الخيال أو يدرك بالبصر، ومالصحيح في ذلك حتّى نعتمد عليه؟ ولنا في ذلك:

إذا تــجلّى حــبيبي　　　بأيّ عــين تــراه؟

بــعينه لا بــعيني　　　فــما يــراهِ ســواه

تنزيهاً لمقامه وتصديقاً بكلامه، فإنّه القائل:

﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ولم يختص داراً من دار بل أرسلها آية مطلقة ومسألة معيّنة محقّقة فلا يدركه سواه فبعينه سبحانه أراه، في الخبر الصحيح:

«كنت بصره الّذي يبصر به»(٢٢٠).

فتيقّظ أيّها الغافل النائم عن مثل هذا وانتبه فلقد فتحت عليك باباً من المعارف لا تصل إليه الأفكار، لكن تصل إلى قبوله العقول إمّا بـالعناية الإلهيّة، أو بجلاء القلوب بالذكر والتلاوة، فيقبل العقل مـايعطيه التـجلّي، ويعلم أنّ ذلك خارج عن قوّة نفسه من حيث فكره، وأنّ فكره لا يعطيه

---

(٢١٩) قوله: يتجلّى في أدنى صورة.

أخرجه البخاري في صحيحه ج ٦ كتاب التفسير باب ٢٨٣ ص ٣٧٤، الحديث ١٠٠٧. وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ١، كتاب الإيمان، ص ١٦٧، الحديث ٣٠٢، وأنظر التعليق ٣٠.

(٢٢٠) قوله: في الخبر الصحيح: كنت بصره الذي

راجع التعليق الرقم ٦٦.

ذلك أبداً، فيشكل الله تعالىٰ الّذي أنشأه نشأة يقبل بها مثل هذا، وهي نشأة الرّسل والأنبياء وأهل العناية من الأولياء، وذلك ليعلم أن قبوله أشرف من فكره، فتحقّق ياأخي بعد هذا مَن يتجلّى لك من خلف هذا الباب فهي مسألة عظيمة حارت فيها الألباب.

(الصَّور والبرزخ في لسان الشرع)

ثمّ إنّ الشارع وهو الصادق سمّي هذا الباب الّذي هو الحضرة البرزخّية الّتي ننتقل إليها بعد الموت، ونشهد نفوسنا فيها بالصّور والناقور، والصور هنا جمع صورة بالصاد فـ«ينفخ في الصّور» و«ينقر في الناقور»، وهو هو بعينه، واختلفت عليه الأسماء لاختلاف الأحوال والصفات، واختلفت الصفات، ماأختلفت (فاختلفت) الأسماء، فصارت الأسماء كـ«هو» يحار فيها من عادته يفلي الحقايق ولا يرمي منها بشيئ، فإنّه لا يتحقق له أنّ النّقر أصل في وجود إسم الناقور، أو الناقور أصل في وجود اسم النّقر، كمسألة النحوي: هل الفعل مشتقّ من المصدر أو المصدر مشتقّ من الفعل؟ ثمّ فارق مسألة النحوي بشيء آخر حتّىٰ لا يشبه مسألة النحوي في الإشتقاق بقول (بقوله تعالىٰ):

﴿نفخ في الصور﴾ [الكهف: ٩٩].

ولم يقل: في المنفوخ فيه، فهل كونه (صوراً) أصل في وجود النفخ، أو وجود نَفَخَ؟ أو هل النفخ أصل في وجود إسم الصّور؟

(في تأثير النفخ والصورة في تكوّن الإنسان وحقيقته)

ولمّا ذكر الله تعديل صورة الإنسان قال:

﴿ونفخت فيه﴾ [الحجر: ٢٩].

وقال في عيسىٰ ﷺ قبل خلق صورته:

﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١].

فظهرت الصورة، فوقعت الحيرة: ماهو الأصل؟ هل الصورة في وجود النفخ، أو النفخ في وجود الصورة؟ فهذا من ذلك القبيل؟ ولا سيّما وجبرئيل ﷺ في الوقت المذكور، في حال التمثّل بالبشر، ومريم قد تخيّلت أنّه بشر، فهل أدركته بالبصر الحسّي، أو بعين الخيال، فتكون ﷺ ممّن أدرك الخيال بالخيال؟

وإذا كان هذا فينفتح عليك ماهو أعظم وهو: هل في قوّة الخيال أن يعطي صورة حسّيّة حقيقيّة؟ فلا يكون للحسّ فضل على الخيال، لأنّ الحسّ يعطي الصور للخيال، فكيف يكون المؤثّر فيه مؤثّراً، فمن (فيمن) هو مؤثّر فيه؟ فما هو مؤثّر فيما هو مؤثّر فيه؟، وهذا محال عقلاً، فتفطّن لهذه الكنوز، فإن كنت حصلتها، مايكون في العالم أغنىٰ منك إلاّ من يساويك في ذلك.

(ماهو الصور والقرن)

واعلم أنّ رسول‌الله ﷺ لمّا سُئِلَ عن الصور ماهو؟ فقال ﷺ:

«هو قرن من نور لقمه (ألقمه) إسرافيل»[٢٢١].

فأخبر أن شكله شكل القرن، فوصف بالسعة (والضيق)، فإنّ القرن واسع ضيّق، وهو عندنا على خلاف مايتخيّله أهل النظر في الفرق بين ماهو أعلى القرن وأسفله، ونذكره إن شاء الله بعد هذا الباب.

(في سعة القرن وتصور العدم والمحال)

فاعلم أن سعة هذا القرن في غاية السعة، لا شيء من الأكوان أوسع منه، وذلك أنه يحكم بحقيقته على كلّ شيء وعلى ماليس بشيء ويتصوّر العدم المحض، والمحال، والواجب، والإمكان، وبجعل الوجود عدماً، والعدم وجوداً، وفيه يقول النبي ﷺ، أي من حضرة هذا:

«أعبد الله كانّك تراه»[٢٢٢].

---

(٢٢١) قوله: هو قرن من نور.

أخرجه الدارمي في سننه ج ٢، كتاب الرقاق، باب ٧٩، ص ٤١٨ الحديث ٢٧٩٨، بإسناده عن عبدالله بن عمرو، قال: سئل النبيّ ﷺ عن الصور؟ فقال: «**قرن ينفخ فيه**». وأخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ١٩٢، والترمذي في الجامع الصحيح ج ٤ كتاب صفة القيامة باب ٨ (ماجاء في شأن الصور) الحديث ٣١ و ٢٤٣٠.

(٢٢٢) قوله: اعبد الله كأنّك تراه

حديث معروف روي عن النبيّ ﷺ، رواه ابن عباس وأبو هريرة وعمر، ونقل بعبارات مختلفة وورد في تفسير الإحسان وبدونه، وألفاظه هكذا:

أ - «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت**». أخرجه كنز العمّال، ج ٣، ص ٢٢ و ٢١ الحديث ٥٢٤٩ و ٥٢٥٤.

ب - «**أعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»، نفس المصدر، الحديث

و:

«الله في قبلة المصلّي»(٢٢٣).

➡ ٥٢٥٦ و٥٢٥١ و٥٢٥٠.

ج – «كن كأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك». نفس مصدر الحديث ٥٢٥٥.

هـ- «أن تعبد الله كأنّك تراه، فإنّك إن لا تراه فإنّه يراك».

أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١، المقدمة، باب في الإيمان، ص ٢٥ و٢٤، الحديث ٦٤ و٦٣.

و – «الإحسان أن تعمل لله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

رواه المجلسي في البحار ج ٥٩ ص ٢٦٠ الحديث ٣٥، عن الدر المنثور.

ز – «خف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترىٰ أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك (إليك)».

رواه الكليني في الأُصول من الكافي بإسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، ج ٢، ص ٦٧، الحديث ٢.

وراجع أيضاً تفسير المحيط الأعظم، ج ١ ص ٢٨٢، التعليق ٥٣.

(٢٢٣) قوله: الله في قبلة المصلّي.

لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن يوجد هناك بعض الاحاديث في مضمونه كما يلي:

أ – أخرج أبن داودُ في سننه ج ١ كتاب الصلاة ص ١٢٩ الحديث ٤٨٠، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ أحدكم إذا استقبل القبلة فإنّما يستقبل ربّه عزّ وجلّ» الحديث.

وأخرجه أيضاً ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٢٤.

ب – أيضاً في المصدر، الحديث ٤٨٤، بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله:

➡

أي تَخَيَّلْه في قبلتكَ وأنت تواجهه لتراقبه، وتستحيي منه، وتلزم الأدب معه في صلاتك، فإنّك إن لم تفعل هذا أسأت الأدب.

(في أن الخيال كيف يعمل)

فلولا أنّ الشارع علم أن عندك حقيقة تُسمّى الخيال، لها هذا الحكم، ماقال لك: «كأنّك تراه» ببصرك. فإنّ الدليل العقلي يمنع، من: «كأنّ»، فإنّه تخيّل بدليل (يحيل بدليله) التّشبيه، والبصر فما (ما) أدرك شيئاً سوىٰ الجدار، فعلمنا أنّ الشارع خاطبك أن تتخيّل أنّك تواجه الحقّ في قبلتك المشروع لك استقبالها، والله يقول:

﴿فأَيْنَمَا تُوَلّوا فثَمَّ وَجْهُ الله﴾ [البقرة: ١١٥].

⬅ «إنّ أحدكم إذا قام يصلّي فإنّ الله قِبَلَ وجهه». الحديث.

ج - أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٤٤، بإسناده عن البياضي، عن رسول‌الله ﷺ قال:

«إنّ المصلّي يناجي ربّه عزّ وجلّ فلينظر ما يناجيه».

وفي ج ٢ ص ٣٢، بإسناده عن ابن عمر، عن رسول‌الله ﷺ قال:

«إذا قام أحدكم يصلّي فلا يبصق في قبلته فإنّما يناجي ربّه تبارك وتعالىٰ».

وأخرج قريب منهما البخاري في صحيحه ج ١ ص ٢٨٣، كتاب مواقيت الصلاة با ٣٥٩، الحديث ٥٠١ و٥٠٠.

وروي المجلسي في البحار ج ٧١ ص ٢١٥ الحديث ١٧، عن مصباح الشريعة، عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ:

«المصلّي يناجي ربّه، فاستحي أن يطلع على سرّك العالم بنجواك ومايخفى ضميرك، وكن بحيث رآك لما أراد منك ودعاك إليه».

(في معنى وجه الشيء)

ووجه الشيء: حقيقته وعينه، فقد صوّر الخيال مَن تستحيل عليه بالدّليل العقلي الصُّورة والتصوّر، فلهذا كان واسعاً، وأمّا مافيه من الضّيق فإنّه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمراً من الأمور الحسيّة، والمعنويّة، والنِّسَب، والإضافات، وجلال الله وذاته، إلاّ بالصّورة، ولو رام أن يدرك شيئاً من غير صورة لم تُعطِ حقيقته ذلك، لأنّه عين الوهم لا غيره، فمن هٰنا هو ضيق في غاية الضّيق، فإنّه لا يجرّد المعاني عن الموادّ أصلاً، ولهذا كان الحسّ أقرب شيء (إليه)، فإنّه من (الحسّ أخذ الصّوَر) أحسّ أخذ الصّورة، وفي الصّورة (الصور) الحسّيّة يجلّي المعاني، فهذا من ضيقه، وإنّما كان هذا، حتّى لا يتّصف بعدم التّقييد وباطلاق الوجود وبالفعّال لما يرد إلاّ الله تعالىٰ وحده، ليس كمثله شي.

(في أن الخيال لا يدرك المعاني المجردة)

فالخيال أوسع المعلومات ومع هذه السعة العظيمة الّتي يُحكم بها على كلّ شيء قد عجز أن يقبل المعاني مجرّدة عن الموادّ كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل وخمر ولؤلؤ، ويرى الإسلام في صورة قبّة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدّين في صورة قيد، ويرى الحقّ في صورة انسان وفي صورة نور فهو الواسع الضّيق، والله واسع على الإطلاق، عليم بما أوجد الله عليه خلقه كما قال تعالىٰ:

﴿أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾ [طه: ٥٠].

أي بيّن الأمور على ماهي عيه بإعطاء كلّ شيء خلقه.

(في بيان كون القرن نوراً وان الخيال لا يخطأ)

وأمّا كون القرن من نور، فإن النّور سبب الكشف والظهور إذ لولا النور ماأدرك البصر شيئاً فجعل الله هذا الخيال نوراً يدرك به تصوير كلّ شيء أيّ أمر كان، كما ذكرناه، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوّره وجوداً، فالخيال أحقّ باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنّوريّة فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تُدرك التجلّيات وهو نور عين الخيال، لا نور عين الحسّ، فافهم! فإنّه ينفعك معرفة كونه نوراً فتعلم الإصابة فيه ممّن لا يعلم ذلك، وهو الّذي يقول: هذا خيال فاسد، وذلك لعدم معرفة هذا القائل بإدراك النّور الخيال الّذي أعطاه الله تعالى، كما أنّ هذا القائل يخطّئ الحسّ في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح والحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحسّ، كذلك الخيال أدرك بنوره ماأدرك وماله حكم، وانّما الحكم لغيره وهو العقل فلا ينسب إليه الخطأ، فإنّه ماثمّ خيال فاسد قطّ بل هو صحيح كلّه.

وأمّا أصحابنا فغلطوا في هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز، وأعلاه الفلكِ الأعلى الّذي لا فلك فوقه، وأنّ الصّور الّتي يحوي عليها صور العالم، فجعلوا واسع القرن الأعلى، وضيقه الأسفل من العالم.

وليس الأمر كما زعموا بل لمّا كان الخيال كما قلنا يصوّر الحقّ فمن دونه من العالم حتّى العدم، كان أعلاه الضّيّق وأسفله الواسع، وهكذا خلقه الله فأوّل ماخلق منه الضّيّق، وآخر ماخلق منه ماأتّسع، وهو الّذي يلي

رأس الحيوان. ولاشكّ أنّ حضرت الأفعال والأكوان أوسع ولهذا لا يكون للعارف اتّساع في العلم إلاّ بقدر مايعلمه من العالم، ثمّ إنّه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدّية الله تعالىٰ لا يزال يرقى من السّعة الضّيق قليلاً (قليلاً قليلاً) فتقل علومه كما (كلّما) رقى في العلم بذات الحقّ كشفاً إلى أن لا يبقى له معلوم إلاّ الحقّ وحده (وهو) أضيق مافي القرن فضيّقه هو الأعلى على الحقيقة وفيه شرف التامّ، وهو الأوّل الّذي يظهر منه إذا أنبته الله في رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضّيق وأسفله يتسع وهو لا يتغيّر عن حاله فهو المخلوق الأوّل.

ألا ترىٰ الحقّ سبحانه، أوّل ماخلق القلم، أو قل: العقل كما قال: فما خلق إلاّ واحداً(٢٢٤)، ثمّ أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالَم، وكذلك العدد منشأهُ من الواحد ثمّ يقبل الثّاني، لا من الواحدِ الوجود، ثمّ يقبل التضعيف والتركيب (التّرتيب) في المراتب فيتّسع اتّساعاً عظيماً إلى مالا يتناهي، فإذا انتهيت فيه من الاتساع إلى حدٍّ مّا من الآلاف وغيرها، ثمّ تطلب الواحد الّذي أنشأ (منه نشأ) العدد لا تزال في ذلك يقلل العدد ويزول عند ذلك الاتّساع الّذي كنت فيه حتّى ينتهي إلى الإثنين الّتي

---

(٢٢٤) قوله: فما خلق إلاّ واحداً.

هذا إشارة الى الآية الكريمة:

﴿وماأمرنا إلاّ واحدة﴾ [القمر: ٥٠].

وهناك قاعدة وهي: ألواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد

وقوله: ثمّ يقبل الثاني الى قوله: في المراتب، لعلّه هذا نفس ماقاله صدر المتألهين: من وحدة الوجود وكثرت المراتب.

بوجودها ظهر العدد إذ كان الواحد أولاً لها (أُولاهـا) فـالواحـد أضـيق الأشياء وليس بالنّظر إلى ذاته بعدد في نفسه ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين إسمه وعينه أبداً فاعلم ذلك.

والنّاس في وصف الصّور بالقرن على خلاف ماذكرناه.

(في بيان إدراك الأرواح في البرزخ)

وبعد ماقرّرناه فلتعلم: أنّ الله سبحانه إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيّة حيث كانت والعنصريّة، أودعها صوراً جسديّة في مجموع هذا القرن النوريّ، فجميع مايدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور، إنّما يدركه بعين الصّورة الّتي هو فيها في القرن، وبنورها وهو إدراك حقيقيّ.

ومن الصّور هنالك ماهي مطلقة كأرواح الأنبياء كلّهم وأرواح الشّهداء، ومنها مايكون لها نظر إلى عِلم (عالَم) الدّنيا في هذه الدار، ومنها مايتجلّى للنّائم في حضرة الخيال الّتي هي فيه وهو الّذي تصدق رؤياه أبداً، وكلّ رؤياه (رؤيا) صادقة ولا تخطىء، فإذا أخطأت الرّؤيا، فالرّؤيا ماأخطأت، ولكن العابر الّذي يُعبّرها وهو المخطئ حيث لم يعرف ماالمراد بتلك الصّورة؟ ألا تراه ﷺ ماقال لأبي بكر حين عبّر رؤيا الشخص المذكور:

«أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً؟»[٢٢٥].

وكذلك قال في الرّجل الّذي رأى في النّوم (قد) ضربت عنقه فوقع رأسه فجعل الرّأس يَتَدَهْدَه وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ:

«أنّ الشّيطان يلعب به»[٢٢٦].

---

(٢٢٥) قوله: أصبت بعضاً.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الرُّؤيا باب ٣، الحديث ١٧ بإسناده، عن ابن عباس قال: انّ رجلاً أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ﷺ! إنّي أرىٰ الليلة في المنام ظُلّة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكفّفون منها بأيديهم، فالمستكثر والمستقلّ. وأرىٰ سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به فَعَلَوْتَ.

ثمّ أخذ به رجل من بعدك فَعَلاَ. ثمّ أخذ به رجل آخر فعلا. ثم أخذ به رجل آخر، فانقطع به ثمّ وُصل له فَعَلاَ.

قال أبو بكر: يارسول الله! بأبي أنت، والله لَتَدَعَنّي فلأعبرنّها، قال رسول الله ﷺ «أعبرها»، قال أبو بكر: أمّا الظُلّة فظُلّةُ الإسلام، وأمّا الّذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه، وأمّا مايتكفّف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقلّ.وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحقّ الّذي أنت عليه، تأخُذُ به فيُعليكَ الله به ثمّ يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثمّ يأخذ به رجل آخر فيعلوا به، ثمّ يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثمّ يوصل له فيعلو به، فأخبرني يارسول الله! بأبي أنت، أصبتُ أم أخطات؟ قال رسول الله ﷺ:

«أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً».

قال: يارسول الله! لتحدّثني ماالّذي أخطأت؟ قال: «لاتُقسِم» وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه ج ٢ كتاب تعبير الرؤيا، باب ١٠ ص ١٢٨٩ الحديث ٣٩١٨، وأخرجه أيضاً ابن حنبل، راجع الفتح الباري ج ١٧ ص ٢١٥.

(٢٢٦) قوله: انّ الشيطان يلعب به.

أخرج ابن ماجه في سننه ج ٢ ص ١٢٨٧ كتاب تعبير الرؤيا باب ٥ الحديث ٣ و ٢

فعلم رسول الله ﷺ، صورة مارآه وماقال له: خيالك فاسد، فإنّه رأى حقّاً، ولكن أخطأ في التأويل، فأخبره ﷺ بحقيقة مارآه ذلك النّائم.

وكذلك قوم فرعون يعرضون على النّار في تلك الصّورة (الصور) غدوة وعشيّة، ولا يدخلونها فإنّهم محبوسون في ذلك القرن وفي تلك الصّورة، ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب، وهو العذاب المحسوس لا المتخيّل الّذي كان لهم في حال موتهم بالعرض.

فيدرك بعين الخيال الصّور الخياليّة والصّور المحسوسة معاً، فيدرك

و ٣٩١١ بإسناده عن أبي هريرة قال: جاء رجل الى النبيّ ﷺ فقال: إنّي رأيت رأسي ضرب، فرأيته يَتَدَهْدَهُ، فقال رسول الله ﷺ:

«يعمد الشيطان إلى أحدكم فيتهوّل له، ثمّ يغدوا يخبر الناس»

وعن جابر، قال: أتى النبيّ رجل وهو يخطب، فقال: يارسول الله! رأيت البارحة فيما يرى النائم، كان عنقي ضربت وسقط رأسي، فاتّبعتُه فأخذتُه فأعَدْتُه، فقال رسول الله ﷺ:

«إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدِّثنّ به الناس»

وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا حلم أحدكم، فلا يخبر الناس بتلّعب الشيطان به في المنام».

وأخرج مثلها أيضاً مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الرؤيا باب ٢ و١ الحديث ١٥ و١٤ و١٣ ص ١٧٧٦.

وأخرج أيضاً مثلها وقريب منها أحمد بن حنبل، راجع الفتح الباري ج ١٧ ص ٢١٨.

وروى المجلسي في البحار ج ٧٦ ص ١٩٧ الحديث ١٢، عن كتاب مكارم الأخلاق عن الصادق عليه السلام قال:

«إذا خفت الجنابة فقل في فراشك: اللّهم إنّي أعوذ بك من الإحتلام، ومن سوء الأحلام، ومن أن يتلاعب بي الشيطان في اليقظة والمنام».

المتخيّل الّذي هو الإنسان بعين خياله وقتا مّاهو متخيّل، كقوله ﷺ:

«مُثّلتْ لي الجنّة في عرض (هذا) الحايط»[٢٢٧].

فأدرك ذلك بعين حسّه، وإنّما قلنا بعين حسّه، لأنّه تقدّم حين رأى الجنّة ليأخذ قطفاً منها، وتأخّر حين رأىٰ النّار، وهو في صلاته، ونحن نعرف أنّ عنده من القوّة بحيث أنّه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسّه، ماأثّر في جسمه تقدّماً ولا تأخّراً. فإنّا نجد ذلك، وما نحن في قوّته ولا في طبقته ﷺ.



(٢٢٧) قوله: مثّلت لي الجنّة.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٢٥٩ بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال صلّىٰ النبي ﷺ بنا يوماً ثمّ رقى المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد، ثمّ قال:

«قد رأيت أيّها الناس منذ صليت لكم الصلاة: الجنّة والنار ممثّلتين في قبل هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشّرّ، يقولها ثلاث مرّات».

وروي المجلسي في البحار ج ١٧ باب علمه ﷺ وعرض الأعمال عليه، ص ١٥٣ الحديث ٥٧ عن بصائر الدرجات، بإسناده عن مقاتل بن مقاتل، عن أبي الحسن الرضاﷺ قال: قال أبو جعفرﷺ:

«إنّ رسول اللهﷺ مثّلت له أمّته في الطين، فعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأخلاقهم وحلاهم».

أيضاً في البحار ٦٨ ص ٣٨ الحديث ٨٠ عن مجالس المفيد، بإسناده عن غياث بن ابراهيم، عن الصادقﷺ، عن أبيه، عن جدّه،ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:

«علّمت سبعاً من المثاني ومثّلت لي أمتي في الطين حتّى نظرت إلى صغيرها وكبيرها، ونظرت في السماوات كلّها».

(كلّ إنسان يُحشر يوم القيامة بصور أعماله)

وكلّ انسان في البرزخ مرهون بكسبه، محبوس في صور أعماله، إلى أن يُبعث يوم القيامة من تلك الصّور في النشأة الآخرة.

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



الفصل الأوّل

في ذكر العماء ومايحوي عليه إلى عرش الاستواء(٢٢٨)

(الوجود هو الحقّ ولا غير، والحقّ هو الوجود ولا غير)

إعلم أنّ الله موصوف بالوجود ولا شيْ معه موصوف بالوجود من الممكنات، بل أقول: إنّ الحقّ هو عين الوجود وهو قول رسول الله ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»(٢٢٩).

يقول: الله موجود ولا شيء من العالم موجود، فذكر عن نفسه بدء

---

(٢٢٨) قوله: الفصل الأوّل في ذكر العماء.

راجع الفتوحات المكيّة ج ٣ص ٤٢٩.

(٢٢٩) قوله: كان الله ولا شيء معه.

ذكرنا مصادره وكلاماً حوله سابقاً في الجزء الأوّل ص ٣٥٢ التعليق ٨٨ و٨٧.

هذا الأمر أعني ظهور العالم في عينه، وذلك أنّ الله تعالىٰ أحبّ أن يعرف ليجود على العالِم بالعلم به عزّ وجلّ، وعلم أنّه تعالىٰ لا يعلم من حيث هويّته، ولا من حيث يعلم نفسه، وأنّه لا يحصل من العلم به تعالىٰ في العالم إلاّ أن يعلم العالِم أنّه لا يعلم، وهذا القدر يسمّىٰ علما كما قال الصديق: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، إذ قد علم أنّ في الوجود أمراً مّا لا يعلم وهو الله، ولا سيّما للممكنات من حيث إنّ لها أعيانا ثابتة، لا موجودة مساوقة لواجب الوجود في الأزل، كما أنّ لنا تعلّقاً سمعيّا ثبوتيّاً لا وجوديّاً بخطاب الحقّ إذا خاطبنا وأنّ لها قوّة الإمتثال، كذلك لها جمع (جميع) القوىٰ من علم وبصر وغير ذلك، كلّ ذلك أمر ثبوتيّ، وحكم محقّق غير وجوديّ، وعلى تلك الأعيان وبها تتعلّق رؤية من يراها من الموجودات كماترى هي نفسها رؤية ثبوتيّة، فلّما أتّصف لنا بالمحبّة والمحبّة حكم يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه، ولهذا يجد المتنفّس راحة في تنفسه فبروز النَّفَس بها من المتنفّس عين رحمته بنفس (بنفسه)، فما خرج عنه(الاّ) إلى الرّحمة الّتي وسعت كلّ شيء فانسحبت على جميع العالم، ماكان منه ومالا يكون إلى مالا يتناهي. فأوّل صورة قبل نَفَس الرحمٰن صورة العماء(٢٣٠) فهو بخار رحمانّي في (فيه) الرّحمة بل

---

(٢٣٠) قوله: فأوّل صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء.

أخرج الترمذي في صحيحه ج ٥ كتاب تفسير القرآن باب ١٢ سورة هود الحديث ٣١٠٩ ص ٢٨٨ بإسناده عن أبي زرين،قال قلت: يارسول الله! أين كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال:

⬅ «كان في عماء ماتحته هواء ومافوقه هواء، وخلق عرشه على الماء»
قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: «العماء أي ليس معه شيء».
وأخرج مثله أحمد بن حنبل ومسنده ج ٤ ص ١٢، وأيضاً الطبري في تفسيره «جامع البيان» ج ٤ ص ٤، في تفسير سورة هود، وأيضاً أخرج مثله ابن ماجة في سننه ج ١، المقدمة، الحديث ١٨٢ ص ٦٤.
وراجع أيضاً الجزء الأوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٣٥٢ التعليق ٨٧.
قال العلاّمة الطباطبائي في تفسير «الميزان» ج ١٠ في سورة هود، ص ١٧٩، بعد نقل الحديث المذكور عن «الدر المنثور»:
أقول: «العماء الغيم الّذي يمنع نفوذ البصر فيه، و«ما» في قوله: «ماتحته هواء ومافوقه هواء» موصولة، والمراد بالهواء معناه المعروف، والمراد به أنّه كان عماء لا يحيط به الهواء على خلاف سائر العماءات.
والرواية من أخبار التجسّم ولذا وجه بأن قوله: في عماء (الخ) كناية عن غيب الذات الّذي تكل عنه الأبصار وتتحيّر فيه الألباب».
وقال ابن ابي جمهور الأحسائي في تعليقه على الرواية بعد نقله في غوالي اللئالي ج ١ ص ٥٥ الحديث ٧٩:
قال بعض أهل اللغة: «ان العماء: السحاب إن كان الحرف ممدوداً، وإن كان مقصوراً فإنّه أراد: في عماً عن معرفة الناس».
والّذي سنح للفقير: أنّ المراد من الحديث المعنى الثاني، من العمى بالقصر، ضدّ البصر، ويراد به عدم المعرفة قبل خلق الآثار الظاهر بها.
وأمّا قوله: «مافوقه هواء وماتحته هواء» إشارة إلى نفي كل شيء في تلك المرتبة، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام في بدء الإيجاء:
«ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء» (راجع تفسير المحيط الأعظم ج ٢ ص ١٩٠، التعليق ٨٣ و٨٢).
⬅

ويريد به الهواء الّذي أجرى فيه الماء الّذي كان منه بدو الإيجاء، فنفي وجوده ثمّة ليدلّ على أنّه لم يكن معه في تلك المرتبة شيء،ويؤيد قوله ﷺ:

«**كان الله ولا شيء معه وكذلك هو الآن**»، راجع الجزء الاوّل ص ٣٥٢ التعليق ٨٧.

ولهذا قال أهل الإشارة: «أن مرتبة الأحديّة هي مرتبة العمائيّة الّتي لا يلزمها شيء من الصفات والأسماء والأفعال، فهي مرتبة العماء المشار إليه في الحديث، وتلك المرتبة لا يمكن العلم بها، ولا وصول العقول إليها، لعدم الطريق الموصل. فلّما نزّل من تلك المرتبة إلى مرتبة الواحدانيّة الّتي هي مرتبة الصفات والأسماء والأفعال، ظهرت المسمّيات والأفعال وحصل بواسطتها التمييز والمعرفة».

أقول: روي الصدوق في «كتاب التوحيد» باب ٢٨ نفي المكان الحديث ١٢ ص ١٧٨ بإسناده عن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال:

«**إنّ الله تبارك وتعالىٰ كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به المكان، ولا يحلّ في مكان،**

﴿مايكون من نجوىٰ ثلثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلاّ معهم أينما كانوا﴾ [المجادلة: ٧]**.ليس بنيه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال**»

وروي أيضاً في باب العلم من الكتاب الحديث ٩ ص ١٣٧، بإسناده عبدالله ابن مسكان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن الله تبارك وتعالىٰ أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعد ماخلقه؟ فقال:

«**تعالىٰ الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه، كعلمه به بعدما كوّنه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان**».

قال القاضي سعيد القمي في شرح الحديث:

يشبه أن يكون المراد بالمكان في هذا الخبر ماأجاب به النبيّ ﷺ حين سئل: «اين كان

ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «كان في عماء مافوقه هواء وماتحت هواء».
والعماء بالمهملة: الغيم الرقيق، وكلمة «ما» في الموضعين للنفي، فالمراد بـه المـرتبة الواحديّة الّتي ة منشأ الصفات الذاتيّة من العلم والحياة والقدرة وغيرها، وتلك الحضرة هي الواسطة بين سماء الأحديّة والإطلاق وبين أرض الكثرة والتقييد».
وأيضاً روي الصدوق في كتاب التوحيد باب نفي المكان الحديث.
٤ - عن الصادق عليه السلام، أنّه سُئل: أين كان ربنا قبل أن يخلق سماءً وأرضاً؟ فقال عليه السلام:
«(أين) سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان».
قال القاضي سعيد القمي في شرح الحديث:
«لسائل ان يسأل فيقول: قد رُوي أنّه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أين كان الله قبل أن يـخلق السماء والأرض! فقال صلى الله عليه وآله:
«في عماء مافوقه هواء وماتحته هواء».
فمن أين التوفيق بين الخبرين؟ فنقول:
«لما كانت مرتبة الألوهيّة مقام الحيرة وكلّ من تكلّم فيه فقد جهل ماتكلّم به، وتخيّل أنّه قد أصاب وهو مخطئ غاية الخطأ. لأن الألوهيّة لا تنحصر في حدّة،وماكان لذلك لا يحُدّ كنهه، فحدّ الألوهيّة لا يمكن فهي مقام الحيرة، فقوله عليه السلام: «فـي العـما» إن كـان بالقصر فمنعاه: الحيرة وعدم تعلّق المعرفة، لأنّه حارت البصائر والألباب في إدراكـه، إلى أن قال: هذا ملخّص ماقاله بعض أهل المعرفة»
وأقول: ولا يبعد أن يقال: انّ العماء بالمدّ،عبارة عن الألوهيّة الكبرىٰ الّتي هي مـرتبة الواحديّة باصطلاح القوم وضمير «كان» يرجع الى الذات الأحديّة، والمراد أنّه تعالىٰ قبل الخلق فى المرتبة الّتي يمكن أن يخبر عنه تعالىٰ كان فـي مـرتبة الألوهـيّة، وإلاّ فالأحديّة الذاتيّة لا يخبر عنها ولا يعقل ولا يحكم عليها ولا يشار إليها إلاّ بالسلوب».
قال صدر الدين القونوي في تفسيره «اعجاز البيان»:
«فاعلم أنّي متىٰ ذكرت الغيب المطلق في هذا الكتاب فهو إشارة إلى الحـق سـبحانه

وتعالىٰ وهويّته من حيث بطونه وأطلاقه وعدم الإحاطة بكنهه وتقدّمه على الأشياء وإحاطته بها.
وهو بعينه النور المحض والوجود البحث والمنعوت بمقام العزة والغنى.
ومتىٰ ذكرت البرزخ الأوّل وحضرت الأسماء والحدّ الفاصل ومقام الإنسان الكامل من حيث هو انسان كامل وحضرت أحديّة الجمع والوجود وأوّل مراتب التعيّن وصاحبة الأحديّة وآخر مرتبة الغيب وأوّل مرتبة الشهادة بالنسبة إلى الغيب المطلق ومحلّ نفوذ الإقتدار، فهو إشارة الى العماء الّذي هو النَفَس الرحماني.
وهو بعينه الغيب الإضافي الأوّل بالنسبة إلى معقولية الهويّة الّتي لها العيب المطلق».
إعلم أنّ الحق علم كلّ شيء من عين علمه بذاته لم يتّصف بعلم مستفاد من غيره ولا بغيره، ثمّ أوجد العالم على نحو ماعلمه في نفسه أزلاً، فالعالم صورة علمه ومظهره، ولم يزل سبحانه محيطاً بالأشياء علماً ووجوداً.
وكلّ ماظهر فإنّما ظهر منه إذ لم يكن لغيره وجود مساوق لوجوده، كما أخبر الصادق المصدق عليه السلام بقوله:
«كان الله ولم يكن معه شيء»
وقد أخبر سبحانه عن نفسه ناعتاً فقال:
﴿هو الله الّذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ [الحشر: ٢٢].
ونبّه على صفات كماله فقال:
﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾ [الحديد: ٢].
فالإسم الظاهر وسائر ماظهر به من الصوركانت غيباً في غيب الحق وكانت مستهلكة تحت قهر الوحدانية الّتي هي أقرب النعوت نسبة إلى الغيب الإلهي.
والغيب غيبان اضافي وحقيقي فالإضافي مايرد تفصيل حكمه، الحقيقي هو حضرة ذات الحقّ وهويّته»

فان هذا الغيب هو أصل كلّ ماظهر وعلم، وسواهما أعني ماأنفرد الحقّ بمعرفته هو مقام الغني عن العالمين.

وأقرب المراتب نسبة إلى هذا الغيب العماء الّذي هو «النفس الرحماني» وإليه تستند الأحديّة الّتي هي أوّل أحكام التعيّن الأوّل وأقربها نسبة إلى اطلاقه، وهو أعني العماء حضرة الأسماء كلّها والصفات وصاحبة النعوت المذكورة من قبل، وهو أوّل مرتبة الشهادة بالنسبة إلى الغيب الإلهي المذكور، وإلاّ فهو غيب بالإضافة إلى ماتحته.

ونظيره من عالم الحروف في النفس الإنساني الهمزة والألف الّذي به وفيه بدت وتعيّنت صور سائر الموجودات الّتي هي الحروف والكلمات الإلهيّة والأسماء وأسماء الأسماء». اعجاز البيان ص ١٣٦ و١١٥ و١١٤ و١١٢ و٤٨.

وقال أيضاً في «مفتاح الغيب»:

«ينبوع مظاهر الوجود باعتبار اقترانه، وحضرة تجليه ومنزل تعيّنه، العماء الّذي ذكره النبيّ ﷺ مقام التنزل الربانّي ومنبعث الجود الذاتي الرّحماني من غيب الهويّة وحجاب عزّة الإنيّة.

وفي هذا العماء يتعيّن النكاح الأوّل الغيبي الأزلي الفاتح لحضرات الأسماء الإلهيّة الأزليّة». مصباح الأنس ص ٧٦ وراجع أيضاً نفس المصدر ص ١٦٤.

قال السيّد الإمام الخميني ﷺ «مصباح الهداية» ص ٥٧:

«يشبه أن يكون حقيقة العماء هي الخضرة الفيض الأقدس والخليفة الكبرى، فإنّها هي الحقيقة الّتي لا يعرفها بمقامها الغيبي أحد، ولها الوساطة بين الحضرة الأحديّة الغيّبية والهويّة الغير الظاهرة، وحضرة الواحديّة الّتي تقع فيها الكثرة كم شئت.

وإنّما لم نحملها على الحقيقة الغيبيّة لأنّ السؤال عن الربّ، وهذه الحقيقة غير موصوفة بصفة، ولا على الحضرة الواحديّة لأنّها مقام اعتبار الكثرة العلّمية».

قال صدر المتألهين الشيرازي في «الأسفار» المرحلة الخامسة الفصل ٢٨، ج ٢ ص ٣١٧:

«الوجود الصرف (هو) الّذي لا يتعلّق وجوده بغيره، و(هو) الوجود الّذي لا يتقيّد بقيد، وهو المسمّى عند العرفاء بالهويّة الغيبية والغيب المطلق والذات الأحديّة، وهو الّذي لا إسم له ولا نعت له، ولا يتعلّق به معرفة وإدراك.
(وهو) قبل جميع الإشياء، وهو على ماهو عليه في حدّ نفسه من غير تغيّر ولا انتقال، فهو الغيب المحض والمجهول المطلق إلاّ من قِبل لوازمه وآثاره، فهو بحسب ذاته المقدسة ليس محدوداً مقيداً بتعين، ولا مطلقا، وهذا الاطلاق أمر سلبي يستلزم سلب جميع الأوصاف والأحكام والنعوت عن كنه ذاته».
(هذا هو الوجود الصرف وأما الوجود المطلق):
الوجود المنبسط المطلق هو الّذي ليس عمومه على سبيل الكلّية بل على نحو آخر، فإنّ الوجود محض التحصّل والفعليّة، والكلّي سواءً كان طبيعيّاً أو عقليّاً يكون مبهما يحتاج في تحصّله ووجوده إلى انضمام شيء إليه يحصّله ويوجده وليست وحدته عدديّة أي مبدءاً للأعداد، فإنّه حقيقة منبسطة على هياكل الممكنات وألواح الماهيات لا ينضبط في وصف خاصّ، ولا ينحصر في حدّ معين من القدم والحدوث والتقدّم والتأخّر والكمال والنقص والعلية والمعلولية والجوهريّة والعرضيّة والتجرّد والتجسم بل هو بحسب ذاته بلا انضمام شيء آخر يكون متعيناً بجميع التعينات الوجوديّة والتحصلات الخارجيّة، بل الحقائق الخارجيّة تنبعث من مراتب ذاته وأن حاصر تعينّاته وتطوراته . وهو أصل العالم وفلك الحياة وعرش الرحمان. والحق المخلوق به في عرف الصوفيّة، وحقيقة الحقائق.
وهو يتعدّد في عين وحدته بتعدد الموجودات المتحدّة بالماهيّات، فيكون مع القديم قديماً، ومع الحادث حادثاً، ومع المعقول معقولاً، ومع المحسوس محسوساً، وبهذا الإعتبار يتوهم إنّه كلّي وليس كذلك، والعبارات عن بيان انبساطه على الماهيّات واشتماله على الموجودات قاصرة الإشارات إلاّ على سبيل التمثيل والتشبيه، وبهذا يمتاز عن الوجود الّذي لا يدخل تحت التمثيل والإشارة إلاّ من قبل آثاره ولوازمه».

أقول: **الظاهر والله العالم** المراد من العماء في الحديث المذكور، المنقول عن النبيّ الأعظمﷺ هو الوجود المنبسط، المقيد بالإطلاق الّذي عبّر عنه القرآن الكريم بالأمر الواحد في قوله تعالىٰ:

﴿وماأمرنا إلاّ واحدة﴾ [القمر: ٥٠].

وقال تعالىٰ أيضاً فيه:

﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد: ٣].

وهذا هو الّذي يعبّر عنه بالفيض الأقدس والتعيّن الأوّل والنفس الرحماني والفيض المنبسط، قال سبحانه وتعالىٰ:

﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥].

وقال: **﴿هو الّذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾** [الزخرف: ٨٤].

وقال: **﴿ولله المثل الأعلى﴾** [النحل: ٦٠].

وقال: **﴿وهو معكم أين ماكنتم﴾** [الحديد: ٤].

وقال: **﴿فأينما تُولّوا فثمّ وجه الله﴾** [البقرة: ١١٥].

وقال: **﴿مايكون من نجوى إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم﴾** [المجادلة: ٧].

وفيه قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزالة». نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

وقوله ﷺ في الحديث المذكور:

«مافوقه هواء وماتحته هواء».

لعلّه إشارة إلى إطلاقه وعدم محدوديّته وأنّه مطلق لا نهاية له، وأنّه أزليّ وابديّ، لا بدء له ولا نهاية له.

والسائل سئل عن الربّ، والربّ هو الله سبحانه وتعالىٰ لقوله:

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الحمد: ٢].

هو عين الرّحمة، وكان ذلك أوّل ظرف قبلَه وجود الحـقّ فكـان الحـقّ كالقلب للإنسان، كما أنّه تعالىٰ لقلب (الإنسان) العارف المؤمن كـالقلب (للإنسان فهو قلب القلب) كما أنّه ملك الملك فما حوّاه غيره فلم يكن إلاّ هو.

(محال أن يظهر العالم من حكم الباطن)

ثم إنّ جوهر ذلك العماء قبل صور الأرواح من الرّاحة والإستـرواح إليها وهي الأرواح المهيّمة، فلم تعرف غير الجوهر الّذي ظهرت فيه وبه، وهو أصلها وهو باطن الحقّ وغيبه ظهر فظهر فيه وبه العـالم، فـإنّه مـن المحال أن يظهر العالم من حكم الباطن فلابّد من ظهور حقّ يكون ظهور صور العالم به فلم يكن غير العماء فهو الإسم الظّاهر الرّحمان فهامَت في نفسها، ثمّ أيّد (أيه) واحداً من هذه الصور الروحيّة بتجلّ خاصّ عـلمي

⮌ وأمّا الذات المقدّسة والهويّة المطلقة، وهو أجلّ وأكبر من أن يدرك ويعرف بالبرهان أو الشهود، ولا يليق أيّ تعيّن ومرتبة لأن يقع في جواره عزّ إسمه حتّى في التعبير اللفظي عنه سبحانه وتعالىٰ إلاّ عبده المطلق في العبوديّة للذات المطلقة كـما قـال سـبحانه وتعالىٰ:

﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده﴾ [الأسراء: ١].

وقال: ﴿وأوحىٰ الى عبده ماأوحىٰ﴾ [النجم: ١٠].

رزقنا الله سبحانه وأيّاكم وكل مؤمن ذكره والتوجّه إليه والإخـلاص له آمـين يـاربّ العالمين.

وأشرنا إلى هذا أيضاً في المقدّمة لتفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ١٤٥.

وراجع أيضاً الجزء الثاني ٣٧٥ التعليق ١٧٨، في بيان معنى العماء.

انتقش فيه علم مايكون إلى يوم القيامة ممّالا تعلمه الأرواح المهيّمة، فوجد في ذاته قوّة امتاز بها عن ساير الأرواح فشاهدهم وهم لا يشاهدونه، ولا يشهد. بعضهم بعضا، فرأى نفسه مركباً منه ومن القوّة الّتي وجدها، علم بها صدوره كيف كان، وعلم أنّ في العلم حقائق معقولات سمّاها معقولات من حيث إنّه عقلها لما تميّزت عنده، فلم يكن لها أن يكون كلّ واحدة منها عين الأخرىٰ فهي للحقّ معلومات، وللحقّ ولأنفسها معقولات، ولا وجود لها في الوجوب الوجودي ولا في الوجوب الإمكاني (في الوجود الوجودي ولا في الوجود الإمكاني) فيظهر حكمها في الحقّ فتنسب إليه وتسمّى أسماء الإلهيّة، فينسب إليها من نعوت الأزل ماينسب إلى الحقّ، وينسب أيضاً إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه فينسب إليها من نعوت الحدوث ماينسب إلى الخلق فهي الحادثة القديمة والأبديّة الأزليّة.

(العماء هو نَفَس الرحمن وجوهره صورة الإنسان الكامل)

وعلم عند ذلك هذا العقل: أنّ الحقّ ماأوجد العالم إلاّ في العماء ورأى أنّ العماء نَفَس الرحمن، فقال: لابّد من أمرين يسميّان في العلم النظري مقدّمتين لإظهار أمر ثالث هو نتيجة ازدواج تينك المقدّمتين، ورأى عنده من الحقّ ماليس عند الأرواح (المهيّمة فعلم أنّه أقرب مناسبة للحقّ من سائر الأرواح)، ورأى في جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الّذي هو للحقّ بمنزلة ظلّ الشّخص من الشّخص، ورأى نفسه ناقصاً عن تلك

الدّرجة، وقد علم مايتكّون عنه من العالم إلى آخره في الدنّيا وفي المولّدات، فعلم أنّه لابّد أن يحصل له درجة الكمال الّتي للإنسان الكامل وإن لم يكن فيها مثل الإنسان.

(الإنسان الكامل أكمل من العقل الأوّل)

فإنّ الكمال في الإنسان الكامل بالفعل، وفي العقل الأوّل بالقوّة «وماكان بالقوّة»، والفعل أكمل في الوجود ممّن هو بالقوّة (دون الفعل)، ولهذا وجد العالم في عينه فأخرجه من القوّة إلى الفعل ليتصف بكمال الإقتدار، ولو كان في الإمكان إيجاد الممكنات كلّها لما ترك منها واحداً منعوتاً بالعدم، لكن يستحيل ذلك لعدم التّناهي، ومايدخل في الوجود فلابّد أن يكون متناهياً فتجلّى له الحقّ فرأى لذاته ظلاً لأنّ ذلك التجلّي كان كالكلام لموسى من جانب الطور.

كذلك كان التجلّي الإلهي لهذا العقل من الجانب الأيمن، فإنّ الله له يَدَين مباركتَين مبسوطتَين يعني فيهما الرحمة فلم يقرن بهما شيئاً من العذاب فيعطي رحمة يبسطها ويعطي رحمة يقبضها، فإنّ القبض ضم إليه والبسط إنفساح فيه، فكان ذلك الظلّ الممتّد عن ذات العقل من نور ذلك التجلّي، وكثافة المحدث بالنظر إلى اللطيف الخبير نفساً، وهو اللوح المحفوظ.

والطّبيعة الذاتيّة مع ذلك كلّه، وتسمّىٰ هناك حياة وعلماً وإرادة وقولاً، كما تسمّى في الأجسام حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة، وكما تسمّىٰ في الأركان ناراً وهواءً وماءً وتراباً، كما تسمّى في الحيوان سوداء، وصفراء،

وبَلْغماً، ودَماً، والعين واحدة والحكم مختلف:

فالعين واحدة والحكم مختلف وذاك سرّ لأهل العلم يـنكشف

ثمّ صرف العقل وجهه إلى العماء فرأى مابقي منه لم يظهر فيه صورة وقد أبصر ماظهرت فيه الصّور منه قد أنار بالصّور ومابقي دون صورة رآه ظلمة خالصة ورأى أنّه قابل للصّور والإستنارة.

(في تكوّن العرش)

فاعلم أنّ ذلك لا يكون إلاّ بالتحامك بظلك فعمّه التجلّي الإلهيّ، كما تعمّ لذّة الجماع نفس الناكح حتّى تغيبه عن كلّ معقول ومعلوم سوى ذاتها. فلما عمّه نور التجلّي رجع ظلّه إليه واتّحد به فكان نكاحاً معنويّاً صدر عنه العرش الّذي ذكر الحقّ أنّه استوى عليه الإسم الرّحمن فقال:

﴿الرّحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

فما أنكره (من أنكره) أعني الإسم الرّحمٰن إلاّ للقرب المفرط ولم يقرّوا بالله إلاّ لِما يتضمّنه هذا الإسم من الرحمة والقهر فعلم وجهل الرّحمٰن فقالوا: ومالرحمن، ولو قالها بلسان غير العربّي لقال مايشبه هذا المعنى، ويقع الإنكار منهم أيضاً، فلا أقرب من الرّحمة إلى الخلق لأنّه ماثمّ أقرب إليهم من وجودهم ووجودهم رحمة بلا شكّ.



الفصل الثّاني

في صورة العرش والكرسي والقدمين، والماء الّذي عليه العرش، والهواء الّذي عليه الماء، والظلمة الّتي ظهر عنها الهواء الّذي يمسك الماء ويمسك عليه (الجرية و) الحملة والحافيّن.

(العرش مرآة للعلم الإلهي)

إعلم أنّ هذه الظّلمة هي ظلمة الغيب ولهذا سميت ظلمة أي لا يظهر مافيها، فكلّما برز من الغيب ظهر لنا، فنحن ننظر إلى ماظهر من صور العالم في مرآة الغيب، ولا نعرف أنّ ذلك في مرآة غيب وهي للحقّ كالمرآة، فإذا تجلّى الحقّ لها انطبع فيها مافي العلم الإلهيّ من صور العالم وأعيانه، ومازال الحقّ متجليّاً لها فما زالت صورالعالم في الغيب، وكلّ ماظهر لمن وجد من العالم فإنّما هومايقابله في نظره في هذه المرآة الّتي هي الغيب، فلو جاز أن يُعلم جميع مافي علم الحقّ وذلك لا يجوز فلا

يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة إلاّ ماتراءىٰ له منها، فكان ممّا رآه فيها صورة العرش الّذي استوىٰ الرّحمن عليه وهو سرير ذو أركان أربعة ووجوه أربعة هي قوائمة الأصليّة الّتي لو استقبل (استقلّ) بها لثبت عينه (عليه)، إلاّ أنّه جعل في كلّ وجه من الوجوه الأربعة له قوائم كثيرة على السواء في كلّ وجه معلومة عندنا أعدادها زايدة على القوائم الأربعة وجعله مجوّفاً محيطاً بجميع مايحوي عليه من كرسيّ وأفلاك وجنّات وسماوات وأركان ومولّدات.

فلّما أوجده استوى عليه الرحمن وأخذ (واحد) الكلمة لا مقابل لها فهو رحمة كلّه، ليس فيه مايقابل الرحمة وهو صورة في العماء.

(في أن العقل أب والنفس أمّ)

فالعقل أبوه والنّفس أمّه ولذلك استوى عليه الرحمن فإنّ الأبوين لا ينظران أبداً لولدهما إلاّ بالرّحمة والله أرحم الراحمين.

فالنفس (والنفس) والعقل موجودان كريمان على الله محبوبان لله فما استوى على العرش إلاّ بما تقربه أعين الأبوين وهو الرّحمن.

فعلمنا أنّه مايصدر عنه إلاّ مافيه رحمة، وإن وقع ببعض العالم غصص فذلك لرحمة فيه لولا ماجرعه إيّاها اقتضى ذلك مزاج الطبع ومخالفة الغرض النفسي، فهو كالدّواء الكريه الطعم المستلذ، وفيه رحمة للذي يشربه ويستعمله وان كرهه، باطنه (فباطنه) فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ومايستوي عليه الرحمن تعالىٰ إلاّ بعد ماخلق الأرض:

﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ [فصلت: ١٠].

وخلق السموات،

﴿وأوحى في كلّ سماء أمرها﴾ [فصّلت: ١٢].

وفرغ من خلق هذه الأمور كلّها، ورتّب الأركان ترتيباً يقبل الإستحالات لظهور التكوين والتنقل من حال الى حال (و) بعد هذا استوى على العرش قال تعالىٰ:

﴿فسئل به خبيراً﴾ [الفرقان: ٥٩].

يعني كلّ من حصل له ذلك ذوقاً كأمثالنا، فإنّ أهل الله ماعملوا الّذي عملوا إلاّ ذوقاً، ماهو عن فكر ولا عن تدبّر، فهو تعالىٰ النازل الّذي لا يفارق المنزل ولا النزول، فهو مع كلّ شيء بحسب حال ذلك الشيء.

وفي ليلة (تقييدي) ظهر لي هذا الوجه أراني الحقّ في واقعتي رجلاً ربع القامة فيه شقرة فقعد بين يدي وهو مبشرة ساكت، فقال لي الحقّ: هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو، فقال لي: هذا أبو العبّاس بن جودي من ساكني البشرّات، وأنا إذ ذاك في دمشق، فقلت له: ياربّ وكيف يستفيد منّي وأين أنا منه، فقال لي: قل فإنّه يستفيد منك فكما أريتك إيّاه أريته إيّاك، فهو الآن يراك كما تراه يخاطبه (فخاطبه) يسمع منك ويقول هو مثل ماتقول أنت، يقول: أرأيت رجلاً بالشّام يقال له محمّد بن العربي وسماني أفادني أمراً لم يكن عندي فهو أستادي، فقلت له: ياأبا العباس ماالأمر، قال: كنتُ أجهد في الطلب وأنصب وأبذل جهدي، فلمّا كشف لي علمت أنّي مطلوب فاسترحت في ذلك الكدّ، فقلت له: ياأخي من كان خيراً منك وأوصل بالحقّ وأتمّ في الشهود وأكشف للأمر، قيل له: وقل: «ربِّ زدني علماً» [طه: ١١٤]، فأين

الراحة في دار التكليف مافهمت ماقيل تلك فذلك (لك قولك) علمت إنّي مطلوب، ولم تدر بماذا، نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الإجتهاد والجدّ، ماهذه الدّار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في أمر يأتيك في كلّ نفس فاين الفراغ، فشكرني على ماذكرته به، فانظر عناية الله بنا وبه.

ثمّ نرجع فنقول:

(في خلق الملائكة وحملة العرش)

ثمّ إنّه تعالى خلق ملائكة من أنوار العرش يحفون بالعرش، وجعل فيما خلق من الملائكة اربع حملة تحمل العرش من الأربع القوائم الّذي هو العرش عليها وكلّ قائمة مشتركة بين كلّ وجهين إلى حدّ كلّ نصف وجه، وجعل أركانه متفاضلة في الرّتبة، فأنزلني في أفضلها من جملة حملته، فإنّ الله وإن خلق ملائكة يحملون العرش، فإنّ له من الصّنف الإنساني أيضاً صوراً تحمل العرش الّذي هو مستوى الرحمن، أنا منهم والقائمة الّتي هي أفضل قوائمه هي لنا، وهي خزانة الرّحمة فجعلني رحيماً مطلقاً مع علمي بالشّدائد، ولكن علمت أنّه ماثمّ شدّة إلاّ فيها رخاوة ولا عذاب إلاّ وفيه رحمة، ولا قبض إلاّ وفيه بسط، ولا ضيق إلاّ وفيه سعة فعلمت الأمرين.

والقائمة الّتي على يميني قائمة رحمة أيضاً، لكن مافيها علم شدّة فينقص حاملها في الدّرجة عن حامل القائمة العظمى الّتي هي أعمّ القوائم، والقائمة الّتي على يساري قائمة الشّدّة والقهر فحاملها لا يعلم غير

ذلك، والقائمة الرّابعة الّتي تقابلني أفاضت عليها القائمة الّتي أنا فيها ممّا هي عليه فظهرت بصورتها فهي نور وظلمة وفيها رحمة وشدّة، وفي نصف كلّ وجهة قائمة فهي ثمانية قوائم لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة، فإذا كان في القيامة وكّل الله بها من يحملها فيكونون في الآخرة ثمانية وهم في الدّنيا أربعة، ومابين كلّ قائمتين قوائم العرش عليها وبها زينته، وعددها معلوم عندنا، لا أبيّنه لئلاّ يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقايق: أنّ تلك القوائم عين ماتوهّموه، وليست كذلك فلهذا لم نتعرّض لإيضاح كميّتها.

وبين مقرّ العرش وبين الكرسي فضاء واسع وهواء محترق، وصور أعمال بعض بني آدم من الأولياء في زوايا العرش تطير من مكان إلى مكان في ذلك الإنفساح الرّحماني، وقوائم هذا العرش على الماء الجامد، ولذلك يضاف البرد إلى الرّحمة كما قال رسول الله ﷺ:

«وجدت برد انامله»(٢٣١).

---

(٢٣١) قوله: وجدت برد أنامله.

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٢٤٣، بإسناده عن معاذ بن حبل، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني قمت من الليل، فصلّيت ماقدر لي، فنعست في صلاتي حتّى استيقظت فاذا أنا بربّي عزّ وجلّ في أحسن صورة، فقال، يامحمّد! أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟، قلت: لا أدري يارب، قال: يامحمد! فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: لا أدري ربّ، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتّى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلّى لي كلّ شيء وعرفت». الحديث.

روي المجلسي في البحار ج ١٨ باب إثبات المعراج ص ٣٧٢، الحديث ٧٩، نقلاً عن إبراهيم بن هاشم في تفسيره، بإسناده عن إسماعيل الجعفي، قال: كنت في المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر عليه السلام في ناحية، فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرّة، وإلى الكعبة مرّة، ثمّ قال:

﴿سبحان الّذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾، وكرّر ذلك ثلاث مرّات، ثمّ التفت إليّ فقال: أي شيء يقول أهل العراق في هذه الآية ياعراقي؟ قلت: يقولون: أُسري به من المسجد الحرام إلى البيت المقدّس، فقال: «**ليس هو كما يقولون، ولكنّه أسرى به من هذه وأشار بيده إلى السماء، وقال: مابينهما حرم، قال: فلّما انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياجبرئيل أفي مثل هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه خلق من خلق الله قبلك، فرأيت ربّي (فرأيت نور ربّي) وحال بيني وبينه السبحة.**

قال: قلت: وماالسبحة جعلت فداك؟ فأومأ بوجهه إلى الأرض وأومأ بيده إلى السماء وهو يقول: جلال ربّي، جلال ربّي، ثلاث مرّات قال: يامحمّد! قلت: لبيّك ياربّ، قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلاّ ماعلّمتني، قال: فوضع يده بين ثديّي فوجدت بردها بين كتفيّ، قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقي إلاّ علمته» . الحديث.

راجع أيضاً «التوحيد» للصدوق باب العرش وصفاته الحديث ١ ص ٣٢١.

فنقول: لاشك في أنّ ماذكر في الحديث تشبيه المعقول بالمحسوس، وهناك روايات كثيرة متواترة في المضمون، تدل على أن للانسان الكامل (من الرسل والخاتم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من العترة عليهم السلام) قوّة هي منشأ عصمتهم عن الخطأ علماً وعملاً مطلقاً، وأنّ تلك القوّة المعنويّة الإلهية أيضاً منشأ لعلمهم الحضوري بحقائق العالم وأسراره بما هي مطلقاً.

(حملة العرش ومقر الكرسي)

فالعرش إنّما يحمله الماء الجامد، والحملة الّتي له إنّما هي خدمة تعظيماً له وإجلالاً (خدمة له تعظيماً واجلالاً)، وذلك الماء الجامد مقرّه على الهواء البارد، وهو الّذي جمد الماء وذلك الهواء نفس الظّلمة الّتي هي الغيب، ولا يعلم أحد ماتلك الظّلمة إلاّ الله كما قال:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ [الجن: ٢٦].

وفيها يكون النّاس على الجسر إذا بدّلت الأرض غير الأرض، والتبّدل في الصّفة لا في العين، فيكون أرض صلاح. لا أرض فساد وتمدّ مدّ الأديم، فلا يرى فيها عوجا ولا أمتاً، وسيأتي ذكر ذلك في فصله من هذه الفصول إن شاء الله.

➲ ومعلوم أنّ هذا بحث قرآني وحديثي وبرهاني وعرفاني، يطلب المقام الآخر، ولكن لمزيد الفائدة نذكر بعض العبارات الواردة في طرف من تلك الأحاديث:

«إن الله تبارك وتعالىٰ جعل في النبيّ ﷺ روح القدس فبه حمل النبّوة، فإذا قبض النبيّ ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس كان يُرىٰ به، وبروح القدس عرفوا الأشياء، به عرفوا ماتحت العرش إلى ماتحت الثرىٰ. وأن الله سبحانه وتعالىٰ أيّدهم بروح منه مقدّسة مطهرة ليست بمَلَك، تُسدِّدهم وتوفِّقهم، وهو عمود من نور بينهم وبين الله عزّ وجلّ، أي يعرفون من خلال هذا النور كل ماكان وكل مايكون يعني كل شيء».

راجع الأصول من الكافي ج ٢ ص ٢٧١ وص ٢٧٣، وبحار الانوار ج ٢٥ ص ٤٨ الحديث ٧ والآيات القرآنية الكريمة أيضاً دالّة على هذه الحقيقة، راجع تفسير الميزان ج ٥ ص ٧٨.

وراجع الجزء الاوّل من تفسير المحيط الأعظم ص ٢٥٨ التعليق ٣٩.

(في خلق الكرسي وتكوّنه)

وخلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشّكل، ودلى إليه القدمين، فانقسمت الكلمة الواحدة الّتي هي في العرش واحدة فهي في العرش رحمة واحدة إليها مآل كلّ شيء، وانقسمت في الكرسي إلى رحمة وغضب مشوب برحمة، اقتضى ذلك التّركيب لما يريد الله ان يظهر في العالم من القبض والبسط والأضداد عليها (كلّها). فإنّه المعزّ المذلّ، والقابض الباسط، والمعطي المانع، قال تعالىٰ:

﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب﴾ [الزّمر: ١٩].

فهذا من انقسام الكلمة، غير أنّ الأمر إذا كان ذاتيّاً لم يمكن إلاّ هذا.

أنظر إلى الكون في تفصيله عجباً ومرجع الكلّ في العقبىٰ إلى الله
في الأصل متّفق في الصّور مختلف دنياً وآخرة فالحكم لله
في الله من كونه مَجلى لعالمه ولا يَرى الكون إلا اللهُ بالله
فاعْلَم وجودَكَ إنّ الجود موجِدة وكن بذاك علىٰ علم من الله

وكما استوى الرّحمن على العرش استوت قدماه (القدمان) على الكرسيّ وهو على شكل العرش في التربيع لا في القوائم، وهو في العرش لحلقة ملقاة. فالكرسي موضع راحة الاستواء، فإنّه ماتدلى إليه ماتدلى إلاّ مباسطة. فالقدم الثبوت فتانك قدم الصّدق، وقدم الجبّار، وقدم الجبر، وقدم الإختيار، ولهاتين القدمين مراتب كثيرة في العلم الإلهي لا يتّسع الوقت لإيرادها لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز والإختصار.

ومقرّ هذا الكرسيّ أيضاً على الماء الجامد، وفي جوف هذا الكرسي

جميع المخلوقات من سماء وأركان هي فيه كهو في العرش سواء، وله ملائكة من المقسمات، ولهذا انقسمت الكلمة فيه، لأنّ هذا الصّنف لا يعرفون أحدية وإن كانت فيهم، فإنّ الله وكّلهم بالتقسيم مع الأنفاس فلو أشهدهم الأحدية منهم ومن الأمور كلّها ربما شغلوا بها نفسا واحداً عن التقسيم الّذي خلقوا له وهم المطيعون كما أخبر الله عنهم فحيل بينهم وبين مشاهدة الواحدات فأيّة وحدة تجلّت لهم قسموها بالحكم، فلا يشهدون إلاّ القسمة في كلّ شيء ولا غفلة عندهم ولا نسيان لما علموه.

(المفاوضة والإختصام في الملأ الأعلى)

وأمّا ملائكة التوحيد والوحدات إذا جمعهم مع المقسمات مجلس إلهيّ وجرت بينهما مفاوضات في الأمر اختصما لأنّهما على النّقيض، وهذا من جملة مايختصم فيه الملأ الأعلى، فيقول الصنّف الواحد بالوحدة، ويقول الآخر بالإنقسام والثّنويّة لم توجد أرواحهم إلا من هذه الأرواح ولم توجد هذه الأرواح إلاّ من القوّتين اللّتين في النّفس الكلّيّة، وههنا أبحاث كثيرة لا يخفىٰ علىٰ أهلها، وبالله التوفيق».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

في الفلك الأطلس والبـروج والجـنّات وشـجرة طوبى وسطح الفلك المكوكب [٢٣٢]

إعلم أنّ الله خلق في جوف هذا الكرسي الّذي ذكرناه، جسماً شفّافاً مستديراً، قسّمه اثني عشر قسماً، سمّي الأقسام بروجاً وهي الّتي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالىٰ:

﴿والسّماء ذات البروج﴾ [البروج: ١].

وأسكن كلّ برج منها مَلَكاً هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدّنيا فهم مابين مائيّ، وترابيّ، وهَوائي، وناريّ، وعن هؤلاء يـتكوّن فـي الجـنّات

---

(٢٣٢) قوله: الفصل الثالث في الفلك الأطلس

الفتوحات المكيّة ج ٣ص ٤٣٣.

مايتكوّن، ويستحيل فيها مايستحيل، ويفسد مايفسد وأعني ينفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ماهو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا تتوهّم.

(في أنّ الأئمة الإثني عشر وسائط فيض الله سبحانه و في بيان عصمتهم)

ومن هنا قالت الإماميّة بإثني عشر إماماً(٢٣٣)، فإنّ هؤلاء الملائكة

---

(٢٣٣) قوله: قالت الإماميّة باثنى عشر إماماً.

أقول: يعتقد الإماميّة الإثنا عشريّة بأن الأئمة الهدىٰ المعصومين بعد الرسول الخاتمﷺ إثني عشر، الذين هم أهل بيته وعترته الأطهار، ودليلهم على هذا الإعتقاد إضافة على البراهين الّتي ذكروهم في كتبهم الإعتقاديّة نصّ النبيّ الخاتمﷺ على عددهم وأسمائهم ونسبهم، والأحاديث الواردة عنهﷺ في المقام كثيرة جداً ومتواترة، ونذكر هنا بعضها كما يلي:

أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٥ ص ٩٠ وص ٩٥ و١٠٨ باسناده عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة**»، فقال كلمة خفية لم أفهمها، قال: قلت لأبي ماقال، قال: قال: «**كلّهم من قريش**».

أيضاً فيه عنه قال: سمعت نبيّ اللهﷺ يقول: «**يكون أثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال القوم: كلهم من قريش**».

وأيضاً فيه ص ٨٧ عنه قال: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه لا يضره مختلف ولا مفارق حتّى يمضي من أمّتي اثنا عشر أميراً كلهم، ثمّ خفي من قول رسول اللهﷺ قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول اللهﷺ منّي قلت: ياأبتاه ماالّذي خفي من قول رسول اللهﷺ، قال: يقول: كلّهم من قريش.

وأخرجه أيضاً الحاكم في (المستدرك) ج ٣ ص ٦١٨ و٦١٧.

وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه ج ٩ ص ٧٢٩ باب الاستخلاف الحديث ٢٠٣٤ عن جابر بن سمرة عن النبيّ ﷺ وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه ج ٣ كتاب الإمارة باب ٣٣ بعبارات مختلفة، بإسناده عن جابر بن سَمُرة، عن النبيﷺ، ض ٣ و١٤٥٢، الحديث ١٠ و٩ و٨ و٧ و٦.

راجع في هذا، كتاب «ملحقات احقاق الحق» للعلاّمة الحجّة السيّد المرعشي النجفي ج ١٣ ص ١، قسم تنصيص رسول اللهﷺ على أنّ الخلفاء بعده أثنا عشر، قال: وحيث إنّ المتون المرويّة من هذا المتواتر مختلفة نذكر كلّ متن منها على حده بطرقه المرويّة بها في كتب القوم.

ونقل فيه احاديث، عن جابر بن سمرة، وعن ابن مسعود، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعن عبد الملك بن عمير، وعن أبي الجلد، وعن عبدالله بن عمر، وعن حديث أبي جحيفة، كلّهم عن رسول اللهﷺ.

إلى أن قال في ص ٤٩:

جملة من النصوص المأثورة عن النبيﷺ في التصريح بأسماء الأئمّة الاثني عشرﷺ:

فمنها حديث ابن عباس، رواه سعد الدين محمد بن أبي بكر الحمويني المصري المتوفّى ٧٢٢ في «فرائد السمطين» (مخطوط) بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قدم يهوديّ يقال له: مغثل، فقال يامحمّد أسألك عن أشياء (إلى أن قال): فأخبرني عن وصيّك من هو، فما من نبّي إلاّ وله وصيّ وانّ نبيّنا موسى بن عمران أوصىٰ يوشع بن نون، فقال: إنّ وصييّ عليّ بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين، فابنه عليّ، فإذا مضى على فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد، فإذا مضىٰ محمّد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى فابن الحجّة محمّد المهدي، فهؤلاء اثنا عشر.

وفيه أيضاً ص ٦٨ روى عن محمّد بن اسحاق الحمويني الخراساني في كتابه «مناهج

الفاضلين» بإسناده عن أبي ذر وسلمان ومقداد وغيرهم، أنّه قال رسول الله ﷺ لعليّ:
«ياعلي أنت خليفتي من بعدي وأمير المؤمنين، وأمام المتقين، وحجّة الله على خلقه، ويكون بعدك أحد عشر إماماً من أولادك وذريّتك واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة، هم الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وبطاعتي، كما قال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.
قال: يارسول الله بيّن بي إسمهم، قال:
«إبني هذا ثمّ وضع يده على رأس الحسن، ثمّ ابني هذا، ثم وضع يده على رأس الحسين، ثمّ سميّك ياعلي وهو سيّد الزهاد وزين العابدين، ثمّ ابنه محمّد سمّي باقر علمي وخازن وحي الله تعالى، ثمّ يكمل أحد عشر إماماً معهم ولدك، مع مهديّ أمّتي محمّد الّذي يملأ الله (به) الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». وروي قريب منه سليم بن قيس عن النبي ﷺ كتاب سليم بن قيس ص ٦٤ الحديث ١١.
وذكر السيد المرعشي فيه الاحاديث الأخرى أيضاً فراجع.
والنصوص الواردة عن النبيّ ﷺ على أنّ الأئمّة كلّهم من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كثيرة جداً وقد ذكرها عن طرق الخاصّة والعامّة الحرّ العاملي في كتاب اثبات الهداة وأيضاً السيّد البحراني في غاية المرام وسليمان بن ابراهيم القندوري في ينابيع المودة، والمجلسي في البحار ج ٣٦ الباب ٤١ ص ٢٢٦، فراجع.
وراجع أيضاً كتاب الغيبة للطوسي رحمه الله ص ١٢٦ و (ص ٨٧ طبع النجف) قال: وممّا يدلّ على إمامة صاحب الزمان ابن الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام وصحّة غيبته ماروواه الطائفتان المختلفتان، والفرقتان المتباينتان العامة والخاصّة: أنّ الأئمّة عليهم السلام بعد النبيّ ﷺ إثنا عشر لا يزيدون ولا ينقصون، الى ان قال:
«فنحن نذكر جملاً من ذلك... فممّا روي في ذلك من جهة مخالفي الشيعة».
فنقل هناك الأحاديث الكثيرة فراجع، منها مارواه في ص ١٤٧ الحديث ١٠٩ بإسناده

➡ عن أبي سلمى راعى النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
سمعت ليلة أسري بي إلى السماء، قال العزيز جلّ ثناؤه:
«آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه» – قلت – «والمؤمنون»، قال: صدقت يامحمّد، من خلّفت لأمتك؟ قلت: خيرها.
قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يارب.
قال: يامحمّد: إنّي اطلعت على الأرض اطّلاعة فاخترتك منها، فشققت لك إسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلاّ وذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت منها عليّاً وشققت له إسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ.
يامحمّد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين من شبح نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين.
يامحمّد لو أنّ عبداً من عبادي عبدني حتىٰ ينقطع ويصير مثل الشنّ البالي ثمّ أتاني جاحداً بولايتكم ماغفرت له حتىٰ يقرّ بولايتكم.
يامحمّد أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم ياربّ فقال: إلتفت عن يمين العرش، فالتفتّ فإذا أنا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى، وعليّ والحسن والمهدي، في ضحضاح من نور، قيام يصلّون، والمهدي في وسطهم كأنّه كوكب دريّ.
فقال: يامحمّد هؤلاء الحجج، وهذا الثائر من عترتك.
يامحمّد وعزّتي وجلالي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي.»
عنه البحار ج ٣٦ ص ٢٦١ الحديث ٨٢.

روي الصدوق في «كمال الدين» الباب ٢٤ الحديث ١٠ ص ٣٧٧ بإسناده عن سلمان الفارسي، قال: كنت جالساً بين يدي رسول الله ﷺ في مرضه الّذي قبض فيها، فدخلت ⬅

فاطمة عليها السلام فلّما رأت مابأبيها من الضعف بكت حتّى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «مايبكيك يافاطمة. قالت:

يارسول‌الله أخشي على نفسي و ولدي الضيعة بعدك، فاغرو رقت عينا رسول‌الله صلى الله عليه وآله بالبكاء ثمّ قال:

«يافاطمة أما علمتِ أنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفنا على جميع خلقه، وأنّ الله تبارك وتعالىٰ أطلع إلى الأرض إطلاعةً فاختارني من خلقه، وجعلني نبياً.

ثمّ أطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية فاختار منها زوجك، وأوحى إليّ أن أزوّجك إيّاه، واتّخده وَليّاً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمّتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأولياء، وأنت أوّل من يلحق بي من أهلي.

ثمّ أطلع إلى الأرض ثالثة فاختارك وولديك، فأنتِ سيّدة نساء أهل الجنّة، وأبناكِ حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلّهم هادون مهديّون.

وأوّل الأوصياء بعديي أخي علي، ثمّ حسن، ثمّ حسين، ثمّ تسعة من وُلد الحسين في درجتي، وليس في الجنّة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجتي أخي» . الحديث.

راجع في ما ورد من النصّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله بأن الأئمة بعده صلى الله عليه وآله إثنا عشر، «الطرائف» للسيّد ابن طاووس رحمه الله ص ١٦٨.

قال الشيخ نصير الدين الطوسي في إمامة باقي الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«والنقل المتواتر دلّ على الأحد عشر».

وقال العلاّمة الحلّي في «كشف المراد» في شرح ماقال الطوسي:

وقد نقل المخالفون ذلك من طرق متعددة، تارة على الإجمال وأخرى على التفصيل،

أئمّة العالم الّذي تحت إحاطتهم، ومن كون هؤلاء الإثني عشر لا يتغيّرون عن منازلهم، لذلك قالت الإماميّة بعصمة الأئمّة(٢٣٤)، لكنّهم لا يشعرون

كما روي عن رسول الله ﷺ متواتراً أنّه قال للحسين عليه السلام:

«هذا أبني إمام ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمّة تسعة، تاسعهم قائمهم»

وقال المحقق الاردبيلي في «الحاشية على إلهيات الشرح الجديد على التجريد» في تعليقه على قول الطوسي المذكور ص ٤١٧:

«وبعض فضلاء الرواة ونقلة الأخبار صنّف كتاباً مفرداً في نقل الصحابة، النصّ من رسول‌الله ﷺ على الأئمّة الاثني عشر بأعيانهم.

وأفرد لكلّ رواٍ منهم باباً، فيه ماورد عن الأئمّة عليهم السلام مما يوافق نقل الصحابة، وأنا أقتصر من ذلك على حديث أو حديثين من كلّ باب، وأعقبه ممّا تيسر ماأعقبه، لئلا ينتهي إلى الإكثار والإطناب».

فذكر بعد ذلك الأحاديث عن: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، أبي سعيد الخدري، وأبي ذر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وأبي أمامة، ووائلة بن الاسفح، وأبي أيّوب الأنصاري، وعمّار بن ياسر، وحذيفة اليمان، وأبي قتادة الحارث بن الربعي، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، والحسن بن عليّ عليهما السلام، والحسين بن عليّ عليهما السلام، وأمّ سلمة، وعائشة، وأبي سلمة، وسهل بن سعيد الأنصاري.

فقال: هذابعض ماأقتصرناه من طرق العامّة، وأمّا طرق الخاصّة فغير منحصره عموماً وخصوصاً عن النبيّ ﷺ ونصّ الأئمّة، ونصّ كل واحد من بعده، مذكور في الكافي وغيره»، فراجع.

وأنظر أيضاً في المقام، كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص ٢٣٦ إلى ص ٢٥٥، و«المقدّمات من كتاب نصّ النصوص» للسيّد المؤلّف رحمه الله ص ١٥٥ و٢٨٥، وتفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٥٣٧ الى ٥٧٨.

(٢٣٤) قوله: قالت الإمامية بعصمة الأئمّة.

⮌ **أقول:** ماهي العصمة وماهي الإمامة ولماذا يجب العصمة في النبيّ والإمام؟ وماهي الإمامة في القرآن وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام؟

هل أنّها هي الحكومة والقيادة السياسيّة فقط؟ كما زعم كثير من المسلمين، أم أنّها حقيقة أخرىٰ ومقام إلهيّ وأنساني آخر، والحكومة شأن (دان، دنيويّ، ظاهريّ) من شؤون الإمام؟ كما هو أعتقاد الشيعة الإماميّة.

لكي يتّضح الجواب عن هذه التسائلات إجمالاً نقول:

أوّلاً، يدل على عصمة الأنبياء قسم من الآيات القرآنيّة، منها قوله تعالىٰ:

﴿واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم* أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٨٧ و ٩٠]

وقوله تعالىٰ:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً* إلاّ من أرتضىٰ من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وقوله تعالىٰ في النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله:

﴿ماضلّ صاحبكم وماغوىٰ* وماينطق عن الهوىٰ* إن هو إلاّ وحي يوحىٰ* ماكذب الفؤاد مارأىٰ﴾ [النجم: ٢ - ٣ - ٤ - ١١].

ويدلّ على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام قوله تعالىٰ:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

دلالتها على عصمة أهل البيت وهم النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين، لا ريب فيه، تفصيل البحث يطلب مقاماً آخر.

وقول النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين المتواتر سنداً: **«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزّ وجل وعترتي أهل بيتي، ألا وهما الخليفتان من بعدي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».** ⮌

أمّا دلالة الحديث فواضحة، وهي بما أن القرآن معصوم لا ريب فيه، ولو لم يكن أهل البيت عليهم السلام معصومين، يوجد الافتراق بينهما، ومعلوم أنّ الإفتراق بينهما منفيّ مؤبداً بقول النبيّ الخاتم المعصوم صلى الله عليه وآله، فيكون أئمة أهل البيت عليهم السلام (بدلالة الحديث) معصومين.

وأمّا سند الحديث ذكرناه في الجزء الأوّل ص ٤٣٤، التعليق ١١٢، فراجع.

ويدلّ على عصمة الإمام بقول مطلق قوله تعالىٰ:

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ قال إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة: ١٢٤].

دلالة الآية على أنّ الظلم مانع لأن يصل الإنسان الى مقام الإمامة ظاهرة، فلابّد أن يكون الإمام معصوماً عن الظلم، وبما أنّ الظلم صادق على المعصية وارتكاب المحرّم مطلقاً، فضلاً عن الشرك والكفر، ففاعل الذنب ظالم، ولو على نفسه لقوله تعالىٰ:

﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ [الطلاق: ١].

فإذن من كان مذنباً فهو ظالم، والظالم كما ذكرنا لا يمكن أن ينال إلى مقام الإمامة فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

وراجع أيضاً في تفسير هذه الآية الجزء الأوّل من تفسير المحيط الاعظم ص ٥٥٨ التعليق ١٧٤.

ونعني من المعصوم في المقام هو أنّه بعصمته مصون عن الشرك، والجهل، والخطأ، والسهو، والنسيان، والشك، والذنب مطلقاً قولا وفعلاً وزماناً.

ونعني من الإمامة، الإمامة العهديّة فهي عهد بين الله سبحانه وتعالىٰ وبين الإمام وبهذا العهد يكون الامام واسطة بين الله عزّ وجل والإنسان في بيان الدّين و أحكامه و هداية الإنسان، و لهذا أي اشترطنا العصمة في الإمامة و الإمام، بسبب هذه الحيثيّة و بهذا البُعد من مقامه، أعني كونه واسطة في بيان الدين والشريعه بمعنى أنّ ما قاله هوالدّين نفسه، كما أنّ النبيّ كذلك وأنّها شرط في النبوّة، لأنّه لو لم يكن الامام أو النبيّ معصوماً لن

يحصل الوثوق والإعتماد بقوله بأنّه قول الله تبارك وتعالىٰ فلا يحصل الغرض بل يلزم نقض الغرض الذي هو هداية العباد وبيان الشريعة وهذا بيّن وضروريّ بالعقل والوجدان، وهذا هو المراد من قول النبيّ الخاتم ﷺ:

«إن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

فالإمام هذا له حيثيّتان:

الأولىٰ، الولاية التكوينيّة، يعني يتمكّن أن يتصرّف في العالَم بإذن الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا حيث إنّه مظهر لقوله تعالى:

﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢].

وذلك لأنّه واسطة فيض الوجود والكمال بين الحقّ والخلق، فهو في عالم الطبيعة مظهر للصادر الأوّل، ومن هنا ورد في دعاء الندبة:

«أين السبب المتّصل بين الأرض والسماء»

وعن الباقر عليه السلام قال:

«لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله».

كمال الدين باب ٢١ الحديث ٧، وأصول الكافي ج ١ ص ١٧٩ الحديث ١٢.

وعن الصادق عليه السلام قال:

«لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»، غيبة الشيخ ص ٢٢٠ الحديث ١٨٢.

وعن الباقر عليه السلام قال:

«لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها». كمال الدين الباب ٢١ الحديث ١.

وعن الرضا عليه السلام قال:

«لو خلت (الأرض) من حجّة طرفة عين لساخت بأهلها». كمال الدين الباب ٢١ الحديث ١٥.

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

➲ «بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا». كمال الدين الباب ٢١ الحديث ٥.

وعن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجّة الله لساخت بأهلها». غيبة النعماني باب ماروي في غيبة الأمام المنتظر الحديث ٢.

ومن شؤون هذه الحيثيّة:

أوّلاً، أنّ هذا الإمام هو صاحب مقام اليقين ورؤية الملكوت وهو من المخلَصين، ولكل من هذه المقامات والدرجات الوجوديّة آثار نورانيّة معنويّة إلهيّة الّتي ذكرت في القرآن والحديث وثبتت بالبرهان والعرفان.

وتدلّ عليه آيات من القرآن، منها:

﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

ومنها:

﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام: ٧٥].

وثانياً، أنّ أسرار العالم وحقائقه من الملك والملكوت مكشوفة للإمام مطلقاً وحاضرة عنده، فكل انسان بلغ مابلغ بالنسبة إليه أميّ فهو الإنسان الكامل الّذي قال سبحانه وتعالىٰ فيه:

﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾ [البقرة:]

وقال الصادق عليه أفضل صلاة المصلّين:

«إنّ العلم الّذي أنزل مع آدم لم يرفع، ومامات عالم منّا إلاّ وقد ورث علمه، انّ الأرض لا تبقىٰ بغير عالم». كمال الدين الباب ٢٣ الحديث ١٤.

ومن هنا يقال ملهَماً من الحديث:

«لولا العالِم لانعدم العالَم».

➲

➲ **وأمّا الحيثيّة الثانية** فهي الولاية التشريعيّة بمعنى أنّ الإمام واسطة بين الله سبحانه وتعالىٰ وبين الإنسان في ابلاغ الدين وبيان الشريعة وبهذا المقام ومن حيث هذه الحيثيّة يسمّى (إي الإمام) حجّة، وقوله وفعله وتقريره نفس الدين والشريعة، ويحتجّ الله عزّ وجلّ به علينا يوم القيامة.

فهو إذن عالم للدين والقرآن، وعلمه لدني ليس بكسبي، وحضوريّ ليس بحصولي، مأخوذ عن الله سبحانه أو النبي وليس بالدرس والإجتهاد أو الحدس.

ولهذا يقول الشيعة: يشترط في الإمام: العصمة والنصّ، لما ذكرنا في العصمة ولأنّ الناس لا يقدرون ان يعرفوه إلاّ بنصّ من قبل الله سبحانه وتعيينه، أو الرّسول بإذنه تعالىٰ.

عن الصادق عليه السلام قال:

«إن الله تبارك وتعالىٰ لم يدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإذا نقصوا شيئاً أكمله لهم، ولو لا ذلك لالتبست على المؤمنين أمورهم». علل الشرايع ص ٢٠٠ الحديث ٢٧.

وأيضاً قال الصادق أو الباقر عليهما السلام:

«إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولو لا ذلك لم يُعرف الحقّ من الباطل». الكافي ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٥.

وعن الصادق عليه السلام قال:

«مازالت الأرض إلاّ ولله فيها الحجّة يعرف الحلال والحرام، ويدعو الناس إلى سبيل الله». الكافي ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٣.

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق». كمال الدين الباب ٢٣ ص ٣٤٣ الحديث ٣١.

وعن الرضا عليه السلام قال:

➲

⬅ **«نحن حجج الله في خلقه، وخلفاؤه في عباده، وأمناؤه على سرّه، ونحن كلمة التقوىٰ والعروة الوثقىٰ، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريّته، بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة، ولا تخلو الأرض من قائم منّا ظاهر أو خاف، ولو خلت يوماً بغير حجّة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»**. كمال الدين، الباب ٢٢، الحديث ٥، ص ٣٠٩.

«فإذن ليس المراد من الإمام المعصوم والمنصوص، الحاكم والقائد السياسي، كما أنّ السنّة تفسّر الإمامة بهذا فقط ويحدّد شأن الإمام وواجبه بالحكومة، كما قال القاضي في المواقف والجرجاني في شرحه: قال قوم (من أصحابنا): «الإمامة رياسة عامّة في أمور الدّين والدّنيا»، والأولىٰ أن يقال: هي خلافة الرسول في إقامة الدين (وحفظ حوزة الملّة) بحيث يجب اتباعه على كافة الأمّة». شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤٥ في طبع بولاق ص ٦٠٣.

وقالا أيضاً في شروط الامامة:

«أن أهل الإمامة (مستحقها من هو) مجتهد في الأصول والفروع لتقوم بأمور الدين، متمكّنا من إقامة الحجج وحلّ الشبه في العقائد الدينيّة، مستقلاً بالفتوىٰ، لأنّ أهم مقاصد الإمامة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات». الى آخر ماقالا فراجع شرح المواقف ج ٨ ص ٣٤٩.

وقال مثله روزبهان الأشعري، راجع «احقاق الحقّ» ج ٢ ص ٢٨٦ و ٣٠٤، وأيضاً دلائل الصدق ج ٢ ص ٤.

وقال القوشجي في (شرح تجريد الكلام) ص ٣٩٩: «الإمامة هي رياسة عامّة في أمور الدين والدنيا خلافة عن النبيّ ﷺ».

نعم حين ماكان الإمام المعصوم حاضراً بين الناس يجب عليهم ان يجعلونه وليّاً وحاكماً على مجتمعهم وأن يأخذونه قائداً ورئيساً على أنفسهم عقلاً ونقلاً، وإن لم يفعلوا ولم يقبلوا تقصيراً أو قصوراً، وهو امام لا يزال بمعنى الّذي ذكرناه.

⬅

ومعنى قول رسول الله ﷺ:

«إن الحسن والحسين امامان قاما أو قعدا».

أنّهم أي الأئمة أهل البيت عليهم السلام، أئمّة ولو كانوا في حصر أو حبس أو أسارة. وهذا هو المراد من الحديث الثقلين، ومعلوم أنّ لسان حديث الثقلين يختلف عن لسان حديث الغدير، وحديث الغدير ناظر على اقامة الدين والحكومة والولاية والقيادة الظاهريّة والسياسيّة من قبل الله سبحانه ومن قبل النبيّ ﷺ بأمر من الله تبارك وتعالىٰ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام، وأمّا حديث الثقلين فهو ناظر على الإمامة في الدين والهداية.

ومن هنا نقول بالنصّ والعصمة في الإمامة كما نقول بها في النبوّة والرسالة، لأنّه لا فرق بين النبوّة والرسالة وبين الامامة من هذه الجهة، وإنّما الفرق نزول الوحي ومرتبة الولاية.

ولا بأس في المقام بذكر بعض ماقاله العلاّمة الطباطبائي في تفسير الميزان حول الإمامة والعصمة، مزيداً للفائدة وهو هذا:

«والذي نجده في كلامه تعالىٰ: إنّه كلّما تعرّض لمعنى الإمامة تعرّض للهداية تعرُّض التفسير، قال تعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمّ يهدون بأمرنا﴾ الأنبياء ٧٣، وقال تعالىٰ: ﴿وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]. فوصفها بالهداية وصف تعريف، ثمّ قيدها بأمر، فبيّن انّ الإمامة ليست مطلق الهداية بل هي الهداية الّتي تقع بأمر الله، وهذا الأمر هو الّذي بيّن حقيقته في قوله:

﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيئ﴾ [يس: ٨٣].

فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالامامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها ايّاهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرّد إرائه الطريق الّذي هو شأن النبيّ والرسول، وكلّ مؤمن يهدي بأمر الله سبحانه بالنصح والموعظة

أنّ الإمداد تأتي إليهم من هذا المكان، وإذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه

الحسنة».

فالإمام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت، والملكوت هو الأمر الّذي هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم».

ثمّ إنّ هذا المعنى أعني الإمامة، على شرافته وعظمته، لا يقوم إلاّ بمن كان سعيد الذات بنفسه، إذا الذي ربّما تلبّس ذاته بالظلم والشقاء، فإنّما سعادته بهداية من غيره، وقد قال الله تعالى:

﴿أفمن يهدي الى الحقّ أن يتّبع أمّن من لا يهدّي إلاّ أن يهدي﴾ [يونس: ٣٥].

وقد قوبل في الآية بين الهادي إلى الحقّ وبين غير المهتدي إلاّ بغيره، أعني المهتدي بغيره، وهذه المقابلة تقتضي أن يكون الهادي إلى الحقّ مهتدياً بنفسه، انّ المهتدي بغيره لا يكون هادياً إلى الحقّ البتة.

ويستنتج من هنا أمران:

أحدهما، أن الإمام يجب أنّ يكون معصوماً عن الضلال والمعصية، وإلاّ كان غير مهتد بنفسه.

الثاني: عكس الأمر الأوّل وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماماً هادياً إلى الحقّ البتة». الميزان ج ١ ص ٢٧٢.

و قال في العصمة: ظاهر الآية:

«ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك ومايضلّون إلاّ أنفسهم ومايضّرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً». [النساء: ١١٣].

«أنّ الأمر الّذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلّبس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال».

«وأنّ هذاالعِلم يخالف سائر العلوم في أنّ أثره العملي وهو صرف الإنسان عمّا لا ينبغي إلى ماينبغي قطعي غير متخلّف دائماً». الميزان ج ٥ ص٧٨ وج ١١ ص ١٦٣، وراجع في بيان عصمة أهل البيت تفسير المحيط الأعظم الجزء الاول ص٤٢٩ و٤٤٧.

المعارج بعد الفصل والقضاء النافر (النافذ) بهم إلى هذا الفلك تنتهي لا تتعدّاه فإنّها لم تعتقد سواه.

فهم وإن كانوا اثني عشر فهم على أربع مراتب، لأنّ العرش على أربع قوائم، والمنازل ثلاثة دنيا وبرزخ وآخرة وما ثمّ رابع، ولكلّ منزل من هذه المنازل أربعة لابّد منهم، لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضّرب اثني عشر، فلذلك كانوا اثنى عشر برجا.

ولمّا كانت الدّار الدّنيا تعود ناراً في الآخرة بقي حكم الأربعة عليها الّتي لها، والبرزخ في سوق الجنّة ولابّد فيه من حكم الأربعة والجنّة لابّد فيها من حكم الأربعة، فلابّد من البرزخ (البروج) فالحمل والأسد والقوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم، والثّور والسنبلة والجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضاً، والجوزا والميزان والدالي على مرتبة أخرىٰ ولاة أيضاً، والسّرطان والعقرب والحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضاً، لأنّ كلّ واحد من كلّ ثلاثة على طبيعة واحدة في مزاجهم لكن منازل أحكامهم ثلاثة وهم أربعة ولاة في كلّ منزل وكلّ واحد منهم له الحكم في كلّ منزل من الثلاثة كما أنّ اليوم والليلة لواحد من السبع والجواري الخنّس الكنّس هو واليها وصاحبها الحاكم فيها، ولكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم فلا يستقل دون الجماعة إلاّ بأوّل ساعة من يومه وثامن ساعة وكذلك الليل.

والآخرة مثل ذلك وإن كان لها الأسد كما كان للدنيا السّرطان وهو برج منقلب، والأسد برج ثابت، فانّ كلّ واحد من الإثني عشر له حكم

فيها، كذلك الدّنيا وإن كان لها السّرطان فلابّد لنا في البرزخ (الباقي. البروج) من حكم فيها، كذلك البرزخ وإن كان له السّنبلة فلابّد لكلّ واحد من الباقين من حكم فيها، وماثمّ منزل ثالث إلاّ بتبدّل الدّنيا بالنّار، فإنّه قد كان صاحب الدّنيا بحكم الأصل السّرطان فلّما عادت ناراً عزل السّرطان ووليها برج الميزان وتبعه الباقون في الحكم، فانظر ماأعجب هذا، فإذا انقضى حكم عذاب أهل النّار ولها برج الجوزاء ولابّد لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الواليّ.

وإذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظره فيهم كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض حتّى يتّبعهم (يتنعّم) به إذا حكم عليه هذا في المآل خاصّة لأنّ المآل رحمة مطلقة عامة، فبذلك فليفرحوا أعني بفضل الله ورحمته فإنّه ﴿خير ممّا يجمعون﴾ [آل عمران: ١٥٧].

ولمّا أراد الله الفلك الأطلس بما جعل فيه من الولاة والحكّام وجعل منتهى دورته يوماً كاملاً لا ليل فيه ولا نهار أوجد مافيه عند حركته، وبما ألقى وأوحى به إلى النوّاب من الحكم في ذلك وجعل لأحكامهم في كلّ عين مدّة معلومة محصورة تتنوّع تلك المدد بحسب المنزل الدّنياوي والأخراوي والبرزخي، والحكم البرزخي أسرعه مدّة وأكبره (أكثره) حكما، وسنينه على قدر أيّامه.

فالأيّام متفاضلة فيوم نصف دورة، ويوم دورة كاملة، ويوم من ثمان وعشرين دورة، وأكبر (أكثر) من ذلك اليوم المعارج، وأقلّ من ذلك إلى يوم الشؤون، ومابين هٰذين اليومين درجات للأيّام متفاضلة وجعل لكلّ نائب من هؤلاء الأملاك الإثني عشر في كلّ برج ملكه إيّاه ثلاثين خزانة

تحتوي كلّ خزانة منها على علوم شتّىٰ، ينبئون (يهبون) منها لمن نزل بهم عن قراة (قدر) ماتعطيه رتبة هذا النازل وهي الخزائن الّتي قال الله تعالىٰ فيها:

﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه ومانّنزّله إلّا بقدر معلوم﴾[الحجر:٢١].

وهذا النازل بهم مايصرّف ماحصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه بأنّ (فان) حظّه منها حظّ حصولها ويصرّف ماحصل له في عالم الأركان والمولّدات والإنسان، فمن النازلين من يقيم عندهم يوماً في كلّ خزانة (وينصرف وهو أقلّ النازلين إقامة)، ومنهم من يقيم ساعة نهار وساعة ليل وهو أقل النازلين إقامة، وأما أكثر النازلين اقامة فهو الّذي يقيم عند كلّ خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند الله ومايعطيه استعداده مائة سنة، وباقي النازلين مابين مائة سنة واليوم، أعني باليوم قدر حركة هذا الفلك الأطلس، وأعني بالمائة سنة كلّ سنّة ثلاث مائة وستين يوماً من أيّام هذه الحركة.

فاعلم ذلك وهذه الخزائن تسمّى عند أهل التعاليم درجات الفلك والنازلون بها هم الجواري والمنازل وعيوقاتها من الثوابت، فالعلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهيّة هي مايظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل مايظهر من مقعر فلك الكواكب الثابت (الثابتة) إلى الأرض وسميّت ثابتة لبطئها عن سرعة الجواري السبّعة، وجعل لهؤلاء الإثني عشر نظراً في الجنّات وأهلها ومافيها مخلصاً من غير حجاب، فما يظهر في الجنان من حكم فهو عن تولّى هؤلاء الإثني عشر بنفوسهم تشريفاً لأهل الجنّة، وأما أهل الدّنيا وأهل النّار فما يباشرون ومالهم من الحكم إلاّ

بالنّواب وهم النازلون عليهم الّذين ذكرناهم فكلّ مايظهر في الجنات من تكوين وأكل وشرب ونكاح وحركة وسكون وعلوم وإستحالة ومأكول وشهوة فعلى أيدي هؤلاء النّواب الإثني عشر من تلك الخزائن بإذن الله عز وجلّ الّذي استخلفهم، ولهذا كان بين مايحصل عنهم بمباشرتهم وبين مايحصل عنهم بغير مباشرتهم بل بوساطة النازلين بهم الّذين هم لهم في الدّنيا والنّار كالحجاب والنواب بون عظيم وفرقان كبير.

محصّل (يحصل) علم ذلك الفرقان في الدّنيا لمن اتقى الله وهو قوله في هذا وأمثاله:

﴿إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الانفال: ٢٩].

وهو علم هذا وأمثاله.

«ويكفّر عنكم سيّاتكم»، أي يستر عنكم مايسؤكم فلا ينالكم ألَم من مشاهدته، فإنّ رؤية السّوء إذا رآه من يمكن أن يكون محلاً له، وإن لم يحل به فإنه تسؤه رؤيته، وذلك لحكم الوهم الّذي عنده والإمكان العقلي.

«ويغفر لكم» أي ويستر من أجلكم عن من (ممّن) لكم به عناية في دعاء عامّ أو خاصّ معيّن، فالدعاء الخاصّ ماتعيّن به شخصا بعينه أو نوعاً بعينه، والعام ماترسله مطلقاً على عباد الله ممّن يمكن أن يحلّ بهم سوء، «والله ذو الفضل العظيم» بما أوجبه على نفسه من الرّحمة وبما أمتن به منها على من استحقّ العذاب كالعَصاة في الأصول والفروع.

وهؤلاء النّواب الإثنا عشر هم الّذين تولّوا بناء الجنّات كلّها إلاّ جنّة عدن، فإنّ الله خلقها بيده وجعلها له كالقلعة للملك وجعل فيها الكثيب الأبيض من المسك وهو الظّاهر من الصّورة الّتي فيها الرّب لعباده عند

الرّوية كالمسك (بفتح الميم) من الحيوان وهو الجلد وهو الغشاء الظاهر للأبصار من الحيوان وجعل بأيديهم غراس الجنّات إلاّ شجرة طوبى، فإن الحقّ تعالىٰ غرسها بيده في جنّة عدن وأطالها حتّى علت فروعها سور جنّة عدن وتدلت مطلعة (مطلة) على سائر الجنات كلّها وليس في إكمامها ثمر إلاّ الحلي، والحلل لباس أهل الجنّة وزينتهم زائداً في الحسن والبهاء على تحمل إكمام شجر الجنّات من ذلك لأنّ لشجرة طوبى اختصاص فضل بكون الله خالقها (خلقها) بيده فإنّ لباس أهل الجنّة ماهو نسيج (نسج) ينسج وإنّما تشقق عن لباسهم ثمر الجنّة كما تشقق الإكمام هنا عن الورد وعن شقائق النعمان وماشاكلهما من الأزهار كلّها كما ورد في الخبر الصحيح كشفا والحَسَن نقلاً عن رسول الله ﷺ، إذ قام (إنّ رسول الله ﷺ كان يخطب بالنّاس فدخل رجل فقال رسول الله ﷺ أو قام رجل من الحاضرين الشكّ منّي) رجل من الحاضرين فقال: يارسول الله ثياب أهل الجنّة أخلق تُخلق؟

أم نسج تُنسج؟، فضحك الحاضرون من كلامه، فكره رسول الله ﷺ منهم وقال: «**أتضحكون أن سأل جاهل عالماً؟!، ياهذا**» وأشار إلى السائل «**بل تشقّق عنها ثمرة (ثمر) الجنّة**»، فحصل لهم علم لم يكونوا عرفوه.

وأدار بجنّة عدن سائر الجنّات، وبين كلّ جنّة وجنّة سور، يميّزها عن صاحبتها، وسمّي كلّ جنّة باسم معناه سار في كلّ جنّة، وإن اختصت هي بذلك الإسم فإن ذلك الإسم الّذي اختصت أمكن ماهي عليه من معناه وأفضله مثل قوله ﷺ:

«**أقضاكم عليّ،أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل،وأفرضكم**

زيد»(٢٣٥).

---

(٢٣٥) قوله: أقضاكم عليّ.

الحديث معروف عند الفريقين، ونقل مضمونه بعبارات أخرى أيضاً، وقيل: «لقد أجمعوا على أنّ النبيّ ﷺ قال: «**أقضاكم عليّ**». بحار الأنوار ج ٤ ص ١٥٠.

أخرج أبو نعيم الحافظ في «حلية الأولياء» ج ١ ص ٦٥ بإسناده عن معاذ بن جبل، قال: قال النبيّ ﷺ:

«**ياعليّ أخصمك بالنبّوة ولا نبّوة بعدي، وتختصم الناس بسبع لايحاجك فيهنّ أحد من قريش: أنت أوّلهم إيماناً بالله، و أوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعد لهم في الرعيّة، وأبصرهم في القضيّة، وأعظمهم عند الله يوم القيامة مزّية**».

أخرجه أيضاً الخوارزمي في المناقب ص ١١٠.

وأخرج أيضاً أبو نعيم في نفس المصدر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ياعلي لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة، أنت أوّل المؤمنين بالله إيماناً، اوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعيّة، وأقسهم بالسويّة، وأعلمهم بالقضيّة، وأعظمهم مزّية يوم القيامة**».

وروي مثله فرات بن ابراهيم في تفسيره ص ٥٨٥ الحديث ٧٥٤ بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبيّ ﷺ وفيه:

(أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ؑ) «**أقضاكم بحكم الله**».

وروي المجلسي في بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٣٤ الحديث ٢، عن كتاب الروضة وفضائل ابن شاذان: عن جماعة ثقات عن حرّة بنت حليمة السعديّة، (في حديث طويل) قالت: دخل مولانا أمير المؤمنين عليّ ؑ على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقال النبيّ ﷺ للحاضرين:

«**أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم عليّ**»

وان كان كل واحد منهم يعلم القضاء والحلال والحرام والفرائض، ولكن هو بمن سمّي به اختصّ (اخصّ).

وهي جنّة عدن، وجنة فردوس، وجنة النعيم، وجنّة المأوى، وجنّة الخلد، وجنّة السلام، وجنة المقامة والوسيلة، وهي أعلىٰ جنّة في الجنات فإنّها في كلّ جنّة من جنة عدن الى آخر جنّة، فلها في كلّ جنّة صورة وهي مخصوصة برسول الله ﷺ وحده نالها بدعاء أمّته حكمة من الله حيث نال النّاس السّعادة ببركة بعثته ودعائه إيّاهم إلى الله وتبيينه مانزل الله إلى الناس من أحكامه جزاء وفاقاً وجعل أرض هذه الجنّات سطح الفلك المكوكب الّذي هو سقف النّار وسيأتي فصله في هذه الفصول إن شاء الله تعالىٰ.

وجعل في كلّ جنّة مائة درجة بعدد الأسماء الحسنى، والإسم الأعظم المسكوت عنه لِوتريّة الأسماء وهو الإسم الّذي يتميّز به الحقّ عن العالم هو الناظر إلى درجة الوسيلة خاصّة وله في كلّ جنّة حكم كماله حكم كلّ اسم إلهيّ فافهم.

⬅ وروى نعمان بن محمّد المغربي في دعائم الإسلام ج ١ ص ٩٢ عنه البحار ج ١٠٤ ص ٢٦٩ الحديث ٣، وأيضاً عن الإحتجاج، عن سعد بن أبي الخصيب، عن الصادق عليه السلام في احتجاجه عليه السلام على ابن أبي ليلى قاضي المسلمين، قال: ان رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أقضاكم عليّ»

وراجع أيضاً «أحقاق الحق» ج ٤ ص ٣٢١ وج ١٥ ص ٣٧٠، الغدير ج ٣ ص ٩٦، وتفسير المحيط الأعظم ج ١ ص ٤٨٠ التعليق ١٣٦.

وراجع في ماورد في معاذ بن جبل: حلية الأولياء ج ص ٢٢٨.

(منازل الجنة على عدد آيات القرآن)

ومنازل الجنّة على عدد آى القرآن مابلغ المنا (إلينا) منه نـلنا تـلك المنزلة بالقراءة ومالم يبلغ المـنا (إلـينا) نـلنا بـالإختصاص فـي جـنّات الإختصاص كما نلنا بالميراث جنات أهل النّار الّذين هم أهلها، وأبواب الجنّة ثمانية على عدد أعضاء التكليف، ولهذا ورد في الخبر أنّ النّبي ﷺ قال فيمن توضّأ وصلّىٰ ركعتين(٢٣٦) ولم يحدث نفسه بشيء:

---

(٢٣٦) قوله: من توضأ وصلّى ركعتين.

وأخرجه مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الطهارة باب ٦ الحديث ١٧، ص ٢٠٩، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ١٩، باسنادهما عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ:

«مامن مسلم يتوضّأ، فيُحسن وُضوءَه ثمّ يقوم فيصلّي ركعتين، مقبل عـليهما بقلبه ووَجهه، إلاّ وجبت له الجنّة (في مسند أحمد: غفر له خطاياه)».

فقال عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ:

«من توضأ فأحسن الوضوء ثمّ يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبدالله ورسوله، إلاّ فتحت له أبواب الجنّة الثمانية، يدخل من أيّها شاء».

وأخرج مسلم في المصدر نفسه باب ٣ الحديث ٣ و ٤ قريب منه.

وروى البرقي في المحاسن ج ١ باب ٥٩ ص ٥٢ الحديث ٧٧، بإسناده عن الحسين بن صالح بن حيّ، عن الصادق ﷺ قال:

«من توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ صلّى ركعتين فأتمّ ركوعها وسجودها ثمّ جلس فأثنى على الله وصلّى على رسول الله ﷺ، ثمّ سال الله حاجته فقد طلب الخير في مظانّه، ومن طلب الخير في مظانّه لم يـخب». عـنه البـحار ج ٨٧ ص ٤٣ الحديث ٣٤.

روى الديلمي في «الإرشاد» عن النبيّ ﷺ قال: يقول الله تعالى:

«فتحت له أبواب الجنّة الثمانية يدخل من أيّها شاء»، فقال له أبو بكر الصّديق: فما عليه أن لا يدخلها من أبوابها كلّها، فقرر رسول الله ﷺ قول أبي بكر وأثبته.

وفي خبر جعله صاحب هذا الحال.

(لكلّ عضو من أعضاء البدن باب في الجنّة)

فلكلّ عضو باب، والأعضاء ثمانية: العين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرّجل والقلب، فقد يقوم الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلّها فيدخل من أبواب الجنّة الثمانية في حال دخوله من كلّ باب (منها).

فإنّ نشأة الآخرة تشبه البرزخ وباطن الإنسان من حيث ماهو ذو خيال.

(في بيان خوخات الجنّات)

وأمّا خوخات الجنّات فتسع وسبعون خوخة وهي شعب الإيمان بضع وسبعون شعبة، والبضع هنا تسعة، فإنّ البضع في اللسان: من واحد إلى تسعة، فأدنى شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطّريق، وأعلاه لا إله إلاّ الله، ومابينهما ممّا يتعلّق من الأعمال ومكارم الأخلاق، فمن أتى من

«من أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضّأ ولم يُصلّ ركعتين ولم يدعني فقد جفاني، ومن أحدث وتوضّأ وصلّى ركعتين ودعاني، فلم أجبه فيما يسأل عن أمر دينه ودنياه فقد جفوته، ولست بربٍّ جاف».

مكارم الأخلاق فهو على شعبة من الإيمان وإن لم يكن مؤمناً كمن يوحى إليه في المبشّرات وهي جزء من أجزاء النبوّة وإن لم يكن صاحب المبشّرة نبيّاً.

(في شعب الإيمان وأقسام النبوّة)

فتفطّن لعموم رحمة الله فما تطلق النبّوة إلاّ لمن اتّصف بالمجموع فذلك النبيّ وتلك النبّوة الّتي حجزت علينا وانقطعت، فإن من جملتها التشريع بالوحي (و) الملكي في التشريع، وذلك لا يكون إلاّ لنبيّ خاصّة، فلابد أن يكون لهذه (الشعبة) السبعة حكم فيمن قامت به واتصف بها وظهر أثرها عليه، فإنّ الله لما أخبر بهذه السبعة (الشعبة) على لسان الرّسول أضافها إلى الإيمان إضافة إطلاق لم (يقيد) يفد إيماناً بكذا، بل قال: الإيمان، والإيمان بكذا شعبة من شعب الإيمان المطلق، فكلّ شعبة إيمان كالّذين آمنوا بالباطل خاصّة، وهو الإصلاح بين النّاس بما لم يكن، والخديعة في الحرب، فكان للكذب دخول في الإيمان فهو في موطن (شعبة) سبعة من شعب الإيمان، وقد يوجد هذا من المؤمن وغير المؤمن، على أنّه ماثمّ غير مؤمن، فإنّ الله ماتركه لما (كما) أنّه ماثمّ غير كافر، فإن الأمر محصور بين مؤمن بالله ومؤمن بالباطل وكافر بالله وكافر بالباطل، فكلّ عبدالله (عبد لله) فهو مؤمن كافر معاً بعين (يعين) إيمانه وكفره ماتقيد به، فكلّ شعبة من الإيمان طريق إلى الجنّة، فأهل الجنان في كلّ جنّة، وأهل النار من حيث ماقام بهم من شعب الإيمان وهم أهل النّار الّذين لا يخرجون منها فلهم بما كانوا فيه من شعب الإيمان جميع (معاني) الجنّات

في النّار إلاّ جنّة الفردوس والوسيلة لا قدم لهم فيهما، فإنّ الفـردوس لا عين له في النّار فلهم النعيم والخلد والمأوى والسّلام والمـقامة وعـدن، ولأهل الجنّات الرؤية متىٰ شاؤوا، ولأهل النّار فـي أحـيان مـخصوصة الرؤية، فإنّ الله ماأرسل الحجاب عليهم مطلقا وإنّما قال يومئذ في قوله:

﴿كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥].

لما تعود عليهم واغلظ في حال الغضب، والرّبوبيّة لها الشـفقة، فـإنّ المربّى ضعيف يتعيّن اللطيف (الملطف) به فلذلك كان في حال الغضب عن ربّه محجوباً فافهم.

فأورثه ذلك الحجاب أن جعله يصلّي الجحيم لأنّه ماقال بعد قـوله: «لمحجوبون»، «ثم انّهم لصالوا الجحيم»، إلاّ بعد وقوع الحجاب: «لانّه قال بعد قوله: لمحجوبون: «ثمّ لصالوا الجحيم» فأتى بقوله: «ثمّ» فما صـلّى الجحيم إلا بعد وقوع الحجاب» ولذلك قيّده بـ«يومئذ».

كذلك أيضاً لم يخل إنسان ولا مكلّف أن يكون على خُلق من أخلاق الله، وأنّ لله ثلاث مائة خُلق، فلابّد أن يكون الإنسان من مـؤمن وكـافر على خُلق من أخلاق الله، وأخلاق الله كلّها حسنة حميدة، فكلّ ذات قام بها خلق منها، وصرفه في الموضع الّذي يستحقه ذلك الخلق، فـلابّد أن تستعد (تسعد) به حيث كانت من نار أو جنان، فإنّه في كلّ ذي كبد رطبة أجر، ولابّد أن يحو (يحنو) كلّ إنسان على أمر مامن خلق الله، فله أجر من ذلك.

فدركات النار هي دركات مالم ينقطع العذاب فإذا انـتهى إلى أجـله المسمّى عاد ذلك الدرك في حقّ المقيم فيه درجة للخلق الإلهي الّذي كان

عليه يوما.

فما لله أكـرم أن تـنساك مـنته　　　ومن يجود إذا الرحمن لم يجد

ولمّا جعل الله تعالىٰ في المكلّف عقلاً، وتجلّى له، كان له من جـهة عقله ونظره عقد وعهد الله (لله)، ألزمه ذلك النّظر العقلي وهو الإفتقار إلى الله بالذّات وأمثاله.

ثمّ بعث إليه رسولاً من عنده فاخذ عليه عهداً آخر على ماتقرّر في الميثاق الأوّل فصار الانسان مع الله بين عهدين عهد عقلي شرعي فامره الله بالوفاء بها بل طلبه الحال بذلك لقبوله، فلّما وقفت على هذين العهدين وبلغ منّي علمي بهما المبلغ الّذي يبلغه من شاهده قلت:

في القلبِ عقد حجى وعقْدُ هدايـة　　أتُـراه يـخلُص مـن له عَـقْدان

ربّـي بـما أعـطيتَنيه عَـلِمتُه　　مالي لمـا حَـمَّلتنِيه يـدان (تـران)

مـاكـلّ مـاكـلَّفتنيه أُطـيقُه　　مـن لي بـتحصيل النـجاة وذانِ

عـقلا وشَـرعاً بـالوفاء يـناديا　　قلبي ومالي (فما لي) بالوفاء يدان

إن كـنتُ نـعتي فـالوفاء مـحصّل
أو كنت أنت فما هماعَنَيانِ(عنياني)

أما قولي: إن كنت نعتي، فهو قول رسول الله ﷺ عن ربّه انّه قال: «كنت سمعه وبصره ويده ومؤيده»[٢٣٧].

وكذلك «إن كنت»، أعني نعتي (نفسي)، أنت أي أنت الفاعل والموجد

---

(٢٣٧) قوله: كنت سمعه وبصره.

ذكرناه في التعليق ٦٦ فراجع.

والوفاء، لا أنا، إذ لا إيجاد لمخلوق في عقد قابل (نابل)، الأمر كلّه لله فما هما يعني العقل والشرع بحكمهما عليّ عينان (عيناني)، وانّما عينا (عنيا) من له خلق الأعمال والأحوال والقدرة عليها.

وإنّما قلنا هذا ليحقّق عند السّامعين صدق الله في قوله:

﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

وأقوىٰ الجدال مايجادل به الله.

(في بيان تكوّن شجرة طوبىٰ وأنها كآدم ﷺ)

واعلم، أن شجرة طوبى[٢٣٨] لجميع شجر الجنّات، كآدم لما ظهر

(٢٣٨) قوله: أنّ شجرة طوبى.

أخرج السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٤ ص ٦٤٩ في سورة الرعد، عن ابن مردويه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنّة، تنبت الحلي، والثمار منهدلة على أفواهها».

وأخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٧١ بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن رسول‌الله ﷺ قال:

(طوبى) «شجرة في الجنّة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة» تخرج من أكمامها».

وروي المجلسي في البحار ج ٩٦ ص ٣٤٥ الحديث ٩، عن كتاب النوادر للراوندي، بإسناده عن عبدالله بن مسعود عن رسول‌الله ﷺ قال:

«انّها (طوبى) شجرة غرسها الله بيده تحمل كلّ نعيم خلقها الله عزّ وجلّ لأهل الجنّة، وإنّ عليها ثماراً بعدد النجوم، كلّ ثمرة مثل ثدي النساء، تخرج في كلّ

منه من النبين، فإنّ الله لمّا غرسها بيده وسوّاها نفخ فيها من روحه، كما فعل في مريم نفخ فيها من روحه فكان عيسى يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، فشرف آدم باليدين ونفخ الروح فيه فأورثه نفخ الروح، فيه علم الأسماء لكونه مخلوقاً باليدين، فبالمجموع نال الأمر، وكانت له الخلافة، والمال والبنون زينة الحياة الدنيا.

وتولى الحقّ غرس شجرة طوبى بيده، ونفخ الرّوح فيها، زينها بثمر الحلي والحلل الذين فيهما زينة للابسهما فنحر (فنحن) أرضها فإن الله جعل ماعلى الأرض زينة لها وأعطت في ثمر الجنّة كلّه من حقيقتها عين ماهي عليه كما أعطت النّواة النخلة وماتحمله مع النوى الّذي في ثمرها، وكلّ من تولاه الحقّ بنفسه من وجهه الخاصّ بأمر مّا من الأمور فان له شقوقا (شفوفا) وميزة على من ليس له هذا الإختصاص ولا هذا التوجّه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

⬅ **ثمرة منها أربعة أنهار، ماء وخمر وعسل ولبن، وسعة كلّ نهر مابين المشرق والمغرب، وعرضه مابين السماء إلى الأرض».**

وروي «غاية المرام» ص ٣٩٢ عن الثعلبي بإسناده عن ابن عباس في «طوبى لهم» قال: شجرة أصلها في دار عليّ في الجنة، وفي كل دار مؤمن منها غصن».

أيضاً فيه عنه، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله: **«طوبى لهم وحسن مآب»، فقال: شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة**، فقيل له: يارسول الله سألناك عنها فقلت شجرة في الجنة أصلها في دار عليّ وفرعها على أهل الجنة، فقال: **إنّ داري ودار عليّ واحدة غداً في مكان واحد».**

وفيه أحاديث أخرى فراجع ونقل بعضها عنه مصباح الهداية في إثبات الولاية ص ٢٦٩.



الفصل الرابع

في فلك (المنازل) التنازل وهو المكوكب وهيئة السماوات والأرض والأركان والمولّدات والعمد الّذي يمسك الله السمّاء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من النّاس مع كفرهم بنعمته (بنعمه) فلا تهوي السّماء ساقطة واهية حتّى يزول النّاس منها.

(في أنّ الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس)

إعلم، أنّ الله خلق هذا الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس، ومابينهما خلق الجنّات بما فيها، فهذا الفلك أرضها والأطلس سماؤها وبينهما فضاء لا يعلم منتهاه إلاّ من أعلمه الله فهو فيه كحلقة في فلاة (فيحاء) وعين في مقعر هذا الفلك ثماني وعشرين منزلاً (منزلة) مع (ما) أضاف إلى هذه الكواكب الّتي سمّيت منازل لقطع السيّارة فيها.

ولا فرق بينها وبين سائر الكواكب الأخر الّتي ليست بمنازل في

سيرها وفيما تختصّ به من الأحكام في نزولها الّذي ذكرناه في البروج، قال تعالىٰ:

﴿والقمر قدّرناه منازل﴾ [يس: ٣٩].

يعني هذه المنازل المعيّنة في هذا الفلك المكوكب وهي كالمنطقة بين الكواكب من الشّرطين إلى الرشاء وهي تقديرات وفروض في هذا الجسم، ولا تعرف أعيان هذه المقادر إلاّ بهذه الكواكب «كما أنّه ماعرفت أنّها منازل إلاّ بنزول السيّارة فيها، ولولا ذلك ماتميّزت عن سائر الكواكب (إلاّ بأشخاصها) لا بأشخاصها.

ومن مقعر هذا الفلك (إلى ماتحته) هي الدّار الدّنيا، فإنّه من هنا (هناك) إلى ماتحته يكون استحالة ماتراه إلى الأخرى، فللأخرى صورة فيها غير صورة الدّنيا فينتقل من ينتقل منها إلى الجنّة من إنسان وغير إنسان، ويبقىٰ مايبقىٰ فيها من إنسان وغير إنسان.

وكلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها وجعل الله لكلّ من يبقى فيها فهو من أهل النّار الّذين هم أهلها وجعل الله لكلّ كوكب من هذه الكواكب قطعاً في الفلك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن الّتي في بروجه وبأيدي ملائكته الإثني عشر من علوم التأثير ماتعطيه حقيقة كلّ كوكب، وقد بينا ذلك.

وجعلها على طبائع مختلفة والنّور الّذي فيها وفي سائر السيّارة من نور الشّمس وهو الكوكب الأعظم القلبي، ونور الشمس ماهو من حيث عينها بل هو من تجلّ دائم لها من إسمه النّور فما ثمّ نور الأنوار، الله الّذي هو نور السّموات والأرض، فالنّاس يضيفون ذلك النور إلى جرم الشّمس

ولا فرق بين الشّمس والكواكب في ذلك إلاّ أنّ التجلّي للشّمس على الدوام فلهذا لا يذهب نورها (الى) زمان تكويرها فإنّ التجلّي المثالي النوري يستتر عنه في أعين النّاظرين بالحجاب الّذي بينها وبين أعينهم وساحة (بساحة) هذه الكواكب تحدث أفلاكاً في هذا الفلك أي ظرفا (طرقا).

(الهواء حياة العالم)

والهواء يعمّ جميع المخلوقات فهو حياة العالم وهو حار رطب فما أفرطت فيه الحرارة والسخونة سمّي ناراً، ومأافرطت فيه الرطوبة وقلت حرارته سمّي ماء ومابقي على حكم الاعتدال بقي عليه إسم الهواء.

وعلى الهواء أمسك الماء وبه جري وأنساب وتحرّك وليس في الأركان أقبل لسرعة الإستحالة من الهواء لأنّه الأصل وهو فرع لإزدواج الحرارة والرطوبة على الإعتدال والطريق المستقيم فهو الأُسطقص الأعظم أصل الأسطقصّات كلّها، والماء أقرب أسطقصّ إليه، ولهذا جعل الله منه كلّ شيء حيّ ويقبل بذاته التسخين ولا تقبل النّار برودة ولا رطوبة لا بالذات ولا بالعرض بخلاف الماء.

وصـــل

(في أعظم البروج والخزائن التي فيها ومنها الإنسان)

فأعظم البروج البروج الهوائيّة وهي الجوزاء والميزان والدالي.

ولمّا خلق الله الأرض سبع طباق جعل كلّ أرض أصغر من الأخرى ليكون على كلّ أرض فيه (منه) (قبة) سماء.

فلما خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها كَسىٰ الهواء صورة النحاس الّذي هو الدّخان فمن ذلك الدّخان خلق سبع سماوات طباقاً أجساماً شـفافة وجعلها على الأرض كالقباب على كلّ أرض سماء أطرافها عليها نصف كرة (و) الأرض لها كالبساط فهي مدحة (مدحية) دحاها من أجل السّماء أن تكون عليها فمادت فهال (فقال) بالجبال عليها فثقلت فسكـنت بـها وجعل في كلّ سماء منها كوكباً وهي الجواري، منها القـمر فـي السّماء الثانية الكاتب وهو عطارد، وفي الثالثة الزّهرة، وفي الرابعة الشّمس، وفي الخامسة الأحمر وهو المريخ، وفـي السـادسة المشـتري وهـو أو رمـز

(بهرام)، وفي السّابعة زحل وهو كيوان (المقاتل).

فلما سبحت الكواكب كلّها ونزلت بالخزائن الّتي في البروج، ووهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ماوهبتها أثرت في الأركان ماتولد فيها من جماد الّذي هو المعدن ونبات وحيوان، وآخر موجود الإنسان الحيوان خليقة الإنسان الكامل وهو الصّورة الظاهرة الّتي بها جمع حقايق العالم.

(الإنسان الكامل وأنّ له الخلافة)

والإنسان الكامل هو الّذي أضاف أضاف إلى جمعيّة حقايق العالم، حقايق الحق الّتي بها صحت له الخلافة، ظهر ذلك فيمن ظهر من هذه الصّورة (الصّور) فجعل في كلّ صنف من المولّدات نوعاً كاملا من جنسها، فأكمل صورة ظهرت في المعدن صورة الذّهب، وفي النبات شجر الوقواق، وفي الحيوان الإنسان.

وجعل بين كلّ نوعين متوسّطات، كالكمأة بين المعدن والنّبات، والنخلة بين النبات والحيوان، والنسناس والقرد بين الحيوان والإنسان، ونفخ في كلّ صورة أنشأها روحاً منه فحييت، وتعرّف إليها بها فعرفته بأمر جبلت عليه تلك الصّورة، وماتعرف إليها إلاّ من نفسها، فما تراه إلاّ على صورتها.

(في أنّ كل شيء حيّ وله نفس)

وكانت الصّور على أمزجة مختلفة وإن كانت خلقت من نفس واحدة كقلوب بني آدم خلقها الله من نفس واحدة وهي مختلفة، فمن الصّور من

بطنت حياته فأخذه (فأخذ) الله بأبصار أكثر النّاس عنها وهي على ضربين: ضرب له نمّو وغذاء، ونوع له نمّو ولا غذاء له، فسمّينا الصّنف الواحد معدنا وحجراً، والآخر نباتا، ومن الصّور من ظهرت حياته فسمّيناه حيواناً وحيّاً، والكلّ حيّ في نفس الأمر ذو نفس ناطقة، ولا يمكن أن يكون في العالم صورة لا نفس لها ولا حياة ولا عبادة ذاتيّة وأمرية، سواء كانت تلك الصّورة ممّا يحدثها الإنسان من الأشكال أو يحدثها الحيوانات، ومن أحدثها من الخلق عن قصد وعن غير قصد فما هو إلاّ أن نتصوّر الصّورة كيف تصوّرت وعلى يدي من ظهرت إلاّ ويلبسها الله تعالىٰ روحاً من أمره ويتعرّف إليها من حينه فتعرفه منها وتشهده فيها.

(في ظهور الزمان)

هكذا هو الأمر دائماً دنيا وآخرة يكشفه أهل الكشف، فظهر الليل والنهار بطلوع الشّمس وغروبها كما حدث اليوم بدورة الفلك الأطلس وكما حدث الزّمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى والزّمان واليوم والليل والنهار.

(في أن فصول السنة أمور عدميّة نسبيّة)

وفصول السنّة كلّها أمور عدميّة نسبيّة لا وجود لها في الأعيان. «وأوحى في كلّ سماء أمرها»، وجعل إمضاء الأمور الّتي أودعها السمّوات في عالم الأركان عند سباحة هذه الجواري وجعلهم نّوابا متصرّفين بأمر الحقّ لتنفيذ هذه الأمور الّتي أخذوها من خزائن البروج

في السنّة بكمالها وقدّرها (قدر لها) المنازل المعلومة الّتي في الفلك الملكوب، وجعل لها اقترابات واقترانات (افتراقات)، كلّ ذلك بتقدير العزيز العليم وجعل سيرها في استدارة ولهذا سماها أفلاكاً وجعل في سطح السّماء السّابعة الضراح وهو البيت المعمور، وشكله كما رسمته في الهامش.(*)

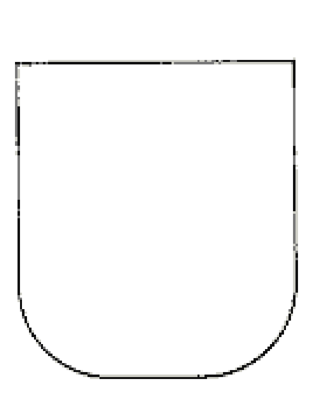
وخلق في كلّ سماء عالَما من الأرواح والملائكة يعمرونها.

(في أنّ الملائكة هم السفراء)

فاما الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالَم الّذي ظهر في الأركان، والمصالح أمور معلومة ومايحدث عن حركات هذه الكواكب كلّها، وعن حركة الأطلس لا علم لها (لهؤلاء) السفراء بذلك حتّى تحدث فلكلّ واحد منهم مقام معلوم لا يتعدّاه، وباقي شغلهم التسبيح والصّلاة والثّناء على الله تعالىٰ.

وبين السّماء السّابعة، الفلك المكوكب كرسي(كراسي) عليها صور كصور المكلّفين من الثقلين، وستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهرة ليس

(*) صورة الضراح:



لهم إلاّ مراقبة تلك الصّور وبأيديهم تلك الستور فإذا نظر الملك إلى الصّور قد سمجت وتغيّرت عمّا كانت عليه من الحسن، أرسل الستر بينها وبين سائر الصّور فلا يعرفون ناظراً (ماطراً) ولا يزال الملك من الله مراقباً تلك الصّورة، فاذا رأى تلك الصّورة قد زال عنها ذلك القبح وحسنت رفع الستر، فظهرت في أحسن زينة.

(ذكر أرواح الملكيّة وإطلاع أهل الكشف عليه)

وتسبيح تلك الصّور وهؤلاء الأرواح الملكية الموكّلة بالستور:

«سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح»، واطّلع أهل الكشف على هذا ليتخلّقوا بأخلاق الله ويتأدّبوا مع عباد الله فيظهرون محاسن العالم ويسترون مساويهم، وبذلك جاءت الشرائع من عند الله، فإذا رأيت من يدّعي الأهليّة لله ويكون مع العالم على خلاف هذا الحكم فهو كاذب في دعواه، وبهذا وأمثاله يسمّى سبحانه بالغافر والغفور والغفّار.

(في خلق آدم والجان)

ولمّا كوّن الله ملكوته ممّا ذكرناه خلق آدم بيديه من الأركان وجعل أعظم جزء فيه التراب لبرده ويبسه، وأنزله خليفة في أرضه الّتي خلق منها، وقد كان خلق قبله الجانّ من الأركان، وجعل أغلب جزء فيه النار، وكان من أمر آدم وابليس والملائكة ماوصف الله لنا في القرآن فلا يحتاج إلى ذكر ذلك.

وأمسك الله صورة السّماء لأجل الإنسان الموحّد الّذي لا يمكن أن

ينفى، فذكره الله لأنّه ليس في خاطره إلاّ الله فما عنده أمر آخر يدّعىٰ عنده ألوهيّة فينفيه بلا إله إلا الله الواحد الأحد، ولهذا قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم القيامة (السّاعة) حتّى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله وهو الذكر الأكبر الّذي قال الله فيه: ﴿ولذكر الله أكبر﴾[٢٣٩].

فما قال الرسول ﷺ: من يقول لا إله الله، فهذا الإسم هو هجير هذا الإمام الّذي يُقبض آخر، أو تقوم السّاعة فتنشق السّماء، فإنّ هذا وأمثاله كان العمد، لأنّ الله ماسكها (ماأمسكها) من أجله أن تقع على الأرض، ولذلك قال فيها: انّها «واهية» [الحاقة: ٦٩]، أي واقعة ساقطة، ثمّ مازالت النوآب تتحرّك في طرقها فالصّورة (والصّور) تظهر بالإستحالات في عالم الأركان دنيا وبرزخاً وآخرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يبقى إلاّ مافي الآخرة وهو يوم القيامة، والداران الجنّة والنّار، ولكلّ واحدة منهما ملؤها من الجنّ والإنس وممّا شاء الله، وفي الجنّة قدم الصدق، (وفي النّار قدم الجبّار وهما القدمان اللّتان في الكرسي).

وقد مرّ من الكلام في هذا الفنّ من هذا الكتاب مافيه غنية للعاقل وبلغة زاد للمسافر توصله إلى مقصوده.

---

(٢٣٩) قوله: لا تقوم الساعة حتىٰ.

أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الإيمان ص ١٣١، باب ٦٦ الحديث ٢٣٤، بإسناده عن أنس، عن رسول الله ﷺ قال:

«لاتقوم الساعة حتىٰ لايقال في الأرض: الله، الله»

«لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله».

وأخرجه أيضاً السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٤٣، الحديث ٩٨٤٩. وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٥ و ٤٩٤، وفيه في حديث بدل «الله،الله»: «لا إله إلاّ الله».


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السّادس*

في جهنّم وأبوابها ومنازلها ودركاتها

إعلم، إنّ جهنّم تحوي على السّماوات والأرض على ماكانت عليه السّماء والأرض، أي (إذ) كانتا رتقاً فرجعت إلى صفتها من الرتق والكواكب كلّها فيها طالعة وغاربة على أهل النّار بالحرور والزّمهرير، بالحرور على (المقرورين) المبرودين بعد استيفاء المؤاخذة بما أجرموا، وبالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيما ولذّة مالهم من النّعيم إلاّ ذلك وهو دائم عليهم أبداً وكذلك طعامهم وشرابهم بعد انقضاء مدّة المؤاخذة، يتناولون من شجرة الزّقوم، لكلّ إنسان بحسب مايبرد عنه ماكان يجده أو يسخنه كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء بارداً فيجد له من اللّذة لإذهاب لحرارة العطش وكذلك ضدّه.

(*) قد مرّ الفصل الخامس ص: ٣٩١.

وأبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة لأنّ باب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه عندما أقرّ له بالربوبيّة وعلى نفسه بالعبوديّة. فللنّار على الأفئدة اطلاع لا دخول لغلق ذلك الباب فهو كالجنّة حفت بالمكاره، فما ذكر الله من أبواب النّار إلاّ السّبعة الّتي يدخل منها النّاس والجانّ.

وأمّا الباب المغلق الّذي لا يدخل عليه أحد في السّور، فباطنه فيه الرحمة بإقراره بوجود (الله) ربّاً له وعبوديّته لربّه، وظاهره من قبله العذاب وهي النّار الّتي تطّلع على الأفئدة.

وأمّا منازلها ودركاتها وخوخاتها فعلي ماذكرنا في الجنّة على السّواء لا تزيد ولا تنقص، وليس في النّار نار ميراث، ولا نار اختصاص، وإنّما ثمّ نار أعمال، فمنهم من عمرها بنفسه وعمله الّذي هو قرينه، ومن أهل الجنّة بقي عمله الّذي كان في الدّنيا على صورته في المكان من النّار الّذي لو كان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه، فإنّه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل، وهو خلاف ماكلّف من فعل وترك، فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض الّتي خلق منها، وكلّ شيء إلى أصله يعود وإن طالت المدّة.

فإنّها أنفاس معدودة وآجال مضروبة محدودة يبلغ الكتاب فيها أجله، ويرى كلّ مؤمل (ما) أمله فإنما نحن به وله فما خرجنا عنّا، ولا حللنا إلاّ بنا حيث كنّا، وحشرت الوحوش كلّها فيها أنعاماً من الله عليها إلا الغزلآن، وماستعمل من الحيوان في سبيل الله فإنّهم في الجنان على صورة يقتضيها ذلك الموطن، وكلّ حيوان تغذّي به أهل الجنّة في الدنيا خاصّة، وإذا لم

يبق في النّار أحد إلاّ أهلها وهم في حال العذاب، يجآء بـالموت عـلى صورة كبش أملح[٢٤٠] فيوضع بين الجنّة والنّار ينظر إليـه أهـل الجـنّة

(٢٤٠) قوله: يجاء بالموت على صورة كبش.

أخرج مسلم في صحيحه ج ٤ كتاب الجنّة باب ١٣ الحديث ٤٠ ص ٢١٨٨، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول‌الله ﷺ:

«يُجاء بالموت يوم القيامة كأنّه كبش أملح (فيوقف بين الجنّة والنار)، فيقال: ياأهل النار! هل تعرفون هـذا؟ فـيشرئبُّون ويـنظُرون ويـقولون: نـعم، هـذا الموت».

قال: ويقال: **ياأهل النار! هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت.**

قال: **فيؤمر به فيذبح.**

قال: **ثمّ يقال: ياأهل الجنّة! خلود فلا موت، وياأهل النار! خلود فلا موت.**

قال: ثمّ قرأ رسول الله ﷺ:

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مـريم: ٣٩].

وأشار بيده إلى الدنيا»

وأخرج قريب منه البخاري في صحيحه ج ٦، كـتاب التـفسير بـاب ٤٠٥ الحـديث ١١٥٥، ص ٤٤٨.

وروي المجلسي في البحار ج ٨ ص ٣٤٥ باب ذبح الموت الحـديث ٢، عـن كـتاب الحسين بن سعيد الأهوازي، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إذ أدخل الله أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، جيء بالموت في صورة كبش حتّى يوقف بين الجنّة والنار، قال: ثمّ ينادي مناد يسمع أهل الدارين جـميعاً: ياأهل الجنّة، ياأهل النار، فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ماهذا؟ هذا هو الموت الّذي كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول أهل الجنّة:

وأهل النّار فيقال لهم تعرفون هذا فيقولون: نعم هـذا المـوت، فـيضجعه الرّوح الأمين ويأتي يحيىٰ ﷺ وبيده الشفرة فيذبحه، ويقول الملك لسـاكني الجنّة والنّار: خلود فلا موت، ويقع اليأس لأهل النّار من الخروج مـنها، ويرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنّة من وقوع الخـروج مـنها، وتـغلق الأبواب وهي عين فتح أبواب الجنّة، فإنّها على شكل الباب الّذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل عين فتحه منزلاً آخر.

وأمّا أسماء أبوابها السّبعة: فباب جهنّم، وباب الجحيم، وباب السعير، وباب سقر، وباب اللظىٰ، وباب الحطمة، وباب سجّين، والباب المغلق وهو الثامن الّذي لا يفتح وهو الحجاب.

وامّا خوخات شعب الإيمان فمن كان على شعبة منها، فإنّ له مـنها تجليّاً بحسب تلك الشعبة كانت ماكانت، ومنها ماهي خلق في العبد جبل عليه.

↩ اللّهم لا تدخل الموت علينا، قال: ويقول أهل النار: اللّهم أدخل الموت علينا، قال: ثمّ يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثمّ ينادي مناد: لا موت أبداً، أيقنوا بالخلود، قال: فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، قال: ثمّ قرأ هذه الآية:

﴿أفما نحن بمّيتين* إلّا موتتنا الأولىٰ ومانحن بمعذّبين*إنّ هذا لهـو الفـوز العظيم*لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات: ٥٨ - ٦١].

قال: ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾ [مريم: ٣٩].

وأخرج قريب منه الترمذي في سننه ج ٥ كتاب تفسير القرآن باب ٢٠ في سورة مريم الحديث ٣١٥٦.

ومنها ماهي ملتبسة وكلّ خير فإنّها عن الخير المحض فمن عمل خيراً على أيّ وجه كان فإنّه يراه ويجازي به، ومن عمل سرّاً فلابّد أن يره (يراه)، وقد يجازي به وقد يعفى عنه وببدل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب، وإن مات عن غير توبة فلابّد أن يبدّل بما يقابله بما تقتضيه ندامته يوم يبعثون ويرى النّاس أعمالهم، وكلّ مكلّف فما كان يستوحش منه المكلّف عند رؤيته يعود له أنس له به، وتختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس باختلاف الخواطر هنا في الدّنيا، فإنّ باطن الإنسان في الدّنيا هو الظاهر في الدار الآخرة، وقد كان غيباً فيعود شهادة هناك وتبقى العين غيبا باطن هذه الهيئات والصّور لا تتبدل ولا تتحوّل فما ثمّ إلاّ صور وهيئات تخلع عنه وعليه دائماً أبداً إلى غير نهاية ولا انقضاء.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب السّادس والتّسعون ومائتان

(الفتوحات ج ٢ ص ٦٧٩)

في معرفة منزل انتقال صفات أهل السّعادة إلى أهل الشقاء في الدار الآخرة (من الحضرة الموسويّة)

(مساواة درجات الجنة مع دركات النار)

إعلم وفقنا الله وإيّاك أنّ درجات الجنّة على عدد دركات النّار، فما مِن دَرَج إلاّ ويقابله دَرَك من النّار، وذلك أنّ الأمر والنّهي لا يخلو الإنسان إمّا أن يعمل بالأمر أو لا يعمل، فإن عمل (همل) به كانت له درجة في الجنّة معيّنة لذلك العمل خاصّة، وفي موازنة هذه الدّرجة المخصوصة لهذا العمل الخاصّ إذا تركه الإنسان دَرَك في النّار لو سقطت حصاة من تلك الدّرجة في الجنّة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك (من النار)، فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين

سقوطه إلى ذلك الدرك، قال تعالىٰ:

﴿فاطّلع فرءآه في سواءِ الجحيم﴾ [الصافات: ٥٥].

فالإطلاع على الشيء من أعلى إلى أسفل، والسّواء حدّ الموازنة على الاعتدال، فما رآه إلاّ في ذلك الدّرك الّذي في موازنة درجته، فإنّ العمل الّذي نال به هذا الشخص تلك الدّرجة، تركه هذا الشّخص الآخر الّذي كان قرينة في الدنيّا بعينه، فانظر إلى هذا العدل الإلهيّ ما أحسنه وهما الرّجلان اللّذان ذكرهما الله في سورة الكهف المضروب بهما المثل وهو قوله تعالىٰ:

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾، إلى آخر الآيات [الكهف: ٣٢].

في قصّتهما في الدّنيا، وذكر في الصّافّات حديثهما في الآخرة في قوله تعالىٰ:

﴿قال قائل منهم انّيكان لي قرين * يقول أءِنّك لمن المصدّقين﴾ [الصّافات:٢-٥١].

وفيها ذكر المعاتبة، وفي قوله:

﴿تالله إن كدتّ لتردين﴾ [الصّافات: ٥٦].

لما اطّلع عليه فرآه في سواء الجحيم، وهو قوله:

﴿ماأظنّ السّاعة قائمة﴾ [فصّلت: ٥٠].

وورد في الأخبار الإلهيّة الصّحاح عن رسول الله ﷺ عن ربّه عزّ وجلّ فيما يقول لعبده يوم القيامة:

«أَفَظَنَنْتَ أنّك مُلاقيّ»(٢٤١).

فلنمثّل لك منها الأمّهات الّتي بني الإسلام عليها وهي خمسة:(٢٤٢)

---

(٢٤١) قوله: أَفَظَنَنت أنّك ملاقيّ.

اخرج مسلم في صحيحه ج ٤، كتاب الزهد، الحديث ١٦، ص ٢٢٧٩، بإسناده، عن أبي هريرة قال: قالوا: يارسول الله! هل نرىٰ ربّنا يوم القيامة؟

قال: «هل تضارّون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة»؟

قالوا: لا، قال: «فهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابةٌ»؟، قالوا: لا، قال: «فوالّذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربّكم إلاّ كما تضارّون في رؤية أحدهما»، قال: «فيلقي العبد فيقول: أي فُل! (يعني أي فلان) ألم أكرمك، وأسوّدك، وأزوّجك، وأسخّر لك الخيل والإبل، وأذَرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى»، قال: فيقول: «أفظننت أنّك مُلاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني». الحديث.

وأخرج الترمذي في سننه، ج ٤، كتاب صفة لقيامة باب ٦، الحديث ٢٤٢٨ ص ٦١٩، بإسناده عن أبي هريرة وعن أبي سعيد، قالا: قال رسول الله ﷺ:

«يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة، فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعا وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتُك ترأس وتربع، فكنت تظنّ أنّك ملاقي يومك هذا»؟ قال: فيقول: لا، قال: «فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني».

(٢٤٢) قوله: الأمهات الّتي بني الإسلام عليها وهي خمسة.

أخرج مسلم في صحيحه ج ١ كتاب الإيمان باب ٥، الحديث ٢٣ الى ١٩ ص ٤٥، بإسناده عن عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ قال:

«بُني الإسلام على خمس: على أن يوحّد الله، وإقامه الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحجّ».

وفي الأحاديث الأخرىٰ ٢٠ و ٢١ و ٢٢ بدل الجملة الأولى هكذا على الترتيب:

«على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه» . «شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً عبده

ورسوله». «شهادة أن لا إله إلاّ الله».

وأخرج مثله أي الحديث ٢٢، ابن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٣٦٤ و٣٦٣، بإسناده عن جرير بن عبدالله عن النبي ﷺ، وروي مثله الكليني في الكافي ج ٢ ص ٣١ في حديث طويل، بإسناده عن محمد بن سالم، عن الباقر عليه السلام قال: «**فلمّا أذن الله لمحمّد ﷺ في الخروج من مكّة إلى المدينة بَنَي الإسلام على خمس**»، الحديث. كما نقله مسلم في الحديث ٢١، وعنه البحار ج ٦٩ ص ٨٩.

وروي المجلسي في البحار ج ١٠٧ ص ١٩٩ عن الشهيد محمّد بن محمد مكي في اجازته للشيخ شمس الدين محمّد بن نجدة، بإسناده عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ قال:

«**بُني الإسلام على عشرة أسهم: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وهي الملّة، والصلاة وهي الفريضة، (الفطرة)، والصوم وهو الجنّة، والزكاة وهي الطهرة، والحجّ وهو الشريعة، والجهاد وهو العزّ (في كنز: الغزوة)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الحجّة، والجماعة وهي الألفة، والعصمة وهي الطاعة**»

وأخرج مثله كنز العمال، ج ١ ص ٢٣، و٢٩ الحديث ٣١ و٤٣، بإسناده عن ابن عباس وأنس، عن النبيّ ﷺ. ورواه المجلسي أيضاً في البحار ج ٦٨ ص ٣٧٧ الحديث ٢٥ عن الصدوق في «الخصال» بإسناده عن زرارة، عن الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ.

وروي المجلسي أيضاً في البحار ج ٦٨ ص ٣٨٧ الحديث ٣٨ عن كتاب الفضائل بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحجّ إلى البيت، والجهاد، وولاية عليّ بن أبي طالب**». قال أبو سعيد: «أظنّ القوم إلاّ هلكوا بترك الولاية».

وروي الطوسي في أماليه ج ٢، الجزء الثامن عشر، ص ١٣١، الحديث ٣٩، بإسناده عن المجاشعي، عن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن أبيه أبي عبدالله الصادق عليه السلام وأيضاً عن

علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«بُني الإسلام على خمس خصال: على الشهادتين والقرينتين، قيل له: أمّا الشهادتان فقد عرفناهما، فما القرينتان؟ قال: الصلاة والزكاة، فإنّه لا يقبل أحدهما إلاّ بالأخرىٰ، والصيام وحج البيت من أستطاع إليه سبيلاً، وختم ذلك بالولاية، فانزل الله عزّ جلّ:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣].

وعنه البحار ج ٦٨ ص ٣٧٩.

وروي الكلني في الأصول من الكافي ج ٢ ص ١٨ باب دعائم الإسلام الحديث ١، بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة، والصوم، والحجّ، والولاية ولم يناد بشيءٍ كما نودي بالولاية».

وأيضاً روي في الحديث ٥ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنّها مفتاحهنّ والوالي هو الدليّل عليهن».

وروي مثله أيضاً البرقي في المحاسن ص ٢٨٦ باب الشرايع الحديث ٤٣٠، وعنه البحار ج ٨٢ ص ٢٣٤، الحديث ٥٩.

أقول: عدم ذكر الولاية في بعض الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا ينافي البعض الآخر الّذي ذكرت فيه الولاية، لأنّ الطائفة الأولىٰ وردت وذكرت قبل نزول الآية الولاية أي:

﴿ياأيها الرسول بَلغْ ماأنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله

يعصمك من الناس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [المائدة: ٦٧].

كما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام في حديث الكليني، قال:

«فلما أذن الله لمحمّد صلى الله عليه وآله في الخروج من مكّة إلى المدينة بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، أقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصيام شهر رمضان». الكافي ج ٢ ص ٣١.

وأمّا الطائفة الأخرى قالها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بعد نزول تلك الآية الكريمة كما في حديث الطوسي، عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في آخر الحديث:

«وختم ذلك بالولاية، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾» [المائدة: ٣].

فكمال الدين وتمامه في أيّ بعد تتصوّر لايكون إلاّ بوجود علي بن أبي طالب وبولايته التكوينيّة والتشريعية والسياسيّة وبعلمه وبعصمته بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وعصمته ثابتة بآية التطهير:

﴿إنـما يـريد الله ليـذهب عـنكم الرجس أهـل البـيت ويـطهركم تـطهيراً﴾ [الاحزاب: ٣٣].

كما أن ولايته التشريعيّة وأيضاً عصمته ثابتة بحديث الثقليّن المتواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

قوله عليه السلام في حديث الكافي والبرقي: لأنّها مفتاحهّن والوالي هو الدليل عليهنّ، لأنّ الهدف من بعثة الأنبياء والرسل وانزال الكتب والدين هو اقامة الدين واحكامه، واقامة العدل الاجتماعي وتطبيق الشريعة، لكي يصل الانسان بكماله المطلوب والمناسب له في الدنيا والآخرة، وهذا لا يمكن إلاّ بالولاية والحكومة.

والولاية هذه اضافةً على سائر الولايات ثابتة من قبل الله سبحانه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن ولأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً بدلالة القرآن، وبنصّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

قال سبحانه وتعالى:

لا إله إلاّ الله، وإقام الصّلاة، وايتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا.

فمن النّاس من آمن بها كلّها فسعد، ومنهم من كفر بها كلّها فشقي، ومنهم من آمن ببعضها وكفر ببعضها فهو ملحق بالكافر الحاق حقّ.

وهكذا جميع الأوامر والنّواهي الّتي تقتضيها فروع الشريعة في جميع حركات الإنسان وسكونه في الإيمان بالحكم المشروع فيها، والكفر والعمل المشروع فيهما بظاهر الإنسان المكلّف وباطنه وترك العمل، ويحصر ذلك عقد وقول وعمل وفي مقابلته حلّ وصمت، وترك عمل هذه مقابلة من وجه في حق قوم، ومقابلة أخرى في حق قوم، أو هذا الشّخص بعينه وهو عقد مخالف لعقد وقول يخالف قولاً، وعمل مخالف لعمل، إذ كان لا يلزم من صاحب الحلّ أن يكون قد عقد أمراً آخر، فإنّ الحل إنّما

﴿النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال:

﴿إنما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال رسول الله ﷺ في حديث الغدير المتواتر:

«من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه»

ومعلوم أنّ الولاية بمعنى الحبّ والمحبوبيّة لا خطر في إبرازها وإعلانها حتى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

والّتي كانت لا يزال منشاءاً للمعارضة والمخالفة بين الناس وكانت موضع الحسد والجدال والقتال وغير ذلك هي الولاية بمعنى الحكومة والقيادة السياسية.

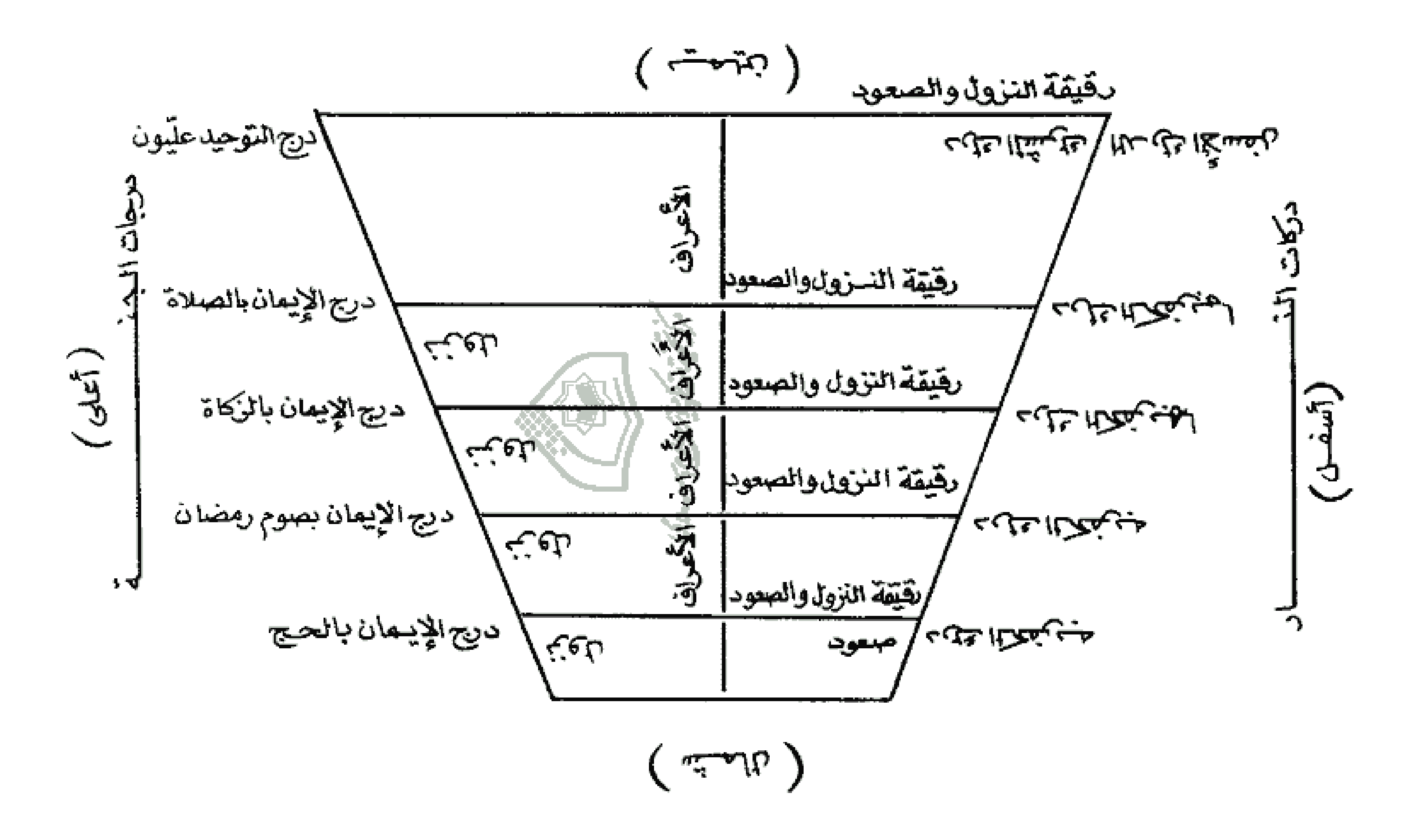
راجع في بيان معنى الحديث و مصادره التعليق ٩٦.

متعلّقه ذلك العقد الايماني بذلك المعقود عليه فاسقطه المعطل فلم يرتبط (بعقد) آخر، وشخص آخر عقد على وجود الشريك لله، فحلّ من عـنقه عقد حبل التوحيد وعقد حبل التشريك.

فلهذا فصّلنا الأمر على مايكون عليه في الآخرة موازناً لحالة الدّنيا.

وهذا صورة الشكل في الأمّهات، وعليها نأخذ جـميع المأمـور بـها والمنهّي عنها من العمل بالمأمور والقول به والإيمان به وترك ذلك حَـلاً وعقداً في الكلّ أو في البعض، وكذلك النّهي عنها من العمل به والقول به والعقد عليه وترك ذلك حَلاً وعقداً للكلّ والبعض.

صورة درج الجنّة، ودرك النار والأعراف وهو السّور الّذي باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب والرّقائق النازلة والصاعدة، ووضعناها لك لتتصوّرها في ذهنك إن كنت بعيد الفهم، والله المعين لا ربّ غيره:


(أعلى)
درجات الجنة
درج التوحيد عليون
درج الإيمان بالصلاة
درج الإيمان بالزكاة
درج الإيمان بصوم رمضان
درج الإيمان بالحج
نزول
نزول
نزول
نزول
الأعراف
الأعراف
الأعراف
الأعراف
رقيقة النزول والصعود
رقيقة النزول والصعود
رقيقة النزول والصعود
رقيقة النزول والصعود
صعود
(يمين)
(شمال)
رقيقة النزول والصعود
درك الشرك
الدرك الأسفل
درك الكفر بها
درك الكفر بها
درك الكفر به
درك الكفر به
دركات النار
(أسفل)

وهكذا درج العمل بالأمر والنّهي، ودرك ترك العمل بهما، ودرج القول بالأمر والنّهي ودرك تركهما عقداً وحلاً، كلاًّ أو بعضاً.

وهكذا مناسبات الجزاء كلّها لا تختلّ، قال عزّ وجلّ:

﴿**ومكروا ومكر الله**﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقال: قالوا:

﴿**إنّما نحن مستهزؤن * الله يستهزئُ بهم**﴾[البقره: ١٥و ١٤].

وقال:

﴿**ان تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون**﴾ [هود: ٣٨].

وقال تعالىٰ:

﴿**انّ الذين أجرموا كانوا من الّذين آمنوا يضحكون**﴾ [المطففين: ٢٩].

وقال في الجزاء:

﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفّار يضحكون**﴾ [المطففين: ٣٤].

ثم بيّن فقال:

﴿**هل ثوّب الكفّار ماكانوا يفعلون**﴾ [المطففين: ٣٦].

فعمّ بالألف واللّام وردّ الفعل عليهم.

وقال تعالىٰ:

﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ [التوبة: ٦٧].

ولهذا سمّي:

﴿**جزاءً وفاقاً**﴾ [النبأ: ٢٦].

ولو لم يكن الأمر كذلك لَما كان جزاء، وقد ورد في المتكبّرين:

«إنّهم يحشرون كأمثال الذرّ يطأهم النّاس بإقدامهم صغاراً لهم وذلّة

ولتكبّرهم على أوامر الله».*

فالجنة خير لا شرّ فيها والنّار شرّ لا خير فيها.

فجميع علم المشرك وعمله وقوله الّذي لو كان موحّداً جوزي عليه في الجنّة بحسبه، يعطي ذلك الجزاء للموحّد الجاهل بذلك الأمر والعلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول، والجزاء عليه الّذي لو كان مشركاً لحصل له في النّار يعطي لذلك المشرك الّذي لاحظّ له في الجنّة. فإذا رأى المشرك ماكان يستحقّه لو كان سعيداً يقول: ياربّ هذا لي فأين جزاء عملي الّذي هذا جزاؤه؟ فإنّ الأعمال بمكارم الأخلاق والتحريض عليها الّذي هو القول تقتضي جزاء حسناً وقع ممّن وقع، فيقول الله له: لما عملت كذا، ويذكر له ماعمل من مكارم الأخلاق والقول بها والعمل بمواقعها، قد جاز على ذلك بما أنعمت به عليك من كذا وكذا، فيقرّر عليه جميع ماأنعمه عليه جزاء لأنعمه المنّة في خلقه المبتدأة الّتي ليست بجزاء، فيزنها المشترك هنالك بما قد كشف الله من علم الموازنة فيقول: صدقت، فيقول الله له: فما نقصتك من جزائك شيئاً والشّرك قطع بك عن دخول دار الكرامة، فتنزل فيها على موازنة هذه الأعمال ولكن أنزل على درجات تلك الأعمال،فإنّ صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدّار، فهذا هو من الميراث الّذي بين أهل الجنّة وأهل النّار.

(*) قوله يحشرون كأمثال الذّر.

أخرجه ابن حنبل في مسنده ج ٢ ص ١٧٩، و الترمذي كتاب صفة القيامة ٤٧، الحديث ٢٤٩٢، و كنزل العمّال ج ٣٧ ص ٥٢٨، الحديث ٧٧٥٠، وإحياء علوم الدّين للغزالي و المحجّة البيضاء للفيض باب ذمّ الكبر، و رواه البحار ج ١٠ ص ٢٤٣ و ج ٥٣ ص ١٣١.

ونذكر الكلام في هذا الفصل في باب الجنّة والنّار من هذا الكتاب.

فهذا هو الإنتقال الّذي بين أهل السّعادة وأهل الشقاء(*)، فإنّ المؤمن

(*) قوله: فهذا هو الإنتقال الّذي بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

روى الصدوق في المقام خبرين (لعلّهما واحد ولكن رواه بسندين) عن الإمام الباقر صلوات الله عليه، يدلاّن على انتقال الأعمال الحسنة وثوابها، وانتقال أعمال السيئة وعقابها، عن فاعلها إلى غيره، وهما هكذا: الصدوق بإسناده عن إسحاق اللّيثي قال: قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ: يابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل، هي يزني؟ قال: **«اللّهم لا»**، قلت: فيلوط؟ قال: **«اللهم لا»**، قلت: فيسرق؟ قال: **«لا»**، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: **«لا»**، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال **«لا»**، قلت: فيُذنب ذنباً؟ قال: **«نعم وهو مؤمن مذنب مسلم، (ملم)»** قلت: مامعنى مسلم(ملم)؟ قال: **«المسلم (الملم) بالذنب لا يلزمه ولا يصير (يصرّ) عليه»**، قال: فقلت: سبحان الله ماأعجب هذا! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة؟ فقال: **«لا عجب من أمر الله، أنّ الله عزّ وجلّ يفعل مايشاء ﴿ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾** [الأنبياء: ٢٣]، **فِممَّ عجبت ياابراهيم؟ سَل ولا تستنكف ولا تستحسر(ولا تستحي)، فإنّ هذا العلم لا يتعلّمه مستكبر ومستحسر (مستحي)»**، قلت: يابن رسول الله إنّي أجد من شيعتكم من يشرب، ويقطع الطريق، ويخيف السبيل، ويزني ويلوط، ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة، ويقطع الرحم، ويأتي الكبائر، فكيف هذا؟ ولِمَ ذاك؟ فقال: **«ياإبراهيم هل يختلج في صدرك شيء غير هذا»**؟ قلت: نعم يابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك، فقال: **«وماهو ياأبا إسحاق»**؟ قال: قلت: يابن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم مَن يكثر من الصلاة ومن الصيام، ويخرج الزكاة، ويتابع بين الحجّ والعمرة، ويُحضّ على الجهاد، ويأثر على البرّ وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنّب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، فَمِمَّ

ذاك؟ فسّر لي يابن رسول الله وبرهِنه وبيّنه، فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي، قال: فتبسّم صلوات الله عليه ثمّ قال: **«ياإبراهيم خُذ إليك بياناً شافياً فيما سألت، وعلما مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه، أخبرني ياإبراهيم كيف تجد اعتقادهما»؟**.

قلت: يابن رسول الله أجد محبّيكم وشيعتكم على ماهم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ممّا بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّةً أن يزولَ عن ولايتكم ومحبّتكم إلى مولاة غيركم وإلى محبّتهم مازال، ولو ضُربت خياشيمه بالسيوف فيكم، ولو قتل فيكم ماارتدع ولا رجع عن محبّتكم وولايتكم.

وأرى الناصب على ماهو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أُعطي أحدهم مابين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن محبّة الطواغيب وموالاتهم إلى موالاتكم مافعَل ولازال ولو ضُربت خياشيمه بالسيوف فيهم، ولو قُتل فيهم ماأرتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأزّ من ذلك وتغيّر لونه، ورُئي كراهية ذلك وجْهه، بغضاً لكم ومحبّة لهم.

قال: فتبّسم الباقر عليه السلام، ثمّ قال: **«ياإبراهيم هاهنا هلكت العاملة الناصبة ﴿تصلىٰ ناراً حامية، تسقىٰ من عينٍ آنية﴾** [الغاشية: ٥]، ومن أجل ذلك قال عزّ وجلّ: **﴿وقدمنا إلى ماعلموا من عمل فجعلناه هباءً منشوراً﴾** [الفرقان: ٢٣] **ويحك ياإبراهيم أتدْري ماالسبب والقصّة في ذلك؟ ومالّذي قد خفي على الناس منه»؟** قلت: يابن رسول الله فبيّنه لي واشرحه وبَرهِنْه.

قال: **«ياإبراهيم إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا مِن شيء، ومن زعم أنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء من شيء فقد كفر، لأنّه لو كان ذلك الشيء الّذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك أزليّاً، بل خلق الله عزّ وجلّ الأشياء كلّها لا من شيء.**

فكان ممّا خلق الله عزّ وجلّ أرضاً طيّبة، ثمّ فجّر منها ماءاً عذباً زلالاً، فعرض

عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتْها، فأجرىٰ ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبّقها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، وأخذ مِن صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمّة عليهم السلام، ثمّ أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا، ولو ترك طينتكم ياإبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً».

قلت: يابن رسول الله فما فعل بطينتنا؟ قال:

«أخبرك ياإبراهيم، خلق الله عزّ وجلّ بعد ذلك أرضاً سبخةً خبيثةً مُنتِنة، ثمّ فجّر منها ماءاً أجاجاً، آسناً، مالِحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيّام حتّى طبقها وعمّها، ثمّ نضب ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمّتهم، ثمّ مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يُمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدّوه مثل صورته».

قلت: يابن رسول الله فما صنع بالطينتين؟ قال: «مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني، ثمّ عَرَكها عرك الأديم، ثمّ أخذ من ذلك قبضة، فقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، ثمّ أخذ من ذلك قبضةً فقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، ثمّ خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زناً، او لواط، أو ترك صلاة، أو صيام، أو حجّ، أو جهاد، أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر، فهو من طينة الناصب وعنصره الّذي قد مزج فيه لأنّ من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المأثم والفواحش والكبائر، ومارأيت من الناصب ومُواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وأبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن وسنخه الّذي قد مُزج فيه، لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب

الحسنات واستعمال الخير واجتناب المأثم.

فإذا عُرضت هذه الأعمال كلّها على الله عزّ وجلّ قال: أنا عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحَكَمٌ لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحِقوا الأعمال السيئة الّتي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة الّتي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، رُدُّوها كلّها إلى أصلها.

فإنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، عالم السرّ وأخفىٰ، وأنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلاّ ماعرفته منه قبل أن أخلقه».

ثم قال الباقر عليه السلام: «ياإبراهيم إقرأ هذه الآية»، قلت: يابن رسول الله أيّة آية؟ قال: قوله تعالىٰ:

﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده إنّا إذاً لظالمون﴾ [يوسف: ٧٩].

هو في الظاهر ماتفهمونه، وهو والله في الباطن هذا بعينه، ياأبراهيم إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً».

(إلى أن قال عليه السلام):

«هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البيّن، ﴿لا يُسأل عمّا يفعل وهمُ سألون﴾، هذا ياابراهيم، الحقّ من ربّك لا تكن من الممترين، هذا من حكم الملكوت».

قلت: يابن رسول الله وماحكم الملكوت؟ قال: «حكم الله وحكم أنبيائه، قصّة الخضر وموسىٰ عليهما السلام حين استصحبه فقال: ﴿إنّك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً﴾ [الكهف: ٦٧].

(إلى أن قال): فقلت: يابن رسول الله ماأعجب هذا! تؤخذ حسنات أعدائكم فتردّ على شيعتكم، وتؤخذ سيئات محبيّكم فتردّ على مبغضيكم؟ قال: إي والله الّذي لا إله إلاّ هو، فالق الحبّة، وبارئ النسمة، وفاطر الأرض والسماء، ماأخبرتك إلاّ بالحقّ، وماأتيتك إلاّ بالصدق، وماظلمهم الله وماالله بظلاّم للعبيد، وإنّ ماأخبرك

⬅ لموجود في القرآن كلّه».

قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: «نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أتحبُّ أن أقرأ ذلك عليك»؟

قلت: بلى يابن رسول الله. فقال: «قال الله عزّ وجلّ: ﴿وقال الّذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء إنّهم لكاذبون* وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٢].

أزيدك ياإبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله قال:

﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألاساء مايزرون﴾ [النحل: ٢٥].

أتحبّ أن أزيدك؟ قلت: بلى يابن رسول الله. قال:

﴿فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [الفرقان: ٢٥].

يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيئات، وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لَمِن عدله وإنصافه، لا رادّ لقضائه، ﴿ولا معقّب لحكمه وهو السميع العليم﴾.

«ألم أبيّن لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يابن رسول الله. قال: إقرأ ياإبراهيم»:

﴿الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللّمم إنّ ربّك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ [النجم: ٣٢].

يعني من الأرض الطيّبة والأرض المنتنة ﴿فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن أتّقى﴾.

يقول: لا يفختر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأنّ الله عزّ وجلّ أعلم بمن أتّقى منكم، فإنّ ذلك من قبل اللّمم وهو المزاج.

أزيدك ياإبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله، قال:

⬅

هنا في عبادة والعبادة تعطيه الخشوع والذلّة، والكافر في عزّة وفرحة، فإذا كان في هذا اليوم يخلع عزّ الكافر وسروره وفرحه على المؤمن، ويخلع ذلّ المؤمن وخشوعه الّذي كان لباسه في عبادته في الدّنيا على الكافر يوم القيامة قال تعالىٰ:

﴿خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفّي﴾ [الشورى: ٤٥].

فإنّ هذ النّظر هو حال الذّليل لا يقدر يرفع رأسه من القهر، وذلك الخشوع من الكافر يوم القيامة، والذلّة والنّظر المنكسر الّذي لا يرفع بسببه رأسه إنّما هو لله تعالىٰ خوفاً منه، وهذا كان حال المؤمن في الدّنيا لخوفه من الله فذلك يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة (عزّة) غيره وسروره وفرحه على غيره ويرى ذلّ غيره وغمّه وحزنه على نفسه، فالحكم لله العليّ الكبير.

ويتضمّن هذا المنزل من العلوم: علم سؤال الحقّ عباده السّعداء عن مراتب الأشقياء بأيّ اسم يسأل، وعلم المناسبات، وعلم ماتعطيه الأفكار،

﴿كما بدأكم تعودون۞ فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة إنّهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ [الأعراف: ٢٩ - ٣٠].

يعني أئمّة الجور دون أئمّة الحقّ ﴿ويحسبون أنّهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٣٧].

خذها إليك ياأبا إسحاق، فوالله إنّه لمِن غُرَرِ أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا، وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلاّ مؤمناً مستبصراً فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك ولدك».

(علل الشرايع الباب ٣٨٥ نوادر العلل، الحديث ٨١، ص ٦٠٦.

وروى قريب منه، الباب ٢٤٠ العلّة الّتي من أجلها يرتكب المؤمن المحارم، الحديث ١ ص ٤٨٩. وعنه البحار ج ٥ ص٣٢٨ الحديث ٦، وص٢٤٦، الحديث٣٦.

وعلم الكفيّات، وهو على ضربين: ضرب منه لا يعرف إلاّ بالذّوق، وضرب منه يدرك بالفكر وهو من باب التوسّع في الخطاب لا من باب التحقيق، فإنّ التحقيق بعلم الكفيّات إنّما هو ذوق.

(التخلّق بأسماء الله سبحانه و تعالىٰ)

ولقد نبّهني الولد العزيز العارف شمس الدّين إسماعيل بن سودكين التوري على أمر كان عندي محققا من غير الوجه الّذي نبّهنا عليه هذا الولد، ذكرناه في باب الحروف من هذا الكتاب (الفتوحات المكيّة الباب الثاني)، وهو التجلّي في الفعل هل يصحّ او لا يصحّ؟ فوقتاً كنت أنفيه بوجه، ووقتاً كنت أثبته بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف، إذ كان التكليف بالعمل لا يمكن أن يكون من حكيم عليم، يقول: إعمل وافعل لمن يعلم أنّه لا يعمل ولا يفعل إذ لا قدرة له عليه، وقد ثبت الأمر الإلهيّ بالعمل للعبد مثل:

﴿أقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣].

﴿وأصبروا وصابروا ورابطوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿وجاهدوا﴾ [الحجر: ٧٨] فلابّد أن يكون له في المنفعل عنه تعلّق من حيث الفعل فيه يسمّى به فاعلاً وعاملاً، وإذا كان هذا فبهذا القدر من النّسبة يقع التجلّي فيه، فبهذا الطّريق كنت أثبته وهو طريق مرضي في غاية الوضوح يدل أن القدرة (الحادثة) لها نسبة تعلّق بما كلفت عمله لابّد من ذلك، ورأيت حجّة المخالف واهية في غاية من الضّعف والاختلال، فلما كان يوما فاوَضَني في هذه المسألة هذا الولد اسماعيل بن (أبو)

سودكين المذكور، فقال لي: وأيّ دليل أقوىٰ على نسبة الفعل إلى العبد وإضافته إليه والتجلّي فيه إذ كان من صفته: من كون الحقّ خلق الإنسان على صورته، فلو جرّد عنه الفعل لما صحّ أن يكون على صورته، ولَما قبل التخلّق بالأسماء، وقد صحّ عندكم وعند أهل الطريق بلا خلاف أن الإنسان مخلوق على الصّورة وقد صحّ التخلّق بالأسماء، فلا (فلم) يقدر أحد أن يعرف مادخل عليّ من السّرور بهذا التّنبيه.

(إستفادة الأشياء من تلميذه)

فقد يستفيد الأستاذ من التلميذ اشياء من مواهب الحقّ تعالىٰ لم يقض الله للأستاذ أن ينالها إلاّ من هذا التلميذ، كما نعلم قطعاً أنّه قد يفتح للانسان الكبير في أمر يسأله عنه بعض العامّة ممّا لا قدر له في العلم ولا قدم، ويكون صادق التوجه في هذا العلم المسؤول عنه، فيرزق العالم في ذلك الوقت لصدق السائل علم تلك المسألة، ولم تكن عنده قبل ذلك عناية من الله بالسّائل وتضمنت عناية الله بالسّائل أن حصل للمسؤول علماً لم يكن عنده، ومن راقب قلبه يجد ماذكرناه.

فالحمد لله الّذي استفدنا من أولادنا مثل مااستفاد شيوخنا منّا أموراً كانت اشكلت عليهم.

ويتضمّن علم هذا المنزل علم التبليغ عن الله إلى خلقه من رسول ونبيّ ووارث، ويتضمّن علم السيّاسة في التعليم بباب اللطف من حيث لا يشعر المطلوب بذلك، ويتضّمن علم الجزاء المطلق والمقيّد، فالمطلق مجازاة العبد ربّه مثل الشكر على (المنعم) النِعَم، ومجازاة الله العبد مثل

المزيد فيما وقع عليه الشّكر من العبد، والمجازات المقيّدة هي جزاء (الله) العبد في الدّار الآخرة فإنّها ليست بدار تكليف، و(هو الدنيا) قال تعالىٰ:

﴿وأوفوا بعهدي﴾ [البقرة: ٤٠].

في موطن التكليف وهو الدّنيا.

﴿أوف بعهدكم﴾ [البقرة: ٤٠].

في الدارين معاً دنياً وآخرةً.

وهذا القدر كاف في هذا الباب والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

(الأشكال والجداول)

وحيث فرغنا من بحث المعاد على سبيل التقرير والعيان، فلنشرع فيه من حيث التشكيل الحاصل بالكشف والوجدان المنتخب من كلامه قدس الله سرّه وهو هذا:

وله مقدّمات وكيفيّات وجداول وأشكال، هذا بعضها إختصاراً على الترتيب المتقدّم من الأبواب والفصول، وهو قوله:(٢٤٣)

وهذا صورة العماء الّذي هو الجسم الحقيقي العام الطبيعي الّذي هو صورة من قوّة الطبيّعة، تجلىٰ لما يظهر فيه من الصّور، ومافوقه رتبة إلاّ رتبة الربوبيّة الّتي طلبت صورة العماء من الإسم الرحمٰن فتنّفس فكان

---

(٢٤٣) قوله: على الترتيب المتقدّم.

راجع الفتوحات المكيّة ج ٣ ص ٤٢٠.

العماء.

فشبّهه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الإسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال:

«مافوقه هواء - يعلو عليه فما فوقه إلاّ حقّ - وماتحته هواء يعتمد عليه»(٢٤٤).

أي ماتحته شيء، ثمّ ظهرت فيه الأشياء.

فالعماء أصل الأشياء والصّور كلّها، وهو أوّل فرع ظهر من أصلٍ، فهو نجم لا شجر، ثم تفرعت منه أشجار إلى منتهى الأمر والخلق وهو الأرض، وذلك بتقدير العزيز العليم.

فهذا المثل المضروب المشكّل الممثل الّذي نضربه ونشكّله هو العماء، وهو الدائرة المحيطة، وهو فلك الإشارات.

والنقط الّتي في الدائرة مثال أعيان الأرواح المهيّمة.

والنقطة العظمىٰ في هذه النقط العقل.

والدائرة الّتي إلى جانب النقطة العظمىٰ الّتي فيما حلها (في داخلها) نقطتان هي النّفس الكلّ واللوح المحفوظ.

وتانك النقطتان فيهما القوّتان العلميّة والعمليّة، والأربع النّقط المجاورات لدائرة النّفس رتبة الطّبيعة التي هي بنت الطّبيعة العظمى.

والدائرة الّتي في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولي وهو

---

(٢٤٤) قوله: مافوقه هواء.

راجع التعليق ٢٣٠.

الهباء.

والشكل المربّع فيه هو العرش.

والدائرة في جوف هذا الشكل المربّع هو الكرسيّ موضع القدمين.

والدائرة الّتي في جوفه هي الفلك الأطلس.

والدوائر الثمانية هي الجنّات.

والدائرة التي تحت الثمانية هو الفلك المكوكب فلك المنازل، وماتحت مقعره هو جهنّم.

وفيما تحت مقعره انفتحت أشكال السماوات والأرض ومابينهما من الأركان والكواكب الثّابتة كلّ ذلك جهنّم، فاذا بدلت السّماء والأرض فإنّما يقع التبديل في الصّور لا في الأعيان وإن كانت الأعيان صوراً، ولكن إذا علم المراد فلا مشاحة في الألفاظ والعبارات.

والخطّان اللّذان تحت الشكل المربّع المسمّى عرشا الخط الواحد الماء، والآخر الهواء.

وأنصاف الدوائر الّتي في جوف فلك الكواكب هي السماوات.

والخطوط الّتي تستقرّ عليها أطراف أنصاف الدوائر الأرض، ومابين القبة الّتي في أوّل خطّ من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان الماء والهواء والنار.

والمقادير المعيّنة في الفلك الأطلس هي البروج، والمقادير المعيّنة في الفلك المكوكب هي المنازل.

وكلّ قبّة من القباب السّبعة فيها نقطة حمراء هي صورة كوكب كلّ قبة.

ثمّ جميع مافي الفلك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصّور.

وفي جوف الفلك المكوكب يكون الحشر والنشر والحساب، والعرش الّذي يتجلّى فيه الحقّ للفصل والقضاء.

والملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي العرش، والنّاس والجانّ بين العرش وصفوف الملائكة.

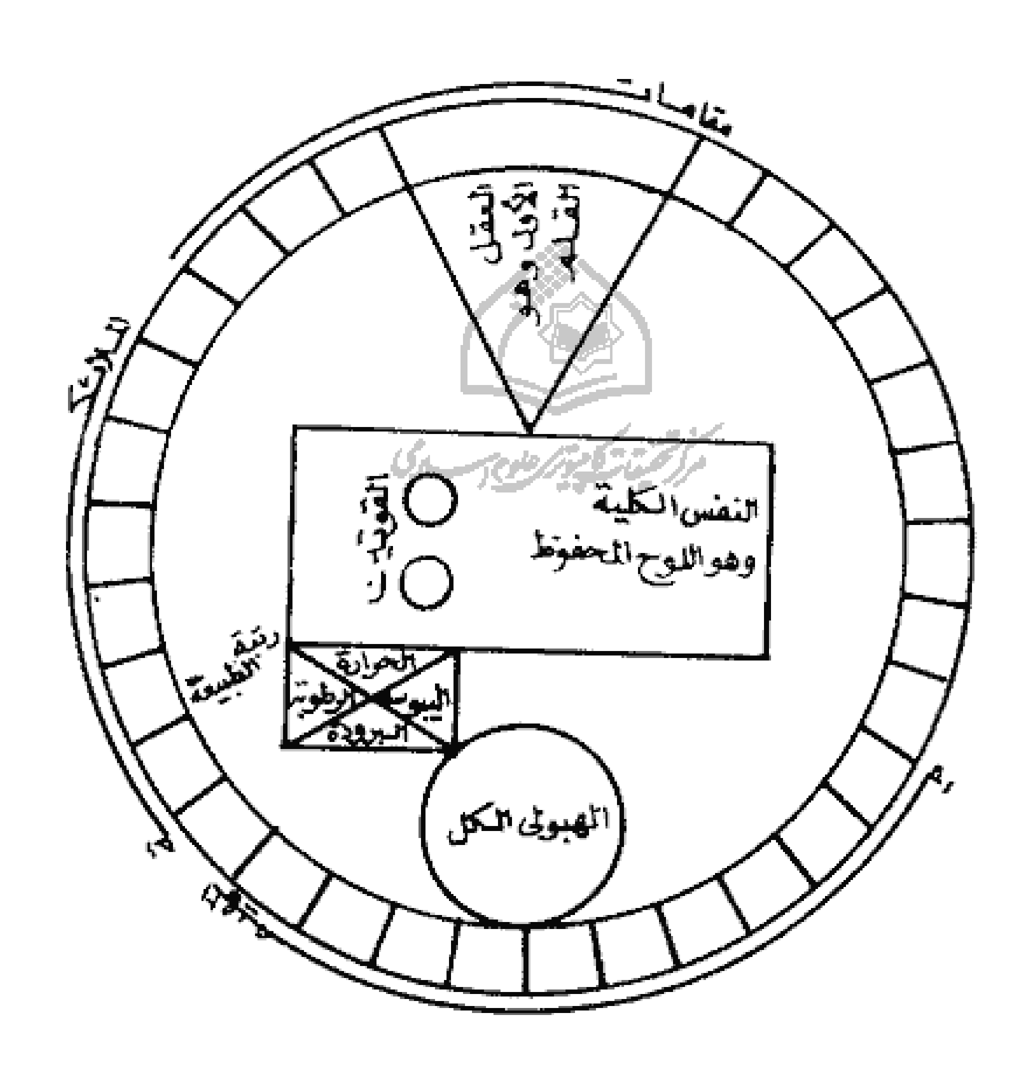
والصّراط منصوب كالخطّ الّذي يقسم الدائرة نصفين وينتهي إلى المرج الّذي خارج سور الجنّة موضع المأدبة الّتي يأكلها أهل الجنّة قبل دخول الجنّة وبعد الجواز على الصّراط.

وسأشكل هذا كلّه وأمثاله وأكتب على كلّ شكل إسم المراد به.

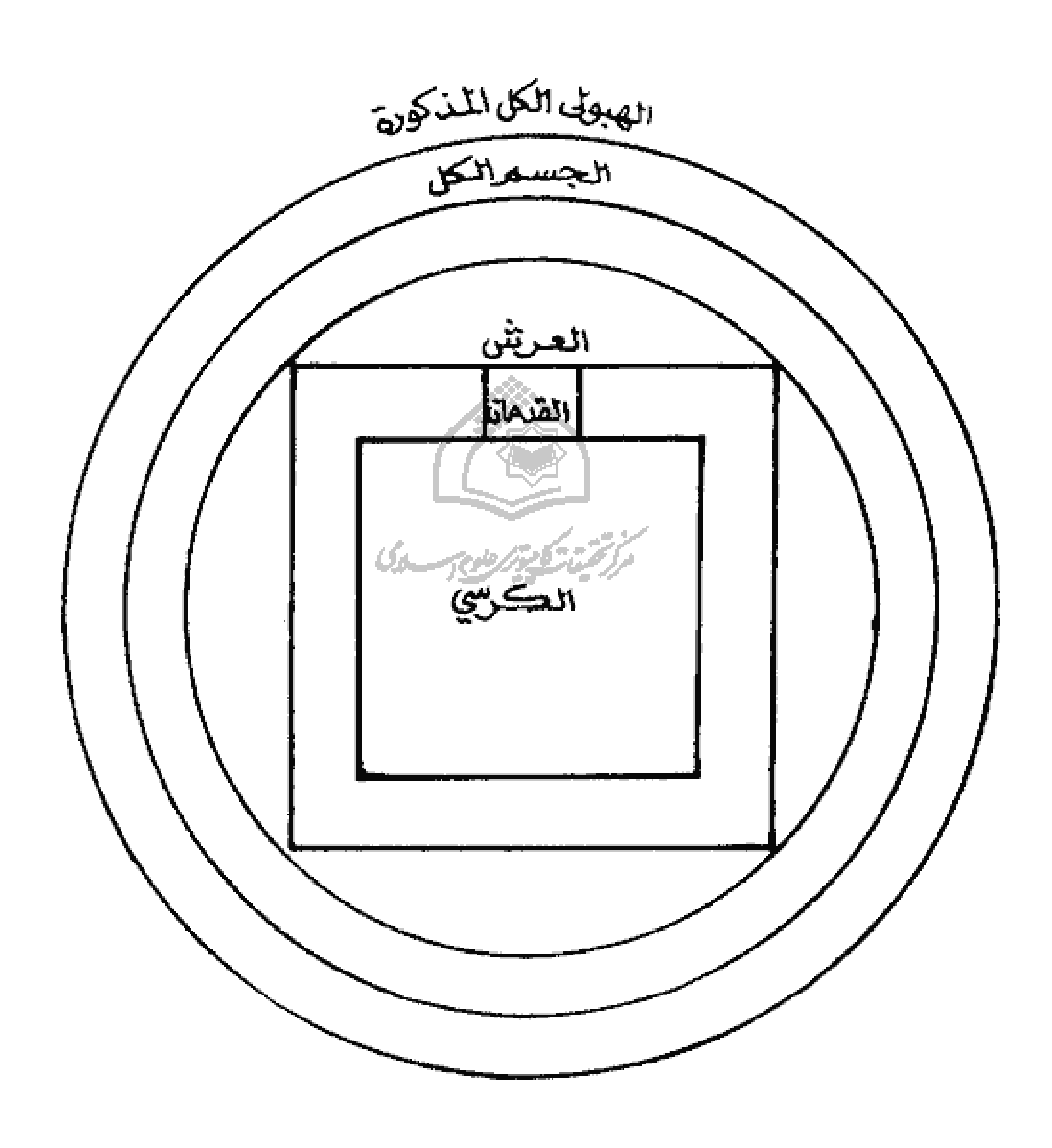


فمن ذلك:

صورة العماء ومايحوي عليه إلى عرش الاستواء فان موضع صور الأشكال ضيق هنا لا يتسع لصور مانريد تشكيلة واحدة فإنه لو اتسع كان أبين للناظر فيه.

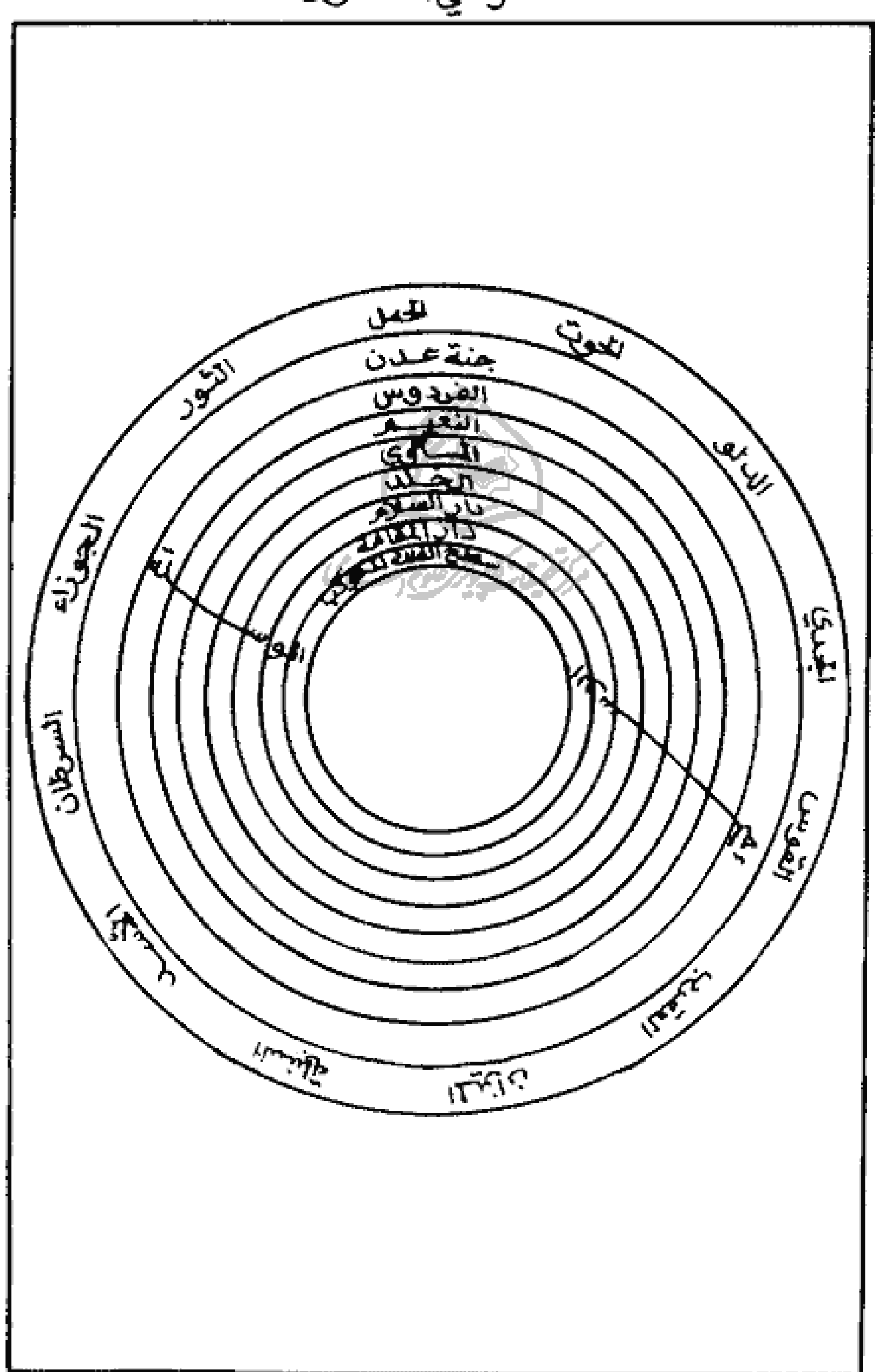


ومن ذلك صورة عرش الاستواء والكرسي والقدمان والماء الذي عليه العرش والهواء الذي يمسك الماء والظلمة:

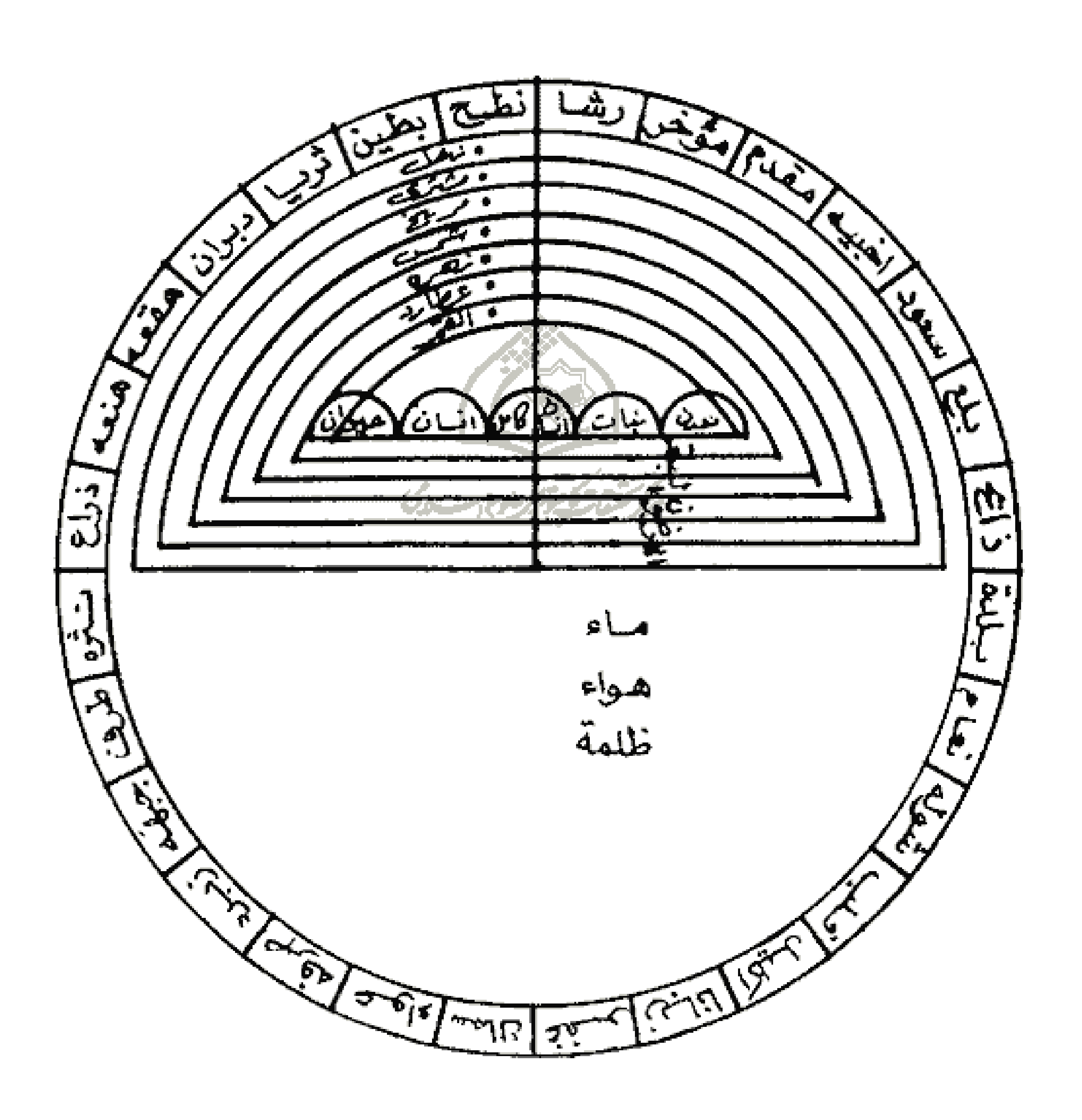


ومن ذلك صورة الفلك الأطلس والجنات وسطح فلك الكواكب وشجرة طوبى:

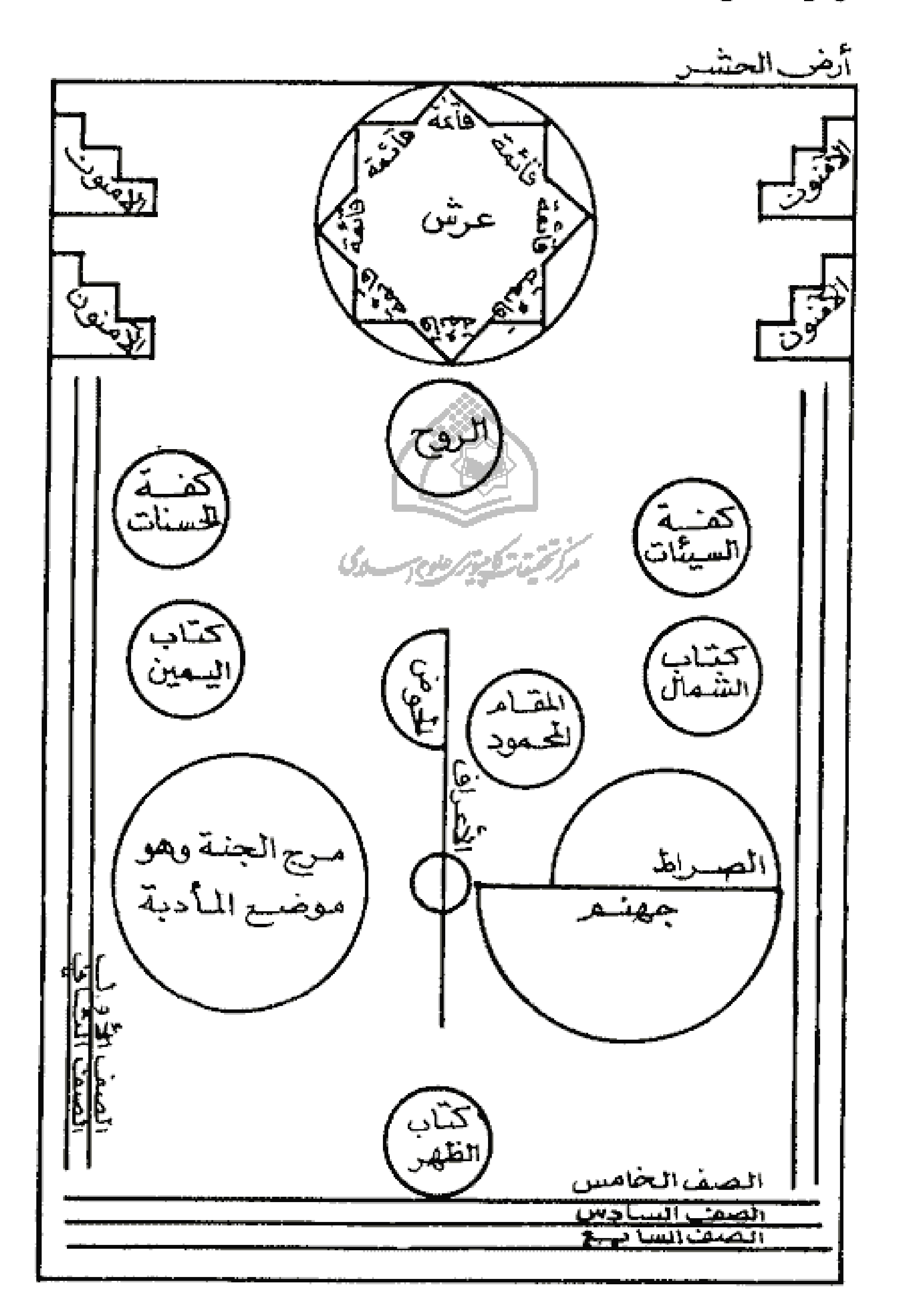
الكرسي المذكور



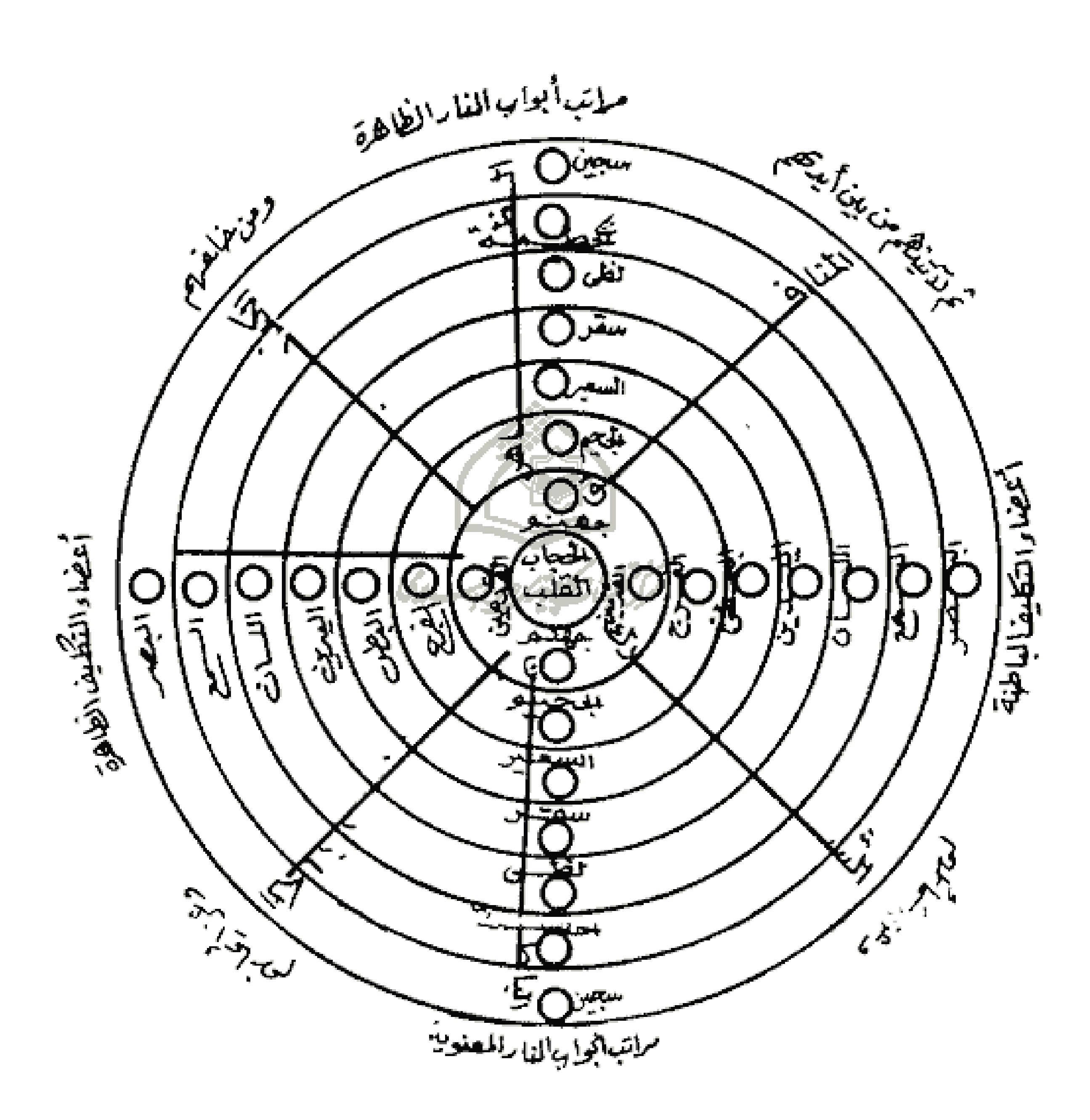
ومن ذلك صورة الفلك المكوكب وقباب السموات ومـا تستقر عـليه وهو الأرض والأركان الثلاثة والعمد الذي يمسك الله به القـبة والمـعدن والنبات والحيوان والانسان:



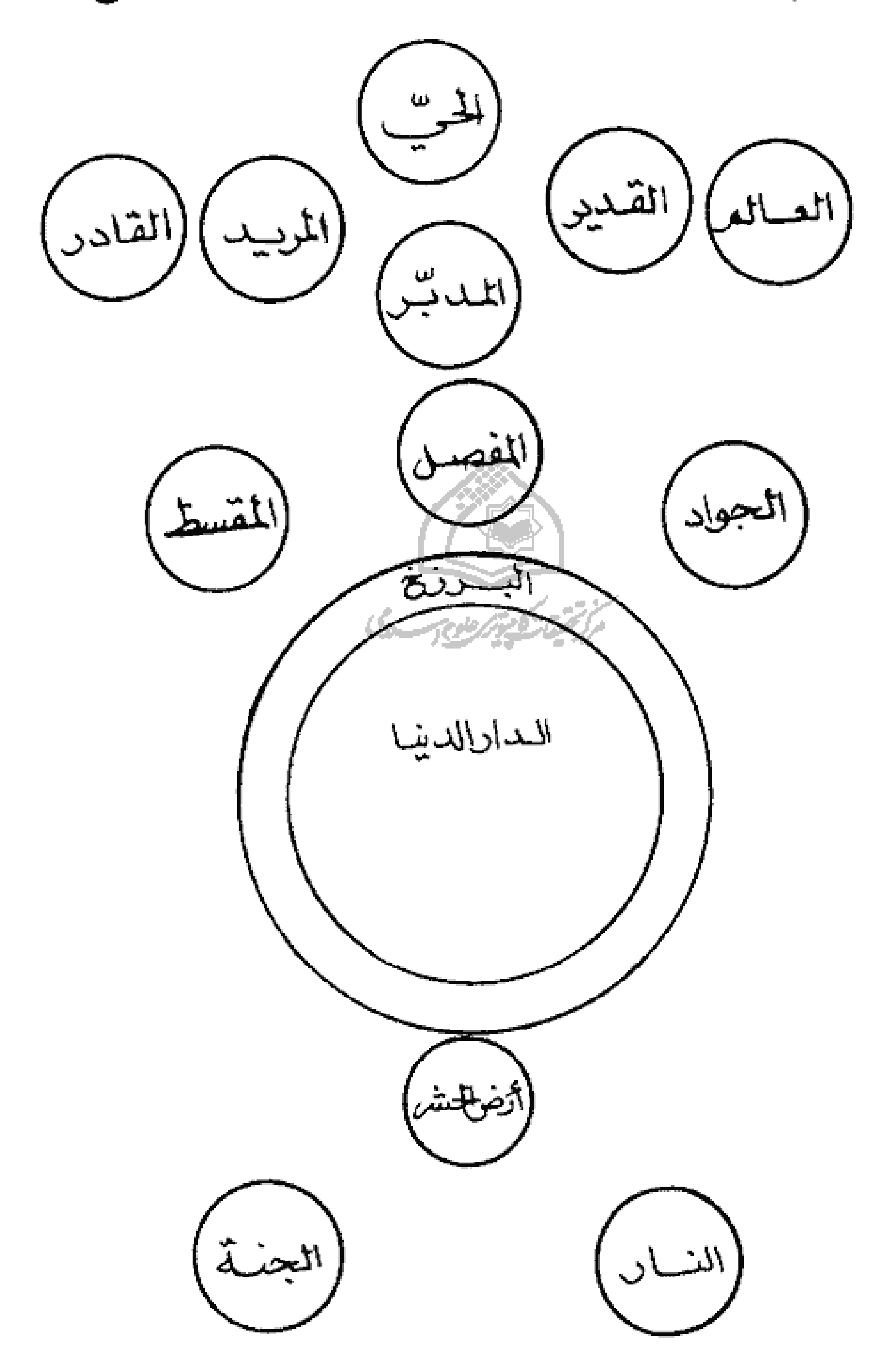
ومن ذلك صورة أرض المحشر ومايحوي عليه الاعـيان والمـراتب وعرش الفصل والقضاء وحملته وصفوف الملائكة:



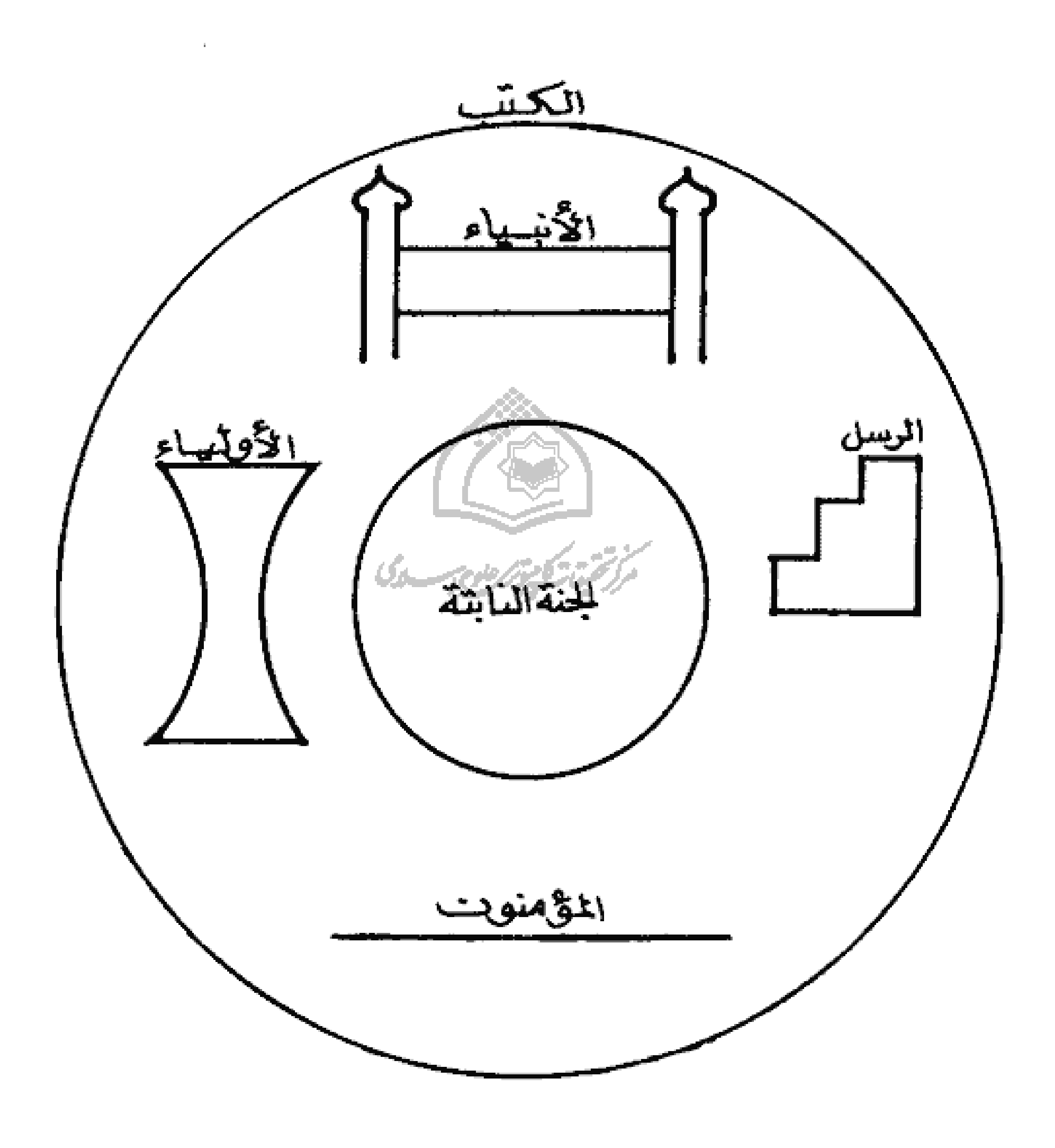
ومن ذلك صورة جهنم وأبوابها ومنازلها ودركاتها:



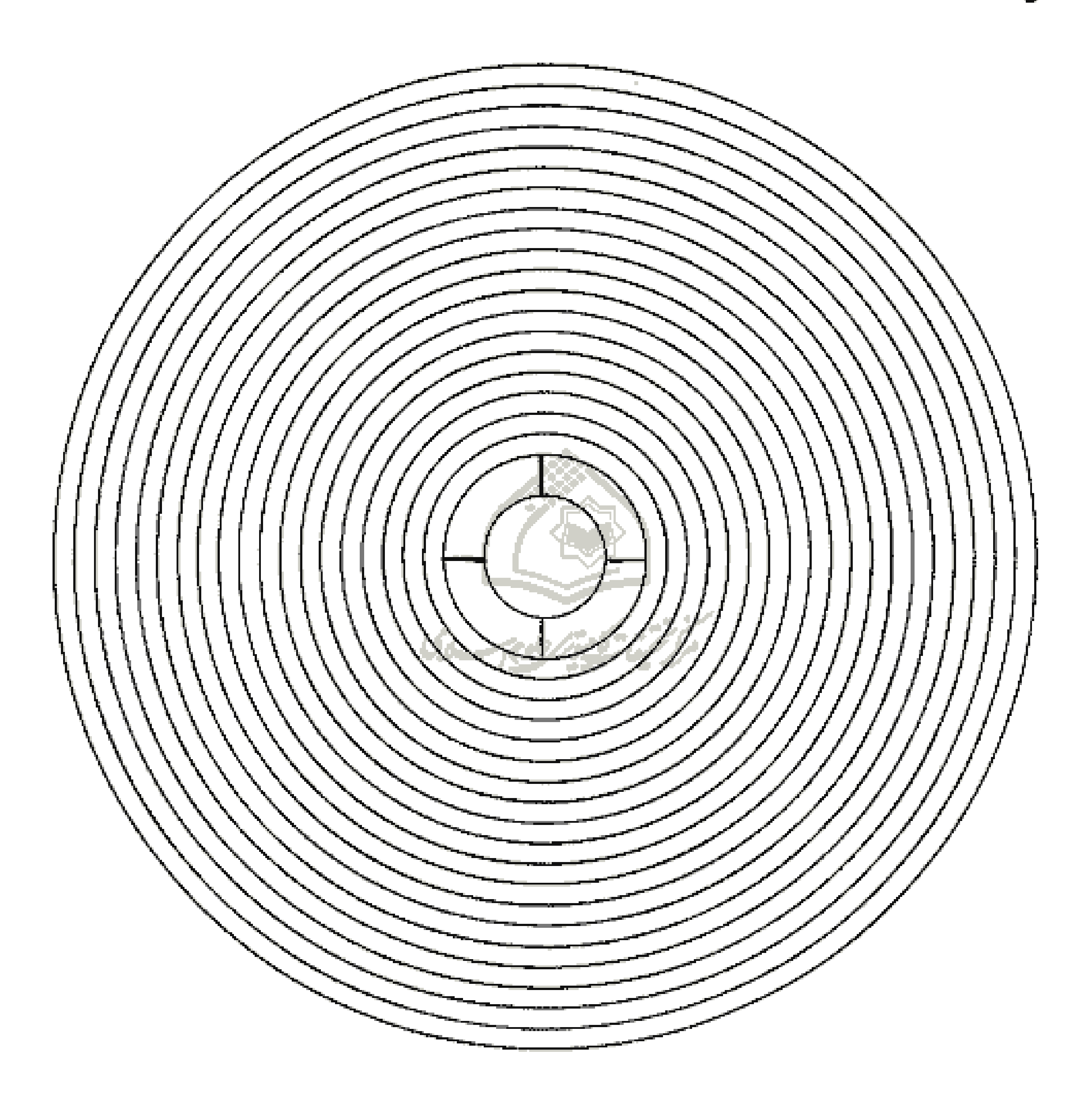
ومن ذلك صورة حضرة الأسماء الإلهيّة والدنيا والآخرة والبرزخ:



ومن ذلك صورة كثيب الرؤية ومراتب الخلق فيه:



ومن ذلك صورة العالم كله وترتيب طبقاته روحـا وجسـما وعـلوا وسفلا:



هذا آخر الأصول الخمسة في المراتب الثّالث من الشريعة والطّريقة والحقيقة، وآخر بحث المعاد كذلك الّذي هو الخامس من الأصول وبيانه في المراتب المذكورة من كلامنا وكلام الشيخ الأعظم قدّس الله سرّه.

(رجوع العوالم بعضها إلى بعض)

ومع ذلك كلّه إن أخذت رجوع عالم الأفعال الّتي هي عالم الرّبوبيّة إلى عالم الصّفات، ورجوع عالم الصّفات الّتي هي عالم الكثرة وحضرت الواحديّة، إلى عالم الأسماء والتعيّنات، ورجوع عالم الأسماء والتعيّنات إلى عالم الذات الّتي هي عالم الألوهيّة وحضرت الأحديّة، عرفت تحقيق هذا وظهر لك سرّ قولنا في تعداد القيامة الصوريّة والمعنويّة إلى إثني عشر قيامة.

وكذلك إن أخذت رجوع عالم المحسوس الّذي هو عالم الشهادة والملك إلى النّفوس الّذي هو الملكوت والغيب، ورجوع عالم النفوس والملكوت إلى الجبروت الّذي هو عالم العقول وغيب الغيب، فإنّ الكلّ واحد والمقصود حاصل.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

وحيث فرغنا من بحث الأصول الخمسة، وتدويرها في كلّ واحدة من المراتب الثلاث، فلنشرع في الفروع الخمسة كذلك، كما شرطناه أوّلاً ونبيّنه على آخر الوجوه وهو هذا وبالله التوفيق والعصمة وهو يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

قد تمّ بحمدالله والمنّة المجلّد الثّالث من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي الله عنه حسب تجزئتنا، ويليه إن شاء الله المجلّد الرّابع المشتمل على بقيّة المقدّمة السادسة.



الفهرس